

الْبِدَائِيَّةُ وَالنِّهَائِيَّةُ

لِلْحَافِظِ عِمَادِ الدِّينِ أَبِي الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلَ

ابْنِ عُمَرَ بْنِ كَثِيرِ الْقُرَشِيِّ الدَّمَشْقِيِّ

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الرحمن بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

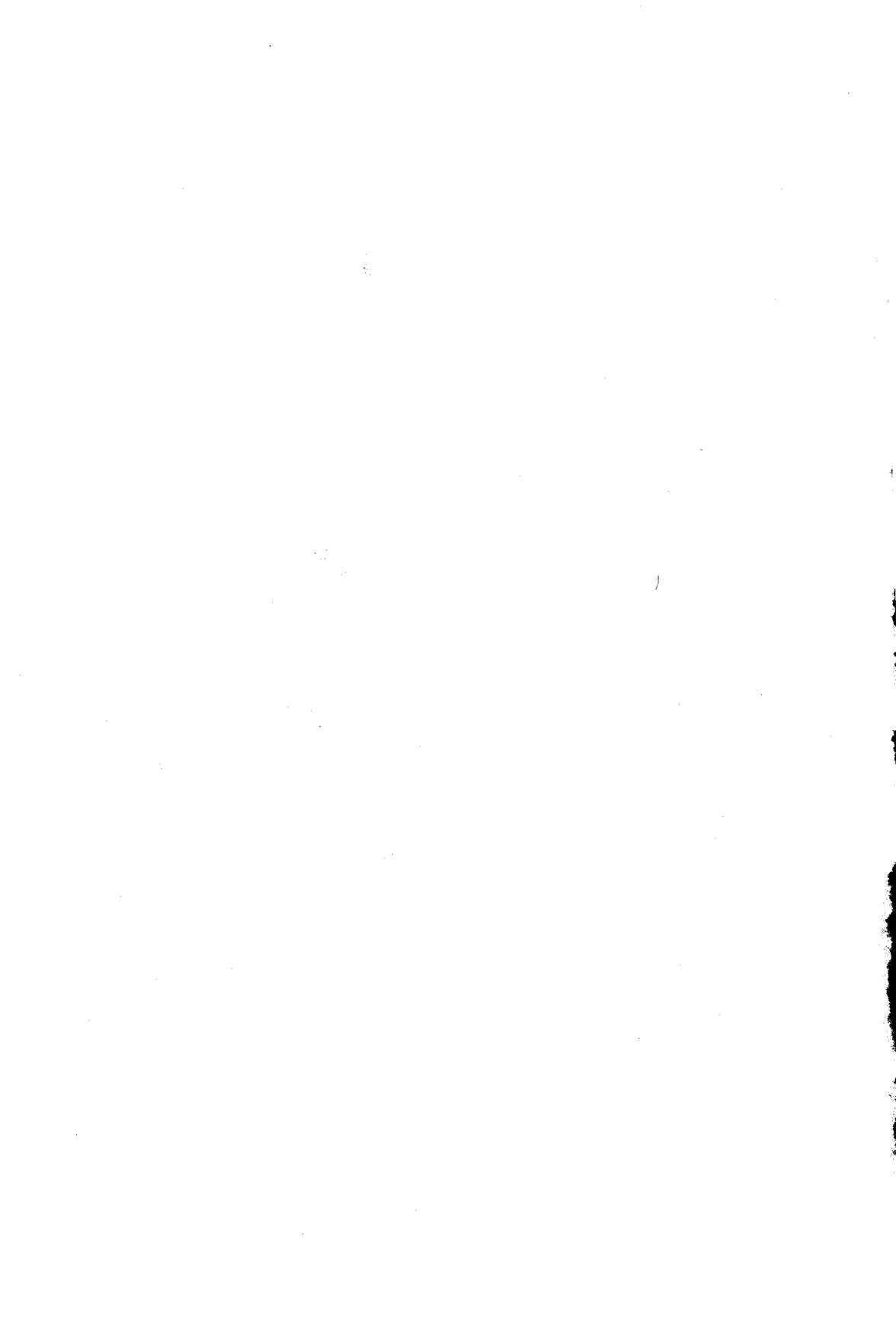
الجزء الثاني

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
٣٤٥٢٥٧٩ ☎ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٦ ، ٢ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة





بَابُ ذِكْرِ أُمَّمٍ أَهْلِكُوا بِعَامَّةٍ

وذلك قبل نزول التوراة؛ بدليل قوله تعالى^(١): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ [القصص: ٤٣]. كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، والبرزأ^(٢) من حديث عوف الأغراني، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: ما أهلك الله قوماً بعداب من السماء أو من الأرض، بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض، غير القرية التي مسخوها قردة؛ ألم تر أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾. ورفع البرزأ في رواية له، والأشبه، والله أعلم، وفقه، فدل على أن كل أمة أهلكت بعامة، قبل موسى عليه السلام.

فمنهم: أصحاب الرّس، قال الله تعالى، في سورة «الفرقان»^(٣): ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۗ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨، ٣٩]. وقال تعالى، في سورة «ق»^(٤): ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۗ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۗ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ

(١) التفسير ٦/٢٤٨.

(٢) ابن جرير في تفسيره ٨٠/٢٠، والبرزأ (٢٢٤٧) موقوفا، (٢٢٤٨) مرفوعا. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/٥) إلى ابن أبي حاتم.

وقال الهيثمي في المجمع ٧/٨٨: رواه البرزأ مرفوعا وموقوفا، ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) التفسير ٦/١١٩.

(٤) التفسير ٧/٣٧٥.

الرُّسُلَ حَقَّقَ وَعِيدِ ﴿ [ق: ١٢ - ١٤] . وهذا السياق والذي قبله يدلُّ على أنَّهم أَهْلِكُوا، وَدُمِّرُوا، وَتُبِّرُوا، وهو الهلاكُ . وهذا يُرَدُّ اختِيارَ ابنِ جريرٍ؛ مِن أَنَّهُم أَصْحَابُ الأُخْدُودِ، الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي سُورَةِ «الْبُرُوجِ» ^(١)؛ لِأَنَّ أَوْلَكَ، عِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَجَمَاعَةٍ، كَانُوا بَعْدَ الْمَسِيحِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَفِيهِ نَظَرٌ أَيْضًا ^(٢) . وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ ^(٣)، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَصْحَابُ الرُّسِّ أَهْلُ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى ثَمُودَ . ^(٤) وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ الْكَبِيرُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي أَوَّلِ «تَارِيخِهِ» ^(٥)، عِنْدَ ذِكْرِ بِنَاءِ دِمَشْقَ، عَنِ «تَارِيخِ» أَبِي الْقَاسِمِ عُبَيْدِ ^(٦) اللَّهُ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ خُرْدَاذِبَةَ ^(٧)، وَغَيْرِهِ، أَنَّ أَصْحَابَ الرُّسِّ كَانُوا بِحَضْرٍ ^(٨)، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا يُقَالُ لَهُ: حَنْظَلَةُ بِنُ صَفْوَانَ . فَكَذَّبُوهُ وَقَتَلُوهُ، فَسَارَ عَادُ بِنُ عَوْصِ بْنِ إِزْمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، بِوَلَدِهِ مِنَ الرُّسِّ، فَنَزَلَ الأَحْقَافَ، وَأَهْلَكَ اللَّهُ أَصْحَابَ الرُّسِّ، وَانْتَشَرُوا فِي اليَمَنِ كُلِّهَا، وَفَشَنُوا مَعَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا، حَتَّى نَزَلَ بِجَيْرُونَ ابْنِ سَعْدِ بْنِ عَادِ بْنِ عَوْصِ بْنِ إِزْمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ دِمَشْقَ، وَبَنَى مَدِينَتَهَا، وَسَمَّاهَا جَيْرُونَ، وَهِيَ إِزْمُ ذَاتِ العِمَادِ، وَليْسَ أَعْمَدَةُ الحِجَارَةِ فِي مَوْضِعٍ أَكْثَرَ مِنْهَا بِدِمَشْقَ، فَبَعَثَ اللَّهُ هُوْدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَّاحِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الحُلُودِ ^(٩) بِنِ

(١) انظر تفسير الطبري ١٤/٢٠ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١/٣٤ - ٣٦ .

(٣) في الأصل، ح: «جريج». والأثر أخرجه ابن جرير في التفسير ١٣/١٩ .

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ١ .

(٥) تاريخ دمشق ١/١٢، ١٣ .

(٦) في ح، م: «عبد» .

(٧) في ح، ص: «جراد»، وفي م: «جرداد». والمثبت من تاريخ دمشق. وانظر ذيل تاريخ بغداد ١٧/

١١، ١٢. ولسان الميزان ٤/٩٦ .

(٨) بلدة باليمن من أعمال زيد. معجم البلدان ٢/٢٨٩ .

(٩) في ح، م: «الحلود»، وفي ص: «الجلود». والمثبت من التاريخ .

«عَادَ إِلَى عَادٍ - يَعْنِي أَوْلَادَ عَادٍ - بِالْأَحْقَافِ، فَكَذَّبُوهُ، وَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسِّ قَبْلَ عَادٍ بِدُهْوِيرٍ مَتَطَوَّلَةٍ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(١).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٢)، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ شَيْبِ بْنِ يَشِيرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ^(٣): الرَّسُّ بَمَثَرٍ بِأَذْرِيحَانَ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي بُكَيْرٍ^(٤)، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: الرَّسُّ بَمَثَرٍ رَسُوا فِيهَا نَبِيَّهُمْ. أَيْ؛ دَفَنُوهُ فِيهَا. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ عِكْرِمَةُ: أَصْحَابُ الرَّسِّ بَقَلَجٍ، وَهُمْ أَصْحَابُ يَاسِينَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: قَلَجٌ مِنْ قُرَى الْيَمَامَةِ. قُلْتُ: فَإِنْ كَانُوا أَصْحَابَ يَاسِينَ، كَمَا زَعَمَهُ عِكْرِمَةُ، [١٤٠/١ ط] فَقَدْ أَهْلَكُوا بَعَائِمَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَصِيهِمْ^(٥): ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَوَجْدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ [يس: ٢٩]. وَسَتَأْتِي قَصِيهِمْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ. وَإِنْ كَانُوا غَيْرِهِمْ - وَهُوَ الظَّاهِرُ - فَقَدْ أَهْلَكُوا أَيْضًا وَتَبَّرُوا. وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَيُنَافِي مَا ذَكَرَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ.

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ النَّقَّاشُ، أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسِّ كَانَتْ لَهُمْ مَثَرٌ تَرْوِيهِمْ، وَتَكْفِي أَرْضَهُمْ جَمِيعَهَا، وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ عَادِلٌ حَسَنُ السَّيْرَةِ، فَلَمَّا مَاتَ وَجَدُوا عَلَيْهِ وَجْدًا عَظِيمًا، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ تَصَوَّرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَتِهِ، وَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَتُتْ، وَلَكِنْ تَغَيَّبْتُ عَنْكُمْ حَتَّى أَرَى صَنِيعَكُمْ. فَفَرِحُوا أَشَدَّ الْفَرَحِ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ حِجَابٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ أَبَدًا،

(١ - ١) سقط من: الأصل، ١.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٧١، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) بعده في الأصل: «أصحاب».

(٤) في النسخ: «بكر». والمثبت من التفسير ٦/ ١٢٠. وانظر تهذيب التهذيب ١٠/ ٨٧، والجرح

والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٣.

(٥) التفسير ٦/ ٥٥٧.

فصدَّق به أكثرهم، وافْتَتِنُوا به، وعبدوه، فبعث الله فيهم نبيًا، وأخبرهم أنَّ هذا شيطانٌ يخاطبُهُمْ مِنْ وراءِ الحجابِ، ونهاهم عن عبادته، وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له. قال الشَّهَيْلِيُّ^(١): وكان يُوحى إليه في النوم، وكان اسمه حَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانَ، فعدَّوًا عليه فقتلوه، وألقَوْه في البئرِ، فغار ماؤها، وعطشوا بعدَ رِيْهِمْ وَيَسْتِ أشجارهم، وانقطعت ثمارهم، وخربت ديارهم، وتبدَّلوا بعدَ الأنسِ بالوحشة، وبعد الاجتماعِ بالفُرْقَةِ، وهلكوا عن آخرهم، وسكَّن في مساكنهم الجنُّ والوحوشُ، فلا يُسمَعُ ببقاعهم إلا عَزِيفُ^(٢) الجنِّ، وزئيرُ الأسدِ، وصوتُ الضَّبَاعِ.

فأما ما رواه - أعنى ابنَ جرير^(٣) - عن محمد بنِ حَمِيدٍ، عن سَلَمَةَ، عن ابنِ إسحاق، عن محمد بنِ كعبِ القُرظِيِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ نَبِيًّا إِلَى أَهْلِ قَرْيَةٍ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ مِنْ أَهْلِهَا إِلَّا ذَلِكَ الْأَسْوَدُ، ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ عَدَّوْا عَلَى النَّبِيِّ، فَحَقَرُوا لَهُ بَيْتًا، فَأَلْقَوْهُ فِيهَا، ثُمَّ أَطْبَقُوا عَلَيْهِ بِحَجَرٍ أَصَمٍّ». قال: «فَكَانَ ذَلِكَ الْعَبْدُ يَذْهَبُ فَيَحْتَطِبُ عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ يَأْتِي بِحَطْبِهِ فَيَبِيعُهُ، وَيَشْتَرِي بِهِ طَعَامًا وَشَرَابًا، ثُمَّ يَأْتِي بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْرِ، فَيَرْفَعُ تِلْكَ الصَّخْرَةَ، وَيُعِينُهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَيُدْلِي إِلَيْهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، ثُمَّ يَرُدُّهَا كَمَا كَانَتْ». قال: «فَكَانَ كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ إِنَّهُ ذَهَبَ يَوْمًا يَحْتَطِبُ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، فَجَمَعَ حَطْبَهُ، وَحَزَمَ حُزْمَتَهُ وَفَرَّغَ مِنْهَا، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَحْتَمِلَهَا، وَجَدَ

(١) في التعريف والإعلام ص ٢١٥ - ٢١٨.

(٢) في الأصل: «غريف». وعزيف الجن أى صوت الجن. الصحاح (ع ز ف).

(٣) تفسير الطبرى ١٩/١٤، ١٥.

سِنَّةٌ، فاضطَجَعَ فَنَامَ، فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِهِ [١/٤١١و] سَبْعَ سِنِينَ نَائِمًا، ثُمَّ إِنَّهُ هَبَّ، فَتَمَطَّى وَتَحَوَّلَ لِشِقَّةِ الْآخِرِ فاضطَجَعَ، فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِهِ سَبْعَ سِنِينَ أُخْرَى، ثُمَّ إِنَّهُ هَبَّ، وَاحْتَمَلَ حُزْمَتَهُ، وَلَا يَحْسَبُ إِلَّا أَنَّهُ نَامَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَجَاءَ إِلَى الْقَرْيَةِ، فَبَاعَ حُزْمَتَهُ، ثُمَّ اشْتَرَى طَعَامًا وَشَرَابًا، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، ثُمَّ إِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى الْحَفْرَةِ، إِلَى مَوْضِعِهَا الَّتِي كَانَتْ فِيهِ، فَالْتَمَسَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَقَدْ كَانَ بَدَأَ لِقَوْمِهِ فِيهِ بَدَاءً، فَاسْتَخْرَجُوهُ، وَأَمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ». قَالَ: «فَكَانَ نَبِيُّهُمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْأَسْوَدِ: مَا فَعَلَ؟ فَيَقُولُونَ لَهُ: مَا نَدْرِي. حَتَّى قَبِضَ اللَّهُ النَّبِيَّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَهَبَّ الْأَسْوَدَ مِنْ نَوْمِهِ بَعْدَ ذَلِكَ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ لَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ». فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُرْسَلٌ، وَمِثْلُهُ فِيهِ نَظَرٌ، وَلَعَلَّ بَسْطَ قِصَّتِهِ مِنْ كَلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ قَدْ رَدَّهُ ابْنُ جَرِيرٍ نَفْسُهُ^(١)، وَقَالَ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُحْمَلَ هَؤُلَاءِ عَلَى أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الرَّسِّ الْمَذْكُورِينَ فِي الْقُرْآنِ. قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْ أَصْحَابِ الرَّسِّ أَنَّهُ أَهْلَكَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ فَأَمَنُوا بِنَبِيِّهِمْ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَدَّثَتْ لَهُمْ أَحْدَاثٌ، آمَنُوا بِالنَّبِيِّ بَعْدَ هَلَاكِ آبَائِهِمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ اخْتَارَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّ تَقَدَّمَ، وَلِمَا ذُكِرَ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأَخْدُودِ، حَيْثُ تُوعِدُوا بِالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا، وَلَمْ يُذَكَّرْ هَلَاكُهُمْ، وَقَدْ صُرِّحَ بِهَلَاكِ أَصْحَابِ الرَّسِّ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) فِي تَفْسِيرِهِ ١٥/١٩.

قصة قوم يس^(١)

وهم^(٢) أصحاب القرية

قال الله تعالى^(٣) : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِقُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مِنْ لَّا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَّا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَخِذُ مِنْ دُونِهِ عَالِهَةً إِنْ يُرَدِّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَأَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا

(١) هذه القصة ساقطة من : ١ .

(٢) في الأصل ، ح : (ومنه) .

(٣) التفسير ٦ / ٥٥٤ - ٥٥٩ .

صِيحَةً وَجَدَةً فَإِذَا هُمْ [١٤١/١] خَلِمْدُونَ ﴿١﴾ [يس: ١٣ - ٢٩]. اشتهر عن كثير من السلف والخلف أن هذه القرية أَنْطَاكِيَّةٌ. رواه ابنُ إسحاق، فيما بلغه عن ابنِ عباس، وكعبِ الأحبار، ووهبِ بنِ مُنَبِّهٍ^(١). وكذا زوى عن بُرَيْدَةَ ابنِ الحُصَيْنِ، وعِكرِمَةَ، وقَتَادَةَ، والزُّهْرِيَّ، وغيرِهِمْ^(٢). قال ابنُ إسحاق، فيما بلغه عن ابنِ عباس، وكعبِ، ووهبِ^(٣) أَنَّهُمْ قالوا: وكان لها مَلِكٌ اسمُه أَنْطِيخُسُ بْنُ أَنْطِيخُسٍ، وكان يعبدُ الأصنامَ، فبعثَ اللهُ إليه ثلاثةً من الرسل؛ وهم صادقٌ، وصدوقٌ، وشلومٌ^(٤)، فكذبَهُمْ. وهذا ظاهرٌ أَنَّهُمْ رسلٌ من اللهِ عزَّ وجلَّ. وزعم قتادة أَنَّهُمْ كانوا رسلاً من المسيح. وكذا قال ابنُ جُرَيْجٍ^(٥)، عن وهبِ^(٦) بنِ سليمان، عن شُعَيْبِ الجَبَائِيّ: كان اسمُ الرّسولَيْنِ الأوَّلَيْنِ: شمعونَ ويوحنا، واسمُ الثالثِ بولسَ، والقرية أَنْطَاكِيَّةٌ. وهذا القولُ ضعيفٌ جدًّا؛ لأنَّ أهلَ أَنْطَاكِيَّةِ، لما بعثَ إليهم المسيحُ ثلاثةً من الحواريين، كانوا أولَ مَدِينَةٍ آمَنَتْ بالمسيحِ في ذلك الوقتِ، ولهذا كانت إحدى المدينِ الأربعِ التي يكونُ فيها بطارقةً^(٧) النَّصَارَى؛ وهنَّ أَنْطَاكِيَّةٌ، والقدسُ، وإسكندريةٌ، وروميةٌ. ثمَّ بعدها إلى القُسطنطينية ولم يُهْلَكوا، وأهلُ هذه القرية المذكورة في

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ١٥٦/٢٢، عن ابن إسحاق به.

(٢) - ٢) سقط من: ص.

(٣) الدر المنثور ٥/٢٦١.

(٤) في تفسير الطبري: «سلوم».

(٥) في م: «جرير». وهو تحريف. وانظر التفسير ٥٥٤/٦.

(٦) بعده في م: «عن». والصواب: وهب بن سليمان؛ فإنه يروى عن شعيب الجبائي ويروى عنه ابن

جرير. انظر الجرح والتعديل ٩/٢٧.

(٧) في النسخ: «بتاركة». وأصلها كلمة لاتينية «باتريكيوس»، وعربت إلى «بطريق» رسماً ونطقاً، وكذلك اعتمدها أصحاب المعاجم بالطاء والقاف. انظر الوسيط (ب ط ر). ودائرة المعارف الإسلامية

٣١٣/٧

القرآن أَهْلَكُوا، كما قال في آخر قصتها بعد قتلهم صديق المرسلين : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿ لكن إن كانت الرسل الثلاثة المذكورون في القرآن، يُعْثُوا إلى أهلِ أَنْطَاكِيَّةٍ قَدِيمًا، فكذبوهم وأهلكهم الله ثم عُجِرَتْ بعد ذلك، فلمَّا كان في زمنِ المسيحِ آمَنُوا بِرُؤْسِيهِ إِلَيْهِمْ، فلا يُمْتَنِعُ هذا. واللهُ أعلمُ. فأما القولُ بأنَّ هذه القصةُ المذكورةُ في القرآنِ هي قصةُ أصحابِ المسيحِ، ضعيفٌ؛ لِما تقدَّم، ولأنَّ ظاهرَ سِياقِ القرآنِ يَفْتَضِي أنَّ هؤلاءِ الرسلَ مِنَ عندِ اللهِ ^(١).

قال اللهُ تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا ﴾ يعني : لقومك يا محمدُ ﴿ أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ يعني : المدينة ﴿ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ أي ؛ أَيَّدناهما بثالثٍ في الرسالة ﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴾ ﴿ فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ ^(٢) بَشَرٌ مِثْلَهُمْ، كما قالتِ الأُممُ الكافرةُ لرسولهم، يَسْتَبْعِدُونَ أن يَبْعَثَ اللهُ نَبِيًّا بَشَرِيًّا، فأجابوهم بأنَّ اللهُ يَعْلَمُ أَنَّا رُسُلُهُ إِلَيْكُمْ، ولو كنا كَذَبْنَا عليه لعاقبنا وانتقم مِنَّا أشدَّ الانتقامِ ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾ أي ؛ إِنما علينا، أن نبلِّغكم ما أُرسلنا به إليكم، واللهُ هو الذي يَهْدِي من يَشَاءُ، وَيُضِلُّ من يَشَاءُ ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ أي ؛ تشاءمنا بما جئتمونا به ﴿ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ ﴿ قيل ^(٣) : بالمقالِ . وقيل : بالفعالِ . ويؤيدُ الأوَّلُ قوله : ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تَوَعَّدوهم [١٤٢/١] بالقتلِ والإِهانةِ . ﴿ قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ أي ؛ مردودٌ

(١) وانظر التفسير ٥٥٩/٦ .

(٢) في الأصل : «بأنه» .

(٣) سقط من : م .

عليكم ﴿ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ ﴾ أى ؛ بسببِ أَنَا ذُكِّرْنَاكُمْ بِالهُدَى وَدَعَوْنَاكُمْ إِلَيْهِ ،
تَوَعَّدْتُمُونَا بِالْقَتْلِ وَالْإِهَانَةِ ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ أى ؛ لَا تَقْبَلُونَ الْحَقَّ ،
وَلَا تَرِيدُونَهُ .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ يعنى : لثُصْرَةَ
الرَّسْلِ ، وَإِظْهَارِ الْإِيمَانِ بِهِمْ ﴿ قَالَ يَلْقَوهُمْ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ١٠٠ أَتَّبِعُوا
مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ أى ؛ يَدْعُونَكُمْ إِلَى الْحَقِّ الْمَحْضِ ، بِلَا
أُجْرَةٍ وَلَا جِعَالَةٍ . ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَنَهَاهُمْ عَنْ
عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ ، مِمَّا لَا يَنْفَعُ شَيْئًا لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴿ إِنِّي إِذًا لَفِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ أى ؛ إِنْ تَرَكْتُ عِبَادَةَ اللَّهِ وَعَبَدْتُ سِوَاهُ . ثُمَّ قَالَ مَخَاطَبًا
لِلرَّسْلِ : ﴿ إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ قِيلَ : فَاسْمَعُوا مَقَالَتِي ،
وَاشْهَدُوا لِي بِهَا عِنْدَ رَبِّكُمْ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ فَاسْمَعُوا يَا قَوْمِي إِيْمَانِي بِرُسُلِ اللَّهِ
جَهْرَةً . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَتَلُوهُ . قِيلَ : رَجْمًا . وَقِيلَ : عَضًّا . وَقِيلَ : وَثَبُوا إِلَيْهِ وَثَبَةً
رَجُلٍ وَاحِدٍ فَقَتَلُوهُ . وَحَكَى ابْنُ إِسْحَاقَ ^(١) عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ
قَالَ : وَطَّوَّهُ بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى أَخْرَجُوا قُضْبَهُ ^(٢) .

وقد رَوَى الثَّوْرِيُّ ، عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ ، عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ : كَانَ اسْمُ هَذَا
الرَّجُلِ حَبِيبَ بْنِ مُرَى . ثُمَّ قِيلَ : كَانَ نَجَّارًا . وَقِيلَ : حَبَّالًا . وَقِيلَ : إِسْكَافًا .
وَقِيلَ : قَصَّارًا . وَقِيلَ : كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي غَارٍ هُنَاكَ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ :
كَانَ حَبِيبُ النَّجَّارِ قَدْ أَسْرَعَ فِيهِ الْجُدَامُ ، وَكَانَ كَثِيرَ الصَّدَقَةِ ، قَتَلَهُ قَوْمُهُ ^(٣) .

(١) انظر هذا الأثر وما بعده ، فى تفسير الطبرى ١٦١/٢٢ .

(٢) فى ح ، م ، ص : « قضبته » . والقضب : المعى . النهاية ٦٧/٤ .

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١٥٩/٢٢ .

ولهذا قال تعالى: ﴿ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ ﴾ يعني: لما قتلته قومه أدخله الله الجنة، فلما رأى ما فيها من النضرة والسرور ﴿ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴿ يعني: ليؤمنوا بما آمنت به، فيحصل لهم ما حصل لي. قال ابن عباس: نصح قومه في حياته: ﴿ يَنْقَوِرَ أَتْبَعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾، وبعد مماته: ﴿ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾. رواه ابن أبي حاتم^(١). وكذلك قال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً، لا تلقاه غاشياً، لما عاين ما عاين من كرامة الله قال: ﴿ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴿ تمتى، و^(٢) الله، أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم^(٣) عليه. قال قتادة: فلا والله، ما عاتب الله قومه بعد قتله ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً فَإِذَا هُمْ خَنِيدُونَ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ [١٤٢/١] أي؛ ما احتجنا في الانتقام منهم إلى إنزال جندي من السماء عليهم. هذا معنى ما رواه ابن إسحاق^(٤)، عن بعض أصحابه، عن ابن مسعود. وقال مجاهد، وقاتدة: وما أنزل عليهم جنداً، أي رسالة أخرى. قال ابن جرير^(٤): والأول أولى. قلت: وأقوى. ولهذا قال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾.

(١) التفسير ٥٥٧/٦.

(٢) كذا في النسخ. وفي تفسير الطبري: «على»، وهو ما رجحه محققو ابن كثير، وانظر التفسير ٦/

٥٥٧.

(٣) في م: «هو»، وفي ص: «هم».

(٤) تفسير الطبري ١/٢٣، ٢.

مُنزِلِينَ ﴿ أَي ؛ وما كنا نحتاجُ في الانتقامِ إلى هذا ، حينَ كَذَّبوا رُسُلَنَا وَقَتَلُوا
وَلَيْتَنَا ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ ﴾ .

قال المفسرون : بعثَ اللهُ إليهم جبريلَ ، عليه السلامُ ، فأخذَ بعضَ أداتي
البابِ الذي لبلدِهِم ، ثم صاحَ بهم صَيِّحَةً واحدةً ﴿ فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ ﴾ :
أى ؛ قد أُخِمِدَت أصواتُهُم ، وسَكَنت حركاتُهُم ، ولم يَبْقَ منهم عَيْنٌ تُطْرِفُ .
وهذا كُلُّهُ مما يَدُلُّ على أَنَّ هذه القريةَ ليست أَنطَاقِيَّةً ؛ لأنَّ هؤلاء أَهْلِكُوا
بِتَكْذِيبِهِم رُسُلَ اللهِ إليهم ، وَأَهْلُ أَنطَاقِيَّةٍ آمَنُوا ، وَاتَّبَعُوا رُسُلَ المَسِيحِ مِنْ
الحواريينَ إليهم ؛ فلهذا قيل : إِنَّ أَنطَاقِيَّةً أَوَّلُ مَدِينَةٍ آمَنَتْ بالمَسِيحِ . فأما الحديثُ
الذي رواه الطَّبْرانِيُّ ^(١) ، مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ الأَشْقرِ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن
ابنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « السَّبْقُ
ثَلَاثَةٌ ؛ فَالسَّبْقُ إِلَى موسى يُوسُفُ بْنُ نُونٍ ، وَالسَّبْقُ إِلَى عيسى صَاحِبُ يس ،
وَالسَّبْقُ إِلَى محمدٍ عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » . فَإِنَّه حَدِيثٌ لا يُثْبِتُ ؛ لأنَّ حُسَيْنًا
هذا متروكٌ ، وَشَيْعِيُّ مِنَ الغَلَاةِ ، وَتَفَرَّدَ بهذا بِمَّا يَدُلُّ على ضَعْفِهِ بالكُلِّيَّةِ . وَاللهُ
أَعْلَمُ .

(١) في المعجم الكبير (١١١٥٢) . وقال الهيثمي في المجمع ١٠٢/٩ : فيه حسين بن حسن الأشقر ،
وثقه ابن حبان ، وضعفه الجمهور . والحديث ضعيف جدا (السلسلة الضعيفة ٣٥٨) .
وسقط من السند في النسخة المطبوعة من معجم الطبراني : « عن ابن أبي نجيح عن مجاهد » .

قصة يونس، عليه الصلاة والسلام

قال الله تعالى في سورة «يونس»^(١): ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس: ٩٨]. وقال تعالى في سورة «الأنبياء»^(٢): ﴿ وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضِّبًا فظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذٰلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]. وقال تعالى في سورة «الصفّات»^(٣): ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٥﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤٦﴾ فَالْقَمَمَةُ الْخَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٦﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴿ فَبَدَّدَهُ بِالْعُرَّىٰ وَهُوَ سَاقِئٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَتَمَنَّوْا فَتَمَنَّعْتَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الصفّات: ١٣٩ - ١٤٨]. وقال تعالى في سورة «نون»^(٤): ﴿ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ [١٤٣/١] الْخَوْثِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٨٨﴾ لَوْلَا أَن تَدَارَكُوهٗ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعُرَّىٰ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤١﴾ فَأَجْبَبَهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ

(١) التفسير ٤/٢٣١، ٢٣٢.

(٢) التفسير ٥/٣٦٠ - ٣٦٤.

(٣) التفسير ٧/٣٣ - ٣٦.

(٤) التفسير ٨/٢٢٦ - ٢٣٤.

مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ [القلم: ٤٨ - ٥٠]. قال أهل التفسير^(١): بَعَثَ اللَّهُ يُونُسَ، عَلَيْهِ
السلام، إِلَى أَهْلِ نَيْنَوَى؛ مِنْ أَرْضِ الْمُؤَصِّلِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
فَكَذَّبُوهُ وَتَمَرَّدُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، خَرَجَ
مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَوَعَدَهُمْ حُلُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثِ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ،
وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ^(٢): فَلَمَّا
خَرَجَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيهِمْ وَتَحَقَّقُوا نَزُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ، قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ
وَالْإِنَابَةَ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَى نَبِيِّهِمْ، فَلَيْسُوا الْمُسْوَحَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ كُلِّ
بَهِيمَةٍ وَوَلِيدِهَا، ثُمَّ عَجَّوْا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَرَخُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ، وَتَمَسَّكْنَا
لَدَيْهِ، وَبَكَى الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَالْبَنُونَ وَالْبَنَاتُ، وَالْأُمَّهَاتُ، وَجَارَتْ الْأَنْعَامُ
وَالدَّوَابُّ وَالْمَوَاشِي، وَرَغَتِ الْإِبِلُ وَفُضِّلَتْهَا، وَخَارَتِ الْبَقَرُ وَأَوْلَادُهَا، وَتَغَتَّ
الْعَنَمُ وَحُمَلَاتُهَا، وَكَانَتْ سَاعَةً عَظِيمَةً هَائِلَةً، فَكَشَفَ اللَّهُ الْعَظِيمَ، بِحَوْلِهِ
وَقُوَّتِهِ، وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، عَنْهُمْ الْعَذَابَ الَّذِي كَانَ قَدْ اتَّصَلَ بِهِمْ سَبِيحَهُ، وَدَارَ
عَلَى رُؤُوسِهِمْ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ
ءَامَنَتْ فَفَنَعَمَهَا إِيْمَانًا ﴾ أَي؛ هَلَّا وُجِدَتْ فِيمَا سَلَفَ مِنَ الْقُرُونِ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ
بِكَمَالِهَا. فَذَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ، بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي
قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِءِ كَافِرُونَ ﴾ [سبأ: ٣٤].
وَقَوْلُهُ: ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ أَي؛ ءَامَنُوا بِكَمَالِهِمْ. وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْمَفْسُورُونَ؛ هَلْ يَنْفَعُهُمْ

(١) تفسير الطبري ١٧/٧٦، وتفسير القرطبي ٨/٣٨٤. تفسير ابن كثير ٥/٣٦٠.

(٢) تفسير الطبري ١١/١٧١ - ١٧٣، والتفسير ٤/٢٣٢.

يَغْرَقُونَ، على ما ذكره المفسرون^(١)، قالوا: فاشتَوَرُوا فيما بينهم على أن يَمْتَرِعُوا، فَمَن وَقَعَت عليه القُرْعَةُ أَلْقَوْهُ مِنَ السَّفِينَةِ؛ لِيَتَحَفُّوا^(٢) منه، فلما اِقتَرَعُوا وَقَعَت القُرْعَةُ على نبيِّ اللهِ يُونُسَ، فلم يَسْمَحُوا به، فأعادوها ثانية فَوَقَعَت عليه أيضًا، فشمَّر ليخلع ثيابه ويُلْقَى بنفسه، فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القُرْعَةَ ثالثة فَوَقَعَت عليه أيضًا؛ لما يريدُه اللهُ به مِنَ الأَمْرِ العَظِيمِ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِ الْآمِسْحُونَ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ وذلك أنه لما وَقَعَت عليه القُرْعَةُ، أُلْقِيَ في البحرِ، وبعث اللهُ، عز وجل، حوتًا عظيمًا من البحرِ الأخضرِ فَالْتَقَمَهُ، وأمره اللهُ تعالى: أن لا تَأْكُلَ له لحمًا، ولا تَهْشِمَ له عظمًا، فليس لك برزقٍ، فأخذه فطاف به البحارَ كُلَّهَا. وقيل: إنه ابتلع ذلك الحوتِ حوتٌ آخرٌ أكبرُ منه. قالوا: ولما استقرَّ في جوفِ الحوتِ، حَسِبَ أنه قد مات، فحرك جوارحه فتحرَّكت، فإذا هو حيٌّ، فخرَّ لله ساجدًا، وقال: ياربُّ، اتخذتُ لك مسجدًا لم يُعْبُدَكَ أحدٌ في مثله.

وقد اختلفوا^(٣) في مقدارِ لُبِّه في بطنه؛ فقال مُجالِدٌ عن الشَّعْبِيِّ: التَّمَمَهُ ضُحَى، وَلَفْظُهُ عَشِيَّةٌ. وقال قتادة: مكث فيه ثلاثًا. وقال جعفرُ الصادقُ: سبعةَ أيامٍ. وَيَشْهَدُ له شعرُ أُمَيَّةَ بنِ أَبِي الصَّلْتِ^(٤):

وَأَنْتَ بِفَضْلِ مِنْكَ نَجِيَّتِ يُونُسَا وَقَدْ بَاتَ فِي أَعْصَابِ حُوتٍ لَيَالِيَا

(١) تفسير الطبري ٧٦/١٧، ١٩٨/٢٣، تفسير القرطبي ١٢١/١٥، التفسير ٣٦٠/٥.

(٢) في م: «ليتحفظوا».

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٢٣/١٥. التفسير ٣٣/٧.

(٤) ديوان أُمَيَّة ص ٣٨.

وقال سعيد بن أبي الحسن، وأبو مالك: مكث في جوفه أربعين يوماً.
والله أعلمكم مقدار ما لبث فيه.

والمقصود أنه لما جعل الحوث يطوف به في قرار البحار اللججية، ويفتحهم به
لجج الموج الأجاجي، فسمع تسبيح الحيتان للرحمن، وحتى سميع تسبيح
الحصى لفالق الحب والنوى، ورب السماوات السبع، والأرضين السبع، وما
بينهما^(١)، وما تحت الثرى، فعند ذلك وهنالك قال ما قال بلسان [١٤٤/١] و
الحال والمقال، كما أخبر عنه ذو العزّة والجلال، الذي يعلم السرّ والتجوى،
ويكشف الضّرّ والبلوى، سامع الأصوات وإن ضعفت، وعالم الخفيات وإن
دقت، ومجيب الدعوات وإن عظمت، حيث قال في كتابه المبين، المنزل على
رسوله الأمين، وهو أصدق القائلين، ورب العالمين، وإله المرسلين: ﴿وَذَا آتُونَ
إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْعَذِّ
وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ أى؛ نضيق. وقيل: معناه نُقَدِّرُ، من
التقدير. وهى لغة مشهورة: قدر، وقدر. كما قال الشاعر^(٢):

فلا عائدُ ذاك الزمان الذى مضى تباركت ما تقدرُ يَكُنْ فلك الأمرِ

﴿ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ قال ابن مسعود،^(٣) وابن عباس، وعمرو بن

(١) فى م: «بينها».

(٢) أورده القرطبي فى تفسيره ٣٣٢/١١. ولم يذكر قائله، بل قال: وأنشد ثعلب.

(٣-٣) سقط من: الأصل.

١) ميمون، وسعيد بن جببير، ومحمد بن كعب، والحسن^(١)، وقتادة، والضحاك^(٢): ظلمة بطن^(٣) الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل. وقال سالم ابن أبي الجعد: ابتلع الحوت حوت آخر، فصار ظلمة الحوتين مع ظلمة البحر. وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قيل: معناه؛ لولا أنه سبح الله هنالك، وقال ما قال من التهليل والتسبيح، والاعتراف لله بالخضوع، والتوبة إليه، والرجوع إليه، للبت هنالك إلى يوم القيامة، ولبعث من جوف ذلك الحوت.. هذا معنى ما روى عن سعيد ابن جببير في إحدى الروايتين عنه^(٤). وقيل: معناه: فلولا أنه كان من قبل أخذ الحوت له من المسبحين أى؛ المطيعين المصلين الذاكرين الله كثيرا. قاله الضحاك بن قيس، وابن عباس، وأبو العالية، وهب بن منبه، وسعيد بن جببير، والضحاك^(٥)، والشددي، وعطاء بن السائب، والحسن البصري، وقتادة، وغير واحد. واختاره ابن جرير^(٦). ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن^(٧)، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال لى: «يا غلام، إني معلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة». وروى ابن جرير فى «تفسيره»،

(١-١) سقط من: الأصل.

(٢) تفسير الطبرى ١٧/٨٠. والتفسير ٥/٣٦١.

(٣) زيادة من: أ.

(٤) تفسير الطبرى ١٧/٨١، تفسير ابن كثير ٥/٣٦١، ٧/٣٤.

(٥) هو ابن مزاحم.

(٦) تفسير الطبرى ٢٣/٩٩-١٠١. التفسير ٧/٣٤.

(٧) المسند ١/٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧. من طرق، والترمذى (٢٥١٦). وقال: حسن صحيح.

(صحيح).

والبَرَّازُ فِي «مُسْنِدِهِ» ^(١) ، مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعِ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ ، أَوْحَى اللَّهُ [١/٤٤١ظ] إِلَى الْحَوْتِ ، أَنْ خُذْ ، وَلَا تَخْدِشْ لَحْمًا ، وَلَا تَكْسِرْ عَظْمًا . فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى أَسْفَلِ الْبَحْرِ ، سَمِعَ يُونُسُ حِسًّا ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا هَذَا ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ : إِنَّ هَذَا تَسْبِيحُ دَوَابِّ الْبَحْرِ» . قَالَ : «فَسَبَّحَ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ ، فَسَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِيحَهُ ، فَقَالُوا : يَا رَبَّنَا ، إِنَّا نَسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا بِأَرْضِ غَرِّيَّةٍ . قَالَ : ذَاكَ عَبْدِي يُونُسُ ، عَصَانِي فَحَبَسْتُهُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ فِي الْبَحْرِ . قَالُوا : الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَضَعُدُ إِلَيْكَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ» . قَالَ : «فَشَفَعُوا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ الْحَوْتَ فَقَذَفَهُ فِي السَّاحِلِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾» . هَذَا لَفْظُ ابْنِ جَرِيرٍ إِسْنَادًا وَمَثْنًا . ثُمَّ قَالَ الْبَرَّازُ : لَا نَعْلَمُهُ يُرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ . كَذَا قَالَ .

وقد قال ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره» ^(٢) : حدثنا أبو عُبيدٍ ^(٣) اللَّهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَخِي ابْنِ وَهْبٍ ، حَدَّثَنَا عَمِّي ، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ ، أَنَّ يَزِيدَ الرَّقَاشِيَّ حَدَّثَهُ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ، وَلَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنَّ أَنَسًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ

(١) تفسير الطبري ٨١/١٧ . وكشف الأستار (٢٢٥٤) .

قال الهيثمي ٩٨/٧ : رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) عزاه في الدر المنثور ٢٨٧/٥ إلى ابن أبي حاتم .

(٣) في النسخ : «عبد» . والمثبت من التفسير ٣٤/٧ ، وانظر ترجمته في تهذيب الكمال ٣٨٧/١ .

(٤) سقط من : ح ، م ، ص .

إلى رسول الله ﷺ: «إن يونس النبي، عليه السلام، حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات، وهو في بطن الحوت قال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فأقبلت الدعوة تحيُّ بالعرش، فقالت الملائكة: يا رب، صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة. فقال: أما تعرفون ذاك؟ قالوا: يا رب، ومن هو؟ قال: عبدى يونس. قالوا: عبدك يونس الذى لم يزل يُرْفَعُ له عملٌ متقبلٌ ودعوةٌ مجابةٌ؟ قال: نعم. قالوا: يا رب، أو لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء، فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى. فأمر الحوت فطرحه في العراء». ورواه ابن جرير^(١)، عن يونس، عن ابن وهب به. زاد ابن أبي حاتم^(٢): قال أبو صخر حميد بن زياد: فأخبرني ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث، أنه سمع أبا هريرة يقول: طرح بالعراء، وأنتب الله عليه اليقطينة. قلنا: يا أبا هريرة، وما اليقطينة؟ قال: شجرة الدباء. قال أبو هريرة: وهياً الله له أروية^(٣) وخشية تأكل من خشاش الأرض - أو قال: هشاش الأرض - قال: فتنفشخ عليه فتزويه من لبنها، كل عشيية وبكرة، حتى نبت. وقال أمية بن أبي الصلت^(٤) في ذلك بيتاً من شعره:

فَأُنْبَتَ يَقْطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ^(٥) أَلْفَى ضَاحِيًا^(٥) [١٤٥/١]

وهذا غريب أيضاً من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي ضعيفاً، ولكن يتقوى

(١) في تفسيره ١٠٠/٢٣.

(٢) عزاه في الدر المنثور ٢٨٧/٥، ٢٨٨ إلى ابن أبي حاتم.

(٣) الأروية - بضم الألف وكسرهما - أنثى الوعل.

(٤) ديوان أمية ص ٦٥.

(٥) في الأصل: «ألقى ضاحياً». وفي ح، م: «أصبح ضاويًا».

بحديث أبي هريرة المتقدم، كما يتقوى ذاك بهذا. والله أعلم.

وقد قال الله تعالى^(١): ﴿فَبَدَّنَتْهُ﴾ أى؛ ألقيناه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ وهو المكان القفر الذى ليس فيه شىء من الأشجار، بل هو عارٍ منها ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ أى؛ ضعيفُ البدن. قال ابن مسعود: كهية الفرخ، ليس عليه ريش^(٢). وقال ابن عباس، والشدئى، وابن زبيد: كهية الصبى حين يولد، وهو المنفوس^(٣)، ليس عليه شىء ﴿وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَّقِينٍ﴾. قال ابن مسعود، وابن عباس،^(٤) وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير^(٥)، وهب بن منبه، وهلال بن يساف، وعبد الله بن طاووس، والشدئى، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراسانى، وغير واحد: هو القروغ^(٥).

قال بعض العلماء: فى إنبات القروع عليه حكم جمّة؛ منها، أن ورقه فى غاية النعومة، وكثير وظليل، ولا يقربه ذباب، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره، نيماً ومطبوخاً، وبقره وبيزره أيضاً، وفيه نفع كثير، وتقوية للدماغ، وغير ذلك. وتقدم كلام أبي هريرة فى تسخير الله تعالى له تلك الأزوية التى كانت تُرضعه لبنها، وتوعى فى البرية، وتأتيه بكرة وعشيرة. وهذا من رحمة الله به، ونعمته عليه، وإحسانه إليه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَجْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ أى؛ الكرب والضيق الذى كان فيه ﴿وَكَذَلِكَ نُشَجِي

(١) التفسير ٣٤/٧ وما بعدها. تفسير الطبرى ١٠٢/٢٣.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ١١/٥٤١، ٥٤٢ من حديث ابن مسعود مطولاً.

(٣) فى الأصل، ح: «المنقوش».

(٤ - ٤) فى ١: «وأصحابه».

(٥) تفسير الطبرى ١٠٢/٢٣، ١٠٣، التفسير ١٣٥/٧.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ أَى؛ وَهَذَا صَنِيعُنَا بِكُلِّ مُؤْمِنٍ ^(١) دَعَانَا وَاسْتَجَارَنَا .

قال ابن جرير ^(٢) : حدثني عمران بن بكار الكلاعي ، حدثنا يحيى بن صالح ، حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، حدثني بشر بن منصور ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعت سعد بن مالك - وهو ابن أبي وقاص - يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اسم الله الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى ، دعوة يونس بن مئى » . قال : فقلت : يا رسول الله ، هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين ؟ قال : « هي ليونس خاصة ، وللمؤمنين عامة إذا دَعَوْا بها ، ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ . فهو شرط من الله لمن دعاه به ^(٣) » . وقال ابن أبي حاتم ^(٤) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن كثير بن زيد ، عن المطيب بن حنطب - قال أبو خالد : أحسبُه عن مُضْعَبٍ . يعنى ابن سعيد - [١٤٥/١ ظ] عن سعيد ^(٥) قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ دَعَا بِدَعَاءِ يُونُسَ اسْتُجِيبَ لَهُ » . قال أبو سعيد الأشج : يريدُ به ﴿ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وهذان طريقان عن سعيد .

(١) فى الأصل ، ح ، ص : « من » .

(٢) تفسير الطبرى ٨٢/١٧ .

(٣) فى ابن جرير : « بها » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٤/٤ إلى ابن أبي حاتم ، وانظر ما بعده .

(٥) فى الأصل : « سعيد » .

وثالثٌ أحسنُ منهما؛ قال الإمامُ أحمدُ^(١) : حدثنا إسماعيلُ بنُ عمرَ ،
حدثنا يونسُ بنُ أبي إسحاقَ الهَمْدَانِيّ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ سعيدِ ،
حدثني والدي محمدٌ ، عن أبيه سعيدٍ - وهو ابنُ أبي وقاصٍ - قال : مررتُ
بعثمانَ بنِ عفانَ في المسجدِ ، فسَلَّمْتُ عليه ، فمَلَأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي ، ثُمَّ لم يَرُدُّ عَلَيَّ
السَّلَامَ ، فَأَتَيْتُ عمرَ بنَ الخطابِ ، فقلْتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، هل حَدَّثَ في
الإسلامِ شَيْءٌ؟ مرَّتَيْنِ . قال : لا ، وما ذاك؟ قلتُ : لا ، إلا أَنِي مررتُ بعثمانَ
أَيْفًا في المسجدِ ، فسَلَّمْتُ عليه ، فمَلَأَ عَيْنَيْهِ مِنِّي ، ثُمَّ لم يَرُدُّ عَلَيَّ السَّلَامَ .
قال : فأرسلَ عمرُ إلى عثمانَ فدعاه ، فقال : ما مَعَكَ أن لا تكونَ رَدَدْتَ عليَّ
أخيكَ السَّلَامَ؟ قال : ما فعلتُ . قال سعدٌ : قلتُ : بلى . حتى حَلَفَ
وحلَفْتُ . قال : ثُمَّ إِنَّ عثمانَ ذَكَرَ ، فقال : بلى ، وأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه ،
إنك مررتَ بي أَيْفًا ، وأنا أُحَدِّثُ نفسي بكلمةٍ سَمِعْتُها مِن رسولِ اللهِ ﷺ ، لا
واللهِ ، ما ذَكَرْتُها قَطُّ إلا تَعَشَّى بصرى وقلبي غشاوةً . قال سعدٌ : فأنا أنبئك
بها ، إن رسولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ لنا أوَّلَ دعوةٍ ، ثم جاء أعرابيٌّ فشغله ، حتى قام
رسولُ اللهِ ﷺ ، فاتَّبَعْتُهُ ، فلَمَّا أَشْفَقْتُ أن يَسْبِقَنِي إلى منزله ، ضربتُ بِقَدَمِي
الأرضَ ، فالتفتَ إليَّ رسولُ اللهِ ﷺ ، فقال : « من هذا؟ أبو إسحاق؟ » قال :
قلتُ : نعم ، يا رسولَ اللهِ . قال : « فَمَه؟ » قلتُ : لا واللهِ ، إلا أَنك ذَكَرْتَ لنا
أوَّلَ دعوةٍ ، ثم جاء هذا الأعرابيُّ فشغلك . قال : « نعم ، دعوةُ ذِي التَّوْنِ ؛ إذ

(١) في المسند ١/ ١٧٠ . (إسناده صحيح) .

هو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له . ورواه
الترمذي ، والنسائي ، من حديث إبراهيم بن محمد بن سعيد به ^(١) .

(١) الترمذي (٣٥٠٥) . والنسائي في الكبرى (١٠٤٩١ ، ١٠٤٩٢) . كلاهما مختصراً . (صحيح
الترمذي ٢٧٨٥) .

ذِكْرُ فَضْلِ يُونُسَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال الله تعالى^(١): ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصفوات: ١٣٩].
 وذكره تعالى في جملة الأنبياء الكرام، في سورتي «النساء» و«الأنعام»،
 عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام.

وقال الإمام أحمد^(٢): حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن
 أبي وائل، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: « لا ينبغي لأحد أن
 يقول: أنا خير من يونس بن متى ». ورواه البخاري^(٣) من حديث سفيان
 الثوري به. وقال البخاري أيضًا^(٤): حدثنا حفص بن غمر، [١/٤٦١] حدثنا
 شعبة، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: « ما
 ينبغي لعبد أن يقول: إنني خير من يونس بن متى ». ونسبه إلى أبيه^(٥). ورواه
 أحمد، ومسلم، وأبو داود، من حديث شعبة به^(٦). قال شعبة فيما حكاه أبو
 داود عنه^(٧): لم يسمع قتادة من أبي العالية سوى أربعة أحاديث، هذا أحدها.
 وقد رواه الإمام أحمد^(٨)، عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد،

(١) التفسير ٣٣/٧.

(٢) في المسند ١/٣٩٠. (إسناده صحيح).

(٣) البخاري (٣٤١٢، ٤٦٠٣).

(٤) البخاري (٣٤١٣).

(٥) انظر فتح الباري ٦/٤٥٢.

(٦) أحمد ١/٣٤٢. ومسلم (٢٣٧٦). وأبو داود (٤٦٦٩).

(٧) قاله أبو داود عقب حديث (٢٠٢) من سننه، من كتاب الطهارة.

(٨) في المسند ١/٢٥٤. (إسناده صحيح).

عن يوسُفَ بنِ مِهْرَانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن النبي ﷺ ، قال : « وما ينبغي لعبيدٍ أن يقولَ : أنا خيرٌ من يونسَ بنِ مَتَّى » . تفرَّد به أحمدُ .

ورواه الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبْرانِيُّ ^(١) ، حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ كَيْسَانَ ، حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ رجاءٍ ، أنبأنا إسرائيلُ ، عن أبي يحيى القتاتِ ^(٢) ، عن مُجاهِدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « لا ينبغي لأحدٍ أن يقولَ : أنا عندَ اللَّهِ خيرٌ من يونسَ بنِ مَتَّى » . إسنادهُ جيِّدٌ ، ولم يُخرِّجوه .

وقال البخاريُّ ^(٣) : حدثنا أبو الوليدُ ، حدثنا شعبةُ ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ ، سمعتُ حُمَيْدَ بنَ عبدِ الرحمنِ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ ، قال : « لا ينبغي لعبيدٍ أن يقولَ : أنا خيرٌ من يونسَ بنِ مَتَّى » . وكذا رواه مسلمٌ ^(٤) من حديثِ شُعبَةَ به . وفي « البخاريُّ » و« مسلمٌ » ^(٥) من حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ الفضلِ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمَزِ الأَعْرَجِ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، في قصةِ المسلمِ الذي لطمَ وجهَ اليهوديِّ حينَ قال : لا ، والذي اصطفَى موسى على العالمين . قال البخاريُّ في آخره : « ولا أقولُ : إنَّ أحدًا خيرٌ من يونسَ بنِ مَتَّى » . أي ؛ ليس لأحدٍ أن يُفضِّلَ نفسه على يونسَ . وفي روايةٍ : « لا ينبغي لأحدٍ أن

(١) المعجم الكبير (١١١٢٢) . وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٠٩ : وفيه أبو يحيى القتات . وهو ضعيف وقد وثق .

(٢) في ح ، م ، ص : « العتاب » ، وفي ا : « القطاف » .

وهو أبو يحيى القتات واسمه زاذان . انظر تهذيب التهذيب ١٢/ ٢٧٧ .

(٣) البخاري (٣٤١٦) .

(٤) مسلم (٢٣٧٦) .

(٥) البخاري (٣٤١٤ ، ٣٤١٥) ، مسلم (٢٣٧٣) .

يَفْضَلُنِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى». كَمَا قَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ^(١): «لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى». وَهَذَا مِنْ بَابِ الْهَضْمِ وَالتَّوَاضُعِ مِنْهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى سَائِرِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَالْمُرْسَلِينَ.

(١) أوردته القاضي عياض في الشفا ١٧٠/١ بنحوه.

ذِكْرُ قِصَّةِ مُوسَى الْكَلِيمِ،

عليه الصلاة والسلام

وهو موسى بن عمران بن قاهث^(١) بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم السلام، قال الله تعالى^(٢): ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥١ - ٥٣]. ذكره بالرسالة والتبوء والإخلاص والتكليم والتقريب، ومنَّ عليه بأن جعل أخاه هارون نبيًّا^(٣) وقد ذكره الله تعالى في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن، وذكر قصته في مواضع متعددة مبسوطَةً، ومتوسطةً، ومختصرةً، وقد تكلمنا [١/ ١٤٦] على ذلك كله في مواضعه من «التفسير»، وسنورد^(٤) سيرته ههنا، من ابتدائها إلى آخرها من الكتاب والسنة، وما ورد في الآثار المنقولة من الإسرائيليات، التي ذكرها السلف وغيرهم، إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان.

قال الله تعالى^(٥): ﴿طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوْا

(١) في الأصل، ص: «ماث»، وفي أ: «قاهب».

(٢) التفسير ٥/ ٢٣٢، ٢٣٣.

(٣) زيادة من: أ.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) التفسير ٦/ ٢٣٠، ٢٣١.

عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢١﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٢٢﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٢٣﴾ [القصص: ١ - ٦].

يذكرُ تعالى مُلَخَّصَ الْقِصَّةِ ثُمَّ يَسْطُهَا بَعْدَ هَذَا، فَذَكَرَ أَنَّهُ سَبَحَانَهُ يَتْلُو عَلَى نَبِيِّهِ خَيْرَ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ؛ أَيِ بِالصُّدْقِ الَّذِي كَانُ سَامِعَهُ مُشَاهِدًا لِلأَمْرِ مُعَايِنًا لَهُ ﴿٢٠﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴿٢١﴾ أَيِ؛ تَجَبَّرَ وَعَتَا، وَطَعَى وَبَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَأَغْرَضَ عَنِ طَاعَةِ الرَّبِّ الأَعْلَى. ﴿٢٢﴾ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴿٢٣﴾ أَيِ؛ قَسَمَ رَعِيَّتَهُ إِلَى أَقْسَامٍ وَفَرَّقَ وَأَنْوَعَ ﴿٢٤﴾ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ ﴿٢٥﴾ وَهَمَّ شَعْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ هُمْ مِنْ سُلَالَةِ نَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ. وَكَانُوا إِذْ ذَاكَ خِيَارَ أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْمَلِكَ الظَّالِمَ الغَاشِمَ الكَافِرَ الفَاجِرَ، يَسْتَعْبِدُهُمْ وَيَسْتَخْدِمُهُمْ فِي أَحْسَنِ الصَّنَائِعِ وَالْحِرَفِ، وَأَزْدَيْهَا، "وَأَدْنَاهَا، وَمَعَ هَذَا" ﴿٢٦﴾ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٧﴾. وَكَانَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ الْقَبِيحِ، أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَتَدَارَسُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَا كَانُوا يَأْتِرُونَهُ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ غَلَامٌ يَكُونُ هَلَاكُ مَلِكِ مِصْرَ عَلَى يَدَيْهِ، وَذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، حِينَ جَرَى عَلَى سَارَةِ امْرَأَةِ الخَلِيلِ مِنْ مَلِكِ مِصْرَ، "مَا جَرَى" مِنْ إِرَادَتِهِ إِثَابَهَا عَلَى الشُّرُوءِ، وَعِصْمَةِ اللَّهِ لَهَا.

(١ - ١) فِي ١: «وَمَا كَفَاهُ هَذَا حَتَّى».

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ: م، ص.

وكانت هذه البشارة مشهورة في بنى إسرائيل، فتحدثت بها القبط فيما بينهم، ووصلت إلى فرعون^(١) في مجلس مسامرتة مع^(٢) أمرائه وأساورته^(٣) وهم يسمرون عنده، فأمر عند ذلك بقتل أبناء بنى إسرائيل؛ حذرًا من وجود هذا الغلام، ولن يُغنى حذر من قدر.

وذكر الشدئي^(٤) عن أبي صالح، وأبي مالك، عن ابن عباس، وعن مروة، عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة أن فرعون رأى في منامه كأن نازًا قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأخرقت دُور مصر وجميع القبط، ولم تضر بنى إسرائيل، فلما استيقظ هاله ذلك [١/٤٧] فجمع الكهنة والحزاة^(٥) والسحرة وسألهم عن ذلك، فقال له الكهنة^(٦): هذا غلام يُولد من^(٧) بنى إسرائيل، يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه. فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ آيَةً وَيَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ أى؛ الذين يقول ملك مصر وبلادها إليهم ﴿ وَنُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ أى؛ سنجعل الضعيف قويًا، والمقهور قاهرًا^(٨)، والدليل عزيزًا. وقد جرى هذا كله لبنى إسرائيل؛ كما قال

(١ - ١) فى الأصل، م: «فذكرها له بعض».

(٢) الإسوار: بكسر الهمزة قائد العجم كالأمير فى العرب والجمع أساوره.

(٣) ابن جرير فى تاريخه ١/٣٨٨.

(٤) جمع «حاز» وهو الكاهن.

(٥ - ٥) فى ح، م، ص: «هؤلاء».

(٦ - ٦) فى ح، م، ص: «فقالوا».

(٧) فى م: «قادر».

تعالى: ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربَهَا أَلَّتْ بَرْكَنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وقال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْزَيْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٧ - ٥٩]. وسأيتي تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

والمقصود أن فرعون احترز كل الاحتراز أن لا يوجد موسى، حتى يجعل رجالاً وقوابل يدورون على الحبالى، ويعلمون ميقات وضعهن، فلا تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذبّاحون "من ساعته". "وعند أهل الكتاب" (١) أنه إنما كان يأمر بذبّح الغلمان لتضعف شوكة بنى إسرائيل، فلا يقاومونهم إذا غالبوهم أو قاتلوهم. وفي هذا نظر، بل هو باطل، وإنما وقع هذا بعد بعثة موسى فجعل يقتل الولدان، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ [غافر: ٢٥]. (٢) ولهذا قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف: ١٢٩]. فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان أولاً خذراً من وجود موسى عليه السلام. هذا، والقدر يقول: يا أيها الملك الجبار، المغرور بكثرة جنوده، وسلطة بأسه واتساع سلطانه (٣)، قد حكم العظيم الذى لا

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢ - ٢) سقط من: ح.

(٣) سفر الخروج الأصحاح ١/٨ - ٢٢.

(٤ - ٤) سقط من: ح.

(٥) سقط من: ص.

يُغَالِبُ وَلَا يُمَانِعُ، وَلَا تُخَالَفُ أَقْدَارُهُ أَنْ هَذَا الْمَوْلُودَ الَّذِي تَحْتَرِزُ مِنْهُ،
 وَقَدْ قَتَلْتَ بِسَبَبِهِ مِنَ النُّفُوسِ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى، لَا يَكُونُ مَرْبَاهًا إِلَّا
 فِي دَارِكَ وَعَلَى فِرَاشِكَ، وَلَا يُغَدِّي إِلَّا بِطَعَامِكَ وَشَرَابِكَ^(١) فِي مَنَزِلِكَ،
 وَأَنْتَ الَّذِي تَتَبَّنَاهُ وَتُرِّيهِ وَتَتَعَدَّاهُ^(٢)، وَلَا تَطْلُغُ عَلَى سِرِّ مَعْنَاهُ، ثُمَّ يَكُونُ
 هَلَاكُكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ عَلَى يَدَيْهِ؛ لِمُخَالَفَتِكَ مَا جَاءَكَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ
 الْمُبِينِ، وَتَكْذِيبِكَ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ، لِتَعَلَّمَ أَنْتَ وَسَائِرُ الْخَلْقِ أَنَّ رَبَّ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يَرِيدُ، وَأَنَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ، ذُو
 الْبَأْسِ [١٤٧/١] الْعَظِيمِ، وَالْحَزُولِ وَالْقُوَّةِ وَالْمَشِيئَةِ، الَّتِي لَا مَرَدَّ لَهَا.

وقد ذكر غير واحد من المفسرين، أن القبط شكوا إلى فرعون قلة بني
 إسرائيل، بسبب قتل ولدايهم الذكور، وخشوا أن تتفانى الكبار مع قتل
 الصغار، فيصيرون هم الذين يُلون ما كان يليه^(٣) بنو إسرائيل^(٤) من الأعمال
 الشاقة، فأمر فرعون بقتل الأبناء عاَمًا، وأن يُترَكوا عاَمًا، فوُلد هارون، عليه
 السلام، في عام المسامحة عن قتل الأبناء، ووُلد موسى، عليه السلام، في عام
 قتلهم، فضاقت أمه به دُرعًا، واحتزرت من أول ما حبلت به، ولم يكن يظهر
 عليها مخايل^(٥) الحبل، فلما وضعت ألهمت أن اتَّخذت له تابوتًا، فربطته في
 حبل، وكانت دارها متاخمة للنيل، فكانت تُرضعه، فإذا خشيت من أحد
 وضعت في ذلك التابوت فأرسلته في البحر، وأمسكت طرف الحبل عندها،

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) في ح: «تفداه».

(٣) سقط من: م، ص.

(٤ - ٤) في ح، م، ص: «يعالجون».

(٥) أي دلائل.

فإذا ذهبوا استرجعته إليها به .

قال الله تعالى^(١) : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفِيَ عَلَيْهِ كَأَلْفِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَطْعَةُ ءَأَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا نَقُولُهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩﴾

[القصص: ٧ - ٩] . هذا الوحي وحي إلهام وإرشاد ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّجَالِ يَبُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الشَّجَرِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴿٧٩﴾ [النحل: ٦٨ ، ٦٩] . وليس هو بوحى نبوة ؛ كما زعمه ابن حزم^(٢) ، وغير واحد من المتكلمين ، بل الصحيح الأول ، كما حكاه أبو الحسن الأشعري عن مذهب^(٣) أهل السنة والجماعة . قال الشَّهَيْلِيُّ^(٤) : واسم أم موسى ياوخ^(٥) . وقيل : أياذخت .

والمقصود أنها أرشدت إلى هذا الذي ذكروناه ، وألقيت في خلدتها ورؤعيها أن لا تخافي ولا تحزني ، فإنه إن ذهب فإن الله سيرده إليك ، وإن الله سيجعله نبياً مرسلًا ، يُعلَى كلمته في الدنيا والآخرة ، فكانت تصنع ما أمرت به ، فأرسلته ذات يوم ، وذَهَلَتْ أَنْ تَرْبِطَ طَرْفَ الْحَبْلِ عِنْدَهَا ، فَذَهَبَ مَعَ النَّبْلِ ، فَمَرَّ عَلَى

(١) التفسير ٢٣١/٦ - ٢٣٣ .

(٢) انظر الفصل ١٧/٥ ، ١٨ .

(٣) سقط من : م .

(٤) التعريف والإعلام ص ٢٣٩ .

(٥) في الأصل : «أيارخا» . وفي ح ، ص : «أثارخا» . وفي م : «أبادخا» . والمثبت من التعريف والإعلام .

دارِ فرعون ﴿فَالنَّقْطَةُ﴾ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴿. قال الله تعالى : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ قال بعضهم : هذه لآم العاقبة . وهو ظاهر إن كان متعلقًا بقوله : ﴿فَالنَّقْطَةُ﴾ . وأما إن جعل متعلقًا بمضمون الكلام ؛ وهو أَنَّ آلَ فرعون قُبِضُوا لالتقاطه ؛ ليكونَ لهم عدوًّا وحزنًا ، صارت اللآم معللةً لغيرها ، والله أعلم . ويقوى هذا التفسير^(١) الثانى قوله^(٢) : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ﴾ وهو الوزيرُ الشؤءُ ﴿وَجُودُهُمَا﴾ المتابعين لهما ﴿كَانُوا خَطِيعِينَ﴾ أى ؛ كانوا على خلافِ الصوابِ ، فاستحقُّوا هذه العقوبةَ والحسرةَ .

وذكر المفسرون أن الجوارى التقطته من البحر في تابوتٍ مُغلقٍ عليه ، فلم يتجاسرون على فتحه ، حتى وضغنه بين يدي امرأة فرعون ؛ آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الرئان بن الوليد ، الذى كان فرعون مصر في زمن يوسف . وقيل : لأنها كانت من بنى إسرائيل من سبط موسى . وقيل : بل كانت عمته . حكاها الشَّهيدى^(٣) . فالله أعلم . وسيأتى مدحها والثناء عليها^(٤) فى قصة مزاحم بنت عمران ، وأنهما يكونان يوم القيامة من أزواج رسول الله ﷺ فى الجنة^(٥) . فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب ، رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية ، فلما رآته ووقع نظرها عليه أحبته حبًا شديدًا ، فلما جاء

(١) فى م : «التقدير» .

(٢) بعده فى الأصل : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَنَ وَجُودُهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ﴾ أى ؛ هم أهل لهذا التقييض [١ / ٤٨١] ليكون أبلغ فى إهانتهم ، وأقوى فى حسرتهم ، أن يربوا عدوهم فى دارهم . ولهذا قال : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ .

(٣) التعريف والإعلام ص ٢٣٩ .

(٤) انظر صفحات ٤٢٦ - ٤٣١ .

(٥) انظر صفحة ٤٣٣ .

فرعون قال: ما هذا؟ وأمر بذبحه، فاستوهبته منه ودفعت عنه، وقالت: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَكَأَنَّ﴾ . فقال لها فرعون: أما لك فتعم، وأما لى فلا. أى؛ لا حاجة لى به. والبلاء مؤكل بالمنطوق. وقولها: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ وقد أنالها الله ما رجحت من التمتع؛ أما فى الدنيا فهداها الله به، وأما فى الآخرة فأسكنها جنته بسببه ﴿أَوْ نَتَّخِذُهُمْ وَلَدًا﴾ وذلك لأنهما تبتياه؛ لأنه لم يكن لهما ولد. قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أى؛ لا يدرون ماذا يريد الله بهم، أن فيضهم لالتقاطه، من الثَّغْمَةِ الْعَظِيمَةِ بفرعون وجنوده. ^(١) وعند أهل الكتاب أن الذى التقطت موسى وربته ابنة فرعون، وليس لامرأته ذكرو بالكُفْيَةِ ^(٢). وهذا من غلطهم على كتاب الله، عز وجل. قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ قُودًا أُرِى مُوسَىٰ فَرِحًا إِنَّ كَادَتْ لِلسَّيِّئِ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَي قَلْبِهَا لَنُكَوِّنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّبِي قُصِّبْتِ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص: ١٠ - ١٣]. قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبيرة، وأبو عبيدة، والحسن، وقتادة، والضحاك، وغيرهم: ﴿وَأَصْبَحَ قُودًا أُرِى مُوسَىٰ فَرِحًا﴾ أى؛ من كل شئ من أمور الدنيا إلا من

(١ - ١) زيادة من: ص.

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٢/٥ - ١٠.

(٣) التفسير ٦/٢٣٣، ٢٣٤.

أمر^(١) موسى ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي؛ لَتُظْهِرُ أَمْرَهُ وَتَسْأَلُ عَنْهُ جَهْرَةً. ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا﴾ أي؛ صَبَّرْنَاهَا وَثَبَّنَاهَا ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٤٨/١ ط] وَقَالَتْ لِأَخْتَيْهِ ﴿وَهِيَ ابْنَتُهَا الْكَبِيرَةُ﴾ ﴿فُصِيحَةٌ﴾ أي؛ اتَّبَعِي أَثَرَهُ وَاطْلُبِي لِي خَيْرَهُ ﴿فَبَصَّرْتِ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾. قَالَ مُجَاهِدٌ: عَنْ بُعَيْدٍ. وَقَالَ قَتَادَةُ: جَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَكَأَنَّهَا لَا تَرِيدُهُ. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وَذَلِكَ لِأَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا اسْتَقَرَّ بِدَارِ فِرْعَوْنَ أَرَادُوا أَنْ يُغَذُّوهُ بِرِضَاعَةٍ، فَلَمْ يَقْبَلْ تَذْيًا وَلَا أَخَذَ طَعَامًا، فَحَازُوا فِي أَمْرِهِ، وَاجْتَهَدُوا فِي ذَلِكَ، أَيْ عَلَى تَغْذِيَّتِهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ فَلَمْ يَفْعَلْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ فَأَرْسَلُوهُ مَعَ الْقَوَائِلِ وَالنِّسَاءِ إِلَى الشُّوْقِ؛ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ مَنْ يُوَافِقُ رِضَاعَتَهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ وَقُوفٌ بِهِ وَالنَّاسُ عُكُوفٌ عَلَيْهِ، إِذْ بَصَّرَتْ بِهِ أُخْتَهُ، فَلَمْ تُظْهِرْ أَنَّهَا تَعْرِفُهُ، بَلْ قَالَتْ: ﴿هَلْ أَدْرِكُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢): لَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ، قَالُوا لَهَا: مَا يُدْرِيكَ بِضُحِحِهِمْ وَشَفَقَتِهِمْ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ: رَغْبَةٌ فِي صِهْرِ الْمَلِكِ، وَرَجَاءٌ مِنْفَعَتِهِ. فَأَطْلَقُوهَا وَذَهَبُوا مَعَهَا إِلَى مَنْزِلِهِمْ، فَأَخَذَتْهُ أُمُّهُ، فَلَمَّا أَرْضَعَتْهُ التَّقَمَ تَذْيِهَا وَأَخَذَ يَمْتَصُّهُ وَيَرْتَضِعُهُ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا، وَذَهَبَ الْبَشِيرُ إِلَى أَسِيَةِ يُعَلِّمُهَا بِذَلِكَ، فَاسْتَدْعَتْهَا إِلَى مَنْزِلِهَا، وَعَرَضَتْ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ عِنْدَهَا، وَأَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهَا، فَأَبَتْ عَلَيْهَا وَقَالَتْ: إِنْ لِي بَقْلًا وَأَوْلَادًا، وَلَسْتُ

(١) سقط من: ص، م.

(٢) رواه النسائي في الكبرى (١١٣٢٦)، والطبري في تفسيره ١٦/١٦٥، وأبو يعلى (٢٦١٨). وغيرهم.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٥٦ - ٦٦... ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم ابن أبي أيوب وهما ثقتان. والحديث معروف بحديث الفتون الطويل.

أَقْدِرُ عَلَى هَذَا إِلَّا أَنْ تُرْسِلِيهِ مَعِي . فَأَرْسَلْتَهُ مَعَهَا ، وَرَبِّتُ لَهَا رَوَاتِبَ ، وَأَجْرَتَ عَلَيْهَا النِّفَقَاتِ وَالْكَسَاوَى وَالْهَبَاتِ ، فَرَجَعَتْ بِهِ تَحْوِزُهُ إِلَى رَحْلِهَا ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ بِشَمْلِهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آتِيهِ كَمَا نَفَرْنَا مِنْهَا وَلَا تَحْزَنْ وَتَعَلَّمِ أَنكَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا ﴾ أَي ؛ كَمَا وَعَدْنَاهَا بِرُدِّهِ وَرِسَالَتِهِ ، فَهَذَا رَدُّهُ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ الْبَشَارَةِ بِرِسَالَتِهِ ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقد امتنَّ اللهُ بهذا على موسى ليلة كلمه ، فقال له فيما قال له ^(١) : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٢٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴿٢٨﴾ أَنْ أَقْذِفِي فِي النَّابُوتِ فَأَقْذِفِي فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةٌ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ ﴾ [طه : ٢٧ - ٢٩] . ^(٢) وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا أَحَبَّهُ ^(٣) ﴿ وَالتَّصْنَعُ عَلَى عَيْفَى ﴾ قَالَ ^(٤) قَتَادَةُ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ ^(٤) : أَي تُطْعَمُ وَتُرْفَعُ وَتُعْذَى بِأَطْيَبِ الْمَأْكَلِ ، وَتَلْبَسُ أَحْسَنَ الْمَلَابِيسِ ؛ بِمِزَاجِ مَنِّي ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِحِفْظِي وَكَلَامَتِي لَكَ فِيمَا صَنَعْتُ بِكَ وَلكَ ، وَقَدَّرْتُهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرِي ﴿ إِذْ تَمْشِي أُنْحَاكَ فَنَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَمَا نَفَرْنَا مِنْهَا وَلَا تَحْزَنْ وَقَلَّتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [طه : ٤٠] . وَسُنُورِدُ حَدِيثَ [١/٤٩٩و] الْفُتُونِ فِي مَوْضِعِهِ بَعْدَ هَذَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبِهِ الثَّقَةُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ .

(١) التفسير ٢٧٧/٥ ، ٢٧٨ .

(٢ - ٣) سقط من : ح ، م ، ٢ .

(٣) قبله في ح ، م ، ص : (إذ) .

(٤) التفسير ٢٧٨/٥ .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُمْ وَأَسْتَوَىٰ ءَابَتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾
 وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ
 شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ أَلْيَىٰ مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ أَلْيَىٰ مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ
 مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ
 بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ [القصص: ١٤ - ١٧]. لَمَّا ذَكَرَ
 تعالى أنه أنعم على أمه برده إليها، وإحسانه بذلك، وامتنانه عليها، شرع في
 ذكر أنه لما بلغ أشده واستوى؛ وهو احتكام الخلق والخلق، وهو سن الأربعين،
 في قول الأكثرين، آتاه الله حكماً وعلماً؛ وهو النبوة والرسالة التي كان بشر
 بها أمه، حيث قال: ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . ثم شرع
 في ذكر سبب خروجه من بلاد مصر، وذهابه إلى أرض مدين وإقامته هنالك،
 حتى كمل الأجل، وانقضى الأمد، وكان ما كان من كلام الله له، وإكرامه
 بما أكرمه به كما سيأتي.

قال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ . قال ابن
 عباس، وسعيد بن جببير، وعكرمة، وقتادة، والشدّي: وذلك نصف النهار.
^(١) وفي رواية ^(٢) عن ابن عباس: بين العشاءين ^(٣) ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾
 أي؛ يتضاربان ويتهاوشان ﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ أي؛ إسرائيلي ﴿ وَهَذَا مِنْ
 عَدُوِّهِ ﴾ أي؛ قبطي. قاله ابن عباس، وقتادة، والشدّي، ومحمد بن إسحاق

(١) التفسير ٢٣٤/٦، ٢٣٥.

(٢) (٢ - ٢) سقط من الأصل، ح، م.

(٣) تفسير الطبري ٤٤/٢٠. التفسير ٢٣٥/٦.

﴿ فَاسْتَعْنَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ وذلك أن موسى ، عليه السلام ، كانت له بديار مصر صَوْلَةٌ ؛ بسبب نسبه إلى تَبْنِي فرعون له وتربيته في بيته ، وكانت بنو إسرائيل قد عَزُّوا وصارت لهم وَجَاهَةٌ ، وارتفعت رءوسهم بسبب أنهم أَرْضَعُوهُ ، وهم أخواله ، أى من الرضاعة ، فلَمَّا اسْتَعَانَ ذلك الإسرائيلي موسى ، عليه السلام ، على ذلك القِبْطِيّ ، أَقْبَلَ إليه موسى ﴿ فَوَكَّرَهُ ﴾ قال مُجَاهِدٌ : أى طَعَنَهُ بِجَمْعٍ ^(١) كَفَهُ . وقال قَتَادَةُ : بِعَصَا كانت معه ﴿ فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ أى ؛ فمات منها . وقد كان ذلك القِبْطِيّ كافرًا مشرِكًا بالله العظيم ، ولم يُرِذْ موسى قَتْلَهُ بالكلية ، وإنما أراد زَجْرَهُ ورَدْعَهُ ، ومع هذا قال موسى : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ ^(١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَمْ يَكُنْ هُوَ الْعَفْوَرُ الرَّجِيذُ ^(١٦) قَالَ رَبِّ [١٤٩] بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴿ . ^(٢) أى ، مِنَ الْعِزِّ وَالْجَاهِ ^(٣) ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ .

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَصْرَمُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ^(١٧) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَى أَرِيدُ أَنْ نَفْتَلِيَ كَمَا قَنَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ^(١٨) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَى إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ^(١٩) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(٢٠) [الفصم : ١٨ - ٢١] . يخبرُ تعالى

(١) فى ح ، ص : (بجمع) .

(٢) - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) التفسير ٦ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

أَنَّ مُوسَى أَصْبَحَ بِمَدِينَةِ مِصْرَ خَائِفًا أَي مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، أَن يَعْلَمُوا أَن هَذَا الْقَتِيلَ الَّذِي رُفِعَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ إِنَّمَا قَتَلَهُ مُوسَى فِي نُصْرَةِ رَجُلٍ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَتَقَوَّى طُنُوبَهُمْ أَنَّ مُوسَى مِنْهُمْ وَيَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، فَصَارَ يَسِيرُ فِي الْمَدِينَةِ فِي صَبِيحَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ أَي ؛ يَتَلَفَّتْ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا ذَلِكَ الرَّجُلُ الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ ﴿ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ أَي ؛ يَصْرُخُ بِهِ ، وَيَسْتَعِينُهُ عَلَى آخَرَ قَدْ قَاتَلَهُ ، فَعَنَّفَهُ مُوسَى وَوَلَّامَهُ عَلَى كَثْرَةِ شَرِّهِ ، وَمُخَاصَمَتِهِ ، قَالَ لَهُ : ﴿ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، ثُمَّ أَرَادَ أَن يَنْطِشَ بِذَلِكَ الْقَيْطِيِّ ، الَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لِمُوسَى وَلِلْإِسْرَائِيلِيِّ ، فَبَرَّزَهُ عَنْهُ وَيُخْلِصَهُ مِنْهُ ، فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْقَيْطِيِّ ﴿ قَالَ يَمْوَسَى أَتْرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص: ١٩] ، قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي أَطَّلَعَ عَلَى مَا كَانَ صَنَعَ مُوسَى بِالْأَمْسِ ، وَكَأَنَّهُ لَمَّا رَأَى مُوسَى مُقْبِلًا إِلَى الْقَيْطِيِّ ، اعْتَقَدَ أَنَّهُ جَاءَ إِلَيْهِ لَمَّا عَنَّفَهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ . فَقَالَ مَا قَالَ لِمُوسَى ، وَأَظْهَرَ الْأَمْرَ الَّذِي كَانَ وَقَعَ بِالْأَمْسِ ، فَذَهَبَ الْقَيْطِيُّ ^(١) فَاسْتَعَدَى فِرْعَوْنَ عَلَى مُوسَى . وَهَذَا الَّذِي لَمْ يَذْكُرْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ سِوَاهُ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّ قَاتِلَ هَذَا هُوَ الْقَيْطِيُّ ، وَأَنَّهُ لَمَّا رَأَى مُقْبِلًا إِلَيْهِ خَافَهُ ؛ وَرَأَى مِنْ سَجِيئَتِهِ انْتِصَارًا جَيِّدًا لِلْإِسْرَائِيلِيِّ ، فَقَالَ مَا قَالَ مِنْ بَابِ الظَّنِّ وَالْفِرَاسَةِ ، أَنَّ هَذَا لَعَلَّهُ قَاتِلُ ذَلِكَ الْقَتِيلِ بِالْأَمْسِ ، أَوْ لَعَلَّهُ فَيَهْمُ مِنْ كَلَامِ الْإِسْرَائِيلِيِّ ، حِينَ اسْتَصْرَخَهُ عَلَيْهِ ، مَا دَلَّهُ عَلَى هَذَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ فِرْعَوْنَ بَلَغَهُ أَنَّ مُوسَى هُوَ قَاتِلُ ذَلِكَ الْمَقْتُولِ بِالْأَمْسِ ، فَأَرْسَلَ

(١ - ١) فِي النِّسْخِ : « فَاسْتَعَدَى مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ » . وَالثَّبْتُ كَمَا فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلْمُصَنِّفِ ١٢ / ١٤ . لِتَسْتَقِيمَ الْعِبَارَةُ .

فِي طَلِبِهِ ، وَسَبَقَهُمْ رَجُلٌ نَاصِحٌ مِنْ طَرِيقِ أَقْرَبَ إِلَيْهِ ، ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا
 الْمَدِينَةِ يَسْتَعِي ﴾ سَاعِيًا إِلَيْهِ مَشْفِقًا عَلَيْهِ [١٥٠/١] فَقَالَ : ﴿ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ
 الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ ﴾ أَى ؛ مِنْ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ﴿ إِنِّي لَكَ مِنَ
 النَّاصِحِينَ ﴾ أَى ؛ فِيمَا أَقُولُهُ لَكَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾
 أَى ؛ فَخَرَجَ مِنْ مَدِينَةِ مِصْرَ مِنْ فُورِهِ ، عَلَى وَجْهِهِ ، لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقٍ وَلَا
 يَعْرِفُهُ ، قَائِلًا : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢٢)
 وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ
 دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ
 وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا
 أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿١﴾ [القصص: ٢٢ - ٢٤] . يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ خُرُوجِ
 عِبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَكَلِيمِهِ مِنْ مِصْرَ ﴿ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ أَى ؛ يَتَلَقَّ حَشِيَّةً أَنْ يُدْرِكَه
 أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ ، وَلَا إِلَىٰ أَيْنَ يَذْهَبُ ؛ وَذَلِكَ
 لِأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ مِصْرَ قَبْلَهَا ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ ﴾ (٢) أَى ؛ اتَّجَهَ لَهُ طَرِيقٌ
 يَذْهَبُ فِيهِ (٣) ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ . أَى ؛ عَسَىٰ أَنْ
 تَكُونَ هَذِهِ الطَّرِيقُ مُوَصَّلَةً إِلَى الْمَقْصُودِ . وَكَذَا وَقَعَ ، أَوْصَلَتْهُ إِلَى مَقْصُودِ ، وَأَيُّ
 مَقْصُودٍ ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ وَكَانَتْ بَعْزًا يَسْتَقُونَ مِنْهَا . وَمَدْيَنُ هِيَ
 الْمَدِينَةُ الَّتِي أَهْلَكَ اللَّهُ فِيهَا أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ ، وَهُمْ قَوْمٌ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ

(١) التفسير ٢٣٦/٦ .

(٢ - ٣) سقط من : ح ، ا .

كان هلاكهم قبل زمن موسى ، عليه السلام ، في أحد قَوْلِي العلماءِ . ولما ورد الماء المذكور ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ أي ؛ تَكْفِيفَانِ غَنَمَهُمَا أَنْ تَخْتَلِطَ بَعْتِمِ النَّاسِ . ^(١) وعند أهل الكتاب ^(٢) ، أنهنَّ كُنَّ سَبْعَ بَنَاتٍ . وهذا أيضًا مِنَ الْعَلَطِ . ولَعَلَّهُ كَانَ لَهُ سَبْعٌ ، ولكن إنما كَانَ تَشْقَى اثْنَتَانِ مِنْهُنَّ . وهذا الجمعُ ممكنٌ إن كَانَ ذَلِكَ محفوظًا ، وإلا فالظاهرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَى بَنَتَيْنِ ^(٣) .

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي وَلَا نَعْبُدُ الرَّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ أي ؛ لَا نَقْدِرُ عَلَى وِرْدِ الْمَاءِ إِلَّا بَعْدَ صُدُورِ الرَّعَاءِ ؛ لِضَعْفِنَا ، وَسَبَبُ مُبَاشَرَتِنَا هَذِهِ الرَّعِيَّةَ ضَعْفُ أَيْنَا وَكِبَرُهُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ . قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : وَذَلِكَ أَنَّ الرَّعَاءَ كَانُوا إِذَا فَرَعُوا مِنْ وِرْدِهِمْ ، وَضَعُوا عَلَى فَمِ الْبَعْرِ صَخْرَةً عَظِيمَةً ، فَجَعَلُوا هَاتَانِ الْمَرَاتِنِ فَيُشْرِعَانِ غَنَمَهُمَا فِي فَضْلِ أَغْنَامِ النَّاسِ ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ جَاءَ مُوسَى فَرَفَعَ تِلْكَ الصَّخْرَةَ وَحَدَهُ ، ثُمَّ اسْتَقَى لَهُمَا ، وَسَقَى غَنَمَهُمَا ، ثُمَّ رَدَّ الصَّخْرَةَ كَمَا كَانَتْ . قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ : وَكَانَ لَا يَزِدُّهُ إِلَّا عَشْرَةٌ ^(٤) . وَإِنَّمَا [١٥٠/١] اسْتَقَى ذُنُوبًا وَاحِدًا فَكَفَّاهُمَا ، ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ . قَالُوا : وَكَانَ ظِلُّ شَجَرَةٍ مِنَ السَّمِيرِ ^(٥) . وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ ،

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ١٦/٢ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٣٠/١١ مطولاً . وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٢٤/٥ ، ١٢٥ وعزه لابن أبي حاتم والحاكم وغيرهما .

وقال ابن كثير في التفسير ٢٣٧/٦ : إسناد صحيح .

(٤) في الأصل : « الشمس » .

(٥) في تفسيره ٥٨/٢٠ .

عن ابن مسعود، أنه رآها خضراء ترف. ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ . قال ابن عباس: سار من مصر إلى مدين، لم يأكل إلا البقل وورق الشجر، وكان حافيا فسقطت نغلا قدميه من الحفأ، وجلس في الظل، وهو صفوة الله من خلقه، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل لثرى من داخل جوفه، وإنه لمحتاج إلى شق تمر^(١). قال عطاء بن السائب^(٢): لما قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ . أسمع المرأة .

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَّابِتِ اسْتِحْيَاءُكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هُنَيْنٍ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَنِي حِجْحِجَّ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص: ٢٥-٢٨]. لما جلس موسى، عليه السلام، في الظل، وقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ . سمعته المرأتان، فيما قيل، فذهبتا إلى أبيهما، فيقال: إنه استنكر سرعة رجوعهما، فأخبرتا ما كان من أمر موسى عليه السلام، فأمر إحداهما أن تذهب إليه فتدعوه ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ٥٩/٢٠ مختصرا، وأورده في الدر المنثور ١٢٥/٥ مختصرا أيضا، وعزه إلى أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وابن المنذر، كلهم من قول ابن عباس .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ٥٩/٢٠ .

أَسْتَحْيَاءُ ﴿ أَي ؛ مَشَى الْحَرَائِرِ .^(١) قَالَ عُمَرُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تَسْتُرُ وَجْهَهَا بِكُمْ دِرْعَهَا^(٢) ﴿ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِجَعْرِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ صرحت له بهذا ؛ لئلا يؤهم كلامها ريبه ، وهذا من تمام حياتها وصيانتها . ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾ أَي ؛ وأخبره خبره ، وما كان من أمره ؛ في خروجه من بلاد مصر فإرا من فرعونها ، قال له ذلك الشيخ^(٣) : ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أَي ؛ خرجت من سلطانهم ، فلست في دولتهم .

وقد اختلفوا في هذا الشيخ ؛ من هو ؟ فقيل : هو شُعَيْبٌ ، عليه السلام . وهذا هو المشهور عند كثيرين . وممن نص عليه الحسن البصرى ، ومالك بن أنس ، وجاء مصرحا به في حديث^(٤) ، ولكن في إسناده نظر . وصرح طائفة بأن شُعَيْبًا ، عليه السلام ، عاش عمرا طويلا بعد هلاك قومه ، حتى أدركه موسى ، عليه السلام ، وتزوج بابنته . وروى ابن أبي حاتم وغيره^(٥) ، عن الحسن البصرى ، أن صاحب موسى ، عليه السلام ، هذا اسمه [١٥١/١] شُعَيْبٌ ، وكان سيد الماء ، ولكن ليس بالنبى صاحب مدين . وقيل : إنه ابن أخي شُعَيْبٍ . وقيل : ابن عمه . وقيل : رجل مؤمن من قوم شُعَيْبٍ . وقيل : رجل

(١ - ١) زيادة من حاشية الأصل .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ٦٠/٢٠ .

(٣) انظر التفسير ٢٣٨/٦ .

(٤) ذكره المصنف في تفسيره ٢٤٢/٦ ، ٢٤٣ . وعزاه إلى البزار وابن أبي حاتم . وانظر الدر المنثور ٥/١٢٦ .

(٥) ذكره في الدر المنثور ٥/١٢٦ . وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر . ورواه ابن جرير في تفسيره ٢٠/٦٢ .

اسمه يثرون . هكذا هو في كتب أهل الكتاب^(١) : يثرون كاهن مدين . أى ؛ كبيرها وعالمها . قال ابن عباس ، وأبو عبيدة بن عبد الله : اسمه يثرون . زاد أبو عبيدة : وهو ابن أخي شعيب . زاد ابن عباس : صاحب مدين .

والمقصود أنه لما أضافه وأكرم مثواه ، وقص عليه ما كان من أمره ، بشره بأنه قد نجا ، فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها ﴿ يَتَأَبَّتْ أَسْتَجِرَّةٌ ﴾ أى ؛ لرعي غنمك . ثم مدحته بأنه قوى أمين . قال عمر ، وابن عباس ، وشريح القاضي ، وأبو مالك ، وقتادة ، ومحمد بن إسحاق ، وغير واحد : لما قالت ذلك قال لها أبوها : وما علمك بهذا ؟ فقالت : إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة ، وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه ، فقال : كوني من ورائي ، فإذا اختلف الطريق فاخذي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق . قال ابن مسعود : أفرس الناس ثلاثة ؛ صاحب يوسف حين قال لامرأته : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ ، وصاحبة موسى حين قالت : ﴿ يَتَأَبَّتْ أَسْتَجِرَّةٌ إِنَّكَ خَيْرٌ مِنِ اسْتَجَرْتِ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴾ ، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب^(٢) .

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَٰذِهِنَّ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْهِ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ استدلل بهذا جماعة من أصحاب أبي حنيفة ، رحمه الله ، على صحة ما إذا باعه أحد هذين العبدتين أو الثويتين ، ونحو ذلك ، أنه يصح ؛ لقوله : ﴿ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَٰذِهِنَّ ﴾ وفى هذا نظر ؛ لأن هذه مراوضة لا معاقدة .

(١) سفر الخروج الأصحاح ١/٣ .

(٢) تقدم تخريجه ٤٦٧/١ .

والله أعلم . واستدل أصحاب أحمد على صحة الإيجار بالطعمة والكشوة ، كما جرت به العادة ، واستأنسوا بالحديث الذي رواه ابن ماجه^(١) في « سنينه » مترجماً في كتابه « باب استجار الأجير على طعام بطنه » : حدثنا محمد بن المصفي الحميمي ، حدثنا بقیة بن الوليد ، عن مسلمة بن علي ، عن سعيد بن أبي أيوب ، عن الحارث بن يزيد ، عن علي بن رباح ، قال : سمعت عتبة بن الندر^(٢) يقول : كنا عند رسول الله ﷺ ، فقرأ « طسم »^(٣) حتى إذا بلغ قصة موسى قال : « إن موسى ، عليه السلام ، آجر نفسه ثمانين سنين ، أو عشراً ، على عفة فرجه وطعام بطنه » . وهذا من هذا الوجه لا يصح ؛ لأن مسلمة بن علي الحشنيّ الدمشقيّ البلاطيّ ضعيفٌ عند [١٥١/١] الأئمة ، لا يُحتجُّ بتفريده ، ولكن قد روى من وجه آخر ؛ فقال ابن أبي حاتم^(٤) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير^(٥) ، حدثني ابن لهيعة ، (ح) . وحدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ؛ حدثنا عبد الله بن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن علي بن رباح اللخمي ، قال : سمعت عتبة بن الندر السلمي ، صاحب رسول الله ﷺ يُحدث أن رسول الله قال : « إن موسى ، عليه السلام ، آجر نفسه لعفة فرجه وطعمة بطنه » .

(١) ابن ماجه (٢٤٤٤) . (ضعيف ابن ماجه ٥٣٣) ، وانظر الإرواء (١٤٨٨) .

(٢) في الأصل : « العدد » ، وفي م : « الدر » .

(٣) في ح ، م ، ص : « طس » .

(٤) ذكره المصنف في تفسيره ٢٤٢/٦ من كلا الطريقين وعزاه لابن أبي حاتم . وأورده السيوطي في الدر

المشور ١٢٦/٥ وعزاه أيضاً لابن أبي حاتم .

(٥) في ح ، م : « بكر » .

ثم قال تعالى^(١): ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [النصص: ٢٨]. يقول: إن موسى قال لصهره: الأمر على ما قلت، فأيهما قضيت فلا عدوان عليّ، واللّه على مقالتي سامعٌ وشاهدٌ، ووكيلٌ عليّ وعليك. ومع هذا فلم يقض موسى إلا أكمل الأجلين وأتمهما، وهو العشر سنين كوامل تامّة.

قال البخاري^(٢): حدّثنا محمد بن عبد الرّحيم، حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا مزوان بن شجاع، عن سالم الأقطس، عن سعيد بن جبّير، قال: سألتني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ فقلت: لا أدري، حتى أقدم عليّ خبر العرب فأسأله. فقدمت، فسألت ابن عباس، فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله إذا قال فعل. تفرّد به البخاري من هذا الوجه. وقد رواه النسائي^(٣) في حديث القُتُون، كما سيأتي من طريق القاسم ابن أبي أيوب، عن سعيد بن جبّير به^(٤). وقد رواه ابن جرير، عن أحمد بن محمد الطوسي، وابن أبي حاتم^(٥) عن أبيه، كلاهما عن الحميدي، عن سفيان ابن عُيينة، حدّثني إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ، قال: «سألت جبريل: أي الأجلين قضى موسى؟ قال: أتمهما وأكملهما». وإبراهيم هذا غير معروف إلا

(١) التفسير ٢٤١/٦.

(٢) البخاري (٢٦٨٤).

(٣) انظر تخريجه في صفحة ١٨١.

(٤) سقط من: ح، م.

(٥) ابن جرير في تفسيره ٦٨/٢٠ وتاريخه ١/٣٩٩. وعزه في الدر المنثور ١٢٦/٥ إلى ابن أبي حاتم.

والمصنف في تفسيره ٢٤١/٦. صحيح (صحيح الجامع ٣٥٨٥).

بهذا الحديث . وقد رواه البزار^(١) عن أحمد بن أبان القرشي ، عن سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن أعين ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ ، فذكره . وقد رواه سنيد^(٢) عن حجاج ، عن ابن جريج ، عن مُجاهد مُرسلاً ، أن رسول الله ﷺ سأل عن ذلك جبريل ، فسأل جبريل إسرأفيل ، فسأل إسرأفيل الرب ، عز وجل ، فقال : « أبرهما وأوفاهما » . وبنحوه رواه ابن أبي حاتم من حديث يوسف بن سرج مرسلاً . ورواه ابن جرير^(٣) من طريق محمد بن كعب ، أن رسول الله ﷺ سُئِلَ : أئى الأجلين قضى موسى ؟ [١٥٢/١] قال : « أوفاهما وأتمهما » . وقد رواه البزار وابن أبي حاتم^(٤) ، من حديث عُويِد بن أبي عمران الجوني - وهو ضعيف - عن أبيه ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ ، سُئِلَ : أئى الأجلين قضى موسى ؟ قال : « أوفاهما وأبرهما » . قال : « وإن سُئِلت : أئى المزأتين تزوج ؟ فقل : الصغرى منهما » . وقد رواه البزار وابن أبي حاتم^(٥) من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن علي بن رباح ، عن عتبة بن الثدري ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « إن موسى آجر نفسه بعقة فوجه وطعام

(١) كشف الأستار (٢٢٤٥) . وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ٨٧ : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح

غير الحكم بن أبان وهو ثقة ، ورواه البزار .

(٢) في ص : « مسدد » . والحديث رواه ابن جرير في تفسيره ٢٠/ ٦٨ ، ٦٩ . من طريق سنيد به .

(٣) في تفسيره ٢٠/ ٦٨ .

(٤) كشف الأستار (٢٤٤٤) . وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ٨٨ : فيه إسحاق بن إدريس وهو متروك ،

ورواه الطبراني في الصغير والأوسط بأطول من هذا ، وإسناده حسن . وعزاه في الدر المنثور ٥/ ١٢٧ إلى ابن أبي حاتم .

(٥) كشف الأستار (٢٢٤٦) . وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ٨٧ ، ٨٨ : رواه البزار والطبراني ... وفي

إسنادهما ابن لهيعة ، وفيه ضعف وقد يحسن حديثه ، وبقيه رجالهما رجال الصحيح .

وعزاه في الدر المنثور ٥/ ١٢٦ إلى ابن أبي حاتم .

بَطْنِهِ . فَلَمَّا وَفَى الْأَجَلَ . قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، أئىَّ الأَجَلَيْنِ ؟ قال : « أْبْرَهُمَا وَأَوْفَاهُما ، فَلَمَّا أَرَادَ فِرَاقَ شُعَيْبٍ ، أَمَرَ امْرَأَتَهُ أَنْ تَسْأَلَ أَبَاهَا أَنْ يُعْطِيَهَا مِنْ غَنَمِهِ ما يَعِيشُونَ بِهِ ، فَأَعْطَاهَا ^(١) ما وَلَدَتْ غَنَمَهُ ^(٢) مِنْ قَالِبِ لَوْنٍ ^(٣) مِنْ وَلَدِ ذَلِكَ العامِ ، وَكَانَتْ غَنَمُهُ سُودًا جِسانًا ، فَاَنْطَلَقَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِلَى عَصَا قَسَمِهَا مِنْ طَرَفِهَا ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِي أَدْنَى الْحَوْضِ ، ثُمَّ أَوْزَدَهَا فَسَقَاهَا ، وَوَقَفَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِإِزَاءِ الْحَوْضِ ، فَلَمْ تَصُدُرْ مِنْهَا شَاةٌ إِلَّا ضَرْبَ جَنْبِهَا شَاةٌ شَاةٌ قَالَ : فَاتَّامَتْ وَأَثَلَتْ ^(٤) وَوَضَعَتْ كُلُّهَا قَوْلَ الْوَايِ ، إِلَّا شَاةً أَوْ شَاتَيْنِ ؛ لَيْسَ فِيهَا فَشُوشٌ ، وَلَا ضَبُوبٌ ، وَلَا عَزْرُوزٌ ، وَلَا تَعُولٌ ، وَلَا كَمْشَةٌ تَقُوتُ الكَفِّ » . قالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَوْ افْتَتَحْتُمْ الشَّامَ وَجَدْتُمْ بِقَايَا تِلْكَ الْغَنَمِ ، وَهِيَ السَّامِرِيَّةُ » . قالَ ابْنُ لَهِيْعَةَ : الْفَشُوشُ : وَاسِعَةُ الشَّخْبِ . وَالضُّبُوبُ : طَوِيلَةُ الضَّرْعِ تَجْرُهُ . وَالْعَزْرُوزُ : ضَيْقَةُ الشَّخْبِ . وَالتَّعُولُ : الصَّغِيرَةُ الضَّرْعِ كَالْحَلَمَتَيْنِ . وَالْكَمْشَةُ الَّتِي لَا يُحْكَمُ الكَفُّ عَلَى ضَرْعِهَا لِصِغَرِهِ . وَفِي صَحِيحِ رَفِيعِ هَذَا الْحَدِيثِ نَظَرٌ ، وَقَدْ يَكُونُ مَوْقُوفًا ^(٥) ، كَمَا قالَ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٥) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا دَعَا نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى صَاحِبَهُ إِلَى الْأَجَلِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمَا ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : كُلُّ شَاةٍ وَلَدَتْ عَلَى لَوْنِهَا فَلَكِ وَلَدُهَا . فَعَمَدَ فَوَضَعَ خِيالًا عَلَى الْمَاءِ ، فَلَمَّا رَأَتْ الْخِيَالَ فَرِغَتْ ، فَجَالَتْ جَوْلَةً ، فَوَلَدَنَ كُلَّهُنَّ بُلُقًا إِلَّا شَاةً وَاحِدَةً ،

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ ، ح ، م : « ما وَلَدَتْ مِنْ غَنَمِهِ » . وَفِي ص : « وَلَدَتْ مِنْ غَنَمِهِ » .

والمثبت من مصدر التخريج . وانظر مختصر تاريخ دمشق ٣١٤/٢٥ .

(٢) قالب لون : ما لونها على غير لون أمها .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَأَثَلَتْ » ، وَفِي بَاقِي النِّسْخِ : « وَأَثَلَتْ » . وَالمثبت من الدر المنثور ، وتفسير ابن كثير ٦/

٢٤٣ . وَأَتَّامَتْ الْحَامِلُ : وَلَدَتْ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ فِي بَطْنِ وَاحِدٍ . وَأَثَلَتْ الْحَامِلُ : وَلَدَتْ الثَّالِثَ .

(٤) فِي ١ : « مَرْفُوعًا » .

(٥) فِي تَفْسِيرِهِ ٦٩/٢٠ .

فذهب بأولادهم ذلك العام . وهذا إسنادٌ رجاله ثقاتٌ . والله أعلم . وقد تقدّم ،
 عن نقلِ أهلِ الكتابِ ^(١) ، عن يعقوبَ عليه السلام ، حين فارقَ خاله لابانَ ، أنه
 أطلقَ له ما يُولَدُ من غنمِهِ بُلُقًا ، ففعلَ نحوَ ما ذُكِرَ عن [١٥٢/١] موسى ، عليه
 السلامُ ، فاللهُ أعلمُ .

﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِءَ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ
 لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ
 النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطِيءِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي
 الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾
 وَأَنْ أَلِيَّ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسَّ
 أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ
 غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنُوكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى
 فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِءَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٣٢﴾ [القصص: ٢٩ - ٣٢] .
 تقدّم أن موسى قضى أمّ الأجلين وأكملهما ، وقد يُؤخَذُ هذا من قوله : ﴿ فَلَمَّا
 قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ . وعن مُجاهِدٍ ، أنه أكملَ عشرًا ، وعشرًا بعدها . وقوله :
 ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِءَ ﴾ أي ؛ من عندِ صِهْرِهِ ذَاهِبًا ، فيما ذكره غيرُ واحدٍ من
 المُفسِّرين وغيرِهِم ، أنه اشتاق إلى أهله ، فقصَدَ زيارَتَهُم ببلادِ مصرَ ، في صورة
 مُخْتَفٍ ، فلَمَّا سارَ بأهله ، ومعه ولدانٌ منهم ، وغنمٌ قد استفادها مدةً مُقَامِهِ .
 قالوا : واتَّفَقَ ذلك في ليلةٍ مظلمةٍ باردةٍ ، وتاهوا في طريقهم ، فلم يَهْتَدُوا إلى

(١) تقدم في ١/٤٥٠ ، ٤٥١ . وهو عند أهل الكتاب في سفر الخروج الأصحاح ٦/٣ .

(٢) التفسير ٦/٢٤٣ - ٢٤٥ .

السلوك في الدرب المألوف، وجعل يورى زناده فلا يورى شيئاً، واشتد الظلام والبرد، فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بُعد نارا تأجج في جانب الطور، وهو الجبل الغربي منه عن يمينه، فقال لأهله: ﴿ اَمْكُثُوا إِنِّي ءَاسْتُ نَارًا ﴾ وكأنه - والله أعلم - رآها دونهم؛ لأن هذه النار هي نور في الحقيقة، ولا تصلح رؤيتها لكل أحد ﴿ لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أى؛ لعلى أستعلم من عندها عن الطريق ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ فدل على أنهم كانوا قد تاهوا عن الطريق في ليلة باردة ومظلمة؛ لقوله في الآية الأخرى^(١): ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَاسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [طه: ٩، ١٠]. فدل على وجود الظلام، وكونهم تاهوا عن الطريق.

وجمع الكل في سورة « النمل » في قوله تعالى^(٢): ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي ءَاسْتُ نَارًا سَتَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِسِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل: ٧]. وقد أتاهم منها بخبر، وأتى خبر؟ ووجد عندها هدى، وأتى هدى؟ واقتبس منها نوراً، وأتى نور؟ قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَلْطِيءٍ أَلْوَادٍ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُخَ لَافِتٍ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾. وقال تعالى في « النمل »^(٣): ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٨].

(١) التفسير ٥ / ٢٧٠.

(٢) التفسير ٦ / ١٩٠.

(٣) التفسير ٦ / ١٩٠.

أى ؛ سبحانه الله الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . ﴿ يَمْوَسِجُ إِيَّاهُ أَنَا اللَّهُ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ [النمل : ٩] . وقال فى سورة « طه » ^(١) : ﴿ فَلَمَّا آتَاهَا نُودَى
 يَمْوَسِجُ ﴿١١﴾ إِيَّيَ أَنَا رَبُّكَ فَخَلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا
 أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنَّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
 لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾
 فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ [طه : ١١ - ١٦] . قال
 غير واحد من المفسرين ، من السلف والخلف : لما قصد موسى إلى تلك النار
 التى رآها ، فانتهى إليها ، وجدها تأجج فى شجرة خضراء من العوسج ^(٢) ، وكل
 ما لتلك النار فى اضطرار ، وكل ما لخضرة تلك الشجرة فى ازدياد ، فوقف
 متعجباً ، وكانت تلك الشجرة فى لُحْفٍ ^(٣) جبل غريب ^(٤) عن يمينه ؛ كما قال
 تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ
 الشَّاهِدِينَ ﴾ [القصر : ٤٤] . وكان موسى فى وادٍ اسمه طوى ، فكان موسى
 مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب ، فناداه ربُّه بالوادِ
 المقدس طوى ، فأمر أولاً بخلع نعليه ؛ تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة
 المباركة ، ولا سيما فى تلك الليلة المباركة . وعند أهل الكتاب ^(٥) أنه وضع يده
 على وجهه من شدة ذلك النور ؛ مهابة له ، وخوفاً على بصره .

(١) التفسير ٢٧٠/٥ - ٢٧٣ .

(٢) العوسج : جنس نبات شائك . الوسيط (عوسج) .

(٣) لُحْف - بكسر اللام - أصل الجبل . القاموس المحيط (ل ح ف) .

(٤) بعده فى الأصل ، ح ، م ، ص : « منه » .

(٥) سفر الخروج الأصحاح ٦/٣ .

ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلاً له : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ أي ؛ أنا الله
رب العالمين ، الذي لا تصلح العبادة وإقامة الصلاة إلا له . ثم أخبره أن هذه
الدنيا ليست بدار قرار ، وإنما الدارُ الباقية يوم القيامة ، التي لا بد من كونها
ووجودها ﴿ لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ أي ؛ من خيرٍ وشرٍ . وحضه وحته
على العمل لها ، ومجانبة من لا يؤمن بها ، ممن عصى مولاه ، وأتبع هواه . ثم
قال له مخاطباً وموائساً ، ومبيناً له أنه القادرُ على كل شيء الذي يقول للشيء :
كن . فيكون : ﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَمْوَسَى ﴾ [طه : ١٧] . أي ؛ أما هذه
عصاك التي تعرفها منذ صجبتُها ؟ ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا
عَلَیَّ غَنِيٍّ وَلِيٍّ فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى ﴾ [طه : ١٨] . أي ؛ بل هذه عصا التي
أعرفها وأتحققها ﴿ قَالَ أَلْقَهَا يَمْوَسَى ﴿ ١٩ ﴾ فَالْقَنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾
[طه : ١٩ ، ٢٠] . وهذا خارقٌ عظيم ، وبرهانٌ قاطعٌ على أن الذي يكلمه هو
الذي يقول للشيء : كن . فيكون ، وأنه الفعَّالُ بالاختيار .

وعند أهل الكتاب^(١) أنه سأل [١٥٣/١ ظ] برهاناً على صدقه عند من يكذبه
من أهل مصر ، فقال له الرب ، عز وجل : ما هذه التي في يدك ؟ قال :
عصاى . قال : ألقها إلى الأرض ﴿ فَالْقَنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ فهرب
موسى من قدامها ، فأمره الرب ، عز وجل ، أن يتسبط يده ويأخذها بذنبيها ،
فلما استمكن منها ارتدت عصا فى يده . وقد قال الله تعالى فى الآية
الأخرى^(٢) : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَتْهَا حِجَابًا وَّلِيٌّ مَّدْبِرًا وَلَمْ

(١) سفر الخروج الأصحاح ١/٤ .

(٢) التفسير ٢٤٥/٦ .

يُعَقَّبُ ﴿ أَي ؛ صارت حَيَّةً عَظِيمَةً ، لها ضَخَامَةٌ هَائِلَةٌ ، وَأَثْيَابٌ تَضْطَكُ ^(١) ، وهى مع ذلك فى سُرْعَةِ حَرَكَةِ الْجَنَانِ ؛ وهو ضَرْبٌ مِنَ الْحَيَّاتِ ، يُقَالُ لَهُ : الْجِنَانُ وَالْجِنَانُ . وهو لَطِيفٌ ، ولكنه سَرِيعُ الاضْطِرَابِ وَالْحَرَكَةِ جَدًّا ، فهذه جَمَعَتْ الضَخَامَةَ وَالسَّرْعَةَ الشَّدِيدَةَ ، فَلَمَّا عَايَنَهَا مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ أَي ؛ هَارِبًا مِنْهَا ؛ لِأَنَّ طَبِيعَتَهُ الْبَشَرِيَّةَ تَقْتَضِي ذَلِكَ ، ﴿ وَلَمْ يَلْتَفِتْ ﴾ أَي ؛ وَلَمْ يَلْتَفِتْ ، فناداه رَبُّهُ قَائِلًا لَهُ : ﴿ يَتْمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴾ فلما رجع أمره الله تعالى أن يُمِسِّكَهَا ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ فيقال : إنه هَاتَبَهَا شَدِيدًا ، فوَضَعَ يَدَهُ فِي كُمِّ مِذْرَعَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي وَسْطِ فَمِهَا - وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(٢) : بِذَنْبِهَا - فَلَمَّا اسْتَمَكَّنَ مِنْهَا ، إِذَا هِيَ قَدْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ عَصَا ذَاتِ شُعْبَتَيْنِ . فَنَسَبَحَانَ الْقَدِيرِ الْعَظِيمِ ، رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ . ثُمَّ أَمَرَهُ تَعَالَى بِادْخَالِ يَدِهِ فِي جَيْبِهِ ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِنَزْعِهَا إِذَا هِيَ تَتَلَأَلُ كَالْقَمَرِ بِيَاضًا ﴿ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴾ أَي ؛ مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ وَلَا بَهْتٍ . وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيَضَاءً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ قِيلَ : مَعْنَاهُ إِذَا خِيفَتْ ، فَضَمَّ يَدَكَ عَلَى فَوَازِكَ ، يَسْكُنُ جَأْشُكَ . وَهَذَا وَإِنْ كَانَ خَاصًّا بِهِ ، إِلَّا أَنْ يَبْرَكَةَ الْإِيمَانُ بِهِ حَقُّ الْإِيمَانِ ^(٣) يَنْتَفِعُ مَنْ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْاِقْتِدَاءِ بِالْأَنْبِيَاءِ . وَقَالَ فِي سُورَةِ « النَّمْلِ » ^(٤) : ﴿ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيَضَاءً مِنْ

(١) تصطك : تضطرب . الوسيط (ص ك ك) .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ١٤/٤ - ٤ .

(٣) فى ح ، م : « بآن » .

(٤) التفسير ١٩١/٦ .

غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿ [النمل: ١٢] .
 أى ؛ هاتان الآيتان وهما العصا واليدُ ، وهما البرهانان المشار إليهما فى قوله :
 ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
 فَاسِقِينَ ﴾ ومع ذلك سبع آياتٍ أُخرى ، فذلك تسع آياتٍ بيِّناتٍ ، وهى
 المذكورةُ فى آخرِ سورةِ « سبحان » حيثُ يقولُ تعالى ^(١) : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ
 تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ
 يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٥١﴾ قَالَ لَقَدْ [١٥٤/١] عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هُنَا لِإِيَّاكَ إِلَّا رَبُّ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مُتَبَوِّئًا ﴿ [الإسراء: ١٠١] ،
 ١٠٢ . وهى المبسوطةُ فى سورةِ « الأعرافِ » فى قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ
 فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣٥﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ
 الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ سَيِّئَةٌ سَابِقَةٌ يُطِئِرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا
 طِئِرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ
 لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٧﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ
 وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ۚ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿ [الأعراف: ١٣٠ - ١٣٣] .
 كما سيأتى الكلامُ على ذلك فى موضعه . وهذه التسعُ الآياتُ
 غيرُ العشرِ كلماتٍ ؛ فإن التسعَ من آياتِ ^(٢) اللّهِ القَدْرِيَّةِ ، والعشرَ من كلماتِهِ
 الشَّرْعِيَّةِ . وإنما تَبَهَّنَا على هذا ؛ لأنّه قد اشتَبَه أمرها على بعضِ الرواةِ ، فظنَّ أن
 هذه هى هذه ، كما قررنا ذلك فى تفسيرِ آخرِ سورةِ بنى إسرائيلِ ^(٣) .

(١) التفسير ١٢٢/٥ .

(٢) فى ح ، م : كلمات .

(٣) التفسير ١٢٤/٥ .

والمقصود أن الله سبحانه لما أمر موسى ، عليه السلام ، بالذهاب إلى فرعون ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (٣٢) وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنْتُمْ وَمِمَّنْ آتَبَعَكُمَا الْفٰلِغُونَ ﴿ (١) [القصص: ٣٣ - ٣٥] . يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله وكليمة موسى ، عليه السلام ، في جوابه لربه ، عز وجل ، حين أمره بالذهاب إلى عدوه ، الذي خرج من ديار مصر فرارًا من سطوته وظلمه ، حين كان من أمره ما كان في قتل ذلك القبطي ، ولهذا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (٣٢) وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿ أي ؛ اجعله معي معينًا وريثًا ووزيرًا يساعدهني ويعينني على أداء رسالتك إليهم ؛ فإنه أفصح مني لسانًا وأبلغ بيانًا . قال الله تعالى ، مُجِيبًا له إلى سؤاله : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا ﴾ أي ؛ برهانًا ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا ﴾ أي ؛ فلا ينالون منكما مكروها بسبب قيامكما بآياتنا . وقيل : بركة آياتنا ﴿ أَنْتُمْ وَمِمَّنْ آتَبَعَكُمَا الْفٰلِغُونَ ﴾ . وقال في سورة « طه » (١) : ﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿ [طه : ٢٤ - ٢٨] . قيل : إنه أصابه في لسانه لثغة ؛ بسبب تلك الحجرة التي وضعها على لسانه ، التي كان فرعون أراد [١٥٤/١] اختبار عقله ، حين

(١) التفسير ٦/٢٤٥ - ٢٤٧ .

(٢) التفسير ٥/٢٧٥ - ٢٧٧ .

أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَهَمَّ بِقَتْلِهِ، فَخَافَتْ عَلَيْهِ أَسِيئَةٌ، وَقَالَتْ: إِنَّهُ طِفْلٌ. فَاخْتَبَرَهُ بِوَضْعِ تَمْرَةٍ وَجُمْرَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَمَّ بِأَخْذِ التَّمْرَةِ، فَصَرَفَ الْمَلِكُ يَدَهُ إِلَى الْجُمْرَةِ، فَأَخَذَهَا، فَوَضَعَهَا عَلَى لِسَانِهِ، فَأَصَابَتْهُ لُغْتَةٌ بِسَبَبِهَا، فَسَأَلَ زَوَالَ بَعْضُهَا بِمَقْدَارِ مَا يَفْهَمُونَ قَوْلَهُ، وَلَمْ يَسْأَلْ زَوَالَهَا بِالْكُلِّيَّةِ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: وَالرُّسُلُ إِنَّمَا يَسْأَلُونَ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ. وَلِهَذَا يَقِيَّتُ فِي لِسَانِهِ بَقِيَّةً، وَلِهَذَا قَالَ فِرْعَوْنُ، قَبَّحَهُ اللَّهُ، فِيمَا زَعَمَ أَنَّهُ يَعْيبُ بِهِ الْكَلِيمَ: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]. أَيْ؛ يُفْصِحُ عَنْ مَرَادِهِ، وَيُعَبِّرُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ وَفَوَائِدِهِ.

ثُمَّ قَالَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ﴾ (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) أَشَدَّ بِهِ أَرْزَى (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيَتْ سُؤْلُكَ بِمُوسَى (١) [طه: ٢٩-٣٦].

أَيْ؛ قَدْ أَجَبْنَاكَ إِلَى جَمِيعِ مَا سَأَلْتَ، وَأَعْطَيْنَاكَ الَّذِي طَلَبْتَ. وَهَذَا مِنْ وَجَاهَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، حِينَ شَفَعَ أَنْ يُوحَى اللَّهُ إِلَى أَخِيهِ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ، وَهَذَا جَاءَ عَظِيمٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهَاً﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِمَنْ رَزَمْنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]. وَقَدْ سَمِعَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَجُلًا يَقُولُ لِأَنَاسٍ، وَهُمْ سَائِرُونَ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ: أَيْ أَخِي أَمْرٌ عَلَى أَخِيهِ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِمَنْ حَوْلَ هُوَ دَجَّهَا: هُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ حِينَ شَفَعَ فِي أَخِيهِ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا يُوحَى إِلَيْهِ (٢). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِمَنْ رَزَمْنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾.

(١) التفسير ٢٧٧/٥.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٧٧/٥ بنحوه.

وقال تعالى فى سورة « الشعراء »^(١) : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٤﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْدَأُ فَارِيسِي لِسَانِي فَأُرْسِلُ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٥﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٦﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِإِهْتَابِنَا إِنَّ مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٧﴾ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢١﴾] الشعراء : ١٠ - ١٩ . تقديرُ الكلامِ : فأتياه فقولا له ذلك ، وبلغاه ما أُرسلتُما به ؛ من دعوته إلى عبادةِ اللهِ تعالى وحده لا شريك له ، وأن يُفكَّ أسارى بنى إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته ، ويتركهم يعبدون ربهم حيث شاءوا ، ويتفرغون لتوحيده ، ودعائه ، والتضرع^(٢) لديه . فتكبر فرعون فى نفسه ، وعتا وطغى ، ونظر إلى موسى ، عليه السلام ، بعين الازدراء والتنفص ، قائلاً له : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ ﴿ أى ؛ أما [١] / ١٥٥] أنت الذى ربيناه فى منزلنا وأحسننا إليه ، وأنعمنا عليه مدة من الدهر ؟ وهذا يدل على أن فرعون الذى بُعث إليه هو الذى فرّ منه ، بخلافًا لما عند أهل الكتاب^(٣) من أن فرعون الذى فرّ منه مات فى مدة مُقامه بمدين ، وأن الذى بُعث إليه فرعون آخر . وقوله : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ﴿ أى ؛ وقتلت الرجل القبطى ، وفرزت منا ، وجمحت نعمتنا

(١) التفسير ١٤٦/٦ .

(٢) بعده فى الأصل : (لدعائه) .

(٣) سفر الخروج الأصحاح ١٩/٤ - ٢٣ .

﴿ قَالَ فَعَلْنَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴾^(١) أى؛ قبل أن يُوحى إلى، ويُنزَل على،
﴿ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٢)
[الشعراء: ٢١]. ثم قال مُجيبًا لفرعونَ عمَّا امتنَّ به عليه^(٣) من التَّربية والإِحسانِ
إليه ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٤) [الشعراء: ٢٢]. أى؛ وهذه
النِّعْمَةُ الَّتِي ذَكَرْتِ، مِنْ أَنَّكَ أَحْسَنْتِ إِلَى، وَأَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
تُقَابِلُ مَا اسْتخدمْتِ هَذَا الشَّعْبَ الْعَظِيمَ بِكَمَالِهِ، وَاسْتَعْبَدْتَهُمْ فِي أَعْمَالِكَ،
وَخَدَمْتِكَ وَأَشْغَالِكَ.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٥) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٨]. يذكَرُ تَعَالَى مَا
كَانَ بَيْنَ^(٥) فِرْعَوْنَ وَمُوسَى، مِنْ الْمَقَاوِلِ وَالْمُحَاجَّةِ وَالْمُنَاطَرَةِ، وَمَا أَقَامَهُ الْكَلِيمُ
عَلَى فِرْعَوْنَ اللَّئِيمِ مِنَ الْحُجَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْمَغْنُويَّةِ ثُمَّ الْحِسِّيَّةِ. وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ، قَبَّحَهُ
اللَّهُ، أَظْهَرَ جَحْدَ الصَّانِعِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْإِلَهُ ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴾^(٦)
فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٦﴾ [النازعات: ٢٣، ٢٤]. وَقَالَ: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا
عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [التقصص: ٣٨]. وَهُوَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ مَعَانِدٌ،

(١) التفسير ١٤٧/٦.

(٢) ليست فى: ح، م.

(٣) التفسير ١٤٧/٦.

(٤) التفسير ١٤٧/٦، ١٤٨.

(٥) فى الأصل، ص: «من».

(٦) التفسير ٣٣٨/٨.

يَعْلَمُ أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ، إِلَهُهُ الْحَقُّ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِيقَنَّهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٤] . ولهذا قال لموسى ، عليه السلام ، على سبيل الإنكار لرسالته ، والإظهار أَنَّهُ مَا تَمَّ رَبُّ أَرْسَلَهُ : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] . لَأَنَّهُمَا قَالَا لَهُ : ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فكَأَنَّهُ يَقُولُ لِهَمَا : وَمَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي تَزْعُمَانِ أَنَّهُ أَرْسَلَكُمَا وَابْتَعَثَكُمَا ؟ فَأَجَابَهُ مُوسَى قَائِلًا : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤] . يَعْنِي رَبُّ الْعَالَمِينَ ، خَالِقَ هَذِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْمُشَاهِدَةَ ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخُلُوقَاتِ الْمُتَجَدِّدَةِ ؛ مِنَ السَّحَابِ وَالرِّيَّاحِ وَالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، الَّتِي يَعْلَمُ ^(١) كُلَّ مُوقِنٍ أَنَّهَا [١/١٥٥ظ] لَمْ تَحْدُثْ بِأَنْفُسِهَا ، وَلَا بَدَأَ لَهَا مِنْ مُوجِدٍ وَمُحَدِّثٍ وَخَالِقٍ ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . ﴿ قَالَ ﴾ أَيُّ ؛ فَرَعُونَ ﴿ لِمَنْ حَوْلَهُ ﴾ مِنْ أَمْرَائِهِ ، وَمَرَازِيئِهِ ^(٢) وَوُزَرَائِهِ ، عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ وَالتَّنْقِصِ لِمَا قَرَّرَهُ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ يَعْنِي كَلَامَهُ هَذَا . قَالَ مُوسَى مُخَاطِبًا لَهُ وَلِهَمَّ : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٦] . أَيُّ ؛ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ؛ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ فِي الْآبَادِ ، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ نَفْسَهُ وَلَا أَبُوهُ وَلَا أُمُّهُ ، وَلَمْ يَخْدُثْ مِنْ ^(٣) غَيْرِ مُحَدِّثٍ ، وَإِنَّمَا أَوْجَدَهُ وَخَلَقَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَهَذَانِ الْمَقَامَانِ هَمَا

(١) بعده في الأصل : «اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» .

(٢) في الأصل : «مرازية» . والمُزَابَانُ - بضم الزاي - هو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك ، وهو معرب . اللسان (ر ز ب) .

(٣) في الأصل : «عن» .

الْمَذْكُورِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. ومع هذا كله لم يشتفق فرعون من رَقْدَتِهِ، ولا نَزَعَ عن ضلَّالَتِهِ، بل استمرَّ على طُغْيَانِهِ وَعِنَادِهِ، وكفرانِهِ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ [الشعراء: ٢٧، ٢٨]. أَى؛ هُوَ الْمَسْحُورُ لِهَذِهِ الْكَوَاكِبِ الزَاهِرَةِ، الْمَسِيرُ لِلْأَفْلَاقِ الدَّائِرَةِ، خَالِقُ الظَّلَامِ وَالضِّيَاءِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، رَبُّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، خَالِقُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالْكَوَاكِبِ السَّائِرَةِ وَالثَّوَابِتِ الْحَائِرَةِ^(١)، خَالِقُ اللَّيْلِ بِظُلَامِهِ وَالنَّهَارِ بِضِيَائِهِ، وَالْكُلُّ تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ وَتَسْيِيرِهِ سَائِرُونَ، وَفِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ، يَتَعَاقَبُونَ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ وَيَتَدَوَّرُونَ، فَهُوَ تَعَالَى الْخَالِقُ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ.

فَلَمَّا قَامَتِ الْحُجُجُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَانْقَطَعَتْ شُبُهَتُهُ، وَلَمْ يَتَّقِ لَهُ قَوْلُ سَيُوسَى الْعِنَادِ، عَدَلَ إِلَى اسْتِعْمَالِ سُلْطَانِهِ وَجَاهِهِ وَسَطْوَتِهِ، قَالَ: ﴿لَيْنِ أَنْخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٩) قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ بِشَىءٍ مُّبِينٍ ﴿ (٣٠) قَالَ فَآتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿ (٣٢) وَرَعَ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِ﴾^(٢) [الشعراء: ٢٩-٣٣]. وَهَذَانِ هُمَا الْبِرْهَانَانِ اللَّذَانِ أُيِّدَهُ اللَّهُ بِهِمَا، وَهُمَا الْعِصَا وَالْيَدُ. وَذَلِكَ مَقَامٌ أَظْهَرَ فِيهِ الْخَارِقَ الْعَظِيمَ، الَّذِي بِهِرَ بِهِ الْعُقُولَ وَالْأَبْصَارَ، حِينَ أَلْقَى عِصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ، أَى عَظِيمُ الشَّكْلِ، بَدِيعٌ فِي الضُّخَامَةِ وَالْهَوْلِ، وَالْمُنْظَرِ الْعَظِيمِ الْفَطْيَعِ الْبَاهِرِ، حَتَّى قِيلَ: إِنْ فِرْعَوْنَ

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْحَائِرَةُ».

(٢) التفسير ٦/١٤٨، ١٤٩.

لما شاهد ذلك وعايته، أخذَه رُعبٌ شديدٌ، وخوفٌ عظيمٌ، بحيثُ إنه حصل له إسهالٌ عظيمٌ أكثرَ من أربعين مرةً في يومٍ واحدٍ^(١)، وكان قبلَ ذلك لا يتبرُّزُ في كلِّ أربعين يوماً إلا مرةً واحدةً، فانعكسَ عليه الحالُ. وهكذا لما أدخل موسى، عليه السلام، يده في جيبه واستخرجها، [١٥٦/١] أخرجها وهي كقِلْقَلَةِ القمرِ، تتلألأُ نوراً يبهَرُ الأبصارَ، فإذا أعادها إلى جيبه رجعت إلى صفتها الأولى، ومع هذا كله لم يتفجع فرعونُ، لعنه اللهُ، بشيءٍ من ذلك، بل استمرَّ على ما هو عليه، وأظهرَ أن هذا كله سِحْرٌ، وأراد معارضته بالسحرة، فأرسلَ يجمعهم من سائر مملكته، ومن في رعيته وتحت قهره ودولته، كما سيأتى بسطه وبيانه في موضعه؛ من إظهارِ اللهِ الحقِّ المبينِ، والحُجَّةِ الباهرةِ القاطعةِ على فرعونَ وملئه، وأهلِ دولته وملته، وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

وقال تعالى في سورة «طه»^(١): ﴿ فَلَيْسَتْ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ حِجَّتْ عَلَى قَدْرِ يُمُوسَى ﴿٤١﴾ وَأَصْطَنَعَتْكَ لِنَفْسِي ﴿٤٢﴾ آذَهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نُبْيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٣﴾ آذَهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٤﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلَا لَنَا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٥﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٦﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿طه: ٤٠-٤٦﴾. يقولُ تعالى مخاطباً لموسى، فيما كلَّمه به ليلة أوْحَى إليه، وأنعمَ بالنبوةِ عليه، وكلَّمه منه إليه: قد كنتُ مشاهداً لك وأنت في دارِ فرعونَ، وأنت تحتَ كنفِي وحِفظِي ولُطفِي، ثم أخرجتُك من أرضِ مصرَ إلى أرضِ مَدْيَنَ بمشيئتي، وقُدْرَتِي^(٢) وتُدبيرِي، فليستْ

(١) زيادة من: الأصل.

(٢) التفسير ٥/٢٨٧-٢٨٩.

(٣) في الأصل، ح: «وقدري».

فيها سنين ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ أي؛ مني لذلك، فوافق ذلك تقديري
وتسييري ﴿ وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي ﴾ أي؛ اصطفتيك لنفسي برسالتى وبكلامي
﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا لِنَا فِي ذِكْرِي ﴾ يعني: ولا تفقرا في ذكري،
إذ قديمتما عليه، ووقدتما إليه؛ فإن ذلك عونٌ لكما على مخاطبته ومجاورته،
وإهداء النصيحة إليه، وإقامة الحججة عليه. وقد جاء في بعض الأحاديث^(١):
« يقول الله تعالى: « إِنْ عَبْدِي كُلُّ عَبْدِي الَّذِي يَذْكُرُنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْوَنَهُ ». »
وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتَهُ فَبُكَّةٌ فَاقْتَبَتُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

ثم قال تعالى: ﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿ وهذا من جلمه^(١) تعالى، وكرمه ورأفته ورحمته بخلقه،
مع علمه بكفر فرعون وعتوه، وتجبُّره، وهو إذ ذاك أزدى خلقه، وقد بعث إليه
صفوته من خلقه في ذلك الزمان، ومع هذا يقول لهما ويأمرهما أن يدعواه إليه
بالتى هي أحسن؛ برفق ولين، ويُعاملاه معاملة من يرجو أن يتذكر أو يخشى،
كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا
جُدِلُوا أَهْلَ [١/١٥٦] أَلِكْتَبِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْهُمْ ﴾ الآية [العنكبوت: ٤٦]. قال الحسن البصرى: ﴿ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا ﴾؛
أعذرا إليه، قولاً له: إنَّ لك ربًّا، ولك معادًا، وإنَّ بينَ يديك جنة

(١) رواه الترمذى (٣٥٨٠) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. (ضعيف الترمذى
٧٢١).

(٢) فى الأصل: «حكمة الله». فى ص: «علمه».

ونازاً^(١) . وقال وَهَبْ بِنُ مُنْبِيهِ : قولاً له : إني إلى العفوِ والمَغْفِرَةِ أَقْرَبُ مِنِّي إلى الغَضَبِ والعُقُوبَةِ . وقال زَيْدُ الرَّقَاشِيِّ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ : يَا مَنْ يَتَحَبَّبُ إِلَى مَنْ يُعَادِيهِ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيُنَادِيهِ^(٢) ؟ ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْرُبَ عَلَيْنَا أُو أَنْ يَطْعَنَى ﴾ وذلك أن فرعونَ كان جباراً عَنِيداً ، شيطاناً مَرِيداً ، له سلطانٌ في بلادِ مِصْرَ طويلاً عَرِيضاً ، وجاةٌ وجنودٌ وعساكرٌ وَسَطُوعَةٌ ، فهاباه من حيثِ البشريةِ ، وخافا أن يَسْطُوَ عليهما في بادئِ الأمرِ ، فَنَبَّهَهُمَا اللهُ تَعَالَى ، وهو العَلِيُّ الأَعْلَى ، فقال : ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ ﴿ فَأَيُّهَا فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [طه : ٤٧ ، ٤٨] . يذكرُ تَعَالَى أَنَّهُ أَمَرَهُمَا أَنْ يَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ ، فَيَدْعُوَاهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ أَنْ يعبده وحده لا شريكَ له ، وأن يُرْسِلَ معهم بني إسرائيلَ ، وَيُطْلِقَهُمْ مِنْ أَسْرِهِ وَقَهْرِهِ ، وَلَا يُعَذِّبَهُمْ ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ ﴾ وهو البرهانُ العَظِيمُ في العصا واليَدِ ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ تَقْيِيدٌ مَفِيدٌ بَلِيغٌ عَظِيمٌ . ثم تَهْدِدَاهُ وتوعِّدَاهُ على التَكْذِيبِ ، فقالا : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ أَي ؛ كَذَّبَ بِالْحَقِّ بِقَلْبِهِ ، وتَوَلَّى عَنِ الْعَمَلِ بِقَالِبِهِ .

وقد ذَكَرَ الشَّدِيدُ وَغَيْرُهُ^(٣) ، أَنَّهُ لَمَّا قَدِيمٌ مِنْ بِلَادِ مَدْيَنَ ، دَخَلَ عَلَى أُمَّهُ

(١) ذكره في الدر المشور ٣٠١/٤ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) ذكره في الدر ٣٠١/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم من حديث الفضل بن عيسى الرقاشي .

(٣) تاريخ الطبري ٤٠٣/١ .

وأخيه هارونَ، وهما يتعشيانِ من طعامٍ فيه الطَّفَيْشَلُ^(١)؛ وهو اللَّفْتُ، فأكل معهما، ثم قال: يا هارونُ، إن الله أمرني وأمرَكَ أن تدعوا فرعونَ إلى عبادته، فقم معي. فقاما يقصداً بابَ فرعونَ، فإذا هو مُعَلَّقٌ، فقال موسى للبوايين والحجبة: أعلموه أن رسولَ الله بالبابِ. فجعلوا يسخرون منه ويستهزئون به. وقد زعم بعضهم أنه لم يؤذنْ لهما عليه إلا بعدَ حينٍ طويلٍ. وقال محمدُ بنُ إسحاق: أُذِنَ لهما بعدَ سنتين^(٢)؛ لأنه لم يكُ أحدٌ يتجاسرُ على الاستئذانِ لهما. فالله أعلم. ويقال: إن موسى تقدّم إلى البابِ فطرّقه بعصاه، فانزعج فرعونُ، وأمرَ بإحضارهما، فوقفا بينَ يديه، فدعواه إلى الله، عزَّ وجلَّ، كما أمرهما. وعندَ أهلِ الكتابِ^(٣)، أن الله قال لموسى، عليه السلام: إن هارونَ اللاويّ - يعنى الذى من [١٥٧/١] نسلِ لاوى بنِ يعقوب - سيخرجُ ويتلقاك. وأمره أن يأخذَ معه مشايخَ بنى إسرائيلَ إلى عندِ فرعونَ، وأمره أن يُظهرَ ما آتاه من الآياتِ. وقال له: سأقسى قلبه فلا يُرسلُ الشعبَ، وأكثُرُ آياتى وأعاجيبى^(٤) بأرضِ مصرَ. وأوحى اللهُ إلى هارونَ أن يخرجَ إلى أخيه، يتلقاه بالبريةِ عندَ جبلِ حوريبَ، فلما تلقاه، أخبره موسى بما أمره به ربُّه، فلما دخلَا مصرَ، جمعا شيوخَ بنى إسرائيلَ، وذهبا إلى فرعونَ، فلما بلغاه رسالةَ الله، قال: من هو الله؟ لا أعرفه، ولا أرسِلُ بنى إسرائيلَ.

وقال اللهُ^(٥) مُخْبِرًا عن فرعونَ: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ قَالَ رَبُّنَا

(١) نوع من المرق. تاج العروس (طفشل).

(٢) فى الأصل: «سنتين». انظر تاريخ الطبرى ٤٠٥/١.

(٣) سفر الخروج الأصحاح ٤/١٤ - ٢١، ٢٧ - ٣٠.

(٤) فى الأصل: «ولياى».

(٥) التفسير ٢٩١/٥، ٢٩٢.

الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ
عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ
شَقَى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ أَلْبَسُوا ﴿٥٤﴾ ﴿ وَمِنْهَا
خَلَقْنَاكُمْ وَإِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلْبَابًا وَمِنْهَا يُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه : ٤٩ - ٥٥] . يَقُولُ تَعَالَى
مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ أَنْكَرَ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ تَعَالَى ، قَائِلًا : ﴿ فَمَنْ زَكَّاهُمْ يَتُوبُوا ﴾
﴿٥١﴾ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿ أَى ؛ هُوَ الَّذِي خَلَقَ
الْخَلْقَ ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَعْمَالًا وَأَزْوَاقًا وَأَجَالًا ، وَكَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي كِتَابِهِ اللَّوْحِ
الْمَحْفُوظِ ، ثُمَّ هَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى مَا قَدَّرَهُ لَهُ ، فَطَابِقَ عِلْمَهُ فِيهِمْ عَلَى الْوَجْهِ
الَّذِي قَدَّرَهُ وَعَلِمَهُ ؛ لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَقَدْرِهِ . وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ [الأعلى :
١ - ٣] . أَى ؛ قَدَّرَ قَدْرًا ، وَهَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾
يقول فرعون لموسى : فإذا كان ربك هو الخالق المقدر ، الهادي الخلاق ، لما
قَدَّرَهُ ، وَهُوَ بِهِذِهِ الْمَثَابَةِ مِنْ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ ، فَلِمَ عَبَدَ الْأَوْلُونَ غَيْرَهُ ،
وَأَشْرَكُوا بِهِ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالْأَنْدَادِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ؟ فَهَلَّا اهْتَدَى إِلَى مَا ذَكَرْتَهُ
الْقُرُونُ الْأُولَى ؟ ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾
أَى ؛ هُمْ وَإِنْ عَبَدُوا غَيْرَهُ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِحُجَّةٍ لَكَ ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافٍ مَا
أَقُولُ ؛ لِأَنَّهُمْ جَهَلَةٌ مِثْلُكَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ مُسْتَطَرٌّ عَلَيْهِمْ فِي الزُّبُرِ ، مِنْ صَغِيرِ
وَكَبِيرِ ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ رَبِّي ، عِزُّ وَجَلُّ ، وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ؛ لِأَنَّ
جَمِيعَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ عَنْهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَنْسَى رَبِّي
شَيْئًا . ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ عِظَمَةَ الرَّبِّ ، وَقُدْرَتَهُ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ وَجَعَلِهِ الْأَرْضَ

مِهَادًا، وَالسَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَتَسْخِيرَهُ السَّحَابِ وَالْأَمْطَارَ لِرِزْقِ الْعِبَادِ
 وَذَوَابِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي
 النَّهْيِ﴾ أَي؛ لِذَوِي الْعُقُولِ الصَّحِيحَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَالْفِطْرِ الْقَوْمِيَّةِ غَيْرِ
 السَّقِيمَةِ. فَهُوَ تَعَالَى الْخَالِقُ الرَّازِقُ. وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا
 رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
 الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا
 لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]. وَلَمَّا ذَكَرَ
 إِحْيَاءَ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ، وَاهْتِرَازَهَا بِإِخْرَاجِ نَبَاتِهَا فِيهِ، نَبَّهَ بِهِ عَلَى الْمَعَادِ فَقَالَ:
 ﴿مِنْهَا﴾ أَي؛ مِنَ الْأَرْضِ ﴿خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]. وَقَالَ تَعَالَى:
 ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى^(١): ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَإِنِّي ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْنَا
 لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكِ يَمْوَسَى ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا آتَيْنَكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ
 وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٦ - ٥٩]. يَخْبِرُ تَعَالَى عَنْ شِقَاءِ فِرْعَوْنَ وَكَثْرَةِ
 جَهْلِهِ، وَقَلَّةِ عَقْلِهِ فِي تَكْذِيبِهِ بآيَاتِ اللَّهِ، وَاسْتِكْبَارِهِ عَنْ اتِّبَاعِهَا، وَقَوْلِهِ لِمُوسَى:
 إِنَّ هَذَا الَّذِي جِئْتُ بِهِ سِحْرٌ، وَنَحْنُ نَعَارِضُكَ بِمِثْلِهِ. ثُمَّ طَلَبَ مِنْ مُوسَى^(١)

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) التفسير ٥/٢٩٢، ٢٩٣.

(١) أن يواعده إلى وقت معلوم ومكان معلوم، وكان هذا من أكبر مقاصد موسى، عليه السلام؛ أن يُظهر آيات الله وحججه وبراهينه جهرَةً بحضرة الناس، ولهذا قال: ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ﴾ وكان يومَ عيدٍ من أعيادهم، ومجتمعٍ لهم ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ أى؛ من أول النهار، فى وقت اشتداد ضياءِ الشمسِ، فيكونُ الحقُّ أظهرَ وأجلى. ولم يطلب أن يكون ذلك ليلاً فى ظلامٍ، كيما يُروِّج عليهم محالاً وباطلاً، بل طلب أن يكونَ نهاراً جهرَةً؛ لأنه على بصيرةٍ من ربِّه، ويقين أن الله سيظهرُ كلمته ودينه، وإن رَغِمَت أنوفُ القبيطِ.

قال الله تعالى (٢): ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ (١٦) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى (١٧) فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى (١٨) قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ النَّثْلَى (١٩) فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿ [طه: ٦٠ - ٦٤]. يخبرُ تعالى عن فرعون أنه ذهب، فجمع من كان ببلادِه من السحرة، وكانت بلادُ مصرَ فى ذلك الزمانِ مملوءةً سحرةً، فضلاءً، فى فنِّهم غايةً، فجمعوا له من كلِّ بلدٍ، ومن كلِّ مكانٍ، فاجتمع منهم خلقٌ كثيرٌ وجَمٌّ غفيرٌ. فقيل: كانوا ثمانين ألفاً. قاله محمد بنُ كعبٍ. وقيل: سبعين ألفاً. قاله القاسم بن أبى بزة (٣). وقال السدِّى: بضعَةٌ وثلاثين ألفاً. وعن أبى أمامة: تسعةَ عشرَ ألفاً. وقال (١)

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) التفسير ٢٩٤/٥، ٢٩٥.

(٣) فى ١، م، ص: «بردة». وانظر التقريب ١١٥/٢.

١) محمد بن إسحاق: خمسة عشر ألفاً. وقال كعب الأحمار: كانوا اثني عشر ألفاً. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس: كانوا سبعين رجلاً. وروى عنه أيضاً أنهم كانوا أربعين غلاماً من بنى إسرائيل، أمرهم فرعون أن يذهبوا إلى العرفاء، فيتعلموا السحر. ولهذا قالوا: ﴿ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ وفي هذا نظر^(١).

وحضر فرعون وأمرأوه وأهل دؤلته وأهل مضر عن بكرة أبيهم؛ وذلك أن فرعون نادى فيهم أن يحضروا هذا الموقف العظيم، فخرجوا وهم يقولون: ﴿ لَمَلْنَا نَبِّئُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْفَٰلِغِينَ ﴾^(٢) [الشعراء: ٤٠]، وتقدم موسى عليه السلام إلى السحرة، فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل، الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه، فقال: ﴿ وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَرِكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ﴾^(٣) فتنزعوا أمرهم بينهم ﴿ قيل: معناه أنهم اختلفوا فيما بينهم؛ فقائل يقول: هذا كلام نبي وليس بساحر. وقائل منهم يقول: بل هو ساحر. فالله أعلم. وأسروا التناجى بهذا وغيره ﴾ قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ﴿ يقولون: إن هذا وأخاه هارون ساحران، غلمان، مطبقان متفقان لهذه الصناعة، ومرادهم أن يجتمع الناس عليهما، ويضولوا على الملك وحاشيته، ويستأصلاكم عن آخركم، ويستأمرا عليكم بهذه الصناعة^(٤)

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) انظر الأقوال السابقة في التفسير ٢٩٦/٥. والدر المنثور ١٠٦/٣. وقصص الأنبياء للثعلبي ص ١٦٣.

(٣) التفسير ١٤٩/٦، ١٥٠.

﴿ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّخَفْتُمْ صِفَاءً وَقَدْ أفلحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴾ وإنما قالوا الكلام الأول ليتدبروا ويتواصوا، ويأتوا بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والخديعة والسحر والبهتان. وهيهات، كذبت والله الظنون، وأخطأت الآراء، أنى يُعَارِضُ البهتانُ والسُّحْرُ والهُدْيَانُ حَوَارِقَ العاداتِ، التي أجزاها الدِّيَانُ على يَدَيِ عبده الكليم ورسوله الكريم، المؤيد بالبزوهان الذي يَنْهَرُ^(١) الأبصارَ، وتَحَارُّ فيه العقولُ والأذهانُ. وقولهم: ﴿ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ﴾ أى؛ جميع ما عندهم، ﴿ ثُمَّ اتَّخَفْتُمْ صِفَاءً ﴾ أى؛ جملة واحدة. ثم حَضَّ بعضهم بعضاً على التقدُّمِ فى هذا المقام؛ لأنَّ فرعونَ كان قد وعدهم ومثاهم، وما يِعْدُهُمُ الشيطانُ إلا غُرُورًا.

﴿ قَالُوا يَمْشَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴾^(٢) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَالُهُمْ^(٣) [١٥٧/١ ط] وَعَصِيَّتُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى^(٤) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿ ١٧ ﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿ ١٨ ﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَلَ ﴿^(٥) [طه: ٦٥ - ٦٩]. لَمَّا اضْطَفَّ السحرةُ ووقفَ موسى وهارونُ، عليهما السلامُ، مُجَاهَهُمْ، قالوا له: إِمَّا أَنْ تُلْقَى قَبْلَنَا، وَإِمَّا أَنْ نُلْقَى قَبْلَكَ. قال: بَلْ أَلْقُوا أَنْتُمْ. وكانوا قد عَمَدوا إلى جِبَالٍ وَعِصِيٍّ، فأودَعوها الرُّبُوبِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي تَضْطَرِبُ بِسَبَبِهَا^(٦) تلك الجبالُ والعِصِيُّ اضْطَرَابًا يُخَيَّلُ لِلرَّائِي أَنَّهَا تَسْعَى

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى ح: (بهر).

(٣) التفسير ٢٩٥/٥، ٢٩٦.

(٤) فى ص: (فشيها).

باختيارها، وإنما تحركك بسبب ذلك، فعند ذلك سحروا أعين الناس واستزهبوهم، وألقوا حبالهم، وعصيتهم وهم يقولون: ﴿بِعَزْوِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزَهِبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِمِخْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُا تَسْعَى ﴿١١٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ أي؛ خاف على الناس أن يفتنوا بسحريهم ومحالهم قبل أن يلقي ما في يده، فإنه لا يضع شيئاً قبل أن يؤمر، فأوحى الله إليه في الساعة الراهنة: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿١١٧﴾ وَالَّذِي مَا فِي يَمِينِكَ لَتَاقٌ لِمَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقْبَى﴾، فعند ذلك ألقى موسى عصاه، وقال: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١٨﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١، ٨٢]. وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥]. ﴿فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾ فَعُلبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٨﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١١٩﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨ - ١٢٢]. وذلك أن موسى، عليه السلام، لما تقدّم^(١) ألقاها، صارت حية عظيمة ذات قوائم - فيما ذكره غير واحد من علماء السلف - وعُتق عظيم، وشكل هائل مُزعج، بحيث إن الناس انحازوا منها، وهربوا سراعاً، وتأخروا عن مكانها، وأقبلت هي على ما ألقوه من الحبال والعصي، فجعلت تلقفه واحداً واحداً، في أسرع ما يكون من الحركة،

(١ - ١) زيادة من: الأصل.

والنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا. وَأَمَّا السِّحْرَةُ فَإِنَّهُمْ رَأَوْا مَا هَالَهُمْ
 وَحَيَّرَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ، وَأَطَّلَعُوا عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ فِي خَلْدِهِمْ وَلَا بِالْهَيْمِ، وَلَا
 يَدْخُلُ تَحْتَ صِنَاعَاتِهِمْ وَأَشْغَالِهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ وَهَنَالِكَ تَحَقَّقُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ
 الْعِلْمِ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِسِحْرٍ، وَلَا شَعْبَدَةٍ، وَلَا مِحَالٍ وَلَا خِيَالٍ [١/١٥٨] وَلَا
 زُورٍ وَلَا بَهْتَانٍ وَلَا ضَلَالٍ، بَلْ حَقٌّ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْحَقُّ الَّذِي ابْتَعَثَ هَذَا
 الْمُؤَيَّدَ بِهِ بِالْحَقِّ، وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْ قُلُوبِهِمْ غِشَاوَةَ الْغَفْلَةِ، وَأَنَارَهَا بِمَا خَلَقَ فِيهَا
 مِنَ الْهُدَى، وَأَزَاحَ عَنْهَا الْقَسْوَةَ، وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَخَرُّوا لَهُ سَاجِدِينَ، وَقَالُوا
 بِجَهْرَةٍ لِلْحَاضِرِينَ، وَلَمْ يَخْشَوْا عِقُوبَةَ وَلَا بَلَاوَى: آمَنَّا بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ.

كما قال تعالى^(١): ﴿فَأَلْفَى السِّحْرَةَ سَجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٦﴾
 قَالَ ءَامَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ ءَادَنْ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ
 أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبِنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَدَابًا
 وَأَبْقَى ﴿٧٧﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ
 قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٨﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا
 أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٩﴾ إِنَّكُمْ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ
 جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٨٠﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ
 لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٨١﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ
 مَنْ قَرَأَ ﴿٨٢﴾ [طه: ٧٠ - ٧٦]. قال سعيد بن جبير، وعكرمة، والقاسم بن أبي
 بزة^(٢)، والأوزاعي، وغيرهم: لما سجد السحرة، رأوا منازلهم وقصورهم في

(١) التفسير ٢٩٧/٥ - ٣٠٠.

(٢) في الأصل، م: «بردة».

الجنة تُهَيِّأُ لَهُمْ ، وَتُزَخَّرُفُ لِقُدُومِهِمْ ، ولهذا لم يَلْتَفِتُوا إِلَى تَهْوِيلِ فِرْعَوْنَ ،
وتَهْدِيدِهِ وَوَعِيدِهِ . وذلك لأن فِرْعَوْنَ لَمَّا رَأَى هَوْلَ السِّحْرَةِ قَدْ أَشْلَمُوا ،
وَأَشْهَرُوا ذِكْرَ مُوسَى وَهَارُونَ فِي النَّاسِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ الْجَمِيلَةِ ، أَفْزَعَهُ ذَلِكَ ،
وَرَأَى أَمْرًا بَهْرَهُ ، وَأَعْمَى بِصِيرَتِهِ وَبَصَرِهِ ، وَكَانَ فِيهِ كَيْدٌ وَمَكْرٌ وَخِدَاعٌ ،
وَصَنْعَةٌ بَلِيغَةٌ فِي الصَّدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ مُخَاطِبًا لِلْسِّحْرَةِ بِحَضْرَةِ
النَّاسِ : ﴿ مَا أَمَنْتُمْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ مَآذَنَ لَكُمْ ﴾ ﴿ ١٢٣ ﴾ أَي ؛ هَلَّا شَاوَرْتُمُونِي فِيمَا
صَنَعْتُمْ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ بِحَضْرَةِ رَجِيئِي . ثُمَّ تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ ، وَأَبْرَقَ وَأَزْعَدَ ،
وَكَذَبَ فَأَبْعَدَ ، قَائِلًا : ﴿ إِنَّهُ لَكَيْدٌ كَبِيرٌ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ ﴾ . وَقَالَ فِي
الآيَةِ الْأُخْرَى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٣] . وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مِنَ الْبَهْتَانِ الَّذِي يَعْلَمُ كُلُّ
فَرِدٍ عَاقِلٍ مَا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَذِبِ وَالْهَدْيَانِ ، بَلْ لَا يَزُوجُ مِثْلَهُ ^(١) عَلَى
الصُّبْيَانِ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ ، مِنْ أَهْلِ دَوْلَتِهِ وَغَيْرِهِمْ ، يَعْلَمُونَ أَنَّ مُوسَى لَمْ يَرَهُ
هَوْلًا يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ كَبِيرَهُمُ الَّذِي عَلَّمَهُمُ السِّحْرَ ؟ ! ثُمَّ هُوَ لَمْ
يَجْمَعْتَهُمْ وَلَا عَلَّمَ بِاجْتِمَاعِهِمْ ، حَتَّى كَانَ فِرْعَوْنُ هُوَ الَّذِي اسْتَدْعَاهُمْ وَاجْتَبَاهُمْ
مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ وَوَادٍ سَحِيقٍ ، وَمِنْ حَوَاضِرِ بِلَادِ مِصْرَ وَالْأَطْرَافِ ، وَمِنَ الْمَدِينِ
وَالْأَرْيَافِ [١٥٨/١ ظ] .

قال الله تعالى في سورة «الأعراف» ^(٢) : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى
بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ

(١) في ح : « قبله » .

(٢) التفسير ٤٤٩/٣ - ٤٥٥ .

﴿١٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَا
 أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 ﴿١٢٨﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٩﴾ فَأَلْفَىٰ
 عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٣٠﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِ ﴿١٣١﴾ قَالَ
 الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ
 فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٣٣﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١٣٤﴾ يَا تُوَكَّ
 يَكْلِي سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١٣٥﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا
 نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٣٦﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٣٧﴾ قَالُوا يَكْفُومُ إِمَّا أَن
 تُنْفِقِي وَإِمَّا أَن تُكُونِ نَحْنُ الْمُتْلِقِينَ ﴿١٣٨﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ
 النَّاسِ وَاسْتَهْبَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١٣٩﴾ * وَأَرْجَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِي
 عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٤٠﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾
 فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٤٤﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٤٥﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ
 هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمْوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ لَأَقْطَعَنَّ
 أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّن خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَبِّحَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٧﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا
 مُنْقَلِبُونَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا نُنْفِقُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ ءَأَمْنَا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا
 صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٤٩﴾ [الأعراف: ١٠٣ - ١٢٦].

وقال تعالى في سورة «يونس»^(١): ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا

(١) التفسير ٤/ ٢٢٠ - ٢٢٢.

جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَقْتَوُونَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ [يونس: ٧٥ - ٨٢].

وقال تعالى في سورة «الشعراء»^(١): ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ الْإِلَهَاءُ خَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِسُقَىٰ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَرَزَقَ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴿١٠٩/١﴾ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الدِّانِ حَشِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَىٰ السَّحَرَةُ سِهَابِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَمْ يَبْتَلِ أَنْ

(١) التفسير ١٤٨/٦ - ١٥١.

مَآذِنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ وَلَا أُصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا صَبْرَ لَنَا إِلَّا إِنْ رَيْنَا مُقْتَلُونَ ﴿٥٠﴾
 إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الشعراء: ٢٩ - ٥١] .

والمقصود أن فرعون كذب وافترى، وكفر غاية الكفر في قوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ وأتى بيهتان يغلمه العالمون، بل العالمون في قوله: ﴿ إِنْ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .
 وقوله: ﴿ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ ﴾ يعنى: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وعكسه، ﴿ وَلَا أُصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أى؛ ليجعلهم مثلة ونكالا؛ لئلا يقتدى بهم أحد من رعيته وأهل ملته، ولهذا قال: ﴿ وَلَا أُصْلِبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ أى؛ على جذوع النخل؛ لأنها أعلى وأشهر ﴿ وَلَعَلَّمَنَّا آيَاتِنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ يعنى: فى الدنيا ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ ﴾ أى؛ لن نطيعك ونترك ما وقر فى قلوبنا من الآيات، والدلائل القاطعات، ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾ قيل: معطوف. وقيل: قسم ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ أى؛ فافعل ما قدوت عليه، ﴿ إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أى؛ إنما حكمك علينا فى هذه الحياة الدنيا، فإذا انتقلنا منها إلى الدار الآخرة، صرنا إلى حكم الذى أسلمنا له واتبعنا رسله، ﴿ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه: ٧٣] أى؛ وثوابه خير مما وعدتنا به من "التقريب والترغيب"^(١)، ﴿ وَأَبْقَى ﴾ أى؛ وأدوم من هذه الدار الفانية. وفى الآية الأخرى: ﴿ قَالُوا لَا صَبْرَ لَنَا إِلَّا إِنْ رَيْنَا مُقْتَلُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ

(١ - ١) فى ص: «الترهيب والترغيب» .

أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا ﴿٤٩﴾ أَي؛ ما اجترمناه من المآثم والمحارم ﴿٤٩﴾ أَنْ كُنَّا أَوَّلَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَي؛ من القبط، بموسى وهارون، عليهما السلام. وقالوا له أيضًا:
 ﴿٤٩﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا آتٍ ءَأَمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ﴿٤٩﴾ أَي؛ ليس لنا عندك
 ذنب إلا إيماننا بما جاءنا به رسولنا، واتباعنا آيات ربنا لما جاءتنا^(١)، ﴿٤٩﴾ رَبَّنَا أَفْرِغْ
 عَلَيْنَا صَبْرًا ﴿٤٩﴾ أَي؛ نبثنا على ما ابثلينا به، [١٥٩/١ ظ] من عقوبة هذا الجبار
 العنيد، والسلطان الشديد، بل الشيطان المرید، ﴿٤٩﴾ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿٤٩﴾ وقالوا
 أيضًا يعظونه ويخوفونه بأس ربهم العظيم: ﴿٤٩﴾ إِنَّهُمْ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُمْ مَجْرِمًا فَإِنَّ لَهُمْ
 جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٤٩﴾ يقولون له: فإياك أن تكون منهم. فكان
 منهم. ﴿٤٩﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٤٩﴾
 أَي؛ المنازل العالية ﴿٤٩﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ
 مَنْ تَزَكَّى ﴿٤٩﴾ فاحرص أن تكون منهم. فحالت بينه وبين ذلك الأقدار التي لا
 تُغَالَبُ، ولا تُمانع، وحكم العلي العظيم بأن فرعون، لعنه الله، من أهل
 المحيم، ليباشر العذاب الأليم، يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ الْحَمِيمُ. ويقال له، على
 وجه التقرير والتوبيخ، وهو المقبوح المنبوخ، الذميمة اللثيم: ﴿٤٩﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ
 الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ [الدخان: ٤٩].

والظاهر من هذه السياقات أن فرعون، لعنه الله، صلبهم وعدبهم، رضى
 الله عنهم. قال عبد الله بن عباس، وعبيد بن عمير: كانوا من أول النهار
 سخرة، فصاروا من آخره شهداء برة^(٢). ويؤيد هذا قولهم: ﴿٤٩﴾ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا
 صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿٤٩﴾.

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) تفسير الطبرى ٢٤/٩. والتفسير ٤٥٥/٣.

فَضْلٌ

ولمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ ، وَهُوَ الْعَلْبُ الَّذِي عُلبَهُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنْ الْقَيْطِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْهَائِلِ ، وَأَسْلَمَ السَّحْرَةَ ، الَّذِينَ اسْتَنْصَرُوا بِهِمْ ^(١) لَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا كُفْرًا وَعِنَادًا وَبُعْدًا عَنِ الْحَقِّ .

قال الله تعالى ، بعدَ قَصَصِ مَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ « الْأَعْرَافِ » ^(٢) : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿ [الأعراف: ١٢٧ - ١٢٩] . يخبرُ تعالى عن المَلَأُ من قومِ فرعونَ ، وهم الأُمراءُ والكُبَرَاءُ ، أَنَّهُمْ حَرَّضُوا مَلِكَهُمْ فِرْعَوْنَ عَلَى أُذْيَةِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمُقَابَلَتِهِ - بِدَلِّ التَّصَدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ - بِالْكَفْرِ وَالرَّوَدِّ وَالْأَذْيِ ، فَقَالُوا : ﴿ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ يَغْنُون ، قَبْحَهُمُ اللَّهُ ، أَنَّ دَعْوَتَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَالتَّهْنِي عَنِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ فَسَادًا بِالنَّسْبَةِ إِلَى اعْتِقَادِ الْقَيْطِ ، لَعْنَهُمُ اللَّهُ . وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ ^(٣) :

(١) فِي ٢ : « رِبِّهِمْ » .

(٢) التفسير ٣ / ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(٣) سقط من : ح . والقراءة قراءة ابن عباس ومجاهد . انظر تفسير الطبري ٩ / ٢٥ ، ٢٦ . والتفسير ٣ /

وَيَذُرْكَ وَإِلَهُكَ) أى؛ وعبادتك. وَيَحْتَمِلُ شَيْئِينَ؛ أحدهما، وَيَذُرُ دِينَكَ. وَتَقْوِيهِ الْقِرَاءَةُ الْآخَرَى. الثانى، وَيَذُرُ أَنْ يَعْبُدَكَ، فإنه كان يَزْعُمُ أنه إله، لَعَنَهُ اللَّهُ ﴿ قَالَ سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ أى؛ غالبون، ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ مُقَاتِلْتَهُمْ، ﴿ وَأَصْبِرُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) أى؛ إذا هموا هم بأذيبتكم والفلك بكم فاشتعتنوا أنتم برؤيتكم، واضبروا على بلييتكم، ﴿ إِنَّا الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) أى؛ فكونوا أنتم من ^(٢) المتقين؛ لتكون لكم العاقبة، كما قال تعالى فى الآية الأخرى ^(٣): ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ مَأْمَنُكُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ وَخِمْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [يونس: ٨٤ - ٨٦]. وقولهم: ﴿ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ أى؛ قد كانت الأبناء تُقتل قبل مجيئك، وبعد مجيئك إلينا، ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾.

وقال الله تعالى، فى سورة «حم المؤمن» ^(٤): ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَارُونَ وَقُلُوبَهُمْ فَقَالُوا سَحَابٌ مَّكْدُوبٌ ﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤]. وكان فرعونُ الملك، وهامانُ الوزير، وكان

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) زيادة من: الأصل.

(٣) التفسير ٤/٢٢٣، ٢٢٤.

(٤) التفسير ٧/١٢٨.

قارونُ إسرائيليًّا من قومِ موسى ، إلا أنه كان على دينِ فرعونَ ومَلِيحِهِ ، وكان ذا مالٍ جزييلٍ جدًّا ، كما ستأتى قصته فيما بعدُ ، إن شاء اللهُ تعالى .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُمْ وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿ غافر: ٢٥ 〉 .

وهذا القتلُ للغلمانِ ، مِن بعدِ بَغْتَةِ موسى ، إنما كان على وجهِ الإهانةِ والإذلالِ ، والتقليلِ لملاّ بنى إسرائيلِ ؛ لِقَلَّا تكونَ لهم شَوْكَةً يَمْتَنِعُونَ بها أو^(١) يَضُولُونَ على القَيْبِطِ بسببِها ، وكانت القَيْبِطُ مِنْهُمْ يَحْذَرُونَ ، فلم يَنْفَعَهُمْ^(٢) ذلك ؛ ولم^(٣) يَرُدُّ عَنْهُمْ^(٣) قَدَرَ الذى يقولُ للشئِءِ : كُنْ . فيكونُ . ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿ غافر: ٢٦ 〉 .^(٤) ولهذا يقولُ الناسُ على سبيلِ التَّهْكِيمِ : صار فرعونُ مُذَكَّرًا . وهذا منه ، فإن فرعونَ فى زَعْمِهِ يَخَافُ على الناسِ أَنْ يُضِلَّهُمْ موسى ، عليه السلامُ . ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿ غافر: ٢٧ 〉 . أى ؛ عُذْتُ بِاللَّهِ ، وَلَجَأْتُ إِلَيْهِ وَاسْتَجَرْتُ^(٥) بِجَنَابِهِ^(٦) مِنْ أَنْ يَسْطُوَ فرعونُ أو غيره علىَّ بسوءِ . وقولُهُ : ﴿ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴿ أى ؛ جبارٍ عَنِيْدٍ ، لا يَزْعَوِي^(٨) ولا

(١) فى م ، ص : (١٥) .

(٢) فى الأصل : « يمتنعهم » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « يردعهم » .

(٤) التفسير ١٢٩/٧ .

(٥) التفسير ١٢٩/٧ .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) فى ص : « بجانبه » .

(٨) أى يكف ويرتدع .

يَنْتَهِي ، وَلَا يَخَافُ عَذَابَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَفَقَّدُ مَعَادًا وَلَا جَزَاءً ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ .

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾ (١٨) يَقْوَمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرْنَا مِنْهُ بِإِذْنِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (١٩) [غافر: ٢٨، ٢٩] . هذا الرجل هو ابن عم فرعون ، وكان يَكْتُمُ إِيمَانَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، خَوْفًا مِنْهُمْ عَلَى نَفْسِهِ . وَزَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ كَانَ إِسْرَائِيلِيًّا ، وَهُوَ بَعِيدٌ وَمُخَالَفٌ لِسِيَاقِ الْكَلَامِ لِفِظًا وَمَعْنَى (٢٠) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال ابن جرير: قال ابن عباس: لم يؤمن من القبط بموسى إلا هذا، والذي جاء من أقصى المدينة، وامرأة فرعون. رواه ابن أبي حاتم (٢١). قال الدارقطني: لا يُعْرَفُ مَنْ اسْمُهُ شَمْعَانُ - بِالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ - إِلَّا مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ . حَكَاهُ السَّهَيْلِيُّ (٢٢) . وَفِي «تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ» (٢٣) أَنْ اسْمَهُ : جَبْرٌ (٢٤) . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

والمقصود أن هذا الرجل كان يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، فَلَمَّا هَمَّ فِرْعَوْنُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ،

(١) التفسير ١٢٩/٧ - ١٣٢ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٥٧/٢٤ ، ٥٨ .

(٣) ذكره في الدر المنثور ٣٥٠/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم . وانظر التفسير ١٣٠/٧ .

(٤) التعريف والإعلام ص ٢٤١ . وانظر الإكمال لابن ماكولا ٣٦٥/٤ .

(٥) تاريخ الطبري ٤٠٧/١ .

(٦) في ح ، م ، ص : «خير» ، وفي ا : «خبر» . وفي تاريخ الطبري : «حبرك» . وفي تفسير الطبري : «جبريل» .

وذكر السهيلي في «التعريف والإعلام» ص ٢٨٣ عن الطبري في تاريخه أن اسمه : «جبر» .

بَقْتَلِ، موسى، عليه السلام، وعَزَمَ على ذلك وشاورَ مَلَأَهُ فيه، خاف هذا المؤمنُ على موسى، فتَلَطَّفَ في رَدِّ فرعونَ بكلامٍ جَمَعَ فيه التروغيبَ والتزهيبَ، فقال «كَلِمَةَ الْحَقِّ» على وجهِ المَشَوْرَةِ والرأْيِ. وقد ثبت في الحديث^(١) عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قال: «أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةُ عَدَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ». وهذا مِن أَعْلَى مَرَاتِبِ هذا المَقَامِ، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ لا يَكُونُ أَشَدَّ^(٢) جَوْرًا مِنْهُ، وهذا الكَلَامُ لا أَعْدَلَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ فِيهِ عِصْمَةَ دَمٍ^(٣) نَبِيٍّ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ «شَارٌّ لَهُمْ» بِإِظْهَارِ إِيمَانِهِ، وَصَرَّحَ لَهُمْ بِمَا كَانَ يَكْتُمُهُ. وَالأَوَّلُ أَظْهَرُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قال: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ أَي؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قال: رَبِّيَ اللَّهُ. فَمِثْلُ هذا لا يُقَابَلُ بِمِثْلِ هذا، بل بِالْإِكْرَامِ وَالِاحْتِرَامِ وَالْمَوَادَعَةِ وَتَرْكِ الْإِنْتِقَامِ، يَعْنِي: لِأَنَّهُ ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أَي؛ بِالخَوَارِقِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ عَمَّنْ أَرْسَلَهُ، فَهَذَا إِنْ وادَعْتُمُوهُ^(٤) كُنْتُمْ فِي سَلَامَةٍ؛ لِأَنَّهُ ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ وَلا يَضُرُّكُمْ ذَلِكَ، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا﴾^(٥) وَقَدْ تَعَرَّضْتُمْ لَهُ ﴿يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ أَي؛ وَأَنْتُمْ تُشْفِقُونَ أَنْ يَنَالَكُمْ أَيْسُرُ جَزَاءٍ مِمَّا يَتَوَعَّدُكُمْ بِهِ، فَكَيْفَ بِكُمْ إِنْ حَلَّ جَمِيعُهُ عَلَيْكُمْ؟ وَهَذَا

(١ - ١) زيادة من: أ.

(٢) في الأصل، «الصحيح». والحديث أخرجه أبو داود (٤٣٤٤)، والترمذي (٢١٧٤)، وابن ماجه (٤٠١١). كلهم من حديث أبي سعيد الخدري. وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه. (صحيح أبي داود ٣٦٥٠). وانظر السلسلة الصحيحة (٤٩١).

(٣) في ح، م، أ، ص: «الأشد».

(٤) زيادة من: أ.

(٥ - ٥) في ح، م، ص: «كاشرهم». وشارٌّ لهم أي خاصمهم.

(٦) في الأصل: «أودعتموه». وفي أ: «تركتموه».

(٧ - ٧) ليست في: الأصل.

الكلام في هذا المقام من أعلى مقامات التلطف والاحتراز والعقل التام . وقوله : ﴿ يَقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يحذّرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز ، فإنه ما تعرّضت الدول للدين إلا سلبوا ملكهم وذلّوا^(١) بعد عزّهم ، وكذا وقع لآل فرعون ؛ ما زالوا في شكّ ورّيب ، ومخالفة ومُعاندة لما جاءهم موسى به ، حتى أخرجهم الله ممّا [١٦١/١] كانوا فيه من الملك والأملاك^(٢) ، والدور والقصور ، والنعمة والجُبُور ، ثم حوّلوا إلى البحرِ مُهانين ، ونُقِلت أرواحهم بعد العلوّ والرّفعة إلى أسفل السافلين . ولهذا قال هذا الرجل المؤمن الصادق ، البارّ الرّاشد ، التابع للحقّ الناصح لقومه ، الكامل العقل : ﴿ يَقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أى ؛ عالين على الناس حاكمين عليهم ، ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ أى ؛ لو كنتم أضعاف ما أنتم عليه^(٣) من العديّ والغدّة والقوة والشدّة ، لما نفعنا ذلك ولا ردّ عنا بأس مالِك الممالك . ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ أى ؛ فى جواب هذا كله : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾ أى ؛ ما أقول لكم إلا ما عندى ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ وكذب فى كلّ من هذين القولين ، وهاتين المقدّمتين ، فإنه قد كان يتحقّق ويعلّم^(٤) فى باطنه وفى نفسه أن هذا الذى جاء به موسى حقّ^(٥) من عند الله لا محالة ، وإنما كان يُظهرُ خلافه بغيا وعُدوانا ، وعُتْوا وكفرانا .

قال الله تعالى إخبارا عن موسى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ

(١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الأصل : « الآمال » .

(٣) سقط من : ح . وفى م ، ص : « فيه » .

(٤) زيادة من : الأصل ، ص .

(٥) زيادة من : أ .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ بِفِرْعَوْنَ مُشْبِرًا ﴿ [الإسراء: ١٠٢] .
وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَدِّثُوا
بِهَا وَأَسْتَبِقْتَنَهَا أَنفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿ [النمل:
١٣، ١٤] . وأما قوله : ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ . فقد كذب أيضًا ،
فإنه لم يكن على رشادٍ من الأمر ، بل كان على سَفَهٍ وضلالٍ ، وخبالٍ ، وكان
أولاً يَمُنُّ بعبُدِّ الأصنامِ والأمثالِ ، ثم دعا قومه الجهلة الضلال إلى أن اتبعوه
وطاوعوه ، وصدَّقوه فيما زعم من الكفرِ المحالِ في دعواه أنه ربُّ ، تعالى اللهُ ذو
الجلالِ والإكرامِ . قال اللهُ تعالى : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ
أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا
خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ
ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ مُقَرَّنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿ [الزخرف: ٥١ - ٥٦] . وقال تعالى :
﴿ فَآرِنَهُ آيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٥﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى
﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً
لِّمَن يَخْشَى ﴿ [النازعات: ٢٠ - ٢٦] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَٓئِهِ فَاتَّبِعُوهُ أَمْرٌ فِرْعَوْنٌ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ
بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَسَّسَ الْوُرْدَ الْمَوْرُودَ
﴿٩٨﴾ [١/١٦١ظ] وَأَتَّبِعُوا فِي هٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَسَّسَ الرِّقْدَ الْمَرْفُودَ ﴿
[هود: ٩٦ - ٩٩] . والمقصودُ بيانُ كذبه في قوله : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾ ،
وفي قوله : ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ .

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا
إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا
ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا
سِوَىٰ بَيْتِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا
أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ [غانر: ٣٠ - ٣٥]. يحذّرهم وليّ الله، إن كذبوا برسول
الله موسى ^(٢)، أن يحلّ بهم ما حلّ بالأُمم من قبلهم من الثّمات والمثلاث، ممّا
تواتر عندهم وعند غيرهم؛ ما حلّ بقوم نوح، وعاد، وثمود، ومن بعدهم إلى
زمانهم ذلك، ممّا أقام الله ^(٣) به الحجج على أهل الأرض قاطبة، في صدق ما
جاءت به الأنبياء، بما أنزل من الثّمّة بمكذّبيهم من الأعداء، وما أنجى الله من
اتبّعهم من الأولياء، وخوفهم يوم القيامة، وهو يوم التّناد؛ أى حين يُنادى الناس
بعضهم بعضًا حين يُؤلون مُذِيرين، إن قدروا على ذلك، ولا إلى ذلك سبيل.
﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَتَىٰ لِّلْفِرِّئِ كَلًّا لَا وَزَرَ ﴾ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾
[القيامة: ١٠ - ١٢]. وقال تعالى: ﴿ يَنْمَعشَرُ الْيَمِينِ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ
تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ (٣٣)
فِي أَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا

(١) التفسير ١٣٢/٧، ١٣٣.

(٢) سقط من: ص.

(٣) زيادة من: ح.

تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَأْتِي آءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿ [الرحمن: ٣٣ - ٣٦] . وقرأ بعضهم : (يَوْمَ التَّنَادِ) بتشديد الدال ، أى يوم الفرار . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ يُجَلُّ اللَّهُ بِهِمُ الْبَأْسَ ، فَيَوْدُونَ الْفِرَارَ وَلَا تَحِينَ مَنَاصٍ . ﴿ فَلَمَّا أَحْسَبُوا بِأَسَنًا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿٣٦﴾ لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ [الأنبياء: ١٢ ، ١٣] . ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ عَنْ نبوة يوسف فى بلاد مصر؛ ما كان منه من الإحسان إلى الخلق فى دنياهم وأخراهم ، وهذا من سلالاته وذريته ، ويدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته ، وأن لا يُشركوا به أحدا من بريته ، وأخبر عن أهل الديار المصرية فى ذلك الزمان ، أن من سجيبتهم التكذيب بالحق ومخالفة الرسل ؛ ولهذا قال : ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّكُمْ مَتَى جَاءَكُمْ بِرُوحِي إِذَا هَلَكَ فُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴿ أى ؛ [١٦٢/١] وكذبتم فى هذا . ولهذا قال : ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴿ أى ؛ يَوْدُونَ ^(١) حُجَجَ اللَّهِ وبراهينه ودلائل توحيديه بلا حجة ولا دليل عندهم من الله ، فإن هذا أمر يَمُقُّهُ اللَّهُ غاية المقْت ؛ أى يُعْفِضُ مَنْ تَلَبَّسَ بِهِ مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ أَتَّصَفَ بِهِ مِنَ الْخَلْقِ ، ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿ قُرئ بالإضافة وبالنعت ، وكلاهما مُتَلَازِمٌ ؛ أى هكذا إذا خالفت القلوب الحق ، ولا تخالفه إلا بلا برهان ، فإن الله يَطْبَعُ عَلَيْهَا ؛ أى يَخْتِمُ عَلَيْهَا .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنهَمَنْدُنُ ابْنِ لِي صَرَمًا لَعَلِّي أَتْلُعُ ﴿٣٨﴾ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ

(١) فى م : «يريدون» .

السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ
سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿١﴾
[غافر: ٣٦، ٣٧]. كَذَّبَ فِرْعَوْنُ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي دَعْوَاهُ أَنْ اللَّهَ أَرْسَلَهُ،
وَزَعَمَ فِرْعَوْنُ لِقَوْمِهِ مَا كَذَبَهُ وَافْتَرَاهُ، فِي قَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ
إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمِدُنْ عَلَيَّ الطِّينَ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى
إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]. وَقَالَ هَلْهَنَا:
﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ أَي؛ طُرُقَهَا وَمَسَالِكَهَا
﴿فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ وَيَحْتَمِلُ هَذَا مَعْنَيْنِ؛
أَحَدُهُمَا، وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا فِي قَوْلِهِ: إِنْ لِلْعَالَمِ رَبًّا غَيْرِي. ^(١) وَالثَّانِي، فِي
دَعْوَاهُ أَنْ اللَّهَ أَرْسَلَهُ. وَالأَوَّلُ أَشْبَهُ بِظَاهِرِ حَالِ فِرْعَوْنَ، فَإِنَّهُ كَانَ يُنَكِّرُ ظَاهِرَ
إِثْبَاتِ الصَّانِعِ ^(٢)، وَالثَّانِي أَقْرَبُ إِلَى اللَّفْظِ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ
مُوسَى﴾ أَي؛ فَاسْأَلْهُ هَلْ أَرْسَلَهُ أَمْ لَا، ﴿وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ أَي؛ فِي
دَعْوَاهُ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا كَانَ مَقْصُودُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَصُدَّ النَّاسَ عَنِ تَصَدِيقِ مُوسَى، عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَأَنْ يُحْتَشِمَ عَلَيْهِ تَكْذِيبُهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ
سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾، وَقُرِئَ: (وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ) قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ ^(٣): يَقُولُ: إِلَّا فِي خَسَارٍ. أَي بَاطِلٍ، لَا يَحْصُلُ لَهُ شَيْءٌ مِنْ
مَقْصُودِهِ الَّذِي رَامَهُ، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلْبَشْرِ أَنْ يَتَوَصَّلُوا بِقُوَاهِمَ إِلَى نَيْلِ السَّمَاءِ
أَبَدًا - أَغْنَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا - فَكَيْفَ بِمَا بَعْدَهَا مِنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَمَا فَوْقَ

(١) التفسير ١٣٤/٧.

(٢) - (٢) سقط من: ح.

(٣) تفسير الطبري ٦٦/٢٤. وانظر الدر المنثور ٣٥١/٥.

ذلك من الارتفاع الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل .

وذكر غير واحد من المفسرين^(١) أن هذا الصَّوْحَ، وهو القَصْرُ الذي بناه وزيره هامان له، لم يُرْ بناءً أعلى منه، وأنه كان مبنياً من الأجر المشوي بالنار، ولهذا قال: ﴿ فَأَوْقَدَ لِي يَنْهَمِنُ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا ﴾ . وعند [١٦٢/١] أهل الكتاب^(٢) أن بنى إسرائيل كانوا يُسَخَّرُونَ فِي ضَرْبِ اللَّيْلِ، وكان مَّا حُمِّلُوا مِنَ التَّكَالِيفِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ أَنَّهُمْ لَا يُسَاعِدُونَ عَلَى شَيْءٍ مَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِيهِ، بل كانوا هم الذين يَجْمَعُونَ تَرَابَهُ وَتَيْبَتَهُ وَمَاءَهُ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ قِسْطَ مَعِينٍ، إن لم يفعلوه وإلا ضُربوا وأهينوا غاية الإهانة، وأودوا غاية الأذية . ولهذا قالوا لموسى: ﴿ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ، فوعدهم بأن العاقبة لهم على القبيط، وكذلك وقع، وهذا من دلائل النبوة .

ولتزوج إلى نصيحة المؤمن وموعظته واحتجاجه، قال الله تعالى^(٣): ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْقُومُ أَنْبِئُونَ أهدِكُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَنْقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفَكَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غانر: ٣٨-٤٠] . يدعوهم، رضى الله عنه، إلى طريق الرِّشَادِ والحَقِّ، وهى مُتَابَعَةُ نَبِيِّ اللَّهِ

(١) تفسير الطبرى ٧٧/٢٠، قصص الأنبياء للتعلى ص ١٦٧، التفسير ٢٤٨/٦ .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ١٤/١ .

(٣) التفسير ١٣٤/٧ .

موسى ، وتصديقه فيما جاء به من ربه ، ثم زهدهم فى الدنيا الدنية الفانية المنقضية لا محالة ، ورغبتهم فى طلب الثواب عند الله ، الذى لا يضيع عمل عامل لديه ، القدير الذى ملكوت كل شىء بيده ، الذى يعطى على القليل كثيرا ، ومن عدله لا يجازى على السيئة إلا مثلها . وأخبرهم أن الآخرة هى دار القرار ، التى من وافاها مؤمنا قد عمل الصالحات ، فلهم الجنات العليات ، والعرف الآمنا ، والخيرات الكثيرة الفائقات ، والأزواق الدائمة التى لا تبيد ، والخير الذى كل ما لهم منه فى مزيد .

ثم شرع فى إبطال ما هم عليه ، وتخويلهم بما يصيرون إليه ، فقال ^(١) :

﴿ وَتَقَوْمَ مَا لِيِ أَذْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٤١) تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَذْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقْبَرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآبِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِتَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

[غافر : ٤١ - ٤٦] . كان يدعوهم إلى عبادة رب السموات والأرض ، الذى يقول للشىء : كُنْ . فيكون ، وهم يدعوونه إلى عبادة فرعون الجاهل الضال الملعون ، ولهذا قال [١٦٣/١] لهم على سبيل الإنكار : ﴿ وَتَقَوْمَ مَا لِيِ أَذْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٤١) تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي

(١) التفسير ٧/ ١٣٥ - ١٣٨ .

بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿١٠٠﴾ ، ثُمَّ بَيْنَ لَهُمْ بُطْلَانَ مَا هُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ عِبَادَةِ مَا سِوَى اللَّهِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ مِنْ نَفْعٍ وَلَا إِضْرَارٍ .
 فَقَالَ : ﴿ لَا جُرْمَ أَنَّمَا تَدْعُونََنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ
 وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ ﴿١٠١﴾ أَيْ ؛ لَا تَمْلِكُ
 تَصْرُفًا (١) وَلَا حُكْمًا (٢) فِي هَذِهِ الدَّارِ ، فَكَيْفَ تَمْلِكُهُ يَوْمَ الْقَرَارِ ؟ وَأَمَّا اللَّهُ ، عَزَّ
 وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ لِلْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ ، وَهُوَ الَّذِي أَحْيَا الْعِبَادَ وَبَيَّضَهُمْ
 وَبَيَّضَهُمْ ، فَيُدْخِلُ طَائِعَهُمُ الْجَنَّةَ ، وَعَاصِيَهُمُ النَّارَ . ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ إِنْ هُمْ اسْتَمْتَرُوا
 عَلَى الْعِنَادِ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ
 اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَوَقَدْنَا اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا
 مَكَرُوا ﴾ ﴿١٠٢﴾ أَيْ ؛ يَنْكَارُهُ سَلِيمٌ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ ،
 وَمَكْرِهِمْ فِي صُدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، بِمَا أَظْهَرُوا لِلْعَامَّةِ مِنَ الْخِيَالَاتِ وَالْمِحَالَّاتِ
 الَّتِي لَبَسُوا بِهَا عَلَى عَوَامِهِمْ وَطَغَامِهِمْ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ وَخَاقٍ ﴾ ﴿١٠٣﴾ أَيْ ؛ أَحَاطَ
 ﴿ يُقَالُ فَرَعَوَنَ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿١٠٤﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ﴿١٠٤﴾ أَيْ ؛
 تُعْرَضُ أَرْوَاحُهُمْ فِي بَرُوزِهِمْ صَبَاحًا وَمَسَاءً عَلَى النَّارِ ، ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ
 أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ ﴿١٠٥﴾ ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى دَلَالَةِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى
 عَذَابِ الْقَبْرِ فِي « التَّفْسِيرِ » (١) . وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُهْلِكْهُمْ إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجُجِ عَلَيْهِمْ ، وَإِرْسَالِ
 الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ ، وَإِزَاحَةِ الشُّبُهَةِ عَنْهُمْ ، وَأَخْذِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ ، فَبِالْتَّوْهِيْبِ تَارَةً

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) التفسير ١٣٦/٧ - ١٣٨ .

والترغيبِ أخرى، كما قال تعالى ^(١) : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ
 وَنَقِصَ مِنَ الشَّمْرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ
 وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ آلَآءِ إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عَنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٣﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ
 بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٤﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَافِعَ وَالْدَّمَ ۗ آيَاتٍ
 مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٥﴾ [الأعراف: ١٣٠-١٣٣]. يخبرُ تعالى
 أنه ابتلى آلَ فرعونَ، وهم قومه من القبط، بالسنين، وهي أعوام الجذب التي لا
 يُستغل فيها زرعٌ، ولا يُنتفع بضرع. وقوله: ﴿وَنَقِصَ مِنَ الشَّمْرَاتِ﴾ وهي
 قلة الثمار من الأشجار، ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ أي؛ فلم ينتفعوا ولم يزغوا،
 بل تمردوا واستمروا على كفرهم وعنادهم، ﴿فَإِذَا﴾ [١٦٣/١ ط] جَاءَتْهُمْ
 الْحَسَنَةُ ﴿وهو الخصب ونحوه﴾ قَالُوا لَنَا هَذِهِ. ﴿أي؛ هذا الذي
 نَسَحَقَهُ، وهذا الذي يليق بنا،﴾ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ
 مَعَهُ ۗ ﴿أي؛ يقولون هذا؛ بشؤمهم أصابنا هذا. ولا يقولون في الأول: إنه
 بركتهم وحسن مجاورتهم، ولكن قلوبهم منكرة مُسْتَكْبِرَةٌ نافرة عن الحق، إذا
 جاء الشرُ أسندوه إليه، وإن رأوا خيرا ادَّعوه لأنفسهم. قال اللهُ تعالى: ﴿آلَآءِ
 إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عَنْدَ اللَّهِ﴾ أي؛ اللهُ يَجْزِيهِمْ على هذا أَوْفَرَ الجزاءِ ﴿وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٣﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ
 بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي؛ مَهْمَا جِئْتَنَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ، وهي الخوارق للعادات، فَلَسْنَا
 نُؤْمِنُ بِكَ وَلَا نَتَّبِعُكَ وَلَا نُطِيعُكَ وَلَوْ جِئْتَنَا بِكُلِّ آيَةٍ. وهكذا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ فِي

(١) التفسير ٤٥٧/٣ - ٤٦٢.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ
كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿ [يونس: ٩٦، ٩٧]. قال الله تعالى:
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ .

أما الطوفان، فعن ابن عباس: هو كثرة الأمطار المثقلة للزروع والثمار. وبه
قال سعيد بن جبير، وقتادة، والشدي، والضحاك. وعن ابن عباس، وعطاء:
هو كثرة الموت. وقال مجاهد: الطوفان الماء، والطاعون على كل حال. وعن
ابن عباس: أمر طاف بهم^(١). وقد روى ابن جرير وابن مَزْدَوَيْهِ^(٢)، من طريق
يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحكم بن ميثاء، عن
عائشة، عن النبي ﷺ: «الطوفان الموت» وهو غريب.

وأما الجراد فمعروف. وقد روى أبو داود^(٣)، عن أبي عثمان، عن سلمان
الفارسي، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجراد، فقال: «أكثر جنود الله، لا
أكله ولا أحرّمه». وتروك النبي ﷺ أكله إنما هو على وجه التقدير له؛ كما ترك
أكل الضب^(٤)، وتنزه عن أكل البصل والثوم والكراث^(٥)، لما ثبت في

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري في تفسيره ٣٠/٩، ٣١. وانظر الدر المنثور ١٠٨/٣، والتفسير ٤٥٨.

(٢) الطبري في تفسيره ٣١/٩. وذكره في الدر المنثور ١٠٨/٣ وعزاه إلى ابن مردويه. وقال الحافظ ابن
حجر في الفتح ٣٠٠/٨: وعند ابن مردويه بإسنادين ضعيفين عن عائشة. وانظر تفسير ابن جرير بتحقيق
أحمد شاكر ٥١/١٣ حاشية (١).

(٣) أبو داود (٣٨١٣). (ضعيف أبي داود ٨١٩).

(٤) البخاري (٥٥٣٦)، مسلم (١٩٤٣).

(٥) البخاري (٨٥٥)، مسلم (٥٦٤).

«الصحيحين»^(١)، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: غَزَوْنَا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ سبعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ الجِرَادَ. وقد تكلّمنا على ما ورد فيه من الأحاديث والآثار في «التفسير»^(٢).

والمقصودُ أنه استاق خَضْرَاءَهُمْ، فلم يترك لهم زُرُوعًا ولا ثِمَارًا، ولا سَبَدًا ولا لَبَدًا^(٣).

وأما القُمَّلُ، فعن ابنِ عباسٍ: هو الشُّوسُ الذي يَخْرُجُ من الخِطْبَةِ، وعنه، أنه الجِرَادُ الصَّغَارُ الذي لا أجنحةَ له. وبه قال مُجاهدٌ، وعِكرمةٌ، وقَتادةٌ. وقال سعيدُ بنُ جبَّيرٍ، والحسنُ: هو [١٦٤/١] دَوَابُّ سُودَ صِغَارٍ. وقال عبدُ الرحمنِ ابنُ زَيدٍ بنِ أسَلَمَ: هي البراغيثُ. وحكى ابنُ جريرٍ عن أهلِ العريَّةِ^(٤) أنها الحَمَنَانُ. وهي صِغَارُ القِرْدَانِ، فَوْقَ القَمَقَمَةِ^(٥)، فدخَل معَهم البيوتُ والفُرُشُ، فلم يَقْرَ لهم قرارٌ، ولم يُمكنَهم معه الغَمُضُ ولا العيشُ. وفسره عطاءُ ابنُ السائبِ بهذا القُمَّلِ المعروفِ. وقرأها الحسنُ البصرىُّ كذلك بالتَّخْفِيفِ^(٦).

وأما الضَّفَادِعُ فَمَعْرُوفَةٌ، لَيْسَتْهُمْ حتى كانت تَسْقُطُ في أَطْعِمَاتِهِمْ وأوانيهِمْ، حتى إن أحدهم إذا فتح فَمَهُ لطعامٍ أو شرابٍ، سقطت في فيه ضِفْدَعَةٌ من تلك الضَّفَادِعِ.

(١) البخارى (٥٤٩٥)، مسلم (١٩٥٢).

(٢) التفسير ٤٥٨/٣ - ٤٦١.

(٣) ولا سَبَدًا ولا لَبَدًا أى؛ ولا قليلاً ولا كثيراً.

(٤) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢٢٦/١.

(٥) القمقام: صغار القردان، وضرب من القمل شديد التشبث بأصول الشعر. واحدها قمقامة. اللسان

(ق م م).

(٦) تفسير الطبرى ٣٢/٩، ٣٣. التفسير ٤٦١/٣. وانظر الدر المنثور ١١٠/٣.

وأما الدَّم فكان قد مُزِجَ ماؤهم كله به ، فلا يَسْتَقُون من التَّيْلِ شَيْئًا إلا وجدوه دَمًا عَيْبًا^(١) ، ولا من نهرٍ ولا بئرٍ ولا شَيْءٍ إلا كان دَمًا في الساعةِ الرَّاهِنَةِ . هذا كله ، ولم يَنْتَلِ بنى إسرائيلَ من ذلك شَيْءٌ بالكليةِ . وهذا من تمامِ المعجزةِ الباهرةِ ، والحُجَّةِ القاطعةِ أنَّ هذا كله يَحْصُلُ لهم عن فعلِ موسى ، عليه السلامُ ، فيتألَّهُم عن آخرِهِم ، ولا يَحْصُلُ هذا لأحدٍ من بنى إسرائيلَ ، وفي هذا أدلُّ دليلٍ .

قال محمدُ بنُ إسحاق^(٢) : فرجع عدوُّ اللهِ فرعونُ حينَ آمَنَتِ السَّحْرَةُ مغلوبًا مَقْلُوبًا ، ثُمَّ أتَى إِلا الإِقَامَةَ على الكُفْرِ والتَّمَادِي في الشَّرِّ ، فتابعَ اللهُ عليه بالآياتِ ، فأخذَه بالسَّنِينِ ، فأرْسَلَ عليه الطُّوفَانَ ،^(٣) ثُمَّ الجَرَادَ ، ثُمَّ القُمَّلَ ، ثُمَّ الضَّفَادِعَ ، ثُمَّ الدَّمَ آياتٍ مُفْصَلَاتٍ ؛ فأرْسَلَ الطُّوفَانَ^(٤) - وهو الماءُ - ففاض على وجهِ الأرضِ ، ثُمَّ رَكَدَ ، لا يَقْدِرُونَ على أن يَخْرُثُوا^(٥) ولا أن يَغْمَلُوا شَيْئًا ، حتى جُهِدُوا جُوعًا ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذلك ، ﴿ وَكَلَّمَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤] . فدعا موسى رَبَّهُ ، فكشَفَه عنهم ، فلم يَفُوا له بِشَيْءٍ ، فأرْسَلَ اللهُ عليهم الجَرَادَ ، فأكَل الشَّجَرَ ، فيما بَلَغَنِي ، حتى إن كان لِيَأْكُلُ مساميرَ الأبوابِ مِنَ الحديدِ ، حتى تَفَعَّ دورُهُم ومساكنُهُم ، فقالوا مثلَ ما قالوا ،^(٦) فدعا رَبَّهُ فكشَفَ عنهم ، فلم يَفُوا له بِشَيْءٍ مِمَّا قالوا^(٧) ، فأرْسَلَ اللهُ عليهم القُمَّلَ ، فذَكَرَ لِي أنَّ موسى ، عليه السلامُ ، أَمَرَ أن يَمْشِيَ إلى كَيْسِبٍ حتى يَضْرِبَهُ بِعَصَاهُ ، فَمَشَى إلى كَيْسِبٍ أَهْيَلٍ عَظِيمٍ ، فَضْرَبَهُ بِهَا ، فانتال

(١) عَيْبًا أى طرِبًا .

(٢) تفسير الطبري ٣٧/٩ . والتفسير ٤٦٢/٣ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) كذا في الأصل ، والطبري ، والتفسير . وفي باقى النسخ : « يخرجوا » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

عليهم قُمَّلاً ، حتى غلب على البيوت والأطعمة ، ومنعهم النوم والقرار ، فلما جهدهم ، قالوا له مثل ما قالوا له ، فدعا ربّه ، فكشف عنهم ، فلم يَقُوا له بشيءٍ ممّا قالوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فَمَلَأَتِ البيوت والأطعمة والآنية ، فلم يَكْشِفْ أحدٌ ثوبًا ولا طعامًا إلا وَجَد فيه الضفادع قد غلبت عليه ، فلما جهدهم ذلك ، قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربّه ، فكشف عنهم ، فلم يَقُوا له ^(١) بشيءٍ ممّا قالوا ، فأرسل الله عليهم الدَّم [١٦٤/١] فصارت مياه آلِ فِرْعَوْنَ دَمًا ، لا يَسْتَقُونَ من بغير ، ولا نَهْرٍ ولا ^(٢) يَغْتَرِفُونَ من إناءٍ ، إلا عادَ دَمًا عَيْطًا . وقال زيدُ ابنُ أسلمٍ : المرادُ بالدَّم الرِّعافُ . رواه ابنُ أبي حاتمٍ ^(٣) .

قال الله تعالى ^(٤) : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشِفتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُم فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ [الأعراف : ١٣٤ - ١٣٦] . يُخْبِرُ تعالى ، عن كفرهم ، وعُتُوهم ، واستمرارهم على الضلال والجهل ، والاستكبار عن اتباع آيات الله ، وتصديق رسوله ، مع ما أُيِّد به من الآيات العظيمة الباهرة ، والحُججِ البليغة القاهرة ، التي أراها الله إياها عيانًا ، وجعلها عليهم دليلًا وبُرهانًا ، وكلما شاهدوا آيةً وعايئوها ، وجهدتهم وأضنكتهم ، حَلَفُوا وعاهدوا موسى ؛ لَئِن كَشَفَ عنهم

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) سقط من : ح ، م ، ص .

(٣) رواه ابن جرير ٣٩/٩ . وعزاه في الدر ١١٠/٣ إلى ابن أبي حاتم . وانظر التفسير ٤٦٣/٣ .

(٤) التفسير ٤٦٢/٣ ، ٤٦٣ .

هذه، لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ، وَلِيُرْسِلُنَّ مَعَهُ مَنْ هُوَ مِنْ حِزْبِهِ، فَكَلَّمَا رُفِعَتْ عَنْهُمْ تِلْكَ
الآيَةُ، عَادُوا إِلَى شَرِّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَلَمْ
يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً أُخْرَى، هِيَ أَشَدُّ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَهَا وَأَقْوَى،
فَيَقُولُونَ، فَيَكْذِبُونَ. وَيَعْدُونَ وَلَا يَفُونَ ﴿٤٦﴾ لَيْسَ كَشَفَتْ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ
لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٤٧﴾ فَيُكْشَفُ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَذَابُ الْوَيْلُ.
ثُمَّ يَعْوِدُونَ إِلَى جَهْلِهِمُ الْعَرِضِ الطَّوِيلِ. هَذَا، وَالْعَظِيمُ الْحَلِيمُ الْقَدِيرُ يُنْظِرُهُمْ
وَلَا يَعْجَلُ عَلَيْهِمْ، وَيُؤَخِّرُهُمْ وَيَتَقَدَّمُ بِالْوَعِيدِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ - بَعْدَ إِقَامَةِ
الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَالْإِعْذَارِ^(١) إِلَيْهِمْ - أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ، فَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً، وَنَكَالًا
وَسَلْفًا لِمَنْ أَشْبَهَهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَمَثَلًا لِمَنْ اتَّعَظَ بِهِمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

وقال الله تبارك وتعالى، وهو أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ، فِي سُورَةِ «حَم وَالْكَتَابِ
الْمَبِينِ»^(٢): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي
رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ
آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا
يَتَأْتِيهِ السَّحَابُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي
مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَرَأَى أَنَا خَيْرٌ مِّنْ
هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْفِي عَلَيْهِ أَسْوَرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ
مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَنسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا [١/١٦٥]

(١) فِي ح، م: (الْإِنْدَار).

(٢) التفسير ٢١٧/٧ - ٢١٩.

﴿ ٥٥ ﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿ [الزخرف: ٤٦ - ٥٦] .

يَذُكُرُ تَعَالَى إِرسَالَهُ عَبْدَهُ الْكَلِيمَ الْكَرِيمَ ^(١) ، إِلَى فِرْعَوْنَ الْخَسِيسِ اللَّئِيمِ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَيْدَ رَسُولِهِ بِآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَاضِحَاتٍ ، تَسْتَحِقُّ أَنْ تُقَابَلَ بِالتَّصْدِيقِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَأَنْ يُؤْتَدَعُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَيَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَإِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ، وَبِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ، وَعَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَصُدُّونَ ، وَعَنْ الْحَقِّ يَجِيدُونَ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ تَثْرَى ، يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَكُلُّ آيَةٍ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ^(٢) الَّتِي تَتْلُوها ؛ لِأَنَّ الْمُؤَكَّدَ ^(٣) أْبْلَغُ مِمَّا قَبْلَهُ ، ﴿ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿ ٤٨ ﴾ وَقَالُوا يَتَأَيَّهَ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿ ، لَمْ يَكُنْ لَفْظُ السَّاحِرِ فِي زَمَانِهِمْ نَقْصًا وَلَا عَيْبًا ؛ لِأَنَّ عِلْمَاءَهُمْ ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، هُمُ السَّحَرَةُ ؛ وَلِهَذَا خَاطَبُوهُ بِهِ فِي حَالِ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِ ، وَضَرَاعَتِهِمْ لَدَيْهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ تَبَجُّحِ فِرْعَوْنَ بِمُلْكِهِ ، وَعَظَمَةِ بَلَدِهِ وَحُسْنِهَا ، وَتَخَرُّقِ الْأَنْهَارِ فِيهَا ، وَهِيَ الْخَلْجَانُ الَّتِي يَكْسِرُونَهَا أَمَامَ زِيَادَةِ النَّيْلِ ، ثُمَّ تَبَجُّحِ بِنَفْسِهِ وَجَلِيَّتِهِ ، وَأَخَذَ يَنْتَقِصُ رَسُولَ اللَّهِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيُزْدِرِيهِ بِكَوْنِهِ ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ يَعْنِي كَلَامَهُ ، بِسَبَبِ مَا كَانَ فِي لِسَانِهِ مِنْ بَقِيَّةِ تِلْكَ اللَّتْعَةِ ، الَّتِي هِيَ شَرَفٌ لَهُ ، وَكَمَالٌ وَجَمَالٌ ، وَلَمْ تَكُنْ مَانِعَةً لَهُ أَنْ كَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ ، وَأَنْزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ التَّورَةَ عَلَيْهِ ، وَتَنَقَّصَهُ فِرْعَوْنُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، بِكَوْنِهِ لَا

(١) زيادة من : ح ، م .

(٢) زيادة من : الأصل .

(٣) في ح ، م ، ص : (التوكيد) .

أساورَ في يديه^(١) ولا زينةَ عليه، وإنما ذلك من جليّة النسياء، لا يليقُ بشهامية الرجال، فكيف بالرُّسل الذين هم أكملُ عقلاً، وأتمُّ معرفةً، وأعلى همةً، وأزهدُ في الدنيا، وأعلمُ بما أعدَّ اللهُ لأوليائه في الآخرة. وقوله: ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ لا يحتاج الأمرُ إلى ذلك، إن كان المرادُ أن تعظّمه الملائكة. فالملائكة يُعظّمون ويتواضعون لمن هو دونَ موسى، عليه السّلام، بكثيرٍ، كما جاء في الحديث: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضَى بِمَا يَصْنَعُ»^(٢). فكيف يكونُ تواضعُهم وتعظيمُهم لموسى الكليم، عليه الصّلاة والتّسليم والتّكريم؟ وإن كان^(٣) المرادُ شهادتهم له بالرسالة، فقد أُيد من المعجزاتِ بما يدلُّ قطعاً لذوى الألباب، ولمن قصد إلى الحقِّ والصّواب، ويعمى عما جاء به من البيّنات والحُجج الواضحات، من نظَرَ إلى القُشور، وتركَ لبّ اللباب، وطبع على قلبه ربُّ الأرباب، وختَم عليه بما فيه [١٦٥/١ظ] من الشُّكِّ والازتياب، كما هو حالُ فِرْعَوْنَ الْقِبْطِيِّ العَمِيِّ الكذّاب، قال اللهُ تعالى: ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ﴾ أي؛ استخفَّ عقولهم، ودرّجهم من حالٍ إلى حالٍ، إلى أن صدّقوه في دَعْوَاهِ الرُّبُوبِيَّةِ، لعنه اللهُ وقبحهم، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فَسِقِينَ﴾. ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أي؛ أغضبونا؛ ﴿أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي؛ بالغرَق، والإهانة، وسلبِ العِزِّ، والتبذُّلِ بالذُّلِّ وبالعدّابِ بعدَ النُّعمَةِ، والهوانِ بعدَ الرِّفاهِيَّةِ، والثَّارِ بعدَ طيبِ العَيْشِ، عياداً باللَّهِ العَظِيمِ وسلطانِهِ القَدِيمِ مِنْ ذَلِكَ، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ أي؛ لِمَنْ اتَّبَعَهُمْ فِي الصِّفَاتِ، ﴿وَمَثَلًا﴾ أي؛ لِمَنْ اتَّعَظَّ بِهِمْ، وَخَافَ مِنْ وَبِيلِ

(١) في ح، م، ص: «بدنه».

(٢) تقدم تخريجه ١٢٤/١.

(٣) بعده في الأصل، ح: «إنما».

مَضْرَعِهِمْ، مِمَّنْ بَلَغَهُ جَلِيلُهُ خَيْرِهِمْ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١): ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأُولَىٰ﴾ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَحْذَنَّهُ وَجُنُودُهُ فَنَبَذْنَهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ [القصاص: ٣٦ - ٤٢].

يُخَيِّرُ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَمَّا اسْتَكْبَرُوا عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَادَّعَىٰ مَلِكُهُمُ الْبَاطِلَ، وَوَأَفْقَاهُ عَلَيْهِ، وَأَطَاعُوهُ فِيهِ، اسْتَدَّ غَضَبُ الرَّبِّ الْقَدِيرِ الْعَزِيزِ، الَّذِي لَا يُعَالَبُ وَلَا يُمَانَعُ، عَلَيْهِمْ، فَانْتَقَمَ مِنْهُمْ أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ، وَأَغْرَقَهُ هُوَ وَجُنُودَهُ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يَقْلِبْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَلَمْ يَتَّقَ مِنْهُمْ دَبَّارًا، بَلْ كُلُّ قَدِّ غَرِقَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ لَعْنَةَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِشَسِّ الرَّفْدِ الْمَرْفُودِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ.

(١) التفسير ٦/٢٤٧، ٢٤٨.

ذَكَرُ^(١) هَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَجَنُودِهِ

لَمَّا تَمَادَى قِبْطُ مِصْرَ عَلَى كَفْرِهِمْ، وَعَتَوْهُمْ، وَعَنَادِهِمْ، مَتَابَعَةً لِلْمَلِكِهِمْ فِرْعَوْنَ، وَمُخَالَفَةً لِنَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَلِيمِهِ، مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَقَامَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ الْحُجَجَ الْعَظِيمَةَ الْقَاهِرَةَ، وَأَرَاهِمُ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ مَا بَهَّرَ الْأَبْصَارَ وَخَيَّرَ الْعُقُولَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَزْعَوُونَ، وَلَا يَنْتَهُونَ، وَلَا يَنْزِعُونَ^(٢)، وَلَا يَزِجِعُونَ، وَلَمْ يُؤْمَرْ [١٦٦/١] مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ، قِيلَ: ثَلَاثَةٌ؛ وَهُمْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ، وَلَا عِلْمَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ بِخَيْرِهَا، وَمُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ، الَّذِي تَقَدَّمَ حِكَايَةُ مَوْعِظَتِهِ، وَمَشُورَتِهِ، وَحُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَالرَّجُلُ النَّاصِحُ، الَّذِي جَاءَ يَسْعَى مِنَ أَقْصَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: ﴿يَلْمُوسَىٰ إِنَّكَ الْأَمَلَاءُ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِتَقْتُلُوهُ فَأَخْرَجْنَاكَ مِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ^(٣). وَمُرَادُهُ غَيْرُ السَّحْرَةِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْقِبْطِ. وَقِيلَ: بَلْ آمَنَ بِهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْقِبْطِ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَالسَّحْرَةُ كُلُّهُمْ، وَجَمِيعُ شَعْبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَبَدَّلَ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: ٨٣]. فَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ عَائِدٌ عَلَى فِرْعَوْنَ؛

(١) زيادة من: الأصل.

(٢) في الأصل: «يقترعون». وفي ١: «يفزعون».

(٣) تقدم تخريجه في ص ٨٤.

لأنَّ السِّيَاقَ يَدُلُّ عَلَيْهِ . وَقِيلَ : عَلَى مُوسَى ؛ لِقُرْبِهِ . وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ ، كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي «التَّفْسِيرِ»^(١) . وَإِيْمَانُهُمْ كَانَ خُفْيَةً ؛ لِخَافَتِهِمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَسَطَوْتِهِ ، وَجَبْرُوتِهِ وَسُلْطَتِهِ ، وَمِنْ مَالِهِمْ أَنْ يَنْهَوْا عَلَيْهِمْ إِلَيْهِ ، فَيَفْتِنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا : ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ . أَيْ ؛ جَبَّارٌ ، عَنِيدٌ ، مُسْتَعْلٍ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، ﴿ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أَيْ ؛ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَشَعُونِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَلَكِنَّهُ جُرْثُومَةٌ قَدْ حَانَ انْجِعَافُهَا ، وَثَمَرَةٌ خَبِيثَةٌ قَدْ آنَ قِطَافُهَا ، وَمُهْجَةٌ مَلْعُونَةٌ قَدْ حُجِمَ انْتِلافُهَا . وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ مُوسَى^(٢) : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾^(٣) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿ [يونس : ٨٤ - ٨٦] . يَأْمُرُهُم بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ وَالتَّجَاؤِ إِلَيْهِ ، فَاتَّمَرُوا بِذَلِكَ ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ فَرَجًا وَمَخْرَجًا . ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، أَنْ يَتَّخِذَا لِقَوْمِهِمَا بُيُوتًا مُتَمَيِّزَةً فِيمَا بَيْنَهُمْ عَنْ بُيُوتِ الْقَبِيلِ ؛ لِيَكُونُوا عَلَى أَهْبَةِ مِنَ الرَّحِيلِ ، إِذَا أَمُرُوا بِهِ ، لِيَعْرِفَ بَعْضُهُمْ بُيُوتَ بَعْضٍ . وَقَوْلُهُ^(٤) : ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ قِيلَ : مَسَاجِدَ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ كَثْرَةُ الصَّلَاةِ فِيهَا . قَالَهُ مُجَاهِدٌ ، وَأَبُو مَالِكٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ ، وَالرَّبِيعُ ، وَالصُّحَّاحُ ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، وَابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَغَيْرُهُمْ^(٥) .

(١) التفسير ٤/٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢) التفسير ٤/٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) التفسير ٤/٢٢٤ .

(٤) انظر تفسير الطبري ١١/١٥٣ - ١٥٥ . والتفسير ٤/٢٢٤ .

ومعناه على هذا، الاستعانة على ما هم فيه من الضّر، والشّدّة، والضّيق، بكثرة الصّلاة؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ صَلَّى^(١). وقيل: معناه أنهم لم يكونوا حينئذٍ يقدّرون على إظهار عبادتهم في مجتمعاتهم، ومعابدهم، فأمرُوا أَنْ يُصَلُّوا فِي بُيُوتِهِمْ، عَوَضًا عَمَّا فَاتَهُمْ مِنْ إِظْهَارِ شِعَارِ الدِّينِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، الَّذِي اقْتَضَى حَالَهُمْ إِخْفَاءَهُ؛ خَوْفًا مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَيْهِ. والمعنى الأول أقوى؛ لقوله: ﴿وَنَشِرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإن كان لا يُنَافِي الثَّانِي أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وقال سعيد بن جبير^(٢)، ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي: متقابلة.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَةَ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمْ فَأَسْتَقِيمَا وَلَا نَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ [يونس: ٨٨، ٨٩]. هذه دعوة عظيمة، دعا بها كليثم الله موسى، على عدو الله فرعون؛ غضبًا لله عليه، لتكثيره عن اتباع الحق، وصدّه عن سبيل الله، ومعاندته، وعتوه، وتمرّده، واستمراره على الباطل، ومكابرتة الحق الواضح الجليّ الحسيّ والمعنويّ، والبرهان القطعيّ، فقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ﴾ يعني: قومه من القبط، ومن كان على ملّته، ودانَ بيديه ﴿زِينَةَ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ

(١) رواه أبو داود (١٣١٩) من حديث حذيفة. حديث حسن (صحيح أبي داود ١١٧١).

(٢) تفسير الطبري ١١/١٥٥. والتفسير ٤/٢٢٤.

(٣) التفسير ٤/٢٢٥، ٢٢٦.

سَبِيلِكَ ﴿٢٦﴾ أَي ؛ وَهَذَا يَعْتَرُ بِهِ مَنْ يُعْظِمُ أَمْرَ الدُّنْيَا ، فَيُحْسَبُ الْجَاهِلُ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ؛ لَكُونِ هَذِهِ الْأَمْوَالِ ^(١) ، وَهَذِهِ الزُّيْنَةُ ؛ مِنَ اللَّبَاسِ ، وَالْمَرَائِبِ الْحَسَنَةِ ، الْهَيْئَةِ ، وَالذُّورِ الْأَيْقَةِ ، وَالْقُصُورِ الْمُنِيئَةِ ، وَالْمَأْكَلِ الشَّهِيئَةِ ، وَالْمَنَاظِرِ الْبَهِيئَةِ ، وَالْمُلْكِ الْعَزِيزِ ، وَالتَّمْكِينِ ، وَالْجَاهِ الْعَرِيضِ ، فِي الدُّنْيَا لَا الدِّينِ ، ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدٌ . أَي ؛ أَهْلِكْهَا . وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ ، وَالضُّحَّاكُ : اجْعَلْهَا حِجَارَةً مَنْقُوشَةً كَهَيْئَةِ مَا كَانَتْ . وَقَالَ قَتَادَةُ : بَلَّغْنَا أَنَّ زُرُوعَهُمْ صَارَتْ حِجَارَةً . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : جَعَلَ سُكْرَهُمْ حِجَارَةً ^(٢) . وَقَالَ أَيْضًا : صَارَتْ أَمْوَالُهُمْ كُلُّهَا حِجَارَةً . ذُكِرَ ذَلِكَ لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِعَلَّامٍ لَهُ : أَتَيْتَنِي بِبَكِيْسٍ . فَجَاءَهُ بِبَكِيْسٍ ، فَإِذَا فِيهِ حِمَصٌ وَبَيْضٌ ^(٣) قَدْ قُطِعَ ^(٤) ، قَدْ حُوِّلَ حِجَارَةً . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(٥) . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَسَدُّدُ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَي ؛ أَطْبَعُ عَلَيْهَا . وَهَذِهِ دَعْوَةٌ غَضِبَ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِدِينِهِ ، وَلِبِرَاهِينِهِ ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا ، وَحَقَّقَهَا ، وَتَقَبَّلَهَا ؛ كَمَا اسْتَجَابَ لِنُوحٍ فِي قَوْمِهِ ، حَيْثُ قَالَ [١٦٧/١] : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦ ، ٢٧] . وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى ، مَخَاطِبًا لِمُوسَى ، حِينَ دَعَا عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، وَأَمَّنَ أَخُوهُ هَارُونَ عَلَى دَعَائِهِ ، فَتَنَزَّلَ ذَلِكَ مَنْزِلَةً الدَّاعِي أَيْضًا : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْأَمْوَالُ » .

(٢) انظُرْ هَذِهِ الْأَقْوَالَ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ١٩ / ١٥٧ ، ١٥٨ . وَالتَّفْسِيرِ ٤ / ٢٢٥ . وَالدَّر الْمَشْهُور ٣ / ٣١٥ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : م ، ص .

(٤) ذَكَرَهُ فِي الدَّر الْمَشْهُور ٣ / ٣١٥ وَعِزَاهُ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ . وَانظُرْ

التَّفْسِيرِ ٤ / ٢٢٥ .

دَعَوْتُكُمْ فَأَسْتَقِيمًا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب: استأذن بنو إسرائيل فرعون، في الخروج إلى عياد لهم، فأذن لهم وهو كاره، ولكنهم تجهزوا للخروج، وتأهبوا له، وإنما كان في نفس الأمر مكيده بفرعون وجنوده؛ ليتخلصوا منهم، ويخرجوا عنهم، وأمرهم الله تعالى - فيما ذكره أهل الكتاب - أن يشتعروا حليًا منهم، فأعازوهم شيئًا كثيرًا، فخرجوا بليل، فساؤوا مستمرين ذاهبين من قورهم، طالين بلاد الشام، فلما علم بذهابهم فرعون، حيق عليهم كل الحق، واشتد غضبه عليهم، وشرع في استحاث جيشه، وجمع جنوده ليحققهم، ويحققهم، قال الله تعالى^(١): ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْفَيْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِزٌ الرَّجِيمُ ﴿٦٨﴾ [الشعراء: ٥٢ - ٦٨]. قال علماء التفسير^(٢): لما ركب فرعون في جنوده، طالبًا بني إسرائيل، يقفوا أثرهم، كان في جيش كثيف عزمزم^(٣)،

(١) التفسير ٦/١٥١ - ١٥٥.

(٢) انظر تفسير الطبري ٧٤/١٩ وما بعدها. قصص الأنبياء للشعبي ص ١٧٣، ١٧٤. التفسير ٦/

١٥٣. الدر المنثور ٥/٨٤، ٨٥.

(٣) جيش عزمزم: كثير. الوسيط (ع ر م).

حتى قيل : كان في خيوله مائة ألف فخل أذهم . وكانت عِدَّة جنوده تزيد على ألف ألف ، وستمائة ألف . فالله أعلم . وقيل : إن بني إسرائيل كانوا نحوًا من ستمائة ألف مقاتل غير الذرية ، وكان بين خروجهم من مصر ضحبة موسى ، عليه السلام ، ودخولهم إليها ضحبة أبيهم إسرائيل ، أربعمائة سنة وست وعشرون سنة شمسية^(١) .

والمقصود أن فزعون لحقهم بالجنود ، فأذركهم عند شروق الشمس ، وتراعى الجمعان ، [١٦٧/١] ولم يبق ثم ربت ، ولا لبس ، وعان كل من الفريقين صاحبه ، وتحققه وآه ، ولم يبق إلا المقاتلة ، والمجاول^(٢) ، والحمامة ، فعندها قال أصحاب موسى ، وهم خائفون : ﴿ إِنَّا لَمَذْرُونَ ﴾ وذلك لأنهم اضطروا في طريقهم إلى البحر ، فليس لهم طريق ولا مخرج إلا سلوكة وخوضه ، وهذا ما لا يشتطعه أحد ، ولا يقدر عليه ، والجبال عن يشرتهم ، وعن أيانهم ، وهي شاهقة منيفة ، وفزعون قد غالقهم وواجههم ، وعانوه في جنوده وجيوشه وعدده وعدده ، وهم منه^(٣) في غاية الخوف والذعر ، لما قاسوا في سلطانه من الإهانة والتكبر ، فشكوا إلى نبي الله ما هم فيه ، بما قد شاهدوه وعانوه ، فقال لهم الرسول الصادق المصدوق : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ . وكان في الساقية ، فتقدم إلى المقدمة ، ونظر إلى البحر ، وهو يتلاطم بأواجه ، ويتزايد زبد أواجه ، وهو يقول : ههنا أمزت . ومعه أخوه هارون ؛ ويوشع بن نون ، وهو يومئذ من سادات بني إسرائيل ، وعلمائهم ،

(١) انظر ما تقدم ٤٩٩/١ ، ٥٠٠ .

(٢) في الأصل ، م : «المجادة» . وفي ص : «المجاول» .

(٣) في الأصل : «منهم» .

وَعُبَادِهِمُ الْكِبَارِ، وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا بَعْدَ مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَعَهُمْ أَيْضًا مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، وَهُمْ وَقُوفٌ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ بِكَمَالِهِمْ عَلَيْهِمْ عُكُوفٌ. وَيُقَالُ: إِنْ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ جَعَلَ يَقْتَحِمُ بِفَرَسِهِ مِرَاژًا فِي الْبَحْرِ، هَلْ يُمْكِنُ سُلُوكُهُ؟ فَلَا يُمْكِنُ، وَيَقُولُ لِمُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَهْنَأُ أَمْرًا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَلَمَّا تَفَاقَمَ الْأَمْرُ، وَضَاقَ الْحَالُ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ، وَاقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ وَجَنُودُهُ فِي جِدِّهِمْ، وَخَدَّهِمْ وَخَدِيدِهِمْ، وَغَضَبِهِمْ، وَخَنَقِهِمْ، وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَوْحَى الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْقَدِيرُ، رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ إِلَى مُوسَى الْكَلِيمِ: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾. فَلَمَّا ضَرَبَهُ، يُقَالُ: إِنَّهُ قَالَ لَهُ: انْفَلِقْ بِإِذْنِ اللَّهِ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَنَاهُ بِأَبِي خَالِدٍ^(١). فَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٢). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾. وَيُقَالُ: إِنَّهُ انْفَلَقَ اثْنَيْ عَشَرَ طَرِيقًا، لِكُلِّ سَبِيطٍ طَرِيقٌ يَسِيرُونَ فِيهِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ صَارَ أَيْضًا شَبَابِيكًا؛ لِيَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَفِي هَذَا نَظْرٌ؛ لِأَنَّ الْمَاءَ جِزْمٌ شَقَافٌ، إِذَا كَانَ مِنْ وَرَائِهِ ضِيَاءٌ حَكَاهُ. وَهَكَذَا كَانَ مَاءُ الْبَحْرِ قَائِمًا مِثْلَ الْجِبَالِ، مَكْفُوفًا بِالْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ الصَّادِرَةِ عَنِ الَّذِي [١٦٨/١] يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ. فَيَكُونُ. وَأَمَرَ اللَّهُ رِيحَ الدُّبُورِ، فَلَفَّحَتْ^(٣) حَالَ^(٤) الْبَحْرِ، فَأَذْهَبَتْهُ حَتَّى صَارَ يَابَسًا لَا يَتَلَقُّ فِي سَنَابِكِ الْخَيُْولِ وَالذُّوَابِ.

(١) فِي ح، م، ص: «خالد».

(٢) انظر تاريخ الطبري ١/٤١٣ - ٤١٥. قصص الأنبياء للتلميذ ص ١٧٥. التفسير ٦/١٥٣، ١٥٤.

(٣) فِي ح، م: «فلحقت». وَفِي ص: «فلحقت».

(٤) فِي ص: «جبال». وَالحال: الطين الأسود.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ
طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۖ ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ
فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۖ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ .

والمقصود أنه لما آل أمر البحر إلى هذه الحال، بإذن الرب العظيم الشديد
الحال، أمر موسى، عليه السلام، أن يجوزه ببني إسرائيل، فأنحدرُوا فيه مُسْرِعِينَ،
مُسْتَبْشِرِينَ، مُبَادِرِينَ، وقد شاهدُوا مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ مَا يُحَيِّرُ النَّاطِرِينَ، وَيَهْدِي
قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا جَاوَزُوهُ، وَجَاوَزَهُ وَخَرَجَ آخِرُهُمْ مِنْهُ، وَانْفَصَلُوا عَنْهُ، كَانَ
ذَلِكَ عِنْدَ قُدُومِ أَوَّلِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ إِلَيْهِ، وَوُفُودِهِمْ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ مُوسَى، عَلَيْهِ
السَّلَامُ، أَنْ يَضْرِبَ الْبَحْرَ بَعْصَاهُ، لِيُزَجَعَ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْيَمَّ لَيَكُونُ لِفِرْعَوْنَ
وَجُنُودِهِ وَصُولًا إِلَيْهِ، وَلَا سَبِيلًا عَلَيْهِ، فَأَمَرَهُ الْقَدِيرُ ذُو الْجَلَالِ، أَنْ يَتْرُكَ الْبَحْرَ عَلَى
هَذِهِ الْحَالِ، كَمَا قَالَ، وَهُوَ الصَّادِقُ فِي الْمَقَالِ ^(٢) .

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ
عِبَادِ اللَّهِ إِنَّي لَكَرُّهُمُ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَنِ مُبِينٍ
﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِي ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ
أَنْ هَتَّؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرِكِ الْبَحْرَ
رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَدَّ تَرْكَاؤُهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعْيُونِي ﴿٢٥﴾ وَرُزُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ
﴿٢٦﴾ وَنَعَمَ كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ
عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ

(١) التفسير ٣٠٠/٥، ٣٠١.

(٢) التفسير ٢٣٧/٧ - ٢٤١.

الْمُهَيَّنِ ﴿٢٦﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى
 عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَعَيْنْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ [الدخان :
 ١٧-٣٣]. فقوله تعالى : ﴿ وَأَتْرُكُ الْبَحْرَ رَهَوًّا ﴾ ﴿٣٠﴾ أى ؛ ساكتا على هيئته ، لا
 تغيّره عن هذه الصّفة . قاله عبدُ اللهِ بنُ عباس ، ومُجاهدٌ ، وعِكرمةٌ ، والرّبيعُ ،
 والضّحّاكُ ، وقتادةٌ ، وكعبُ الأحبارِ ، وسماكُ بنُ حزبٍ ، وعبدُ الرّحمنِ بنُ
 زيدِ بنِ أسلمٍ ، وغيرهم ^(١) . فلَمَّا تَرَكَه على هيئته وحالته ، وانتهى فِرْعَوْنُ ، فَرَأَى
 مَا رَأَى ، وَعَايَنَ مَا عَايَنَ ، هَالَهُ هَذَا الْمَنْظَرُ الْعَظِيمُ ، [١٦٨/١ ظ] وَتَحَقَّقَ مَا كَانَ
 يَتَحَقَّقُهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، مِنْ أَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ رَبِّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ، فَأَحْجَمَ وَلَمْ يَتَقَدَّمَ ،
 وَنَدِمَ فِي نَفْسِهِ عَلَى خُرُوجِهِ فِي طَلِبِهِمْ ، وَالْحَالَةُ هَذِهِ ، حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ التُّدْمُ ،
 لَكِنَّهُ أَظْهَرَ لَجَنُودَهُ تَجَلُّدًا ، وَعَامَلَهُمْ مَعَامَلَةَ الْعِدَا ، وَحَمَلْتَهُ التَّقْسُ الْكَافِرَةَ ،
 وَالسَّجِيَّةَ الْفَاجِرَةَ ، عَلَى أَنَّ قَالَ لِمَنْ اسْتَخَفَّهُمْ فَأَطَاعُوهُ ، وَعَلَى بَاطِلِهِ تَابَعُوهُ ^(٢) :
 انظُرُوا كَيْفَ انْحَسَرَ الْبَحْرُ لِي ؛ لِأَدْرِكَ عِبِيدِي الْآبِقِينَ مِنْ يَدِي ، الْخَارِجِينَ عَنِ
 طَاعَتِي وَبِلَدِي ؟ وَجَعَلَ يُورِي فِي نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ خَلْفَهُمْ ، وَيَرْجُو ^(٣) أَنْ يَنْجُو ،
 وَهَيْهَاتَ ، وَيُقَدِّمُ تَارَةً ، وَيُحْجِمُ تَارَاتٍ . فَذَكَرُوا أَنَّ جِبْرِيلَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
 تَبَدَّى فِي صُورَةِ فَارِسٍ ، رَاكِبٍ عَلَى رَمَكَةٍ حَائِلٍ ^(٤) ، فَمَرَّ بَيْنَ يَدَيْ فَحَلِ
 فِرْعَوْنَ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، فَحَمَحَمَ إِلَيْهَا ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا ، وَأَشْرَعَ جِبْرِيلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
 فَاقْتَحَمَ الْبَحْرَ ، وَاسْتَبَقَ الْجَوَادَ ، وَقَدْ أَجَادَ ، فَبَادَرَ مُسْرِعًا ، هَذَا وَفِرْعَوْنُ لَا يَمْلِكُ

(١) انظر تفسير الطبري ١٢١/٢٥ ، ١٢٢ . والتفسير ٢٣٨/٧ .

(٢) فى الأصل ، ص : «بايعوه» .

(٣) فى الأصل : «يجوز» . وفى ح : «يجور» .

(٤) رمكة حائل : فرس أنثى مشتهة غير حامل .

مِنْ نَفْسِهِ ^(١) وَلَا لِنَفْسِهِ ^(٢) ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْجُنُودُ قَدْ سَلَكَ الْبَحْرَ،
 اقْتَحَمُوا وَرَاءَهُ مُشْرِعِينَ، فَحَصَلُوا فِي الْبَحْرِ أَجْمَعِينَ أَكْتَبِعِينَ أَبْصِعِينَ، حَتَّى هَمَّ
 أَوْلَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى كَلِيمَهُ ﷺ فِيمَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ، أَنْ
 يَضْرِبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ، فَضْرَبَهُ، فَارْتَطَمَ ^(٣) عَلَيْهِمُ الْبَحْرُ كَمَا كَانَ، فَلَمْ يَنْجُ
 مِنْهُمْ إِنْسَانٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا
 الْآخَرِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ أَى فِي إِنْجَائِهِ أَوْلِيَائِهِ، فَلَمْ يَغْرُقْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَإِغْرَاقِهِ أَعْدَائِهِ،
 فَلَمْ يَخْلُصْ مِنْهُمْ أَحَدًا، آيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَبِرْهَانٍ قَاطِعٍ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى الْعَظِيمَةِ،
 وَصِدْقِ رِسُولِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالْمَنَاهِجِ الْمُسْتَقِيمَةِ.

وقال تعالى ^(١٧): ﴿وَجَازَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ
 بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ
 بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٨﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿١٩﴾ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لِنُكُوبٍ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ
 النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٢٠﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢]. يُخْبِرُ تَعَالَى، عَنْ كَيْفِيَةِ غَرَقِ
 فِرْعَوْنَ، زَعِيمِ كَفْرَةِ الْقَبِيضِ، وَأَنَّهُ لَمَّا جَعَلَتِ الْأَمْوَاجُ تُخْفِضُهُ تَارَةً، وَتَرْفَعُهُ
 أُخْرَى، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَإِلَى جُنُودِهِ، مَاذَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِ وَبِهِمْ مِنَ
 الْبَأْسِ الْعَظِيمِ، وَالخَطْبِ الْجَسِيمِ، لِيَكُونَ أَقْرَبَ لِأَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَشْفَى
 لِنَفْسِهِمْ، فَلَمَّا عَايَنَ فِرْعَوْنُ الْهَلَكَةَ [١٦٩/١]، وَأُحِيطَ بِهِ، وَبَاشَرَ سَكَرَاتِ

(١ - ١) زيادة من: الأصل.

(٢) في الأصل: «فانتظم».

(٣) التفسير ٤/٢٢٦ - ٢٢٩.

الموت ، أناب حينئذ ، وتاب ، وآمن حين لا ينفع نفسا إيمانها ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۗ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۗ ﴿٩٧﴾ . وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۗ ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ۗ ﴿٨٥﴾ [غافر : ٨٤ ، ٨٥] .

وهكذا دعا موسى على فيزعون وملئيه ، أن يُطمس على أموالهم ، ويُشدد على قلوبهم ، ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۗ ﴾ أى ؛ حين لا ينفعهم ذلك ، ويكون حشرة عليهم ، وقد قال تعالى لهما ؛ أى لموسى وهارون ، حين دَعُوا بهذا : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا ۗ ﴾ . فهذا من إجابة الله تعالى دَعْوَةَ كليهما وأخيه هارون ، عليهما السلام .

ومن ذلك ، الحديث الذى رواه الإمام أحمد^(١) : حدثنا سليمان بن حبيب ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زييد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ : ﴿ ءَأَمِنْتُ أَنَّمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ » قال : « قَالَ لِي جِبْرِيلُ : لَوْ رَأَيْتَنِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَدَسَسْتُهُ فِي فِيهِ ، مَخَافَةَ أَنْ تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ » . ورواه الترمذى ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، عند هذه الآية ، من حديث حماد بن سلمة^(٢) . وقال الترمذى : حديث حسن .

(١) أحمد فى المسند ١/٣٠٩ . (إسناده صحيح) .

(٢) الترمذى (٣١٠٧) ، تفسير الطبرى ١١/١٦٣ . وعزاه فى الدر المنثور ٣/٣١٥ إلى ابن أبى حاتم . (صحيح الترمذى ٢٤٨٣) .

وقال أبو داود الطيالسي^(١) : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ ، وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ لِي جَبْرِيلُ : لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخِذٌ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُّشُهُ فِي قِمِّ فِرْعَوْنَ ؛ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ » . وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ جَرِيرٍ ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ . وَأَشَارَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي رِوَايَةِ إِيَّايَ إِلَى وَقْفِهِ^(٢) .

وقال ابنُ أبي حاتم^(٤) : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجَعِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ ، عَنْ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَعْلَى الثَّقَفِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ ، أَشَارَ بِأَصْبُعِهِ ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ : ﴿ ءَأَمَنْتُ أَنْتَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ . قَالَ : فَخَافَ جَبْرِيلُ أَنْ تَسْبِقَ رَحْمَةُ اللَّهِ فِيهِ غَضَبَهُ ، فَجَعَلَ يَأْخُذُ الْحَالَ بِجَنَاحَيْهِ ، فَيَضْرِبُ بِهِ وَجْهَهُ فَيَرْمِيهِ . وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي [١٦٩/١ ظ] خَالِدٍ بِهِ . وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، مِنْ طَرِيقِ كَثِيرِ بْنِ زَادَانَ ، وَليْسَ بِمَعْرُوفٍ^(٦) ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ لِي جَبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ ، لَوْ رَأَيْتَنِي ، وَأَنَا أَعْطُهُ ، وَأَدُّسُ مِنَ الْحَالَ فِي فِيهِ ، مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ ؛ فَيَغْفِرَ لَهُ »^(٧) . يَعْنِي

(١) مسند أبي داود الطيالسي (٢٦١٨) .

(٢) في ح ، م ، ص : « بناله » .

(٣) الترمذى (٣١٠٨) وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه . ابن جرير في التفسير ١٦٣/١١

مرفوعاً ، ١٦٤/١١ موقوفاً . (صحيح الترمذى ٢٤٨٤) .

(٤) ذكره السيوطى فى الدر ٣١٥/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم مطولاً .

(٥) فى الأصل : « ابن » .

(٦) بعده فى الأصل ، م ، ص : « و » . وهو خطأ .

(٧) ابن جرير فى تفسيره ١٦٤/١١ من حديث أبى خالد الأحمر به مختصراً ، وفى ١٦٣/١١ من طريق

كثير بن زاذان عن أبى حازم عن أبى هريرة .

فِرْعَوْنَ . وقد أُرْسِلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ ؛ كإِبْرَاهِيمَ النَّبِيِّ ، وَقَتَادَةَ ، وَمَيْمُونِ
ابْنِ مِهْرَانَ ، وَيُقَالُ : إِنَّ الصُّحَاكَ بْنَ قَيْسٍ خَطَبَ بِهِ النَّاسَ ^(١) . وَفِي بَعْضِ
الرِّوَايَاتِ : « إِنَّ جَبْرِيلَ قَالَ : مَا بَعْضُ أَحَدًا بُعِثَ لِفِرْعَوْنَ ، حِينَ قَالَ : أَنَا
رُبُّكُمْ الْأَعْلَى . وَلَقَدْ جَعَلْتُ أَدُسُّ فِي فِيهِ الطَّيْرَ حِينَ قَالَ مَا قَالَ » . وَقَوْلُهُ
تَعَالَى : ﴿ ءَأَكْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ استِفْهَامٌ إِنْكَارٍ ،
وَنَصٌّ عَلَى عَدَمِ قَبُولِهِ تَعَالَى مِنْهُ ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، لَوْ رُدُّ إِلَى الدُّنْيَا كَمَا
كَانَ ، لَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ الْكُفَّارِ ، إِذَا عَايَنُوا النَّارَ
وَشَاهَدُوهَا ، أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : ﴿ يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٧] . قَالَ اللَّهُ : ﴿ بَلْ بَدَأْتُمْ مَّا كَانُوا يَمْخُفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوْا
لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٨] . وَقَوْلُهُ : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ
بِيَدِنَا لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ : شَكَ بَعْضُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي مَوْتِ فِرْعَوْنَ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ لَا يَمُوتُ . فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ ،
فَرَفَعَهُ عَلَى مُرْتَفِعٍ - قِيلَ : عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ . وَقِيلَ : عَلَى نَجْمَةٍ مِنَ الْأَرْضِ - وَعَلَيْهِ
دِرْعُهُ الَّتِي يَغْرِفُونَهَا مِنْ مَلَابِسِهِ ؛ لِيَتَحَقَّقُوا بِذَلِكَ هَلَاكَهُ ، وَيَعْلَمُوا قُدْرَةَ اللَّهِ
عَلَيْهِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا ﴾ أَيُ ؛ مُصَاحِبًا دِرْعَكَ الْمَعْرُوفَةَ بِكَ
﴿ لِنَكُونَ ﴾ أَيُ ؛ أَنْتَ آيَةٌ ﴿ لِمَنْ خَلَقَكَ ﴾ أَيُ ؛ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، دَلِيلًا عَلَى
قُدْرَةِ اللَّهِ الَّذِي أَهْلَكَهُ . وَلِهَذَا قَرَأَ بَعْضُ السَّلَفِ : (لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) ^(٢) .
وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ : نُنَجِّيكَ مُصَاحِبًا دِرْعَكَ ^(٣) ؛ لِيَكُونَ دِرْعُكَ عِلْمًا لِمَنْ

(١) تفسير الطبري ١١/١٦٣ ، ١٦٤ . والتفسير ٤/٢٢٨ .

(٢) انظر القرطبي ٨/٣٨١ .

(٣) سقط من : م ، ص .

وراءك من بنى إسرائيل، على معرفتك، وأنتك هلكت، واللّه أعلم. وقد كان
هلاكه وجنوده فى يوم عاشوراء.

كما قال الإمام البخارى فى «صحيحه»^(١): حدّثنا محمد بن بشار^(٢)،
حدّثنا عُندَرٌ، حدّثنا شُعْبَةُ، عن أبى^(٣) بشر، عن سعيد بن جبّير، عن ابن
عباس، قال: قديم النبى ﷺ المدينة، واليهودُ تصومُ يومَ عاشوراء، فقالوا: هذا
يومٌ ظهرَ فيه موسى على فرعون. قال النبى ﷺ: «أنتم أحقُّ بموسى منهم
فصوموا». وأصلُ هذا الحديث فى «الصحيحين» وغيرهما^(٤). واللّه أعلم
.[١٧٠/١].

(١) البخارى (٤٦٨٠).

(٢) فى الأصل: «يسار». وانظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٧٠/٩.

(٣) فى الأصل: «ابن».

(٤) البخارى (٢٠٠٤، ٣٣٩٧، ٣٩٤٣، ٤٧٣٧). مسلم (١١٣٠). والنسائى فى الكبرى

(٢٨٣٤، ٢٨٣٥). ابن ماجه (١٧٣٤).

فصل فيما كان من

أمر بني إسرائيل بعد هلاك فرعون

قال الله تعالى ^(١): ﴿فَانقَمْنَا مِنْهُم فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنَّا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربها أَلِيَّ بَدْرِكُنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَنَوْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَطْلُبُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ بَصِيرَتَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ آيَاتِنَا فِرْعَوْنَ بِسُوءِ الْقَدَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف: ١٣٦ - ١٤١]. يُذَكِّرُ تَعَالَى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، فِي غَرْفِهِمْ، وَكَيْفَ سَلَبْتُهُمْ عِزَّهُمْ، وَمَالَهُمْ، وَأَنْفُسَهُمْ، وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ أَمْوَالِهِمْ وَأَمْلاكَهُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٩]. وَقَالَ: ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

(١) التفسير ٤٦٣/٣، ٤٦٤.

وقال هلهنا: ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ
وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا
صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾
أى: أهلك ذلك جميعه، وسلبهم عزهم العزيز العريض فى الدنيا، وهلك
الملك وحاشيته، وأمرؤه، وجنوده، ولم يتبق ببلد مصر سوى العامة والرعايا.
فذكر ابن عبد الحكم، فى « تاريخ مصر »^(١)، أنه من ذلك الزمان تسلط نساء
مصر على رجالها؛ بسبب أن نساء الأمراء والكبراء تزوجن بمن دونهن من
العامة، فكانت لهن السطوة عليهم، واستمرت هذه سنة نساء مصر إلى يومك
هذا.

وعند أهل الكتاب، أن بنى إسرائيل لما أمرؤا بالخروج من مصر، جعل الله
ذلك الشهر أول سنتهم، وأمرؤا أن يذبح كل أهل بيت حملاً^(٢) من الغنم، فإن
كانوا لا يحتاجون إلى حمل^(٣)، فليشترك الجار وجاهه فيه، فإذا ذبحوه
فليضخوا من دمه على أعتاب أبوابهم؛ ليكون علامة لهم على بيوتهم، ولا
يأكلونه مطبوخاً، ولكن مشويّاً برأسه، وأكارعه، وبطنه، ولا يئثقوا منه شيئاً،
ولا يكسروا له عظماً، ولا يخرجوا منه شيئاً إلى خارج بيوتهم، وليكن خبزهم
قطيراً سبعة أيام، ابتداءً من الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم، وكان
ذلك فى فصل الربيع، فإذا أكلوا، فلتكن أوساطهم مشدودة، وخفافهم فى
أرجلهم، وعصيهم فى أيديهم، ولتأكلوا بسرعة، قياماً، ومهما فضل عن [١]

(١) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص ٢٨.

(٢) فى ح، م، ص: « جملاً ».

(٣) فى ح، م، ص: « جمل ».

١٧٠] عَشَائِهِمْ ، فما بَقِيَ إِلَى الْغَدِ فَلْيَحْرِقُوهُ بِالنَّارِ ، وَشَرِّعْ لَهُمْ هَذَا عَيْدًا
لأَعْقَابِهِمْ ، ما دَامَتِ التَّوْرَةُ مَعْمُولًا بِهَا ، فَإِذَا نُسِخَتْ ، بَطَلَ شَرْعُهَا ، وَقَدْ
وَقَعَ . قالوا : وَقَتَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبْكَارَ الْقِبْطِ ، وَأَبْكَارَ دَوَائِبِهِمْ ،
لِيَشْتَعِلُوا عَنْهُمْ ، وَخَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ انْتَصَفَ اللَّيْلُ^(١) ، وَأَهْلُ مِصْرَ فِي
مَنَاحِي عَظِيمَةٍ ، عَلَى أَبْكَارِ أَوْلَادِهِمْ ، وَأَبْكَارِ أَمْوَالِهِمْ ، لَيْسَ مِنْ بَيْتٍ إِلَّا وَفِيهِ
عَوِيلٌ . وَحِينَ جَاءَ الْوَحْيُ إِلَى مُوسَى ، خَرَجُوا مَسْرِعِينَ ، فَحَمَلُوا الْعَجِينَ قَبْلَ
اِخْتِمَارِهِ ، وَحَمَلُوا الْأَزْوَادَ فِي الْأَزْدِيَّةِ ، وَالْقَوْهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمْ ، وَكَانُوا قَدْ
اسْتَعَارُوا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حُلِيًِّا كَثِيرًا ، فَخَرَجُوا وَهُمْ سِتْمَائَةٌ أَلْفِ رَجُلٍ ، سِوَى
الذَّرَارِيِّ ، بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ مُقَامِهِمْ بِمِصْرَ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ وَثَلَاثِينَ
سَنَةً . هَذَا نَصُّ كِتَابِهِمْ^(٢) . وَهَذِهِ السَّنَةُ عِنْدَهُمْ تَسْمَى سَنَةَ الْفَسْخِ ، وَهَذَا الْعَيْدُ
عَيْدُ الْفَسْخِ ، وَلَهُمْ عَيْدُ الْفَطِيرِ ، وَعَيْدُ الْحَمَلِ ، وَهُوَ أَوَّلُ السَّنَةِ . وَهَذِهِ الْأَعْيَادُ
الثَّلَاثَةُ أَكَّدُ أَعْيَادِهِمْ ، مَنْصُوصٌ عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِمْ . وَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ ،
أَخْرَجُوا مَعَهُمْ تَابُوتَ يَوْسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَخَرَجُوا عَلَى طَرِيقِ بَحْرِ شُوفَ .
وَكَانُوا فِي النَّهَارِ يَسِيرُونَ ، وَالسَّحَابُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ ، فِيهِ عَامُودٌ نُورٍ ،
وَبِاللَّيْلِ أَمَامَهُمْ عَامُودٌ نَارٍ ، فَانْتَهَى بِهِمُ الطَّرِيقُ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، فَتَنَزَّلُوا هُنَالِكَ ،
وَأَدْرَكَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ ، وَهُمْ هُنَاكَ حُلُولٌ عَلَى شَاطِئِ الْيَمِّ ،
فَقَلِقَ كَثِيرٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ : كَانَ بَقَاؤُنَا بِمِصْرَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ
الْمَوْتِ بِهَذِهِ الْبَرِّيَّةِ . وَقَالَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ : لَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَهُوَ الْمُرَافِقُ لَمَّا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَتَارِيخِ الطَّبْرِيِّ . وَقِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ لِلثَّلَعِيِّ .

(٢) سَفَرُ الْخُرُوجِ الْأَصْحَاحِ ١/١٢ - ٤٠ .

تخشوا، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ وجنوده لا يَرْجِعُونَ إلى بلادهم بعدَ هذا. قالوا: وأمرَ اللهُ موسى، عليه السَّلامُ، أَنْ يضْرِبَ البحرَ بعصاه، وَأَنْ يَقْسِمَهُ؛ ليدخلَ بنو إسرائيلَ في البحرِ واليَبِسِ. وصارَ الماءُ من ههنا وههنا كالجليلين، وصارَ وسطُه يَبَسًا؛ لأنَّ اللهُ سَلَطَ عليه ريحَ الجَنُوبِ والسَّمُومِ، فجازَ بنو إسرائيلَ البحرَ، وَأَثْبَتَهُمْ فِرْعَوْنَ وجنوده، فلَمَّا تَوَسَّطُوهُ، أمرَ اللهُ موسى، فَضْرَبَ البحرَ بعصاه، فرجعَ الماءُ كما كان عليهم. لكنَّ عندَ أهلِ الكتابِ، أنَّ هذا كان في الليلِ، وأنَّ البحرَ ازْتَطَمَ عليهم عندَ الصُّبْحِ، وهذا من غَلَطِهِمْ، وعدمِ فَهْمِهِمْ في تَعْرِيبِهِمْ، واللهُ أعلمُ. قالوا: ولَمَّا أَغْرَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ وجنوده، حينئذِ سَبَّحَ موسى وبنو إسرائيلَ بهذا التَّسْبِيحِ للرَّبِّ، وقالوا: نُسَبِّحُ الرَّبَّ البَهِيمِ الذي قَهَرَ الجنودَ، ونَبَذَ قُرْسَانَهَا في البحرِ المنيعِ المحمودِ. وهو تَسْبِيحٌ طويلٌ. قالوا: وأخذتُ مريمُ النَّبِيَّةُ، أختُ هارونَ [١٧١/١] دُفًا بيديها، وخرجَ النِّسَاءُ في أثرِها، كُلُّهُنَّ بدفوفٍ وطُبولٍ، وجعلتُ مريمُ تُرْتِّلُ لهنَّ، وتقولُ: سبحانَ الرَّبِّ القَهَّارِ، الذي قَهَرَ الخَيْولَ ورُكبانَها، إلقاءً في البحرِ. هكذا رأيتهُ في كتابِهِمْ^(١). ولعلَّ هذا هو من الذي حَمَلَ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ القُرَظِيِّ على زعيمِهِ أَنَّ مريمَ بنتَ عِمْرَانَ، أمُّ عيسى، هي أختُ هارونَ وموسى، مع قولِهِ: ﴿يَتَأَخَتُ هَارُونَ﴾. وقد يَبِينُ غَلَطُهُ في ذلك^(٢)، وأنَّ هذا لا يَمُكِنُ أَنْ يُقَالَ، ولم يتابعه أحدٌ عليه، بل كلُّ واحدٍ خالفه فيه، ولو قُدِّرَ أَنَّ هذا محفوظٌ، فهذه مريمُ بنتُ عِمْرَانَ، أختُ موسى وهارونَ، عليهما السَّلامُ،^(٣) وأمُّ عيسى عليها السَّلامُ^(٤)، وافقتُها في

(١) سفر الخروج الأصحاح ١٤/١٠ - ٣١، ١٥/١ - ٣، ٢٠، ٢١.

(٢) انظر التفسير ٥/٢٢١، ٢٢٢.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

الإسم، واسم الأب، واسم الأخ؛ لأنهم، كما قال رسول الله ﷺ،
 للمغيرة بن شعبة لما سأله أهل نجران، عن قوله: ﴿يَتَأَخَتِ هَرُونَ﴾. فلم يدر
 ما يقول لهم، حتى سأل رسول الله ﷺ، عن ذلك، فقال: «أما علمت أنهم
 كانوا يُسمون بأسماء أنبيائهم». رواه مسلم^(١). وقولهم: النبيُّ. كما يُقال
 للمرأة من بيت الملك: ملكة. ومن بيت الإمرة: أميرة. وإن لم تكن مباشرة
 شيئا من ذلك، فكذا هذه استعارة لها، لا أنها نبيَّة حقيقة يُوحى إليها. وضربها
 بالدُّفِّ في مثل هذا اليوم - الذى هو أعظم الأعياد عندهم - دليل على أنه قد
 كان شروع من قبلنا ضرب الدُّفِّ فى العيد. وهذا مشروع لنا أيضا فى حق
 النساء؛ لحديث الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة تضربان بالدُّفِّ فى أيام منى،
 ورسول الله ﷺ مضطجع، مؤل ظهره إليهم، ووجهه إلى الحائط، فلما دخل
 أبو بكر زجرهن، وقال: أئبؤمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ؟ فقال:
 «دعهن يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا»^(٢). وهكذا يُشرع عندنا
 فى الأعراس، ولقدوم العُيَّاب، كما هو مقرَّر فى موضعه. والله أعلم.

وذكروا أنهم لما جاوزوا البحر، وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام، مكثوا
 ثلاثة أيام، لا يجدون ماء، فتكلَّم من تكلم منهم بسبب ذلك، فوجدوا ماء
 زعاقا^(٣) أجاجا، لم يستطيعوا شربه، فأمر الله موسى، عليه السلام، فأخذ
 خشبة فوضعها فيه، فحلا وساغ شربه، وعلمه الرب هنالك فرائض وستنا،
 ووصاه وصايا كثيرة. وقد قال الله تعالى، فى كتابه العزيز، المهِّمين على ما

(١) مسلم (٢١٣٥).

(٢) رواه البخارى (٩٤٩). ومسلم (٨٩٢).

(٣) فى ح: «زهاقا». والماء الزعاق: المالح.

عداه من الكتب: ﴿ وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتُوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى
 أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
 تَجْهَلُونَ ﴿١٧٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا فِيهِ وَيَطَّلُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٩﴾ [١٧١/١ظ].
 قالوا هذا الجهل والضلال، وقد عاينوا من آيات الله وقدرته،^(١) ما دلهم على
 صِدْقِ^(٢) ما جاءهم به رسول ذى الجلال والإكرام، وذلك أنهم مروا على قوم
 يَعْبُدُونَ أَصْنَانًا، قيل: كانت على صُورِ البقر. فكانت سألوهم: لِمَ يَعْبُدُونَهَا،
 فزعموا لهم أنها تنفعهم وتضرهم، وَيَسْتَرْزِقُونَ بها عند الضرورات، فكان
 بعض الجهال منهم صدقوهم فى ذلك، فسألوا نبيهم الكليم الكريم العظيم، أن
 يجعل لهم آلهة كما لأوليك آلهة، فقال لهم، مبيتا لهم أنهم لا يعقلون ولا
 يهتدون: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا فِيهِ وَيَطَّلُوا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾. ثم ذكرهم
 نعمة الله عليهم، فى تفضيله إياهم على عالمى زمانهم بالعلم، والشرع،
 والرسول الذى بين أظهرهم، وما أحسن به إليهم، وما امتن به عليهم، من
 إنجائهم من قبضة فيزعون الجبار العنيد، وإهلاكه إياهم وهم ينظرون، وتوريثه
 إياهم ما كان فيزعون وملأه يجمعونه من الأموال والسعادة، وما كانوا
 يعرشون، وبين لهم أنه لا تصلح العبادة إلا لله وحده، لا شريك له؛ لأنه
 الخالق الرزاق القهار، وليس كل بنى إسرائيل سأل هذا السؤال، بل الضمير
 عائذ على الجنس فى قوله: ﴿ وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتُوا عَلَى قَوْمٍ
 يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾
 أى؛ قال بعضهم، كما فى قوله: ﴿ وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ﴿١٧٧﴾

(١ - ١) سقط من: الأصل.

وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿ [الكهف: ٤٧، ٤٨]. فالذين زَعَمُوا هذا بعضُ النَّاسِ، لا كلِّهِمْ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ^(١): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَنَانِ بْنِ أَبِي سَنَانَ الدِّيَلِيِّ، عَنْ أَبِي وَاقِدِ اللَّيْثِيِّ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَبْلَ حُنَيْنٍ^(٢)، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لِلْكَفَّارِ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. وَكَانَ الْكَفَّارُ يَتَوَطَّؤْنَ سِلَاحَهُمْ بِسِدْرَةٍ، وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾. إِنَّكُمْ تَزَكُّونَ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ». وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ رَافِعٍ، عَنِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِهِ. وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَزُّومِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ بِهِ^(٣). ثُمَّ قَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ^(٤). وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ^(٥)، مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَمَعْمَرٍ، وَعَقِيلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَنَانِ بْنِ أَبِي سَنَانَ، عَنْ أَبِي وَاقِدِ اللَّيْثِيِّ، أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ^(٦)، قَالَ: وَكَانَ لِلْكَفَّارِ [١٧٢/١] سِدْرَةٌ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَعْلُقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضِرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ: فَقَلْنَا: يَا رَسُولَ

(١) فِي الْمَسْنَدِ ٥/٢١٨.

(٢) فِي الْأَصْلِ، أ: «خَيْرٍ». وَهُوَ لَفْظُ التِّرْمِذِيِّ.

(٣) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ.

(٤) النَّسَائِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١١١٨٥). وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٨٠) وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ (صَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ (١٧٧١).

(٥) ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٩/٤٥، ٤٦.

(٦) فِي م، ح، أ: «خَيْرٍ».

﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا
تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿ [المائدة: ٢٠ - ٢٦] . يذكُرهم نبيُّ الله نعمة الله
عليهم ، وإحسانه إليهم بالنعمِ الدنيويَّةِ والدُّنيويَّةِ ، ويأمرهم بالجهادِ في سبيلِ الله ،
ومقاتلةِ أعدائه فقال : ﴿ يَنْقُورُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ ﴾ ﴿١﴾ أَي ؛ تَنَكُّصُوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَتَنَكَّلُوا عَلَى قِتَالِ
أَعْدَائِكُمْ . ﴿ فَتَنَقَّلُوا خَيْرِينَ ﴾ أَي ؛ فَتَحَسَّرُوا بَعْدَ الرِّيحِ ، وَتَنَقَّصُوا بَعْدَ
الْكَمَالِ . ﴿ قَالُوا يَمْوَسِي إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ أَي ؛ عُنَاةَ كَفْرَةٍ ، مَتَمَرِّدِينَ ،
﴿ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ ،
خَافُوا مِنْ هَوْلَاءِ الْجَبَّارِينَ ، وَقَدْ عَايَنُوا هَلَاكَ فِرْعَوْنَ ، وَهُوَ أَكْثَرُ تَجَبُّرًا مِنْ
هَوْلَاءِ ، وَأَشَدُّ بَاسًا ، وَأَكْثَرُ جَمْعًا ، وَأَعْظَمُ جُنْدًا . [١٧٢/١ظ] وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى
أَنَّهُمْ مُلُومُونَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ ، وَمَذْمُومُونَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ ، مِنَ الذَّلَّةِ عَنِ
مُصَاوَلَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَمُقَاوِمَةِ الْمَرَدَّةِ الْأَشْقِيَاءِ .

وقد ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ هَهُنَا آثَارًا ، فِيهَا مُجَازَفَاتٌ كَثِيرَةٌ بَاطِلَةٌ ، يَدُلُّ
الْعَقْلُ وَالنُّقْلُ عَلَى خِلَافِهَا ؛ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَشْكَالًا هَائِلَةً ضِخَامًا جَدًّا ، حَتَّى
إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّ رُسُلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، لَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِمْ ، تَلَقَّاهُمْ رَجُلٌ مِنْ رُسُلِ
الْجَبَّارِينَ ، فَجَعَلَ يَأْخُذُهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَيُلْفَهُمْ فِي أَكْمَامِهِ وَحُجْرَةِ سَرَوِيلِهِ ،
وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَجَاءَ بِهِمْ ، فَتَنَزَّهَ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكِ الْجَبَّارِينَ ، فَقَالَ : مَا
هَوْلَاءِ ؟ وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ حَتَّى عَرَّفُوهُ . وَكُلُّ هَذِهِ هَذَيَانَاتٌ

(١ - ١) سقط من : ح ، م ، ص .

وخرافات لا حقيقة لها، وأنَّ المَلِكَ بعث معهم عِنْبًا، كُلُّ عِنْبَةٍ تَكْفِي الرَّجُلَ،
 وشيئًا من ثمارهم؛ ليعلموا ضَخامة^(١) أشكالهم، وهذا ليس بصحيح^(٢).
 وذكروا هل هنا أَنَّ عُوجَ بَنِ عُثْقَ، خرج من عند الجبَّارين إلى بنى إسرائيل؛
 ليهلِكهم، وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع، وثلاثمائة ذراع، وثلاثة وثلاثين
 ذراعًا، وثُلث ذراع، هكذا ذكره البَغَوِيُّ وغيره^(٣)، وليس بصحيح، كما
 قدَّمنا بيانه^(٤) عند قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ
 الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ»^(٥). قالوا: فَعَمَدَ عُوجُ إِلَى قِمَّةِ جَبَلٍ، فَأَقْتَلَعَهَا، ثُمَّ
 أَحَدَهَا بِيَدَيْهِ؛ لِيُلْقِيَهَا عَلَى جَيْشِ مُوسَى، فَجَاءَ طَائِرٌ، فَنَقَرَ تِلْكَ الصَّخْرَةَ،
 فَخَرَقَهَا، فَصَارَتْ طَوْقًا فِي عُثْقِ عُوجَ بَنِ عُثْقَ، ثُمَّ عَمَدَ مُوسَى إِلَيْهِ، فَوَثَبَ فِي
 الْهَوَاءِ عَشْرَةَ أَذْرُعٍ، وَطُولُهُ عَشْرَةُ أَذْرُعٍ، وَبِيَدِهِ عَصَاهُ، وَطُولُهَا عَشْرَةُ أَذْرُعٍ،
 فَوَصَلَ إِلَى كَعْبٍ قَدِيمٍ فَقَتَلَهُ. يُزَوَّى هَذَا عَنْ نَوْفِ^(٦) الْبِكَالِيِّ^(٧)، وَنَقَلَهُ ابْنُ
 جَرِيرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِي إِسْنَادِهِ إِلَيْهِ نَظَرٌ^(٨). ثُمَّ هُوَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ مِنْ
 الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَكُلُّ هَذِهِ مِنْ وَضْعِ جُهَّالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّ الْأَخْبَارَ الْكَاذِبَةَ قَدْ
 كَثُرَتْ عِنْدَهُمْ، وَلَا تَمَيِّزَ لَهُمْ بَيْنَ صَحِيحِهَا وَبَاطِلِهَا. ثُمَّ لَوْ كَانَ هَذَا

(١) في الأصل: «أصحابه».

(٢) انظر تفسير الطبري ١٧٤/٦، تاريخه ٤٢٩/١، تفسير القرطبي ١٢٥/٦، التفسير ٧٠/٣.

(٣) لم نجد في مظانه من تفسير البغوي، وانظر قصص الأنبياء للثعلبي ص ٢١٣ - ٢١٥، تفسير القرطبي ١٢٥/٦ - ١٢٧.

(٤) تقدم في ٢٦٦/١، ولم ينسبه لأحد بعينه من المفسرين.

(٥) تقدم تخريجه ٢٦٧/١.

(٦) في ح، م، ا: «عوف». وانظر التقريب ٣٠٩/٢.

(٧) رواه ابن جرير في تاريخه ٤٣١/١، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٠٤)، وإسناد أبي الشيخ موضوع.

(٨) في تاريخه ٤٣١/١، وينحوه عن ابن عباس، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٠٢)، وإسناد أبي الشيخ موضوع.

صحيحًا، لكان بنو إسرائيل مغذورين في التَّكْوِيلِ عن قتالهم، وقد ذمَّهم اللهُ تعالى على نُكُولِهِمْ، وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم، ومخالفتهم رسولهم، وقد أشار عليهم رجُلان صالحان منهم^(١) بالإقدام، ونهتاهم عن الإخجام. ويُقال: إنهما يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا. قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطية، والشدي، والريغ بن أنس، وغير واحد^(٢).

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ أَي ؛ يَخَافُونَ اللهُ، وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ : (يَخَافُونَ) ؛ أَي ؛ يُهَابُونَ، ﴿ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ﴾ أَي ؛ بِالْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالطَّاعَةِ، وَالشُّجَاعَةِ: ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا [١٧٣/١] إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أَي ؛ إِذَا تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللهِ، وَاسْتَعْتَمْتُمْ بِهِ، وَلَجَأْتُمْ إِلَيْهِ، نَصَرَكُم عَلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَيَّدَكُم عَلَيْهِمْ، وَأَظْفَرَكُم بِهِمْ .

﴿ قَالُوا يَمْوَسِيْنَا إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ فَصَّمْ مَلَأُوهُم عَلَى التَّكْوِيلِ عَنِ الْجِهَادِ، وَوَقَعَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَوَهْنٌ كَبِيرٌ. فَيُقَالُ: إِنْ يَوْشَعُ، وَكَالْبُ لَمَّا سَمِعَا هَذَا الْكَلَامَ شَقًّا ثِيَابَهُمَا، وَإِنَّ مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، سَجَدَا؛ إِعْظَامًا لِهَذَا الْكَلَامِ، وَغَضَبًا لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ مِنْ وَبِيلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافَرَّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ

(١) سقط من: الأصل.

(٢) تفسير الطبري ١٧٦/٦، ١٧٧، التفسير ٧١/٣.

الْفَسِيقِينَ ﴿ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ . ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿ ، عَوْقِبُوا عَلَى نُكُولِهِمْ بِالْتِّيْهَانِ فِي الْأَرْضِ ، يَسِيرُونَ إِلَى غَيْرِ مَقْصِدٍ ، لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَصَبَاحًا وَمَسَاءً . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنَ التِّيْهِ يَمِّنْ دَخَلَهُ ، بَلْ مَاتُوا كُلُّهُمْ فِي مَدَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَمْ يَتَّقْ إِلَّا ذُرَارِيَهُمْ سِوَى يُوشَعَ ، وَكَالِبَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

لَكِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ، ﷺ ، يَوْمَ بَدْرٍ ، لَمْ يَقُولُوا لَهُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى ، بَلْ لَمَّا اسْتَشَارَهُمْ فِي الذَّهَابِ إِلَى التَّفْيِيرِ ، تَكَلَّمَ الصُّدِّيقُ فَأَحْسَنَ ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ : « أَشِيرُوا عَلَيَّ » حَتَّى قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : كَأَنَّكَ تُعَرِّضُ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَفْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضِّمْتَهُ لِحُضْنَاهُ مَعَكَ ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَمَا نَكَرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا ، إِنَّا لَصُبْرٌ فِي الْحَرْبِ ، صُدُقٌ فِي اللَّقَاءِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقْرُبُهُ عَيْنُكَ . فَسِرَ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ . فَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ ، وَبَسَطَهُ ذَلِكَ ^(١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ^(٢) : حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ ، حَدَّثَنَا سَفِيَانٌ ، عَنْ مُخَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَحْمَسِيِّ ، عَنْ طَارِقِ هُو ابْنُ شِهَابٍ ، أَنَّ الْمِقْدَادَ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَوْمَ بَدْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى :

(١) بهذا اللفظ أخرجه الطبري في التفسير ١٨٥/٩ ، ١٨٦ . وانظر سيرة ابن هشام ١/٦١٥ . والتفسير ٧٥٧/٣ ، كلهم من حديث ابن عباس . وأصل الحديث في مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس بن مالك .
(٢) في المسند ٤/٣١٤ .

﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون . وهذا إسنادٌ جيدٌ من هذا الوجه ، وله طرقٌ ^(١) أخرى .

قال أحمد ^(٢) : حدثنا أسود بن عامر ^(٣) ، حدثنا إسرائيل ، عن مُخَارِقِ ، عن طارق بن شهاب ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لقد شَهِدْتُ مِنَ الْمُقَدَّادِ مَشْهَدًا ، لَأَنْ أَكُونَ أَنَا صَاحِبَهُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ ؛ أَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ [١٧٣/١ ط] يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ . وَلَكِنَّا نَقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ ، وَعَنْ يَسَارِكَ ، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ ، وَمِنْ خَلْفِكَ . فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يُشْرِقُ لَذَلِكَ ، وَسُرَّ بِذَلِكَ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ وَالْمَغَازِي ، مِنْ طَرِيقٍ ، عَنْ مُخَارِقٍ بِهِ ^(٤) .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ بنُ مَرْزُوقٍ ^(٥) : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمِ الرَّازِيِّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ ، عَنْ أَنَسِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، لَمَّا سَارَ إِلَى بَدْرٍ ، اسْتَشَارَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ ، ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، إِنَّا كُمْ يَرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . قَالُوا : إِذَا لَا نَقُولُ لَهُ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرِّكَ الْغِمَادِ لَأَتَّبَعْنَاكَ . رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، عَنْ عَيْبَةَ بْنِ حُمَيْدٍ ، عَنْ حُمَيْدٍ

(١) في الأصل ، ص : « طريق » .

(٢) في المسند ١/٣٨٩ . إسناده صحيح .

(٣) في الأصل : « عباس » .

(٤) البخاري (٣٩٥٢ ، ٤٦٠٩) .

(٥) ذكره المصنف في التفسير ٧٢/٣ وعزاه لابن مردويه بسنده .

الطَّوِيلِ، عن أنسٍ به. ورواه النَّسَائِيُّ عن محمدِ بنِ المثنى، عن خَالِدِ بنِ الحَارِثِ، عن ^(١) مُحَمَّدِ بنِ أَنَسٍ به نحوه. وَأَخْرَجَهُ ابْنُ جِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، عن أَبِي يَغْلَى، عن عَبْدِ الأَعْلَى بنِ حمادٍ، عن معتمرٍ ^(٢) عن ^(١) مُحَمَّدِ بنِ أَنَسٍ به نحوه ^(٣).

(١ - ١) فِي الأَصْلِ: «حَدَّثَنِي».

(٢) فِي الأَصْلِ: «مَعْتَمِر».

(٣) أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ ٣/١٨٨، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١١١٤١). وَالْإِحْسَانُ (٤٧٢١). وَقَالَ الشَّيْخُ

شُعَيْبٌ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

فصل في دخول بني إسرائيل التيه

وما جرى لهم فيه من الأمور العجيبة

قد ذكّرنا نُكُولَ بني إسرائيل عن قتالِ الجبارين ، وأنَّ اللهَ تعالى عاقبهم بالتيه ، وحكم بأنهم لا يَخْرُجُونَ مِنْهُ إلى أربعينَ سنَةً ، ولم أرَ في كتابِ أهلِ الكتابِ قصةً نُكُولِهِمْ عن قتالِ الجبارين ، ولكن فيها^(١) أَنَّ يُوْشَعَ جَهَّزَهُ موسى لقتالِ طائفةٍ مِنَ الكُفَّارِ ، وأنَّ موسى وهارونَ ، وخورَ ، جلسوا على رأسِ أكمةٍ ، ورفَعَ موسى عصاه ، فكلَّما رفعها انتصرَ يُوْشَعُ عليهم وكلَّما مالت يدهُ بها ، مِنْ تَعَبٍ أو نحوه ، غلبه أولئك ، وجعل هارونُ وخورُ يُدْعِمَانِ يَدَيْهِ مِنْ عَن يمينه ويشماله ذلك اليومَ إلى غروبِ الشَّمْسِ ، فانتصرَ حزبُ يُوْشَعَ ، عليه السَّلامُ^(٢) . وعندهم ؛ أَنَّ يثرونَ كاهنَ مَدْيَنَ ، وَخَتَنَ موسى ، عليه السلامُ ، بلغه ما كان مِنْ أمرِ موسى ، وكيف أَظْفَرَهُ اللهُ بعدوّه فِرْعَوْنَ ، فقديم على موسى مُسَلِّمًا ، ومعه ابنته صِفُورًا زوجةً موسى ، وابناها منه ؛ جِرْشُونَ ، وَعَازْرُ ، فتلقاه موسى وأكرمته ، واجتمعَ به شيوخُ بني إسرائيلَ ، وَعَظَّمُوهُ وَأَجْلُوهُ^(٣) . وذكرُوا أَنَّهُ رأى كثرةً اجتماعِ بني إسرائيلَ على موسى ، في الخُصُوماتِ التي تقعُ [١ / ١٧٤] بينهم ، فأشار على موسى أن يجعلَ على الناسِ رجالًا أماناءَ ، أتقياءَ ،

(١) كذا في النسخ . ولعلها : « فيه » .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ١٧ / ٨ - ١٣ .

(٣) سفر الخروج الأصحاح ١٨ / ١ - ١٢ .

أَعْقَاءَ، يُبْغِضُونَ الرِّشَا وَالْحَيَانَةَ، فَيَجْعَلُهُمْ عَلَى النَّاسِ رِعُوسَ أَلُوفٍ، وَرُعُوسَ مِئِينَ، وَرُعُوسَ خَمْسِينَ، وَرِعُوسَ عَشْرَةَ، فَيَقْفُضُوا بَيْنَ النَّاسِ، فَإِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ جَاءُوكَ، فَفَصَلَّتْ بَيْنَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ، ففَعَلَ ذَلِكَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١). قَالُوا: وَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْبَرِّيَّةَ، عِنْدَ سَيْنَاءَ فِي الشَّهْرِ الثَّالِثِ مِنْ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ، وَكَانَ خُرُوجُهُمْ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ الَّتِي شُرِعَتْ لَهُمْ، وَهِيَ أَوَّلُ فَصْلِ الرَّبِيعِ. فَكَانَتْهُمْ دَخَلُوا الثِّيَةَ فِي أَوَّلِ فَصْلِ الصَّيْفِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالُوا: وَنَزَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حَوْلَ طُورِ سَيْنَاءَ، وَصَعِدَ مُوسَى الْجَبَلَ، فَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُذَكِّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ إِنْجَائِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَكَيْفَ حَمَلَهُمْ عَلَى مِثْلِ جَنَاحِي نَسْرٍ مِنْ يَدِهِ وَقَبِضْتَهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يَتَطَهَّرُوا وَيَغْتَسِلُوا، وَيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ، وَلِيَسْتَعِدُّوا إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، فَإِذَا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، فَلِيَجْتَمِعُوا حَوْلَ الْجَبَلِ، وَلَا يَقْتَرِبَنَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ دَنَا مِنْهُ قُتِلَ، حَتَّى وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْبَهَائِمِ، مَا دَامُوا يَسْمَعُونَ صَوْتَ الْقَرْوَنِ، فَإِذَا سَكَنَ الْقَرْوَنُ، فَقَدْ حَلَّ لَكُمْ أَنْ تَرْتَقُوهُ، فَسَمِعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ، وَأَطَاعُوا، وَاعْتَسَلُوا، وَتَنَطَّفُوا، وَتَطَيَّبُوا، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّالِثَ، رَكِبَ الْجَبَلَ عِمَامَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِيهَا أَصْوَاتٌ وَبُزُوقٌ، وَصَوْتُ الصُّورِ شَدِيدٌ جَدًّا، فَفَزِعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَخَرَجُوا، فَقَامُوا فِي سَفْحِ الْجَبَلِ، وَغَشِيَ الْجَبَلَ دُخَانٌ عَظِيمٌ فِي وَسْطِهِ عَمُودٌ نُورٍ، وَتَزَلَّزَلَ الْجَبَلُ كُلُّهُ زَلْزَلَةً شَدِيدَةً، وَاسْتَمَرَ صَوْتُ الصُّورِ، وَهُوَ الْبُوقُ، وَاشْتَدَّ، وَمُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوْقَ الْجَبَلِ، وَاللَّهُ يَكَلِّمُهُ وَيُنَاجِيهِ، وَأَمَرَ الرَّبُّ، عَزَّ وَجَلَّ، مُوسَى أَنْ يَنْزِلَ، فَيَأْمُرَ بَنِي

(١) سفر الخروج الأصحاح ١٨/١٣ - ٢٧.

إسرائيلَ أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنَ الْجَبَلِ؛ لِيَسْمَعُوا وَصِيَّةَ اللَّهِ، وَيَأْمُرَ الْأَحْبَارَ، وَهُمْ
 عُلَمَاؤُهُمْ، أَنْ يَذْنُبُوا، فَيَضَعُدُوا الْجَبَلَ؛ لِيَتَقَدَّمُوا بِالْقُرْبِ - وَهَذَا نَصٌّ فِي
 كِتَابِهِمْ عَلَى وَقْعِ النِّسْخِ لَا مَحَالَةَ^(١) - فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، إِنَّهُمْ لَا
 يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَضَعُدُوهُ، وَقَدْ نَهَيْتَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَذْهَبَ،
 فَيَأْتِيَ مَعَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ، وَلِيَكُنِ الْكَهَنَةَ، وَهُمْ الْعُلَمَاءُ، وَالشُّعْبُ، وَهُمْ بَقِيَّةُ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ، غَيْرَ بَعِيدٍ. فَفَعَلَ مُوسَى، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فَأَمَرَهُ حِينَئِذٍ
 بِالْعَشْرِ كَلِمَاتٍ^(٢).

وَعِنْدَهُمْ؛ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَفْهَمُوا حَتَّى فَهَّمَهُمْ
 مُوسَى، وَجَعَلُوا يَقُولُونَ لِمُوسَى: بَلَّغْنَا أَنْتَ عَنْ [١٧٤/١] الرَّبِّ، فَإِنَّا نَخَافُ
 أَنْ نَمُوتَ. فَبَلَّغَهُمْ عَنْهُ، فَقَالَ هَذِهِ الْعَشْرُ الْكَلِمَاتِ؛ وَهِيَ الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ
 وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْحَلْفِ بِاللَّهِ كَاذِبًا، وَالْأَمْرُ بِالْحِفَاظَةِ عَلَى
 السَّبْتِ، وَمَعْنَاهُ تَفَرُّغُ يَوْمٍ مِنَ الْأُسْبُوعِ لِلْعِبَادَةِ. وَهَذَا حَاصِلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ،
 الَّذِي نَسَخَ اللَّهُ بِهِ السَّبْتِ، أَكْرِمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، لِيَطُولَ عُمُرُكَ فِي الْأَرْضِ، الَّذِي
 يُعْطِيكَ اللَّهُ رُبُّكَ، لَا تَقْتُلْ، لَا تَزْنِ، لَا تَسْرِقْ، لَا تَشْهَدْ عَلَى صَاحِبِكَ شَهَادَةً
 زُورًا، لَا تَمُدَّ عَيْنَكَ إِلَى بَيْتِ صَاحِبِكَ، وَلَا تَشْتَهَ امْرَأَةَ صَاحِبِكَ، وَلَا عِبْدَهُ،
 وَلَا أُمَّتَهُ، وَلَا تَوَزَّهَ، وَلَا جِمَارَهُ، وَلَا شَيْئًا مِنَ الَّذِي لَصَاحِبِكَ، وَمَعْنَاهُ النَّهْيُ
 عَنِ الْحَسَدِ^(٣).

وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَغَيْرِهِمْ: مَضمُونُ هَذِهِ الْعَشْرِ الْكَلِمَاتِ

(١) انظر ما تقدم في ٤٤٩/١ حاشية (٢).

(٢) سفر الخروج الأصحاح التاسع عشر.

(٣) سفر الخروج الأصحاح ٢٠/١ - ١٧.

فِي آيَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ « الْأَنْعَامِ » : ﴿ قُلْ نَسَآءُوا آتَلُوا مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهِنَّ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأنعام : ١٥١-١٥٣] . وَذَكَرُوا بَعْدَ الْعَشْرِ الْكَلِمَاتِ وَصَايَا كَثِيرَةً ، وَأَحْكَامًا مُتَفَرِّقَةً عَزِيزَةً ، كَانَتْ فَرَاثَ وَعَمِلَ بِهَا حَيْثَا مِنَ الدَّهْرِ ، ثُمَّ طَرَأَ عَلَيْهَا عِضْيَانٌ مِنَ الْمُكَلِّفِينَ بِهَا ثُمَّ عَمَدُوا إِلَيْهَا فَبَدَّلُوهَا ، وَحَرَّفُوهَا ، وَأَوَّلُوهَا . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ سَلِّيَتْهَا ، فَصَارَتْ مَنسُوخَةً مُبَدَّلَةً ، بَعْدَ مَا كَانَتْ مَشْرُوعَةً مُكَمَّلَةً ، فَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَهُوَ الَّذِي يَخُكِّمُ مَا يَشَاءُ ، وَيَفْعَلُ مَا يَرِيدُ ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) : ﴿ يَبْقَىٰ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَبْجَيْتُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْتُمْكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كَلُّوا مِنْ طَلِبَتِ مَا رَزَقْنَكُمْ وَلَا تَطْفَرُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّدْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ [طه : ٨٠-٨٢] . يَذَكِّرُ تَعَالَىٰ مِنْتَهُ

(١) التفسير ٣٠١/٥ ، ٣٠٢ .

واحسانه إلى بنى إسرائيل، بما أنجاهم من أعدائهم، وخلصهم من الضيق والحرَج، وأنه وعدهم صُحبة نبيهم كليمه إلى جانب الطور الأمين، أى منهم، لينزل عليه^(١) أحكامًا عظيمة، فيها مصلحة لهم فى دنياهم [١٧٥/١] وأخراهم، وأنه تعالى أنزل عليهم فى حال شدتهم وضرورتهم، فى سفرهم فى الأرض التى ليس فيها زرع ولا ضرع، متًا من السماء، يُصبحون فيجدونه خالًا بيوتهم، فيأخذون منه قدر حاجتهم فى ذلك اليوم إلى مثله من الغد، ومن ادخر منه لأكثر من ذلك فسد، ومن أخذ منه قليلًا كفاه، أو كثيرًا لم يفضل عنه، فيصنعون منه مثل الخبز، وهو فى غاية البياض والحلاوة، فإذا كان من آخر النهار غشيتهم طير السلوى، فيقتنصون منه بلا كلفة ما يحتاجون إليه، حسب كفاتهم لعشائهم، وإذا كان فصل الصيف، ظلَّ الله عليهم الغمام، وهو السحاب الذى يشتت عنهم حرَّ الشمس، وضوءها الباهر. كما قال الله تعالى فى سورة «البقرة»^(٢): ﴿يَبَيِّنُ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِقُونَ ﴿٤١﴾ [البقرة: ٤٠، ٤١]. إلى أن قال: ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْجَنَكُم مِّن غَرَقِنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنسَم نَظَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعَهْدَ مِنَ بَعْدِهِ وَأَنسَم

(١) فى الأصل: «عليهم».

(٢) التفسير ١١٧/١ - ١٤٧.

ظَلَمْتُمْ ﴿٥٦﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ آتَيْنَا
 مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِنَّمَا
 ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْبَلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ
 لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ
 نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ
 مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ
 الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلًّا مِنْ طَبِئَتِ مَا رَزَقْنَكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
 يَظْلِمُونَ ﴿[البقرة: ٤٩ - ٥٧]﴾ إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا
 اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
 مَشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
 قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاجِدْ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثَبِّتُ الْأَرْضُ
 مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَاطِهَا وَفُومِهَا ﴿١/١٧٥ ط﴾ وَعَدْسِهَا وَيَسْلُبُهَا قَالَ أَنْتَبِلُونَ الَّذِي
 هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَحْبَبُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ
 عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِعَصَابِ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿[البقرة: ٦٠، ٦١]﴾
 يَذْكُرُ تَعَالَى إِنْعَامَهُ عَلَيْهِمْ ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ بِمَا يَسَّرَ لَهُمْ مِنَ الْمَنِّ
 وَالسَّلْوَى ، طَعَامَيْنِ شَهِيئَيْنِ ، بِإِلَّا كُفْفَةٍ ، وَلَا سَعْيٍ لَهُمْ فِيهِ ، بَلْ يُنَزِّلُ اللَّهُ الْمَنَّ
 بَاكِرًا ، وَيُوسِلُ عَلَيْهِمْ طَيْرَ السَّلْوَى عَشِيًّا ، وَأَتْبَعَ الْمَاءَ لَهُمْ بِضَرْبِ مُوسَى ، عَلَيْهِ
 السَّلَامُ ، حَجْرًا كَانُوا يَحْمِلُونَهُ مَعَهُمْ ، بِالْعَصَا فَتَفَجَّرَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، لِكُلِّ
 سَبْطٍ عَيْنٌ مِنْهُ تَنْبَجِسُ ، ثُمَّ تَتَفَجَّرُ مَاءً زُلَالًا ، فَيَسْتَقُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَسْقُونَ
 دَوَابَّهُمْ ، وَيَذْخِرُونَ كِفَايَتَهُمْ . وَظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ مِنَ الْحَرِّ . وَهَذِهِ نِعْمٌ مِنَ اللَّهِ

عظيمة وعطيات جسيمة، فما رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا، ولا قاموا بِشُكْرِهَا وحقَّ عبادتها، ثم ضَجِرَ كثيرٌ منها، وتبرُّموا بها، وسألوا أن يستبدلوا منها ببدليها، بما تُنبِتُ الأرض من بقلها، وقثائها، وفومها، وعدسها، وبصلها. فقرعهم الكليم، ووبَّخهم، وأنبههم على هذه المقالة، وعنفهم قائلاً^(١): ﴿أَنْتَبِدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهَيُّوْا مِضْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ ۗ أَيْ؛ هذا الذي تَطْلُبُونَهُ، وتريدونه بدلَ هذه النعم التي أنتم فيها، حاصلٌ لأهل الأمصارِ الصَّغارِ والكبارِ، موجودٌ بها، وإذا هَبَطْتُمْ إليها، أَيْ؛ ونزلْتُمْ عن هذه المرتبة التي لا تَصْلُحُونَ لِنَصِيبِهَا، تجدوا بها ما تشتهون، وما ترومون مما ذكرْتُمْ مِنَ المأكَلِ الدُّنْيِيَّةِ والأغذية الرَدِيَّةِ، ولكنِّي لستُ أُجيبُكم إلى سؤالكم ذلك ههنا، ولا أُبلِّغُكم ما تعشتم^(٢) به مِنَ المَتَى، وكلُّ هذه الصِّفَاتِ المذكورة عنهم الصَّادِرَةُ منهم، تدلُّ على أنَّهم لم يَنْتَهُوا عَمَّا نُهُوا عنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۗ﴾ [طه: ٨١]. أَيْ؛ فقد هَلَكَ، وحقُّ له واللَّهِ الهلاكُ والدَّمَارُ، وقد حلَّ عليه غضبُ المَلِكِ الجبارِ، ولكنه تعالى، مزج هذا الوعيدَ الشَّدِيدَ بِالرَّجَاءِ لِمَنْ أَنَابَ وَتَابَ، ولم يستمرَّ على مُتَابَعَةِ الشَّيْطَانِ المَرِيدِ، فقال: ﴿وَإِنِّي لَفَاقَرٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۗ﴾ [طه: ٨٢].

(١) التفسير ١/١٤٤.

(٢) في الأصل: «بعث».

سؤال الرؤية

قال الله تعالى^(١) : ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِح وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِن [١٧٦/١] أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَجَلَىٰ رَبُّهُ لَلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُمُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾] الأعراف : ١٤٢ - ١٤٧ . قال جماعة من السلف ؛ منهم ابن عباس ، ومشروق ، ومجاهد^(٢) : الثلاثون ليلة هي ؛ شهر ذي القعدة

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) التفسير ٣/٤٦٥ - ٤٧٣ .

(٣) تفسير الطبري ٩/٤٧ ، ٤٨ ، التفسير ٣/٤٦٥ ، الدر المنثور ٣/١١٤ ، ١١٥ .

بكمالِهِ ، وأتمت أربعين ليلةً بعشرِ ذى الحِجَّةِ . فعلى هذا يكونُ كلامُ اللهِ له يومَ عيدِ النَّحرِ ، وفي مثله أكملَ اللهُ ، عزَّ وجلَّ ، لمحمدٍ ﷺ دينه ، وأقامَ حُجَّتَه ، وبراهينه .

والمقصودُ أنَّ موسى ، عليه السلامُ ، لما استكملَ الميقاتَ ، وكان فيه صائماً ، يُقالُ : إنَّه لم يَسْتَطِعِ الطَّعامَ . فلما كَمَلَ الشَّهْرُ ، أخذَ لحا شجرةٍ فَمَضَّغَه ، لِيطيَّبَ رِيحَ فيه ، فأمرَ اللهُ أنْ يُمِسِكَ عَشْرًا أُخرى ، فصارتُ أربعين ليلةً . ولهذا ثبتَ في الحديثِ أنَّ : « خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِشْكِ »^(١) . فلما عَزَمَ على الذَّهابِ ، اسْتَخْلَفَ على شَعْبِ بنى إِسرائيلَ أخاه هارونَ المُحبَّبِ ، المُبجَّلِ ، الجليلِ ، وهو ابنُ أمِّه وأبيه ، ووَازِيهه في الدَّعوةِ إلى مصطَفِيه ، فوصَّاه وأمرَه ونهاه ، وليس في هذا لِعَلُّو منزله في نُبُوَّتِه مُنافاةً ، قال اللهُ تعالى : ﴿ وَكَمَا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا ﴾ أى ؛ في الوقتِ الذى أَمَرَ بالهِجْءِ فيه ، ﴿ وَكَلِمَةُ رَبِّكُمْ ﴾ أى ؛ كَلِمَةُ اللهِ مِنْ وراءِ حِجَابِ ، إلا أَنَّهُ أَسْمَعَه الخِطَابَ ، فَتَآذَاه ونَاجَاه ، وَقَوِيه وَأَذَنَاه ، وهذا مَقَامٌ رَفيعٌ ، وَمَعْقِلٌ مُنيعٌ ، وَمُنْصِبٌ شَريفٌ ، وَمَنْزَلٌ مُنيفٌ ، فَصلواتُ اللهُ عليه تَنزِيٌّ ، وسلامُه عليه في الدُّنيا والأخرى . ولَمَّا أُعْطِيَ هذه المَنْزِلَةَ العَليَّةَ والمَرْتَبَةَ السَّنيَّةَ ، وَسَمِعَ الخِطَابَ ، سَأَلَ رَفَعَ الحِجَابِ ، فقالَ للعَظيمِ ، الذى لا تُدْرِكُه الأبصارُ ، القَوِيُّ البُرْهانِ : ﴿ رَبِّ ارْفِئْ أُنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ ﴾ . ثُمَّ يَبَيَّنُ تعالى أَنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْثُثَ عِنْدَ تَجَلِّيهِ تَبَارَكَ وتعالى ؛ لِأَنَّ الجَبَلَ الذى هو أَقوى وأكْبَرُ ذاتًا ، وَأشدُّ ثَبَاتًا مِنَ الإنسانِ ، لا يَبْثُثُ عِنْدَ [١٧٦/١ ظ] التَّجَلِّيِّ مِنَ الرَّحْمَنِ ، ولهذا قال :

(١) البخارى (١٨٩٤ ، ١٩٠٤ ، ٥٩٢٧ ، ٧٤٩٢ ، ٧٥٣٨) ، ومسلم (١١٥١) .

﴿ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي ﴾ .

وفى الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال له : يا موسى ، إنه لا يرانى حتى إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده^(١) . وفى «الصحيحين»^(٢) ، عن أبى موسى ، عن رسول الله ﷺ ، أنه قال : « حِجَابُهُ الثَّوْرُ » . وفى رواية : « الثَّارُ ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » . وقال ابن عباس ، فى قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ : ذاك نُورُهُ ، الذى هو نُورُهُ ، إذا تجلَّى لشيءٍ ، لا يقوم له شيء ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قال مُجاهدٌ : ﴿ وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي ﴾ فإنه أكبرُ منك ، وأشدُّ خَلْقًا ، فلما تجلَّى ربه للجبل ، فنظر إلى الجبل لا يتمالك ، وأقبل الجبلُ فدكَّ على أوله ، ورأى موسى ما يصنع الجبلُ ، فخرَّ صَعِقًا .

وقد ذكرنا فى «التفسير» ما رواه الإمام أحمد ، والترمذى ، وصحَّحه^(٣) ، وابن جرير ، والحاكم ، من طريق حماد بن سلمة ، عن ثابت ، زاد ابن جرير ، وليث ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ ، قرأ : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ قال : هكذا بأضبعيه ، ووضع النبى ﷺ ، الإبهام على المفصل الأعلى

(١) وهو لفظ حديث مرفوع أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١٠/٢٣٥ . من حديث ابن عباس .
(٢) أخرجه مسلم (١٧٩) . وابن ماجه (١٩٦) . ولم نجده فى البخارى ، وانظر تحفة الأشراف /٦ . ٤٧٢ .
(٣) زيادة من : ح .

من الخنصر، فساخ الجبل. لفظ ابن جرير^(١). وقال السدّي، عن عكرمة،
 عن^(٢) ابن عباس: ما تجلّى - يعنى من العظمة - إلا قدّر الخنصر، فجعل الجبل
 ذكاً، قال: تراباً ﴿ وَحَرَّ مُوسَى صَبْعًا ﴾ أى؛ معشياً عليه^(٣). وقال قتادة:
 ميّتا. والصحيح الأول؛ لقوله: ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾. فإن الإفافة إنما تكون عن
 غشي. قال: ﴿ سُبْحَانَكَ ﴾ تنزيه، وتعظيم، وإجلال أن يراه بعظمته أحد.
 ﴿ بُتَّ إِلَيْكَ ﴾، أى: فلست أسأل بعد هذا الرؤيّة: ﴿ وَأَنَا أَوْلُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أنه لا يراك حتى إلا مات، ولا يابس إلا تدهده. وقد ثبت فى
 «الصحيحين»^(٤)، من طريق عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبى حسن المازنى
 الأنصارى، عن أبيه، عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا
 تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يُضَعَّفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوْلَ مَنْ
 يُفِيقُ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلى، أم
 مجوزى بصغفة الطور». لفظ البخارى، وفى أوله قصة اليهودى الذى لطم
 وجهه الأنصارى، حين قال: لا والذى اصطفى موسى على البشر. فقال
 رسول الله ﷺ [١٧٧/١]: «لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ». وفى

(١) رواه أحمد فى المسند ٣/٢٠٩. الترمذى (٣٠٧٤) وقال: حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من
 حديث حماد بن سلمة. وابن جرير فى تفسيره ٩/٥٣. والحاكم فى المستدرک ٢/٥٧٧. أما رواية ليث
 عن أنس، عند ابن جرير، فقال الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على تفسير الطبرى ١٣/٩٩: وليس ذلك
 كما نقل - أى ابن كثير - فإن الثابت فى المخطوطة والمطبوعة «حماد، عن ثابت، عن أنس»، ليس فيها
 «ليث»، فلا أدري كيف وقع هذا للحافظ ابن كثير ولا من أين؟.

(٢) فى ح: «وعن». وهو خطأ.

(٣) تفسير ابن جرير ٩/٥٢، ٥٣. تاريخ الطبرى ١/٤٢٣.

(٤) البخارى (٤٦٣٨، ٦٩١٧)، مسلم (٢٣٧٤).

«الصَّحِيحِينَ»^(١)، مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، وَعَبِيدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ،
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِنَحْوِهِ، وَفِيهِ: «لَا تُخَيَّرُونِي عَلَى مُوسَى». .
وَذَكَرَ تَمَامَهُ. وَهَذَا مِنْ بَابِ الْهَضْمِ وَالتَّوَاضُعِ، أَوْ نَهَى عَنِ التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ
عَلَى وَجْهِ الْغَضَبِ وَالْعَصَبِيَّةِ، أَوْ لَيْسَ هَذَا إِلَيْكُمْ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي رَفَعَ بَعْضَهُمْ
فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، وَلَيْسَ يُنَالُ هَذَا بِمَجْرَدِ الرَّأْيِ، بَلِ بِالتَّوَقُّفِ. وَمَنْ قَالَ:
إِنَّ هَذَا قَالَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ أَفْضَلُ، ثُمَّ نُسِخَ بِاطْلَاعِهِ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ عَلَيْهِمْ
كُلَّهُمْ. فَفِي قَوْلِهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَمَا
هَاجَرَ^(٢) «أَبُو هُرَيْرَةَ»^(٣) إِلَّا عَامَ خَيْرٍ^(٤) مَتَأَخَّرَا، فَيَبْتَغِدُ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِهَذَا إِلَّا بَعْدَ
هَذَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أَفْضَلُ الْبَشَرِ، بَلِ
الْحَلِيقَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:
١١٠]. وَمَا كَمَلُوا إِلَّا بِشَرَفِ نَبِيِّهِمْ، وَتَبَّتْ بِالتَّوَاتُرِ عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ
عَلَيْهِ، أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»^(٥). ثُمَّ ذَكَرَ اخْتِصَاصَهُ
بِالمَقَامِ المَحْمُودِ، الَّذِي يَعْطِيهِ بِهِ الْأَوْلُونَ وَالْآخِرُونَ، الَّذِي تَحِيدُ عَنْهُ الْأَنْبِيَاءُ
وَالْمُرْسَلُونَ، حَتَّى أُولُو الْعِزْمِ الْأَكْمَلُونَ؛ نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ. وَقَوْلُهُ ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَأَجِدُ مُوسَى بِاطِشًا بِقَائِمَةً
العَرْشِ - أَيْ؛ آخِذًا بِهَا - فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزِي بِصَغْفَةِ الطُّورِ»^(٦).

(١) البخارى (٢٤١١). ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) فى الأصل: «هاجرا».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى ح، م، ص: «حنين».

(٥) مسلم (٢٢٧٨). أبو داود (٤٦٧٣). الترمذى (٣١٤٨، ٣٦١٥).

(٦) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة.

دليلٌ على أن هذا الصَّعَقَ ، الذى يَحْصُلُ للخلائقِ فى عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ، حِينَ يَتَجَلَّى الرَّبُّ لِقَضَائِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، فَيُصَعِّقُونَ مِنْ شِدَّةِ الْهَيْبَةِ وَالْعِظْمَةِ وَالْجَلَالِ ، فَيَكُونُ أَوْلَهُمْ إِفَاقَةٌ مُحَمَّدٌ ، خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمُصْطَفَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَيَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ . قَالَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ : « فَلَأَذْرِي أَصْعِقَ ، فَأَفَاقَ قَبْلِي » ^(١) . أَى ، وَكَانَتْ صَعْفَتُهُ خَفِيفَةً ؛ لِأَنَّهُ قَدْ نَالَهُ بِهَذَا السَّبَبِ فِي الدُّنْيَا صَعَقٌ ، أَوْ مُجَوِزِيَّ بِصَعْفَةِ الطُّورِ ، يَعْنِي فَلَمْ يُصَعَّقْ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَهَذَا فِيهِ شَرَفٌ كَبِيرٌ وَعُغْلُو مَرْتَبَةِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِنْ هَذِهِ الْحَيِّيَّةِ ، وَلَا يَلْزَمُ تَفْضِيلُهُ بِهَا مُطْلَقًا مِنْ كُلِّ وَجْهِ ؛ وَلِهَذَا نَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَرْفِهِ وَقَضِيَّتِهِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ لَمَّا ضَرَبَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ ، حِينَ قَالَ : لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ . قَدْ يَحْصُلُ فِي نَفْسِ بَعْضِ الْمَشَاهِدِينَ لِذَلِكَ هَضْمٌ بِجَنَابِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَبِينُ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَتَهُ وَشَرْفَهُ [١٧٧/١ ظ] . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالَ يَمْسُقُ إِلَيَّ اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي ﴾ أَى فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، لَا مَا قَبْلَهُ ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ أَفْضَلَ مِنْهُ ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ ^(٢) ، وَلَا مَا بَعْدَهُ ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلُ مِنْهُمَا ؛ كَمَا ظَهَرَ شَرْفُهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ ، وَكَمَا ثَبَتَ أَنَّهُ قَالَ : « سَأَقُومُ مَقَامًا يَرْعُبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ » ^(٣) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ أَى ؛ فَخُذْ مَا أَعْطَيْتُكَ مِنَ الرِّسَالَةِ

(١) أبو داود (٤٦٧١) . (صحيح أبى داود ٣٩٠٥) .

(٢) زيادة من : الأصل ، ا .

(٣) انظر ما تقدم فى ١/٣٨٤ - ٣٩٨ .

(٤) تقدم تخريجه فى ١/٣٨٥ .

والكلام، ولا تسأل زيادةً عليه، وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ عَلَى ذَلِكَ.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وكانت الألواح من جوهر نفيس، ففي «الصحيح» أن الله كتب له التوراة بيده، وفيها مواضع عن الآثام، وتفصيل لكل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام^(١) «والحدود والأحكام»^(٢)، ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ أي؛ بعزم ونية صادقة قوية، ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا حُذْوًا بِأَحْسَنِهَا ﴾ أي، يضعوها على أحسن وجوهها، وأجمل محاملها، ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَنَاسِقِينَ ﴾ أي؛ ستروا عاقبة الخارجين عن طاعتي، المخالفين لأمري، المكذبين لرُسُلِي. ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ أي؛ عن فهمها، وتدبرها، وتعقل معناها الذي أريد منها، ودل عليه مقتضاها، ﴿ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ أي؛ ولو شاهدوا مهما شاهدوا من الخوارق، والمعجزات، لا يتفادوا لاتباعها، ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ أي؛ لا يسلكوه، ولا يتبعوه، ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ أي؛ صرفناهم عن ذلك؛ لتكذيبهم بآياتنا، وتغافلهم عنها، وإغراضهم عن التصديق بها، والتفكير في معناها، وترك العمل بمقتضاها، ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

(١ - ١) زيادة من: الأصل.

(٢) رواه البخاري (٦٦١٤). مسلم (٢٦٥٢).

قِصَّةُ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ فِي

غَيْبَةِ كَلِيمِ اللَّهِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال الله تعالى^(١): ﴿ وَأَخَذَ قَوْمَ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا يَكْفِيهِمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا أَخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي [١٧٨/١] وَإِلَئِي وَادْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾] [الأعراف: ١٤٨ - ١٥٤].

وقال الله تعالى^(٢): ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمْوسَى ﴿٨٢﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ

(١) التفسير ٣/٤٧٣ - ٤٧٧.

(٢) التفسير ٥/٣٠٢ - ٣٠٨.

عَلَىٰ آثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن دُونِكَ
 وَأَضَلُّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ
 يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ
 غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا
 حَمَلْنَا آوَارَاكَ مِن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْتَهَا فَكَذَلِكَ آلَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ
 عِجْلًا جَسَدًا لَّهُم خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ
 أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن
 قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ
 نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهتَدُونَ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا
 ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُونَ أَفْعَصَبْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِجَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي
 خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا
 خَطَبُكَ يَسْمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّن
 أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ
 لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ نُخْلِفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ
 الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا
 إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ [طه : ٨٣ - ٩٨] .

يَذْكُرُ تَعَالَى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، حِينَ ذَهَبَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِلَى
 مِيقَاتِ رَبِّهِ ، فَمَكَثَ عَلَى الطُّورِ يُنَاجِيهِ رَبَّهُ ، وَيَسْأَلُهُ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَنْ
 أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، وَهُوَ تَعَالَى يُجِيبُهُ عَنْهَا ، فَعَمَدَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ ^(١) : السَّامِرِيُّ .

(١) بعده في الأصل ، ح ، م ، ص : «هارون» . وقد صرح المصنف - رحمه الله - في التفسير =

فَأَخَذَ مَا كَانَ اسْتَعَارُوهُ مِنَ الْحَلِيِّ فَصَاغَ مِنْهُ عِجَلًا، وَالْقَى فِيهِ قَبْضَةً مِنَ الثَّرَابِ، كَانَ أَخَذَهَا مِنْ أَثْرِ فَرَسٍ جَبْرِيلَ، حِينَ رَأَاهُ يَوْمَ أَعْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدَيْهِ، فَلَمَّا أَلْقَاهَا فِيهِ^(١)، خَازَ كَمَا يَخُورُ الْعِجْلُ الْحَقِيقِيُّ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ اسْتَحَالَ عِجَلًا جَسَدًا. أَى، لِحْمًا وَدَمًا، حَيْثَا يَخُورُ. قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ^(٢). وَقِيلَ: بَلْ كَانَتْ الرِّيحُ إِذَا دَخَلَتْ [١/١٧٨ظ] مِنْ دُبُرِهِ، خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ، فَيَخُورُ كَمَا تَخُورُ الْبَقَرَةُ، فَيَرْقُصُونَ حَوْلَهُ وَيَفْرَحُونَ^(٣). ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ أَي؛ فَتَسَى مُوسَى رَبَّهُ عِنْدَنَا، وَذَهَبَ يَتَطَلَّبُهُ، وَهُوَ هَلْهِنًا. تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ، وَتَضَاعَفَتْ آلَاؤُهُ وَعِدَاتُهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، مُبَيِّنًا لَهُمْ بَطْلَانَ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ، وَمَا عَوَّلُوا عَلَيْهِ، مِنْ إِلَهِيَّةِ هَذَا الَّذِي قُصِرَ بِهِ أَنْ يَكُونَ حَيَوَانًا بَهِيمًا وَشَيْطَانًا رَجِيمًا: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾. وَقَالَ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فَذَكَرَ أَنَّ هَذَا الْحَيَوَانَ لَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَرُدُّ جَوَابًا، وَلَا يَمْلِكُ صَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا يَهْدِي إِلَى رُشْدٍ، اتَّخَذُوهُ وَهُمْ ظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، عَالِمُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِطْلَانِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أَي؛ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا، ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

= ٣٠٣/٥، أنه من الكتب الإسرائيلية. واسم السامري: موسى بن ظفر. انظر: تاريخ الطبرى ١/ ٤٢٥، المعارف ص ٤٤، التعريف والإعلام ص ٢٠٥، الدر المنثور ٤/ ٣٠٥.
 (١) ليست فى: الأصل.
 (٢) تفسير الطبرى ١٦/ ٢٠٠، التفسير ٥/ ٣٠٧.
 (٣) انظر قصص الأنبياء للثعلبى ص ١٨٦. التفسير ٥/ ٢٨٥.

ولما رَجَعَ موسى ، عليه السلام ، إليهم ، ورأى ما هم عليه من عبادة العِجَلِ ، ومعه الألواح المتضمنة التوراة ، ألقاها ، فيقال : إنه كَسَرَهَا . وهكذا هو عند أهل الكتاب^(١) ، وإنَّ اللهَ أَبَدَلَهُ غَيْرَهَا . وليس في اللفظِ القرآني ما يدلُّ على ذلك ، إلاَّ أنَّه ألقاها حينَ عاينَ ما عاينَ . وعند أهل الكتاب^(٢) ، أنَّهما كانا لَوْحَيْنِ . وظاهرُ القرآنِ أنَّها ألواحٌ متعدِّدةٌ ، ولم يتأثرْ بمجردِ الخبرِ مِنَ اللهِ تعالى ، عن عبادتهم العِجَلِ ، فأمرَه بمعايِنَةِ ذلك . ولهذا جاء في الحديثِ الذي رواه الإمامُ أحمدُ^(٣) ، وابنُ جِبَّانَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لَيْسَ الْخَبِيرُ كَالْمُعَايِنَةِ » . ثُمَّ أُقْبِلَ عَلَيْهِمْ فَعَنَّفَهُمْ ، وَوَبَّخَهُمْ ، وَهَجَّنَهُمْ فِي صَنِيعِهِمْ ، هَذَا الْقَبِيحِ ، فاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ بِمَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ ؛ قالوا : إنا ﴿ حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ ، تَحَرَّجُوا مِنْ تَمَلُّكِ حُلِيِّ آلِ فِرْعَوْنَ ، وَهُمْ أَهْلُ حَرْبٍ ، وَقَدْ أَمَرَهُمُ اللهُ بِأَخْذِهِ ، وَأَبَاحَهُ لَهُمْ ، وَلَمْ يَتَحَرَّجُوا بِجَهْلِهِمْ ، وَقَلَّةِ عِلْمِهِمْ وَعَقْلِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجَلِ الْجَسَدِ ، الَّذِي لَهُ حُورًا ، مَعَ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ الْقَهَّارِ . ثُمَّ أُقْبِلَ عَلَى أَخِيهِ هَارُونَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، قَائِلًا لَهُ : ﴿ يَهْدُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٧﴾ إِلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ أَي ؛ هَلَّا لَمَّا رَأَيْتَ مَا صَنَعُوا اتَّبَعْتَنِي فَأَعْلَمْتَنِي بِمَا فَعَلُوا ، فَقَالَ : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ أَي ؛ تَرَكْتَهُمْ وَجِئْتَنِي ، وَأَنْتَ قَدْ اسْتَخْلَفْتَنِي فِيهِمْ ، ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ وَقَدْ كَانَ هَارُونَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، [١٧٩/١]

(١) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/١٩ .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/١٥ ، ١٦ .

(٣) في المسند ١/٢١٥ ، ٢٧١ ، والإحسان (٦٢١٣) . (صحيح) .

نهاهم عن هذا الصنيع الفظيع أشد التَّهْيِ ، وَزَجَرَهُمْ عَنْهُ أَمُّ الزَّجْرِ ، قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقَوِرُوا إِنَّمَا فِتْنَةٌ ﴿١٦٠﴾ أَيْ ؛ إِنَّمَا قَدَّرَ اللَّهُ
 أَمْرَ هَذَا الْعِجْلِ ، وَجَعَلَهُ يَخْوِرُ فِتْنَةً وَاجْتِبَاءً لَكُمْ . ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ ﴿١٦١﴾
 أَيْ ؛ لَا هَذَا الْعِجْلُ ، ﴿ فَأَتَيْنَاهُ ﴾ أَيْ ؛ فِيمَا أَقُولُ لَكُمْ ، ﴿ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ ﴿١٦٢﴾
 قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿ يَشْهَدُ اللَّهُ لَهَارُونَ ، عَلَيْهِ
 السَّلَامُ ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ، أَنَّهُ نَهَاكَمْ وَزَجَرَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُطِيعُوهُ وَلَمْ
 يَتَّبِعُوهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُوسَىٰ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَلَى السَّامِرِيِّ ، ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ
 يَسْمِرِيُّ ﴾ أَيْ ؛ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ . ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا
 بِهِ ﴾ أَيْ ؛ رَأَيْتُ جِبْرَائِيلَ ، ” وَهُوَ رَاكِبٌ فَرَسًا ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ
 الرَّسُولِ ﴾ أَيْ ؛ مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرَائِيلَ . وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ رَأَاهُ وَكَانَ كَلَّمَا
 وَطَقَّتْ بِحَوَافِرِهَا عَلَى مَوْضِعٍ ، اخْضَرَّ وَأَغْشَبَ ، فَأَخَذَ مِنْ أَثَرِ حَافِرِهَا ، فَلَمَّا
 أَلْقَاهُ فِي هَذَا الْعِجْلِ الْمَصْنُوعِ مِنَ الذَّهَبِ ، كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، وَلِهَذَا قَالَ :
 ﴿ فَسَبَّحْتَهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ ﴿١٦٣﴾ قَالَ فَآذَنَّا فَاتَّكَ لَكَ فِي
 الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴿ وَهَذَا دَعَاءٌ عَلَيْهِ بَأْنَ لَا يَمَسُّ أَحَدًا ؛ مَعَاقِبَةٌ لَهُ
 عَلَى مَسِّهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسَّهُ . هَذَا مَعَاقِبَةٌ لَهُ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُ فِي الْآخِرَةِ ،
 فَقَالَ : ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخْلِفَهُ ﴿ وَقُرِئَ : (لَنْ نُخْلِفَهُ) ﴿١٦٤﴾ . ﴿ وَأَنْظُرْ
 إِلَيَّ إِلَهَكَ الَّذِي ظَلَمْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْحَرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿
 قَالَ : فَعَمَدَ مُوسَىٰ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِلَى هَذَا الْعِجْلِ فَحَرَّقَهُ ، قِيلَ : بِالتَّارِ . كَمَا

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو . تفسير القرطبي ١١ / ٢٤٢ . وانظر تفسير الطبري ١٦ / ٢٠٦ ،

قاله قتادة، وغيره. وقيل: بالمبارد. كما قاله علي، وابن عباس، وغيرهما^(١). وهو نص أهل الكتاب^(٢). ثم ذراه في البحر، وأمر بني إسرائيل فشرّبوا، فمن كان من عابديه، غلق على شفاههم من ذلك الرماد منه ما يدل عليه، وقيل: بل اصفرّت ألوانهم.

ثم قال تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لهم: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾. وهكذا وقع، وقد قال بعض السلف ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾: مسجلة لكل صاحب بدعة إلى يوم القيامة^(٣). ثم أخبر تعالى عن جلّيه ورحمته بخلقه، وإحسانه على عبّيده، في قبوله توبة من تاب إليه، بتوبته عليه فقال: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. لكن لم يقبل الله توبة عابدي العجل إلا بالقتل، كما قال تعالى^(٤): ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَلِفُوا أَيْدِيَكُمْ فَذُرُّوا أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ أَنفَكْتُم مِّن بَيْنِ يَدَيْكُمْ فَذُرُّوهُمْ وَأَقْبِلُوا لِحُكْمِ رَبِّكُمْ وَلَا تُؤْثِرُوا حُكْمَ اللَّهِ لِحُكْمِ النَّاسِ إِنَّهُم بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَأَوَّحَيْنَا إِلَىٰ آلِ مُوسَىٰ أَنِ اضْمُرُوا كِفَاتِكُمْ فِي الْمَسَاجِدِ لِئَلَّا يُرَىٰ مِنكُم بَشَرٌ مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ عِندَ اللَّهِ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ الْعَلِيمُ الْغَنِيُّ﴾ [البقرة: ٥٤] فيقال: إنهم أصبحوا يوماً، وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف، وألقى الله عليهم ضباباً، حتى لا يعرف القريب قريبه، ولا النسيب نسيبه، ثم مالوا على

(١) تفسير الطبري ١٦/٢٠٨، ٢٠٩، والقرطبي ١١/٢٤٢، ٢٤٣، والتفسير ٥/٣٠٧.

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/٢٠.

(٣) انظر أقوال السلف في التفسير ٣/٤٧٥، والقرطبي ٧/٢٩٢.

(٤) التفسير ١/١٣٠ - ١٣٢.

عابديهم ، فقتلوهم ، وحصدوهم . فيقال : إنهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين ألفاً . ثم قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ استدل بعضهم بقوله : ﴿ وَفِي نُسُخَتِهَا ﴾ على أنها تكسرت ، وفي هذا الاستدلال نظر ، وليس في اللفظ ما يدل على أنها تكسرت ، والله أعلم ^(١) . وقد ذكر ابن عباس في حديث الفئون ، كما سيأتي ، أن عبادتهم العجل ، كانت على أثر خروجهم من البحر ، وما هو بعيد ؛ لأنهم حين خرجوا ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ .

وهكذا عند أهل الكتاب ، فإن عبادتهم العجل ، كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس ، وذلك أنهم لما أمروا بقتل من عبد العجل ، قتلوا في أول يوم ثلاثة آلاف ^(٢) . ثم ذهب موسى يستغفر لهم ، فغفر لهم ، بشرط أن يدخلوا الأرض المقدسة .

﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ وَأَكْتَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ

(١) انظر تفسير القرطبي ٧/٢٨٨ ، والتفسير ٣/٤٧٦ .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/٢٨ .

الَّتِي الْأَمْحَى الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا
بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ ﴿١﴾ [الأعراف: ١٥٥ - ١٥٧]. ذكر الشُّدِّي، وابنُ عباس، وغيرهما،
أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ كانوا علماء بني إسرائيل، ومعهم موسى، وهارون،
ويوشع، وناداب، وأيهو، ذهبوا مع موسى، عليه السلام، ليعتدروا عن بني
إسرائيل في عبادة مَنْ عَبَدَ مِنْهُمْ الْعِجْلَ، وكانوا قد أمرُوا أَنْ يَتَّطِبُوا،
وَيَتَّطَهُرُوا، وَيَغْتَسِلُوا، فلما ذهبوا معه، واقتربوا من الجبل، وعليه الغمام،
وعمودُ التَّوْرِ ساطِعٌ، وصعد موسى الجبل، فدَكَرَ بنو إسرائيل أَنَّهُمْ سَمِعُوا كَلَامَ
اللَّهِ، وهذا قد وافقهم [١٨٠/١] عليه طائفةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ^(٢)، وحملوا عليه قوله
تعالى: ﴿ وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ
مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥]. وليس هذا بلازم؛ لقوله تعالى:
﴿ فَاجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ أَي؛ مُبَلِّغًا، وهكذا هَؤُلَاءِ سَمِعُوهُ مُبَلِّغًا مِنْ^(٣)
موسى، عليه السلام. وَزَعَمُوا أَيضًا أَنَّ السَّبْعِينَ رَأَوْا اللَّهَ، وهذا غَلَطٌ مِنْهُمْ؛
لأنَّهُمْ لَمَّا سَأَلُوا الرَّؤْيَى، أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوَسِي
لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّلْبَةَ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ
بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تُشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦]. وقال هلهنا:

(١) التفسير ٤٧٧/٣ - ٤٨٨.

(٢) انظر تفسير الطبري ٣٦٧/١، والتفسير ١٦٤/١، ١٦٥.

(٣) في الأصل، ص: «عن».

﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَرَائِي ﴾ . قال محمد بن إسحاق : اختار موسى من بنى إسرائيل سبعين رجلاً ، الخيبر فالخيبر ، وقال : انطلقوا إلى الله ، فتوبوا إليه مما صنعتم ، وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قَوْمِكُمْ ، صوموا وتطهروا ، وطهروا ثيابكم . فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربّه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فطلب^(١) منه السبعون أن يسمّوا كلام الله ، فقال : أفعل . فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه عمود الغمام ، حتى تغطى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل في الغمام ، وقال للقوم : ادنوا . وكان موسى إذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه بالحجاب ، ودنا القوم ، حتى إذا دخلوا في الغمام ، وقعوا سُجُودًا ، فسمِعوه وهو يُكَلِّمُ موسى ، يأمره وينهاه ؛ افعل . ولا تفعل . فلما فرغ الله من أمره ، وانكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم قالوا لموسى : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ - وهى الصاعقة - فاقبلت^(٢) أزواحهم ، فماتوا جميعاً فقام موسى يُناشِدُ ربّه ، ويدعوه ، ويَزْعُبُ إليه ، ويقول : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَرَائِي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ أى ؛ لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين عبدوا العجل منّا ، فإننا بُرَاءٌ مِّمَّا عَمِلُوا^(٣) . وقال ابن عباس ، ومُجاهدٌ ،

(١) فى الأصل ، ح : « فقال له وطلب » .

(٢) فى الأصل ، ح ، ا ، م : « فالتقت » . وكذا فى تاريخ الطبرى . وفى ص : « فأبنت » . وما أثبت هو الصواب إن شاء الله . فىقال : اتلّيت نفسه . أى مات فلتة ، أى بغتة . وفى البخارى : أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : إن أمى اتلّيت نفسها ، فماتت ولم توص . فأصدق عنها ؟ انظر النهاية لابن الأثير . ٤٦٧/٣ .

(٣) تفسير الطبرى ١/ ٢٩١ ، وتاريخ الطبرى ١/ ٤٢٧ ، والتفسير ٣/ ٤٧٧ .

وقتادة، وابن جريج: إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل. وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أى؛ اختبارك، وابتلاؤك، وامتحانك. قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وغير واحد من علماء السلف والخلف. يعنى: أنت الذى قدّرت هذا، وخلقّت [١/١٨٠] ما كان من أمر العجل، اختباراً تختبرهم به، كما قال لهم هارون من قبل: ﴿يَقْوِرْ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ أى؛ اختبرتم به، ولهذا قال: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ أى؛ من شئت أضللته باختيارك إياه، ومن شئت هديته، لك الحكم والمشية، فلا مانع ولا رادّ لما حكمت وقضيت. ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ﴾.

﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ أى؛ ثبتنا إليك، ورجعنا، وأبنا. قاله، ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، وإبراهيم التيمي، والضحاك، والسدي، وقتادة، وغير واحد، وهو كذلك فى اللغة^(١). ﴿قَالَ عِدَائِي أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَسَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أى؛ أنا أعدب من شئت بما أساء من الأمور، التى أخلقها وأقدرها، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ كما ثبت فى «الصحيحين»^(٢)، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا فَرَعَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَتَبَ كِتَابًا، فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي». ﴿فَسَاكُنْتُمَا لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾

(١) التفسير ٣/٤٧٩.

(٢) البخارى (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

أى؛ فسأوجِبها حَتْمًا لِن يَتَّصِفُ بهذه الصِّفَاتِ ، ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ
الَّتِي الْأُمَمِ ﴾ الآية . وهذا فيه تَنْوِيهٌ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأُمَّتِهِ ، مِنَ اللَّهِ
تعالى لموسى ، عليه السلام ، فى جُمْلَةٍ ما نَاجاه به ، وَأَعْلَمَهُ وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ . وقد
تكلَّمنا على هذه الآية وما بعدها فى « التفسير » ، بما فيه كفايةً ومَقْنَعٌ ، ولِلَّهِ
الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ ^(١) . وقال قتادة : قال موسى : يا ربِّ ، أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً ، خَيْرُ أُمَّةٍ
أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، رَبِّ ، اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي .
قال : تلك أُمَّةٌ أَحْمَدُ . قال : ربِّ ، إني أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً ، هم الآخِرُونَ فى
الْخَلْقِ ، السَّابِقُونَ فى دُخُولِ الْجَنَّةِ ، رَبِّ ، اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي . قال : تلك أُمَّةٌ أَحْمَدُ .
قال : ربِّ ، إني أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً أَنَا جِيلُهُمْ فى صُدُورِهِمْ ، يقرؤونها ، وكان
مَنْ قَبْلَهُمْ يقرؤون كتابهم نظراً ، حتى إذا رَفَعُوها لم يَحْفَظُوا شَيْئًا ، ولم
يَعْرِفُوها ، وإنَّ اللَّهَ أَعْطَاكُمْ أَيُّهَا الْأُمَّةُ مِنَ الْحَفِظِ شَيْئًا ، لم يُعْطِهِ أَحَدًا مِنَ الْأُمَمِ .
قال : ربِّ ، اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي . قال : تلك أُمَّةٌ أَحْمَدُ . قال : ربِّ ، إني أجدُ فى
الألواحِ أُمَّةٌ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، وبالْكِتَابِ الْآخِرِ ، وَيَقَاتِلُونَ فِضُولَ
الضَّلَالَةِ ، حتى يُقَاتِلُوا الْأَعْوَرَ الْكُذَّابَ ، فاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي . قال : تلك أُمَّةٌ أَحْمَدُ .
قال : رَبِّ ، إني أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً ، صَدَقَاتُهُمْ [١٨١/١] يَأْكُلُونَهَا فى
بَطُونِهِمْ ، وَيُؤَجِّرُونَ عَلَيْهَا ، وكان مَنْ قَبْلَهُمْ إذا تصدَّقَ بِصَدَقَةٍ ، فقبِلتْ منه ،
بعثَ اللَّهُ عَلَيْهَا نَارًا فَأَكَلَتْهَا ، وإن رُدَّتْ عَلَيْهِ ، تُرِكَتْ فَتَأْكُلُهَا السَّبَاعُ وَالطَّيْرُ ،
وإنَّ اللَّهَ أَخَذَ صَدَقَاتِكُمْ مِنْ غَنِيِّكُمْ لِفَقِيرِكُمْ ، قال : رَبِّ ، فاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي .
قال : تلك أُمَّةٌ أَحْمَدُ . قال : رَبِّ ، فَإني أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً إذا هَمَّ أَحَدُهُمْ

(١) انظر التفسير ٣/٤٧٩ - ٤٨٨ .

بِحَسَنَةٍ، ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ: رَبِّ، اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي. قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَابِ أُمَّةً هُمُ الْمُشْفَعُونَ، الْمَشْفُوعُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي. قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ قَتَادَةُ: فَذَكِّرْ لَنَا أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَبَدَ الْأَلْوَابِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ، اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ^(١). وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَا كَانَ مِنْ مُنَاجَاةِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَوْرَدُوا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا أَصَلَ لَهَا، وَنَحْنُ نَذْكُرُ مَا تَسْتَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ، بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَحُسْنِ هِدَايَتِهِ وَمَعُونَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ.

قال الحافظ أبو حاتم، محمد بن حاتم بن حبان في «صحيحه»^(٢): ذُكِرَ سَوَالِ كَلِيمِ اللَّهِ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَرْفِعِهِمْ مَنْزِلَةً؛ أَخْبَرَنَا عَمْرُ بْنُ سَعِيدٍ الطَّائِيُّ بِمَنْبِجٍ، حَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ يَحْيَى الْبَلْخِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي جَرٍّ^(٣) - شَيْخَانِ صَالِحَانِ - سَمِعْنَا الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَأَلَ رَبَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: أَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَدْنَى مَنْزِلَةً؟ فَقَالَ: رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: كَيْفَ أَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْدَانَهُمْ^(٤). فَيَقَالُ لَهُ: تَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الْجَنَّةِ مِثْلُ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ.

(١) تفسير الطبري ٦٥/٩.

(٢) الإحسان (٦٢١٦). إسناده صحيح.

(٣) في ح: «الحر». وانظر تهذيب التهذيب ٦/٣٩٤.

(٤) في النسخ: «وأخذاتهم». والمثبت من مصدر التخريج.

فَيَقَالُ : لَكَ هَذَا ، وَمِثْلُهُ ، وَمِثْلُهُ . فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، رَضِيْتُ . فَيَقَالُ : «إِنَّ لَكَ هَذَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ . فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، رَضِيْتُ . فَيَقَالُ^(١) له : لَكَ مَعَ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ . وَسَأَلَ رَبَّهُ : أَيْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْفَعُ مَنْزِلَةَ ؟ قَالَ : سَأُحَدِّثُكَ عَنْهُمْ ، عَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشِيرٍ » وَمِضْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [الآية [السجدة : ١٧] . وهكذا رواه مسلم ، والتِّرْمِذِيُّ^(٢) ، كلاهما عن ابن أبي عمَرَ ، عن سُفْيَانَ ، وهو ابن عُيَيْنَةَ ، به^(٣) ، ولفظُ مسلم : « فَيَقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ^(٤) مِنْ مَلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيْتُ رَبِّ . فَيَقُولُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ [١٨١/١ ط] وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ . فَيَقُولُ فِي الْخَامِسَةِ : رَضِيْتُ رَبِّ . فَيَقُولُ : هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ . فَيَقُولُ : رَضِيْتُ رَبِّ . قَالَ : رَبِّ ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةَ ؟ قَالَ : أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ عَرَسْتُ^(٥) كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشِيرٍ » . قَالَ : وَمِضْدَاقُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ . قَالَ : وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنِ الشُّعْبِيِّ ، عَنِ الْمُعِيرَةِ ، فَلَمْ يَرْفَعْهُ ، وَالْمَرْفُوعُ أَصَحُّ^(٦) .

(١ - ١) سقط من : ح ، م ، ص .

(٢) مسلم (١٨٩) ، التِّرْمِذِيُّ (٣١٩٨) .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) في م ، ص : « غرس » .

(٦) والرواية الموقوفة التي أشار إليها التِّرْمِذِيُّ عند مسلم (١٨٩) ، والطبراني في الكبير (٩٨٩) .

وقال ابنُ جِبَّانَ^(١) : ذُكِرَ سِوَالِ الْكَلِيمِ رَبَّهُ عَنِ خِصَالِ سَبْعٍ ؛ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمٍ^(٢) ، بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، حَدَّثَنَا حَزْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ، أَنَّ أَبَا السَّمْحِ ، حَدَّثَهُ عَنِ ابْنِ^(٣) حُجْبِيرَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : « سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَنْ سِتِّ خِصَالٍ ، كَانَ يُظُنُّ أَنَّهَا لَهُ خَالِصَةٌ ، وَالسَّابِقَةُ لَمْ يَكُنْ مُوسَى يُحِبُّهَا ؛ قَالَ : يَا رَبُّ ، أَيُّ عِبَادِكَ أَتَقَى ؟ قَالَ : الَّذِي يَذْكُرُ وَلَا يَنْسَى . قَالَ : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَهْدَى ؟ قَالَ : الَّذِي يَتَّبِعُ الْهُدَى . قَالَ : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ ؟ قَالَ : الَّذِي يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ . قَالَ : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ ؟ قَالَ : عَالِمٌ لَا يَشْتَعُ مِنْ الْعِلْمِ ، يَجْمَعُ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ . قَالَ : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ ؟ قَالَ : الَّذِي إِذَا قَدَرَ عَفَرَ . قَالَ : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْنَى ؟ قَالَ : الَّذِي يَرْضَى بِمَا يُؤْتَى . قَالَ : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَفْقَرُ ؟ قَالَ : صَاحِبٌ مَنْقُوصٌ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ ظَهْرِ ، إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا جَعَلَ غِنَاهُ فِي نَفْسِهِ ، وَتَقَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرًّا ، جَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ » .

قال ابنُ جِبَّانَ : قَوْلُهُ : صَاحِبٌ مَنْقُوصٌ . يَرِيدُ بِهِ مَنْقُوصٌ حَالَتِهِ ، يَسْتَقِيلُ مَا أُوتِيَ ، وَيَطْلُبُ الْفَضْلَ .

وقد رواه ابنُ جريرٍ في «تاريخه»^(٤) ، عن ابنِ حُمَيْدٍ ، عن يعقوبِ

(١) الإحسان (٦٢١٧) . إسناده حسن .

(٢) في النسخ : « مسلم » . والمثبت من الإحسان . وانظر سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٠٦ .

(٣) في الأصل : « أبي » . وانظر تهذيب التهذيب ٦ / ١٦٠ .

(٤) ابن جرير ١ / ٣٧١ .

الْقَمِيَّ^(١) ، عن هارونَ بنِ عَنْتَرَةَ^(٢) ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : سأل موسى رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فذكر نحوه ، وفيه : قال : أَيُّ رَبِّ ، فَأَيُّ عِبَادِكَ أَغْلَمُ ؟ قال : الذي يَتَّبِعِي عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ ، عسى أَنْ يُصِيبَ كَلِمَةً تَهْدِيهِ إِلَى هُدًى ، أَوْ تَزُدَّهُ عَن رَدًى . قال : أَيُّ رَبِّ ، فهل في الأَرْضِ أَحَدٌ أَغْلَمُ^(٣) مِنِّي ؟ قال : نَعَمْ ، الحَضِرُ . فسألَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ ، فكان ما سَنَدُّكُوه بعدُ ، إِنْ شاءَ اللهُ تعالى ، وبه الثُّقَةُ .

(١) في الأصل ، ١ : « العمى » . وفي م ، ص : « التميمي » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب التهذيب ١١ / ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٢) في ح ، م : « عبيرة » . وانظر تهذيب التهذيب ٩ / ١١ .

(٣) في ص : « أعمر » .

ذِكْرُ حَدِيثِ آخِرٍ بِمَعْنَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ

قال الإمام أحمد^(١): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيْعَةَ، عَنْ دُرَّاجٍ، ^(٢) «عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ»، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ [١/١٨٢و]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ مُوسَى قَالَ: أَيُّ رَبِّ، عَبْدُكَ الْمُؤْمِنُ مُقْتَرٌّ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا. قَالَ: فَفُتِّحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ، فَتَنَظَّرَ إِلَيْهَا، قَالَ: يَا مُوسَى، هَذَا مَا أَعْدَدْتُ لَكَ. فَقَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، لَوْ كَانَ أَقْطَعَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مُنْذُ يَوْمِ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ هَذَا مَصِيرَهُ، لَمْ يَرِ بُؤْسًا قَطُّ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: أَيُّ رَبِّ، عَبْدُكَ الْكَافِرُ مُوسَّعٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا. قَالَ: فَفُتِّحَ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا مُوسَى، هَذَا مَا أَعْدَدْتُ لَكَ. فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ، لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا مُنْذُ يَوْمِ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَكَانَ هَذَا مَصِيرَهُ، لَمْ يَرِ خَيْرًا قَطُّ». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَفِي صَحِيحَتِهِ نَظَرٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال ابن حِبَّانَ^(٣): ذِكْرُ سَوْأَلِ كَلِيمِ اللَّهِ رَبِّهِ، جَلَّ وَعَلَا، أَنْ يَعْلَمَهُ شَيْئًا يَذْكُرُهُ بِهِ، حَدَّثَنَا ^(٤) «ابْنُ سَلَمٍ»، حَدَّثَنَا حَزْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ دُرَّاجًا حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ،

(١) في المسند ٨١/٣. وقال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٦٧: وفيه ابن لهيعة ودراج، وقد وثقا على ضعف فيهما. وقال الساعاتي في «بلوغ الأمانى» ١٩/١١٦: وقصارى القول أن هذا الحديث ضعيف.
(٢-٢) في الأصل: «بن أبي الهيثم». وانظر التقريب ١/٢٣٥.
(٣) الإحسان (٦٢١٨). إسناده ضعيف.
(٤-٤) في ١: «أبو مسلم». وفي م، ص: «ابن سلمة». وانظر صفحة ١٥٨ حاشية (٢).

عن النبي ﷺ، أنه قال: «قال موسى: يارب، علّمني شيئاً أذكرك به، وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: يارب، كلُّ عبادك يقولُ هذا. قال: قل: لا إله إلا الله. قال: إنما أريدُ شيئاً تخصّصني به. قال: يا موسى، لو أنّ أهلَ السماواتِ السبع، والأرضين السبع، في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالتَ بهم لا إله إلا الله». ويشهدُ لهذا الحديث حديثُ البطاقة^(١). وأقربُ شئٍ إلى معناه، الحديثُ المروى في «السنن»^(٢)، عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضلُ الدعاءِ، دعاءُ عرفة، وأفضلُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلِّ شئٍ قديرٌ».

وقال ابنُ أبي حاتم^(٣)، عندَ تفسيرِ آيةِ الكرسي: «حدّثنا أحمدُ بنُ القاسمِ ابنِ عطية، حدّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الدُّشككي^(٤)، حدّثنى أبي، عن أبيه، حدّثنا أشعثُ بنُ إسحاق، عن جعفرِ بنِ أبي المغيرة، عن سعيدِ بنِ جبير^(٥)، عن ابنِ عباس، أنّ بني إسرائيلَ قالوا لموسى: هل ينأم ربُّك؟ قال: اتّقوا الله. فناداه ربُّه: يا موسى، سألوكم هل ينأم ربُّك، فخذُ زُجاجتينِ في يدَيْك، فقمِ الليلَ، ففعلَ موسى، فلمّا ذهبَ مِنَ الليلِ ثلثُ، نَعَسَ، فوَقَعَ لِرُكْبَتَيْهِ، ثم انتعشَ،

(١) رواه الترمذى (٢٦٣٩) وقال: حديث حسن غريب. ابن ماجه (٤٣٠٠). (صحيح الترمذى ٢١٢٧).

(٢) الترمذى (٣٥٨٥). وقال: حديث غريب... (صحيح الترمذى ٢٨٣٧). وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٠٣).

(٣) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٧/١ وعزاه إلى ابن أبي حاتم. وابن كثير فى التفسير ٤٥٦/١. ورواه أبو الشيخ فى العظمة (١٤٠) عن ابن أبي حاتم به. وإسناده حسن.

(٤ - ٤) سقط من: ١.

(٥) فى ح، م: «الدسكى». وفى ص: «الدسلى». وانظر تهذيب التهذيب ٥٣/١.

فَضَبَطَهُمَا، حتى إذا كان آخِرُ اللَّيْلِ نَعَسَ، فَسَقَطَتِ الرَّجَاجَتَانِ، فَانْكَسَرَتَا. فقال: يا موسى، لو كنتُ أنامُ، لَسَقَطَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَهَلَكُنَّ كَمَا [١٨٢/١ ط] هَلَكَتِ الرَّجَاجَتَانِ فِي يَدَيْكَ. قال: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ.

وقال ابنُ جرير^(١): حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يَوْسُفَ، عَنْ أُمِّيَّةَ بْنِ شَبِيلٍ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنِ عِكْرِمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْكِي عَنْ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى الْمُنْبَرِ، قَالَ: «وَقَعَ فِي نَفْسِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، هَلْ يَنَامُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ؟ فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَأَزَقَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ أَعْطَاهُ قَارُورَتَيْنِ، فِي كُلِّ يَدٍ قَارُورَةٌ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْتَفِظَ بِهِمَا، قَالَ: فَجَعَلَ يَنَامُ، وَكَادَتْ يَدَاهُ تَلْتَقِيَانِ فَيَسْتَيْقِظُ، فَيَحْسِبُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، حَتَّى نَامَ نَوْمَةً، فَاصْطَفَقَتْ يَدَاهُ، فَانْكَسَرَتِ الْقَارُورَتَانِ». قَالَ: ضَرَبَ اللَّهُ لَهُ مَثَلًا، أَنْ لَوْ كَانَ يَنَامُ، لَمْ تَسْتَفْسِكِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ. وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ رَفَعَهُ، وَالْأَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مُوقِفًا، وَأَنْ يَكُونَ أَصْلُهُ إِسْرَائِيلِيًّا^(٢).

وقال اللهُ تعالى^(٣): ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا

(١) في تفسيره ٧/٣، ٨.

(٢) قال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢٧/١ بعد أن رواه من طريق هشام بن يوسف بن يونس: ولا يثبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ وغلط من رفعه، والظاهر أن عكرمة رأى هذا في كتب اليهود فرواه، فما يزال عكرمة يذكر عنهم أشياء، لا يجوز أن يخفى هذا على نبي الله عز وجل. وقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة عن سعيد بن جبيرة قال: إن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل ينام ربنا؟ وهذا هو الصحيح. فإن القوم كانوا جهالاً بالله. ١٥٠.

(٣) التفسير ١٤٩/١، ١٥٠.

ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿﴾ [البقرة: ٦٣، ٦٤]. وقال
تعالى^(١): ﴿ وَإِذْ نَقَّنا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا
ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿﴾ [الأعراف: ١٧١]. قال ابن عباس،
وغيرُ واحدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا جَاءَهُم مُوسَى بِالْأَلْوِاحِ فِيهَا التَّوْرَةُ، أَمَرَهُمْ بِقَبُولِهَا،
وَالْأَخْذِ بِهَا بِقُوَّةٍ وَعِزِّمْ، فَقَالُوا: انشُرْهَا عَلَيْنَا، فَإِنْ كَانَتْ أَوْامِرُهَا وَنَوَاهِيهَا
سَهْلَةً، قَبَلْنَاهَا. فقال: بل أَقْبَلُوهَا بِمَا فِيهَا. فَرَاغَهُمْ مِرَازًا، فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ،
فَرَفَعُوا الْجَبَلَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ، أُنِيَ عِمَامَةٌ عَلَى رِءُوسِهِمْ،
وَقِيلَ لَهُمْ: إِنْ لَمْ تَقْبَلُوهَا بِمَا فِيهَا، وَإِلَّا سَقَطَ هَذَا الْجَبَلُ عَلَيْكُمْ. فَقَبِلُوا ذَلِكَ،
وَأَمَرُوا بِالسُّجُودِ فَسَجَدُوا، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَبَلِ بِشِقِّ وَجُوهِهِمْ، فَصَارَتْ
سُنَّةٌ لِلْيَهُودِ إِلَى الْيَوْمِ، يَقُولُونَ: لَا سَجْدَةَ أَعْظَمَ مِنْ سَجْدَةِ رَفَعَتْ عَنَّا الْعَذَابَ.
وقال سُنَيْدُ بْنُ دَاوُدَ^(٢)، عن حجاجِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عن أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ،
قال: فَلَمَّا نَشَرَّهَا لَمْ يَتَّقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ جَبَلٌ، وَلَا شَجَرٌ، وَلَا حَجَرٌ، إِلَّا
اهْتَزَّ، فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ تُقْرَأُ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ إِلَّا اهْتَزَّ،
وَنَفَضَ لَهَا رَأْسَهُ.

(١) التفسير ٤٩٩/٣، ٥٠٠.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ١٠٩/٩ من طريق سنيد بن داود. كما ذكره المصنف في التفسير ٣/٤٩٩ عن سنيد.

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أى ؛ ثم بعد مشاهدة هذا
الميثاق العظيم ، والأمر الجسيم ، نكثتم عهدكم ومواثيقكم ، ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بأن تدارككم بالإرسال إليكم [١٨٣/١] ، وإنزال
الكتاب عليكم ﴿ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

قِصَّةُ بَقْرَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

قال الله تعالى ^(١): ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتَحَدَنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون ﴿٦٨﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْقَرْيَةَ مُسَلِّمَةٌ لَا سِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَاتَلْتُمُ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

قال ابن عباس، وعبيدة السلماني، وأبو العالية، ومجاهد، والشددي، وغير واحد من السلف: كان رجل في بني إسرائيل كثير المال، وكان شيخا كبيرا، وله بثو أخ، وكانوا يتمنون موته؛ ليرثوه، فعمد أحدهم فقتله في الليل، وطرحه في مجمع الطرق، ويقال: على باب رجل منهم. فلما أصبح الناس، اختصموا فيه، وجاء ابن أخيه، فجعل يصرخ ويتظلم، فقالوا: ما لكم تختصمون ولا تأتون نبي الله، فجاء ابن أخيه، فشكى أمر عمه إلى رسول الله موسى ﷺ، فقال موسى، عليه السلام: أنشد الله رجلا عنده علم من أمر

(١) التفسير ١/١٥٤ - ١٦٢.

هذا القَتِيلِ إِلَّا أَعْلَمْنَا بِهِ . فلم يكن عند أحدٍ منهم عِلْمٌ ، وسألوه أن يسأل في هذه القضية ربه ، عز وجل ، فسأل ربه ، عز وجل ، في ذلك فأمره الله أن يأمرهم بذبح بقرة ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَلْخُذْنَا هُزُؤًا ﴾ ، يعنون ؛ نحن نسألك عن أمرٍ هذا القَتِيلِ ، وأنت تقول هذا . ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ أى ؛ أعودُ بالله أن أقولَ عنه غيرَ ما أوحى إليّ . وهذا هو الذى أجابنى حين سألتُه عما سألتُمنى عنه أن أسأله فيه . قال ابنُ عباسٍ ، وعبيدة ، ومجاهدٌ وعكرمة ، والشُدِّي ، وأبو العالية ، وغيرُ واحدٍ : فلو أنهم عمَدوا إلى أىِّ بقرة ، فذبَّحوها ، لحصلَ المقصودُ منها ، ولكنهم شدَّدوا ، فشدَّدَ اللهُ عليهم ^(١) . وقد ورد فيه حديثٌ مرفوعٌ ، وفي إسناده ضعفٌ ^(٢) ، فسألوا عن صفيتها ، ثم عن لونها ، ثم عن سينها فأجيبوا بما عزَّ وجوده عليهم ، وقد ذكرنا تفسير ذلك كله فى «التفسير» ^(٣) .

والمقصودُ أنهم [١٨٣/١ ظ] أمرُوا بذبحِ بقرةِ عَوَانٍ ؛ وهى الوَسَطُ بينَ النِّصْفِ الفارضِ ، وهى الكبيرة ، والبكر ، وهى الصَّغيرة . قاله ابنُ عباسٍ ، ومجاهدٌ ، وأبو العالية ، وعكرمة ، والحسنُ ، وقتادة ، وجماعةٌ . ثم شدَّدوا ، وضيقوا على أنفسهم ، فسألوا عن لونها ، فأمرُوا بصفراءِ فاقِعِ لونها ، أى مُشربِ بحمرة ، تشبهُ الناظرين ، وهذا اللونُ عزيزٌ . ثم شدَّدوا أيضًا فقالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ

(١) التفسير ١٥٨/١ .

(٢) سيأتى بعد قليل كما ذكره المصنف فى التفسير ١٥٩/١ سنداً ومتناً ، وعزاه لابن مردويه من حديث أبى هريرة مرفوعاً ، وقال : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبى هريرة . وينحوه مرفوعاً رواه سعيد بن منصور فى سننه ٥٦٥/٢ فى كتاب التفسير من حديث عكرمة يرفعه . وسنده ضعيف لإرساله .

(٣) التفسير ١٥٨/١ وما بعدها .

لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿١﴾ ففي الحديث المرفوع، الذي رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه^(١) : «لولا أن بنى إسرائيل استنوتوا لما أعطوا». وفي صحته نظر. والله أعلم. ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شَبَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ وهذه الصفات أضيفت بما تقدم، حيث أمرُوا بذبح بقرة، ليست بالذلول؛ وهي المذللَّة بالحرارة وسقي الأرض بالسانية، مسلمة؛ وهي الصحيحة التي لا عيب فيها. قاله أبو العلية، وقتادة. وقوله: ﴿لَا شَبَةَ فِيهَا﴾ أي؛ ليس فيها لونٌ يخالف لونها، بل هي مسلمة من العيوب، ومن مخالطة سائر الألوان غير لونها، فلما حددها بهذه الصفات، وحصرها بهذه الثعوت والأوصاف، ﴿قَالُوا أَلَنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ ويقال: إنهم لم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفة إلا عند رجلٍ منهم، كان بارًا بأبيه، فطلبوها منه، فأبى عليهم، فأزغوه في ثمنها، حتى أعطوه - فيما ذكره السددي - بوزنها ذهبًا، فأبى عليهم، حتى أعطوه بوزنها عشر مرات، فباعها منهم، فأمرهم نبي الله موسى بذبحها، ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي؛ وهم يترددون في أمرها. ثم أمرهم عن الله أن يضربوا ذلك القليل ببعضها، قيل: بلحم فخذها. وقيل: بالعظم الذي يلي الغضروف. وقيل: بالبضعة التي بين الكتفين، فلما ضربوه ببعضها، أحياء الله تعالى، فقام^(٢) وهو تشخب أوداجه، فسأله نبي الله: من قتلك؟ قال: قتلني ابن أخي. ثم عاد

(١) ذكره السيوطي في الدر ٧٧/١ وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه. وذكره المصنف في التفسير ١/١٥٩ وعزاه إليهما.

(*) إلى هنا ينتهي الجزء الأول من نسخة أحمد الثالث والمشار لها ب (١).

مَيِّتًا كَمَا كَانَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أَيْ ؛ كَمَا شَاهَدْتُمْ إِحْيَاءَ هَذَا الْقَتِيلِ ، عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَهُ ، كَذَلِكَ أَمَرَهُ فِي سَائِرِ الْمَوْتَى ، إِذَا شَاءَ إِحْيَاءَهُمْ أَحْيَاهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، كَمَا قَالَ : ﴿ مَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَفَنِينَ وَاحِدَةً ﴾ الْآيَةُ [لِقَامَانَ : ٢٨] .

قِصَّةُ مُوسَى وَالْخَضِرِ ، عليهما الصلاة والسلام

قال الله تعالى^(١) : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ آتِيحُ حَتَّىٰ آتِيحُ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَىٰ حُقُبًا ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَعْرِ سَرَبًا ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ء إِنَّا غَدَاةَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَن أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَعْرِ عَجَبًا ﴿٦٨﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَانَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٩﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ء أَنبَتَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِزْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٧٠﴾ قَالَ لِمُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَن تَعْلَمَ مِن مَّآ عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٧١﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧٣﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٥﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٨﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٩﴾ ﴿٧٩﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٨٠﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٨١﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن

(١) التفسير ١٧٠/٥ - ١٨٢.

يُضَيِّقُهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا
 ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
 السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ
 سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْفُلَّةُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا
 ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ
 لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ
 يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا
 لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿﴾ [الكهف: ٦٠ - ٨٢].

قال بعض أهل الكتاب: إن موسى هذا الذي رحل إلى الخضير، هو موسى بن ميثان بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. وتابعهم على ذلك بعض من يأخذ من ضحيفهم، ويثقل عن كتبهم، منهم نوف بن فضالة الحميري الشامي البكالي، ويقال: إنه دمشقي. وكانت أمه زوجة كعب الأخبار^(١). والصحيح الذي دل عليه ظاهر سياق القرآن، ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه، أنه موسى بن عمران، صاحب بنى إسرائيل.

قال البخاري^(٢): حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو^(٣) بن دينار، أخبرني سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس [١/١٨٤ظ]: إن نوقا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضير ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل. قال ابن عباس: كذب عدو الله؛ حدثنا أبي بن كعب، أنه سمع رسول الله

(١) انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٦٥/٣٠.

(٢) البخاري (٤٧٢٥).

(٣) في الأصل، م: «عمر».

ﷺ يقول: «إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيئًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟
 فَقَالَ: أَنَا. فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ؛ إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا
 بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ:
 تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمٌّ. فَأَخَذَ حُوتًا
 فَجَعَلَهُ بِمِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا
 الصَّخْرَةَ، وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ، فَخَرَجَ مِنْهُ
 فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جِرْيَةَ
 الْمَاءِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحُوتِ،
 فَاِنْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمَيْهِمَا وَلَيْلَتَيْهِمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْعَدِيدِ ﴿قَالَ﴾ مُوسَى
 ﴿لِفَتْنَةٍ إِنَّا عَدَاءٌ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾. وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى
 النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ ﴿قَالَ﴾ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ
 أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ
 سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قَالَ: فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَمُوسَى وَلِفَتْنَاهُ عَجَبًا
 ﴿قَالَ﴾ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿قَالَ﴾ فَرَجَعَا يُقْصَصَانِ
 آثَرَهُمَا، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجَّى بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
 مُوسَى، فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنْتَى يَا رَضِيكَ السَّلَامُ. قَالَ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: مُوسَى
 بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَتَيْتَكَ لِتُعَلِّمَنِي بِمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا. ﴿قَالَ﴾ إِنَّكَ لَنْ
 تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿قَالَ﴾ يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ،
 لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ، فَقَالَ
 مُوسَى: ﴿سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾. قَالَ لَهُ
 الْخَضِرُ: ﴿فَإِنْ أَتْبَعْتَنِي فَلَا تُشَلِّنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا
الْحَضِرَ، فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالْحَضِرُ قَدْ قَلَعَ
لَوْحًا مِنْ أَلْوَابِ السَّفِينَةِ بِالْقُدُومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ،
عَمَدَتْ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَحَرَقَتْهَا ﴿ لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ (٧٦) قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي
مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴿٧٨﴾ . قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَكَانَتْ [١٨٥/١] الْأُولَى
مِنْ مُوسَى نِسِيَانًا. قَالَ: وَجَاءَ عُضْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَتَقَرَّرَ فِي
الْبَحْرِ تَقَرَّرَةً، فَقَالَ لَهُ الْحَضِرُ: مَا عَلِمِي وَعِلْمُكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ
هَذَا الْعُضْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ. ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى
السَّاحِلِ، إِذْ أَبْصَرَ الْحَضِرُ غَلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْحَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ،
فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿ أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَكِبَتْ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ
شَيْئًا تُكْرَهُ ﴾ (٧٩) ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ قَالَ: وَهَذِهِ
أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى، ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ
لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ (٨٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ
يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ ﴿ قَالَ: مَا أَيْلٌ. فَقَالَ الْحَضِرُ
بِيَدِهِ ﴿ فَأَقَامَهُ ﴾ (٨١) فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ آتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعَمُونَا، وَلَمْ يُضَيِّقُونَا
﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (٨٢) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأْنَيْتُكَ بِنَاوِيلِ
مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « وَدِدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ

(١-١) سقط من: الأصل.

(٢-٢) في الأصل: «قال».

صَبَرَ، حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبْرِهِمَا». قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: (وَكَانَ أَمَانَهُمْ مِثْلَكَ يَأْخُذُ كُلُّ سَفِينَةٍ صَالِحِيَةً غَضْبًا). وَكَانَ يَقْرَأُ: (وَأَمَّا الْعَلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ).

ثم رواه البخاري أيضًا عن قُتَيْبَةَ، عن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، بِإِسْنَادِهِ نَحْوَهُ ^(١). وفيه: « فَخَرَجَ مُوسَى، وَمَعَهُ فَتَاهُ يُوسَعُ بْنُ نُونٍ، وَمَعَهُمَا الْحَوْتُ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَتَزَلَّ عِنْدَهَا. قَالَ: فَوَضَعَ مُوسَى رَأْسَهُ فَتَمَّ». قَالَ سُفْيَانُ: وَفِي حَدِيثٍ غَيْرِ عَمْرٍو، قَالَ: « وَفِي أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: الْحَيَاةُ. لَا يُصِيبُ مِنْ مَائِهَا شَيْءٌ إِلَّا حَيِيَ، فَأَصَابَ الْحَوْتُ مِنْ مَاءِ تِلْكَ الْعَيْنِ، قَالَ: فَتَحَرَّكَ، وَأَنْسَلَّ مِنَ الْمِكْتَلِ، وَدَخَلَ الْبَحْرَ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتَا غَدَاءَنَا ». كَذَا قَالَ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: « وَوَقَعَ عُصْفُورٌ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَغَمَسَ مِنْقَارُهُ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: مَا عَلِمِي وَعِلْمُكَ وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ، فِي عِلْمِ اللَّهِ، إِلَّا بِمِقْدَارٍ مَا غَمَسَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْقَارَهُ » وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

وقال البخاري ^(٢): حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ أَخْبَرَهُمْ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَغْلَى بْنُ مُسْلِمٍ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ - ^(٣) يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، وَغَيْرُهُمَا قَدْ سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ^(٤) - قَالَ: إِنَّا لَعِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي بَيْتِهِ، إِذْ قَالَ: سَلُونِي. فَقُلْتُ: أَيُّ أَبَا عَبَّاسٍ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، بِالْكَوْفَةِ رَجُلٌ قَاصٌّ، يُقَالُ لَهُ: نَوْفٌ. يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. أَمَّا عَمْرُو فَقَالَ لِي: قَالَ: قَدْ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ.

(١) البخاري (٤٧٢٧).

(٢) البخاري (٤٧٢٦).

(٣-٣) سقط من: ح. وانظر معناه في فتح الباري ٤١٢/٨.

وأما يَعْلَى ، فقال لى^(١) : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : حَدَّثَنِي أَبِي بْنُ كَعْبٍ [١٨٥/١ ظ]
 قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : ذَكَرَ النَّاسَ يَوْمًا ، حَتَّى
 إِذَا فَاضَتِ الْعَيْونُ وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ ، وَلَى ، فَأَذْرَكَه رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَيْ رَسُولَ اللَّهِ ،
 هَلْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ^(٢) أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ قَالَ : لَا . فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ إِذْ لَمْ يَرُدِّ الْعِلْمَ
 إِلَى اللَّهِ . قِيلَ : بَلَى . قَالَ : أَيْ رَبِّ ، فَأَيْنَ ؟ قَالَ : بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ . قَالَ : أَيْ
 رَبِّ ، اجْعَلْ لى^(٣) عَلَمًا أَعْلَمُ ذَلِكَ بِهِ . قَالَ لى عَمْرُو : قَالَ : حَيْثُ يُفَارِقُكَ
 الْحَوْثُ . وَقَالَ لى يَعْلَى : قَالَ : خُذْ حَوْثًا^(٤) مَيْتًا ، حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَأَخَذَ
 حَوْثًا ، فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ، فَقَالَ لِفَتَاهُ : لَا أُكَلِّفُكَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي بِحَيْثُ يُفَارِقُكَ
 الْحَوْثُ . قَالَ مَا كَلَّفْتُ كَبِيرًا . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴾
 يُوشَعَ بْنِ^(٥) نُونٍ - لَيْسَتْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ^(٦) - قَالَ : « فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ظِلِّ
 صَخْرَةٍ ، فِي مَكَانٍ ثَوِيَّانٍ^(٧) ؛ إِذْ تَضَرَّبَ الْحَوْثُ ، وَمُوسَى نَائِمٌ ، فَقَالَ فَتَاهُ : لَا
 أُوقِظُهُ . حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ ، نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ ، وَتَضَرَّبَ الْحَوْثُ حَتَّى دَخَلَ الْبَحْرَ ،
 فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جَزِيَّةَ الْبَحْرِ^(٨) ، حَتَّى كَأَنَّ أَثْرَهُ فِي حَجَرٍ . قَالَ لى عَمْرُو^(٩) :
 « هَكَذَا كَأَنَّ أَثْرَهُ فِي^(١٠) حَجَرٍ » وَحَلَّقَ بَيْنَ إِنْهَامَيْهِ وَاللُّتَيْنِ تَلْيَانِهِمَا . ﴿ لَقَدْ

(١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، ص : « رجل » .

(٣) سقط من : ح .

(٤) فى ح مكتوب فوقها : « نونًا » . وهو لفظ إحدى روايات البخارى . انظر الفتح ٤١٤ / ٨ .

(٥) فى م : « بين » .

(٦) القائل هو ابن جريج . الفتح ٤١٤ / ٨ .

(٧) أى مبلول . الفتح ٤١٤ / ٨ .

(٨) فى الأصل ، ح : « الماء » .

(٩) القائل هو ابن جريج . الفتح ٤١٦ / ٨ .

(١٠) سقط من : الأصل ، ص .

لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١﴾ قال : « وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَنْكَ النَّصَبَ » ليست
هذه عن سعيد ، « أَخْبَرَهُ فَرَجَعَا ، فَوَجَدَا خَضِرًا ، قَالَ لِي عِثْمَانُ بْنُ أَبِي سَلِيمَانَ :
« عَلَى طِنْفِسَةٍ ^(١) خَضِرَاءَ ، عَلَى كَبِيدِ الْبَحْرِ » . قال سعيد ^(٢) : « مُسَجِّى بِثَوْبِهِ ، قَدْ
جَعَلَ طَرْفَهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ ، وَطَرْفَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى ، فَكَشَفَ عَنْ
وَجْهِهِ ، وَقَالَ : هَلْ بِأَرْضٍ مِنْ سَلَامٍ ؟ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا مُوسَى . قَالَ : مُوسَى
بَنَى إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : جِئْتُكَ ل ﴿ تَعْلَمِينَ مِمَّا
عَلِمْتَ رُشْدًا ﴾ قَالَ : أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَةَ يَدِيدُكَ وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ ؟ يَا
مُوسَى ، إِنَّ لِي عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ
أَعْلَمَهُ ، فَأَخَذَ طَائِرٌ مِمَّنَّارِهِ مِنَ الْبَحْرِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلِمِي وَعِلْمُكَ فِي جَنْبِ
عِلْمِ اللَّهِ ، إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ مِمَّنَّارِهِ مِنَ الْبَحْرِ ، ﴿ حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي
السَّفِينَةِ ﴾ وَجَدَا مَعَايِرَ صِغَارًا ، تَحْمِلُ أَهْلَ هَذَا السَّاحِلِ إِلَى أَهْلِ هَذَا السَّاحِلِ
الْآخِرِ ، عَرَفُوهُ ، فَقَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ الصَّالِحُ ؟ » قال : فقلنا لسعيد : خَضِرٌ ؟ قَالَ :
نَعَمْ . « لَا نَحْمِلُهُ بِأَجْرِ فَحَرَقَهَا وَوَتِدَ فِيهَا وَتَدَا ﴿ قَالَ ﴿ مُوسَى : ﴿ أَخْرَقَهَا
لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ - قال مجاهد : مُنْكَرًا ^(٣) - ﴿ قَالَ أَلَمْ
أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ كَانَتْ الْأُولَى نِسْيَانًا ، وَالْوَسْطَى شَرْطًا ،
وَالثَّلَاثَةُ عَمْدًا ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ [١٨٦/١] وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي
عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴿ قال يعلَى : قال سعيد : وَجَدَ
غُلَامَانَا يَلْعَبُونَ ، فَأَخَذَ غُلَامًا كَافِرًا ظَرِيفًا ، فَأَضْجَعَهُ ، ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسَّكِينِ ﴿ قَالَ

(١) قال الحافظ فى الفتح ٤١٧/٨ : والطنفسة : فرس صغير . وهى بكسر الطاء والفاء بينهما نون ساكنة ، وبضم الطاء والفاء ، وبكسر الطاء ويفتح الفاء ، لغات .
(٢) القائل هو ابن جريج . الفتح ٤١٦/٨ .
(٣) هى رواية ابن جريج عن مجاهد . الفتح ٤١٩/٨ .

أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴿ لم تَعْمَلْ بِالْجَنَّةِ ﴾^(١) . ابن عباس قرأها : (زَكِيَّةٌ زَاكِيَّةٌ مُسَلِّمَةٌ) . كقولك : غُلَامًا زَكِيًّا^(٢) . فَانْطَلَقَا فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ ، قال^(٣) بيده هكذا ، وَرَفَعَ يَدَهُ فَاسْتَقَامَ . قال يَغْلَى : حَسِبْتُ أَنْ سَعِيدًا قَالَ : « فَمَسَّحَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ ﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَنَحَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿ . قال سعيد : أَجْرًا نَأْكُلُهُ ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ ﴾ (وَكَانَ أَمَامَهُمْ) قرأها ابن عباس . أماتهم ﴿ مَلِكٌ ﴾ يُزْعَمُونَ عن غير سعيد أنه هَدَّدُ بْنُ بُدَدَ ، والغلامُ المقتولُ يُزْعَمُونَ : جَيْسُورٌ^(٤) ﴿ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ ، فإذا هي مَرُوتٌ به يدْعُهَا بَعِيْثِهَا ، فإذا جَاوَزُوا أَصْلَحُوهَا فَانْتَفَعُوا بِهَا . مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : سَدُّوْهَا بِقَارُورَةٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : بِالْقَارِ . ﴿ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ وكان كَافِرًا ﴿ فَحَشِينَا أَنْ يُرِهَقَهُمَا طُعِينَا وَكُفِّرَا ﴾ ؛ أى ؛ يَحْمِلُهُمَا حُجْبَهُ عَلَى أَنْ يُتَابِعَاهُ عَلَى دِينِهِ ، ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رُحْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكْوَةٌ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ لقوله : ﴿ أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ وَ ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ هما به أَرْحَمُ مِنْهُمَا بِالْأَوَّلِ ، الذى قَتَلَ خَضِرًا .^(٥) وزعم غير سعيد بن جبيرة أنهما أُبْدِلَا جَارِيَةً^(٥) ، وأما داودُ بْنُ أُمَى عاصِمٍ فقال عن غير واحدٍ : إِنَّهَا جَارِيَةٌ .

(١) كذا بالنسخ . وهى أحد ألفاظ روايات الصحيح . انظر متن صحيح البخارى ١١٤/٦ .
(٢) هو تفسير من الراوى . يشير به إلى القراءتين ؛ قراءة ابن عباس وقراءة غيره . واختلف فى ضبط « مسلمة » فالأكثر بسكون السين وكسر اللام . وبعضهم بفتح السين وتشديد اللام المفتوحة . انظر الفتح ٤١٩/٨ ، ٤٢٠ .

(٣) بعده فى صحيح البخارى : « سعيد » . والقائل هو ابن جريج .
(٤) فى الأصل : « جيسور » . وهو لفظ إحدى روايات البخارى . والقائل هو ابن جريج . الفتح ٨/٤٢٠ .

(٥ - ٥) فى الأصل ، ح : « وزعم عن سعيد بن جبيرة أنهما أُبْدِلَا جَارِيَةً » . وفى م : « وزعم سعيد بن جبيرة ، أنه ابن لا جارية » . وفى ص : « وزعم سعيد بن جبيرة إنه ابن أُبْدِلَا جَارِيَةً » . والثبت من صحيح البخارى .

وقد رواه عبدُ الرزاق^(١) ، عن مَعْمَرٍ ، عن أبي إسحاق ، عن سعيدِ بنِ جبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نَحَطَبَ مُوسَى بنى إِسْرَائِيلَ ، فقال : ما أَحَدٌ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وبأَمْرِهِ مِنِّي . فَأَمَرَ أَنْ يَلْقَى هذا الرَّجُلَ . فَذَكَرَ نَحْوَ ما تَقَدَّمَ .

وهكذا رواه محمدُ بنُ إِسْحاقَ^(٢) ، عن الحسنِ بنِ عُمارةَ ، عن الحكمِ بنِ عُتَيْبَةَ^(٣) ، عن سعيدِ بنِ جبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن أُتَيْبِ بنِ كَعْبٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ كَتَحْوِ ما تَقَدَّمَ أَيضًا ، ورواه العوفي^(٤) عنه موقوفًا .

وقال الزهري^(٥) ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أَنَّهُ تَمَارَى هو والحُرْبِيُّ قَيْسِ بنِ حِصْنِ الفَزَارِيِّ ، في صاحبِ موسى ، فقال ابنُ عباسٍ : هو خَضِرٌ . فمرَّ بهما أُتَيْبُ بنُ كَعْبٍ ، فدعاه ابنُ عباسٍ ، فقال : إنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وصاحِبِي هذا ، في صاحبِ موسى الذي سألَ السَّبِيلَ إلى لُقَيْيهِ ، فهل سَمِعْتَ مِن رسولِ اللَّهِ فيه شيئًا ؟ قال : نَعَمْ . وَذَكَرَ الحديثَ ، وقد تَقَصَّيْنَا طُرُقَ هذا الحديثِ ، وألفاظَه في تفسيرِ سورةِ الكَهْفِ ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ^(٦) .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي [١٨٦/١] الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا

(١) عبد الرزاق في تفسيره ٤٠٥/٢ .

(٢) رواه ابن جرير من طريق ابن إسحاق به . تفسير ابن جرير ٢٧٩/١٥ . تاريخه ٣٧٢/١ .

(٣) في الأصل ، م ، ص : « عينة » .

(٤) في الأصل : « البغوي » . والأثر في التفسير ١٧٦/٥ .

(٥) رواه ابن جرير من طريق الزهري به . تفسير ابن جرير ٢٨٢/١٥ .

(٦) التفسير ١٧٢/٥ - ١٧٧ .

وَيَسْتَخْرِجَا كَنَزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿١﴾ قال السهيلي^(١) : وهما أصرم وصريم، ابنا كاشع .
﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ قيل : كان ذهبًا . قاله عكرمة ، وقيل :
علمًا . قاله ابن عباس ، والأشبه أنه كان لؤلؤًا من ذهب ، مكتوبًا فيه علم^(٢) .

قال البرزّاز^(٣) : حدّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدّثنا بشر بن المنذر ، حدّثنا الحارث بن عبد الله اليحصبي ، عن عياش بن عباس الغساني ، عن ابن حنجيرة ، عن أبي ذرّ ، رفعه ، قال : «إِنَّ الْكَنْزَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ لَوْلُؤٌ مِنْ ذَهَبٍ مُّضْمَتٍ : عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ ، كَيْفَ نَصَبَ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ النَّارَ^(٤) ثُمَّ ضَحِكَ ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ ثُمَّ غَفَلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وهكذا رُوِيَ عن الحسن البصري ، وعمر مولى عُفْرَةَ^(٥) ، وجعفر الصادق ، نحو هذا^(٦) . وقوله : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ . وقد قيل : إنه كان الأب السابع ، وقيل : العاشر . وعلى كلّ تقدير ، فيه دلالة على أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يُحْفَظُ فِي دُرِّيَّتِهِ ، فاللَّهُ المستعان .

وقوله : ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ دليل على أنه كان نبيًا ، وأنه ما فعل شيئًا من تلقاء نفسه ، بل بأمر ربه ، فهو نبي ، وقيل : رسول . وقيل : ولي . وأغرب

(١) التعريف والإعلام ص ١٩٣ .

(٢) التفسير ١٨٢/٥ .

(٣) كشف الأستار (٢٢٢٩) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٤/٧ : رواه البرزّاز من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبي ولم أعرفهما ، وبقيّة رجاله ثقات .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) في ح ، م ، ص : «عفرة» . وانظر التقریب ٥٩/٢ .

(٦) رواها ابن جرير في تفسيره عن الحسن وعمر وجعفر ٥/١٦ ، ٦ .

من هذا من قال : كان ملكًا .^(١) قلتُ : وقد أُعْرِبَ جِدًّا مَنْ قال : هو ابنُ
 فِرْعَوْنَ . وقيل : إنَّه ابنُ ضحَّاكٍ الذي مَلَكَ الدُّنْيَا أَلْفَ سَنَةٍ . قال ابنُ جريرٍ^(٢) :
 والذي عليه مُجمهُورُ أهلِ الكتابِ ، أنَّه كان في زَمَنِ أفرِيدُونَ . ويُقالُ : إنَّه كان
 على مُقَدِّمَةِ ذِي القَرْنَيْنِ ، الذي قيل : إنَّه كان أفرِيدُونَ ، وذو الفرسِ هو الذي
 كان في زَمَنِ الخليلِ . وزَعَمُوا أنَّه شَرِبَ مِنْ ماءِ الحِياةِ ، فَخَلَدَ ، وهو باقٍ إلى
 الآن . وقيل : إنَّه من وَلَدِ بعضِ مَنْ آمَنَ بِإبراهيمَ وهاجَرَ معه مِنْ أرضِ بَابِلَ .
 وقيل : اسْمُهُ ملكانُ . وقيل : أرميا بنُ حلقيا . وقيل : كان نبيًّا في زَمَنِ سباسبِ
 ابنِ لهراسبِ . قال ابنُ جريرٍ : وقد كان بينَ أفرِيدُونَ وبينَ سباسبِ دُهورٌ
 طويلةٌ ، لا يَجْهَلُها أَحَدٌ مِنْ أهلِ العِلْمِ بِالأَنسابِ^(٣) . قال ابنُ جريرٍ : والصَّحيحُ
 أنَّه كان في زَمَنِ أفرِيدُونَ ، واستمرَّ حيًّا إلى أنْ أَدْرَكَه موسى ، عليه السَّلامُ ،
 وكانت نُبوَّةُ موسى في زَمَنِ مُنوشَهَرَ ، الذي هو مِنْ وَلَدِ إيرِجِ بنِ أفرِيدُونَ ،
 أَحَدِ ملوكِ الفُرسِ ، وكان إليه المَلِكُ بعد جَدِّه أفرِيدُونَ لعَهْدِهِ ، وكان عادِلًا ،
 وهو أوَّلُ مَنْ خَنَدَقَ الخِناذِقَ ، وأوَّلُ مَنْ جَعَلَ في كُلِّ قَرْيَةٍ دِهْقَانًا ، وكانت مُدَّةُ
 مُلْكِهِ قَريبًا مِنْ مائةٍ وخمسينَ سَنَةً^(٤) . ويُقالُ : إنَّه كان مِنْ سُلالةِ إِسحاقِ بنِ
 إبراهيمَ . وقد ذُكِرَ عنه مِنْ الخُطْبِ الحِسانِ ، والكَلِمِ البليغِ النَّافعِ الفَصيحِ ، ما
 يَبْهَرُ العَقْلَ ، وَيُحَيِّرُ السَّامِعَ ، وهذا يدلُّ على أنَّه مِنْ سُلالةِ الخليلِ . واللَّهُ أَعْلَمُ .
 وقد قالَ اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا أَتَيْتُكُمْ^(١)

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ح .

(٢) تاريخ الطبري ١/٣٦٥ .

(٣) تاريخ الطبري ١/٣٦٦ .

(٤) تاريخ الطبري ١/٣٧٦ .

١) مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ ﴿ [آل عمران: ٨١] .

فأخذ الله ميثاق كل نبي على أن يؤمن بمن يجيء بعده من الأنبياء،
وينصّره، فلو كان الخضر حيا في زمانه، لما وسّعه إلا أتباعه، والاجتماع به،
والقيام بنصّره، ولكان من جملة من تحت لوائه يوم بدر، كما كان تحتها
جبريل وسادات من الملائكة، وقصارى الخضر، عليه السلام، أن يكون نبيا،
وهو الحق، أو رسولا، كما قيل، أو ملكا فيما دُكر، وأيا ما كان، فجبريل
رئيس الملائكة، وموسى أشرف من الخضر، ولو كان حيا لوجب عليه الإيمان
بمحمد، ونصّره، فكيف إن كان الخضر وليا، كما يقوله طوائف كثيرون،
فأولى أن يدخل في عموم البعثة، وأخرى .

ولم يُنقل في حديث حسن، بل ولا ضعيف يُعتمد، أنه جاء يوما واحدا
إلى رسول الله ﷺ، ولا اجتمع به، وما دُكر من حديث التّعزية فيه، وإن
كان الحاكم قد رواه، فإسناده ضعيف^(١) . والله أعلم . وسنفرّد للخضر ترجمة
على جِدّة بعد هذا^(٢) .

(١ - ١) سقط من: الأصل، ح .

(٢) الحاكم في المستدرک ٣/ ٥٨ . وسيرد في الصفحة ٢٥٧ .

ذِكْرُ الْحَدِيثِ الْمَلْقَبِ بِحَدِيثِ الْفُتُونِ الْمُتَضَمِّنِ

قِصَّةُ مُوسَى مَبْسُوطَةً مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا

قال الإمام أبو عبد الرحمن النسائي، في كتاب التفسير من سنينه^(١)، عند قوله تعالى في سورة «طه»: ﴿وَقَلَّتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَنَّكَ فَتُونًا﴾ .
(حديث الفتون):

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا أصبغ بن زيد، حدثنا القاسم بن أبي أيوب، أخبرني سعيد بن جبيرة، قال: سألت عبد الله بن عباس عن قول الله تعالى لموسى^(٢): ﴿وَفَنَّكَ فَتُونًا﴾ . فسألته عن الفتون: ما هو؟ فقال: استأيف النهار يا بن جبيرة، فإن لها حديثًا طويلًا. فلما أصبحت، عدوت إلى ابن عباس؛ لأنني جرت منه ما وعدني من حديث الفتون، فقال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم، عليه السلام، أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك، ما يشكون فيه، وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب، فلما هلك، قالوا: ليس هكذا كان^(٣) وعد إبراهيم. فقال فرعون: فكيف تزون؟ فائتمروا، وأجمعوا أمرهم على أن يعمت رجالًا معهم الشفار، يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مؤلودًا ذكرًا

(١) النسائي في الكبرى (١١٣٢٦).

(٢) زيادة من الأصل، ص.

(٣) ليست في الأصل.

إِلَّا ذَبَّحُوهُ، [١٨٧/١] ففعلوا ذلك، فلما رأوا أَنَّ الْكِبَارَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَمُونُونَ بِأَجَالِهِمْ، وَالصَّغَارَ يُذَبِّحُونَ، قالوا: تُوشِكُونَ أَنْ تُقْتُلُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَصِيرُوا إِلَى أَنْ تُبَاشِرُوا مِنَ الْأَعْمَالِ وَالخِدْمَةِ، الَّذِي كَانُوا يَكْفُونَكُمْ، فَاقْتُلُوا عَامًا كُلَّ مَوْلِدٍ ذَكَرٍ، فَيَقِلُّ نَبَاتُهُمْ^(١)، وَدَعُوا عَامًا فَلَا تَقْتُلُوا مِنْهُمْ أَحَدًا فَيَشِيبَ الصَّغَارُ مَكَانَ مَنْ يَمُوتُ مِنَ الْكِبَارِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَكْتُمُوا بِمَنْ تَسْتَحْيُونَ مِنْهُمْ، فَتَخَافُوا مُكَائِرَتَهُمْ إِثَّاكُمْ، وَلَنْ يَفْتَنُوا^(٢) بِمَنْ تَقْتُلُونَ، وَتَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ. فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَحَمَلَتْ أُمُّ مُوسَى بِهَارُونَ فِي الْعَامِ الَّذِي لَا يُذَبِّحُ فِيهِ الْغِلْمَانُ، فَوَلَدَتْهُ عَلَاقِيَّةٌ أَمِيَّةٌ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ، حَمَلَتْ بِمُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِهَا الْهَمُّ وَالْحُزْنُ - وَذَلِكَ مِنَ الْقُتُونِ يَا بَنَ جُبَيْرٍ - مَا دَخَلَ عَلَيْهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ مِمَّا يُرَادُ بِهِ^(٣)؛ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا: أَنْ لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ، وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَمَرَهَا إِذَا وَلَدَتْ أَنْ تَجْعَلَهُ فِي تَابُوتٍ، وَتَلْقِيَهُ فِي الْيَمِّ، فَلَمَّا وَلَدَتْ فَعَلَتْ ذَلِكَ، فَلَمَّا تَوَارَى عَنْهَا ابْنُهَا، أَتَاهَا الشَّيْطَانُ،^(٤) فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا^(٥): مَا فَعَلْتُ بِابْنِي؟ لَوْ ذُبِحَ عِنْدِي فَوَارَيْتُهُ وَكَفَيْتُهُ، كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقِيَهُ إِلَى دَوَابِّ الْبَحْرِ وَحِيَاتِهِ. فَانْتَهَى الْمَاءُ بِهِ حَتَّى أَوْفَى بِهِ عِنْدَ فُرْضَةِ^(٦)،^(٧) تَسْتَقِي مِنْهَا^(٨) جَوَارِي امْرَأَةٍ فِرْعَوْنَ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَخَذَنَّهُ، فَهَمَمَنْ أَنْ يَفْتَحَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ، ح، م: «بَنَاتُهُمْ». وَفِي ص: «أَبْنَاؤُهُمْ». وَكَذَا فِي التَّفْسِيرِ. وَالمَثْبُوتُ مِنْ سَنَنِ النَّسَائِيِّ.

(٢) فِي ح، م: «تَفْتَنُوا». وَفِي ص: «يَفْتَنُوا».

(٣) زِيَادَةٌ مِنْ: ص.

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ: ح.

(٥) فُرْضَةُ النَّهْرِ: مَشْرَبُ الْمَاءِ مِنْهُ.

(٦ - ٦) فِي سَنَنِ النَّسَائِيِّ: «مَسْتَقِي».

التابوت ، فقال بعضهنّ : إنّ في هذا مالا ، وإنا إن فتحناه ، لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه ، فحَمَلْنَهُ كَهَيْبَتِهِ لم يُخْرِجْنِ مِنْهُ شَيْئًا حتى دَفَعْتَهُ إِلَيْهَا ، فلَمَّا فَتَحْتَهُ رَأَتْ فِيهِ غُلَامًا ، فَأَلْقَيْتِ عَلَيْهِ مِنْهَا مَحَبَّةً ، لم تُلَقَ مِنْهَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ ، وَأَصْبَحَ فُوَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا مِنْ ذِكْرِ كُلِّ شَيْءٍ ، إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَى ، فلَمَّا سَمِعَ الذَّبَّاحُونَ بِأَمْرِهِ ، أَقْبَلُوا بِشِفَارِهِمْ إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ؛ لِيَذْبَحُوهُ - وَذَلِكَ مِنَ الْقُتُونِ يَا بِنَّ جُبَيْرٍ - فقالت لهم : أَقْرُوهُ ، فَإِنَّ هَذَا الْوَاحِدَ لَا يَزِيدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، حتى آتَى فِرْعَوْنَ ، فَأَسْتَوْهَبَهُ مِنْهُ ، فَإِنْ وَهَبَهُ لِي ^(١) ، كُنْتُمْ قَدْ أَحْسَنْتُمْ وَأَجْمَلْتُمْ ، وَإِنْ أَمَرَ بِذَبْحِهِ ، لم أَلْكُم . فَأَتَتْ فِرْعَوْنَ ، فقالت : ﴿ قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلكَ ﴾ [القصص : ٩] . فقال فِرْعَوْنُ : يَكُونُ لَكَ ، فَأَمَّا لِي ، فلا حاجة لِي فِيهِ ^(٢) . فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي يُخَلْفُ بِهِ ، لو أَقْرَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقْرَبَ امْرَأَتُهُ ، لَهَدَاهُ اللَّهُ كَمَا هَدَاهَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَزَمَهُ ذَلِكَ » . فَأَرْسَلَتْ إِلَى مَنْ حَوْلَهَا ، إِلَى كُلِّ امْرَأَةٍ لَهَا لَبَنٌ ^(٣) ، تَخْتَارُ لَهُ ظِفْرًا ، فجعَلَ كُلَّمَا أَخَذَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ لِثْرَتَهُ ، لم يَقْبَلْ عَلَى ثَدْيِهَا ، حتى أَشْفَقَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنَ اللَّبَنِ فَيَمُوتَ ، فَأَحْزَنَتْهَا ذَلِكَ فَأَمَرَتْ بِهِ ، فَأَخْرَجَ إِلَى السُّوقِ وَمَجْمَعِ النَّاسِ [١٨٧]

١٨٧] ترْجُو أَنْ تَجِدَ لَهُ ظِفْرًا تَأْخُذُهُ مِنْهَا ، فلم يَقْبَلْ ، وَأَصْبَحَتْ أُمُّ مُوسَى وَالْهَامَا ، فقالت لِأَخْتَيْهِ : قُصِّي أَثْرَهُ ، واطْلُبِيهِ ، هل تَسْمَعِينَ لَهُ ذِكْرًا ؟ أَحْسَى ائْتِي ، أَمْ أَكَلْتَهُ الدَّوَابُّ ؟ وَنَسِيتَ مَا كَانَ اللَّهُ وَعَدَهَا فِيهِ ، فَبَصُرْتُ بِهِ أَخْتَهُ عَنْ جُنْبٍ - وَالْجُنْبُ ؛ أَنْ يَسْمُوَ بِبَصْرِ الْإِنْسَانِ إِلَى شَيْءٍ بَعِيدٍ ، وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ لَا

(١) فِي النسخ : « مَنِي » . وَالمُثَبِّت مِنْ سَنَنِ النَّسَائِيِّ .

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ : النسخ .

(٣) فِي النسخ : « لِأَنَّ » . وَالمُثَبِّت مِنْ سَنَنِ النَّسَائِيِّ .

يَشْعُرُ بِهِ - فقالت من الفرح، حين أعياهم الظُّوراثُ: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم، وهم له ناصحون. فأخذوها^(١) فقالوا: ما يدريك ما نضحهم؟ هل تعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك - وذلك من الفتون يابن مجبئ - فقالت: نضحهم له وسفقتهم عليه، رغبهم^(٢) في صهر الملك، ورجاء منعة الملك. فأرسلوها، فانطلقت إلى أمها، فأخبرتها الخبر، فجاءت أمه، فلما وضعت في حجرها نزا إلى نديها، فمصه حتى امتلأ جنباه رياء، وانطلق البشير إلى امرأة فرعون يُشْرُونها أن قد وجدنا لابنك ظفرا، فأرسلت إليها، فأثب بها وبه. فلما رأت ما يصنع بها، قالت: امكثي تُرضعي ابني هذا؛ فإنني لم أحب شيئا حبه قط. قالت أم موسى: لا أستطيع أن أترك بيتي وولدي فيضيع، فإن طاب نفسك أن تُعطينيه، فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آله خيرا، فقلت، فإنني غير تاركة بيتي وولدي. ودكرت أم موسى ما كان الله وعدّها، فتعاسرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله مُنجِرٌ مؤوِّدٌ، فرجعت إلى بيتها من يومها، وأنبته الله نباتا حسنا، وحفظه لما قد قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل، وهم في ناحية القرية، مُمتنعين من الشجرة والظلم ما كان فيهم، فلما ترعرع، قالت امرأة فرعون لأم موسى: أريني ابني. فوعدها يوما تُريها إياه فيه، وقالت امرأة فرعون لحزائنها وظُورِها وقهارمتها^(٣): لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهديّة وكرامة؛ لأرى ذلك فيه، وأنا باعثة أمينا يُحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم. فلم تزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت

(١) زيادة من: ص.

(٢) في الأصل: «في رغبهم». وفي ح، م: «ورغبهم».

(٣) قهارمتها جمع قهرمان؛ وهو أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخروجه. وهو فارسي معرب.

أمه ، إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها نحلته ، وأكرمته وفرحت به ، ونحلت أمه بحسن أثرها عليه ، ثم قالت : لا تينن به ^(١) فرعون ، فلأينحلتنه ، ولأكرمتنه . فلما دخلت به عليه ، جعله في حجره ، فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض ، فقال القوأة من أعداء الله لفرعون : ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه ، أنه زعم أن يربك ^(٢) ويغلوك ، ويضرعك ؟ فأرسل إلى الذباجين ليذبحوه - وذلك من القتون يابن مجبير ، بعد كل بلاء ابتلى به [١٨٨/١] وأريد به فتونا - فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون ، فقالت : ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ فقال : ألا ترى أنه يضرعني ويغلوني ؟ فقالت : اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق ؛ ائت بجمرتين ، ولؤلؤتين ، فقربهن إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين ، عرفت أنه يعقل . وإن تناول الجمرتين ، ولم يرد اللؤلؤتين ، علمت أن أحدا لا يؤيئ الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل . فقرب إليه ، فتناول الجمرتين ، فانتزعهما منه مخافة أن يحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ؟ فصرفه الله عنه ، بعد ما كان هم به ، وكان الله بالغاً فيه أمره ، فلما بلغ أشده ، وكان من الرجال ، لم يكن أحداً من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل معه ، بظلم ولا سُخرية ، حتى امتنعوا كل الامتناع ، فبينما موسى ، عليه السلام ، يمشى في ناحية المدينة ، إذ هو برجلين يقتتلان ، أحدهما فرعونى ، والآخر إسرائيلي ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعونى ، فغضب موسى غضباً شديداً ؛ لأنه تناوله ، وهو يعلم منزلته من بنى

(١) زيادة من : النسغ .

(٢) فى ح ، م : « يربك » . وفى ص : « يربك » .

إسرائيل، وحفظه لهم^(١) لا يعلم الناس إلا أنه من الرضاع إلا أم موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على^(٢) ما لم يُطلع عليه غيره، فوَكَّز موسى الفرعوني، فقتله، وليس يراهما أحدًا إلا الله، عز وجل، والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ ثم قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٥، ١٦]. فأصبح في المدينة خائفًا يترقب الأخبار، فأتى فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون، فخذ لنا بحقنا، ولا ترخص لهم. فقال: اتفونى قاتله، من يشهد عليه؟ فإن الملك، وإن كان صفوه مع قومه، لا يستقيم له أن يُقيد بغير بيّنة ولا ثبوت، فاطلبوا لي علم ذلك، آخذ لكم بحقكم. فبينما هم يطوفون لا يجدون بيّنة، إذا موسى من الغد قد رأى ذلك الإسرائيلي، يقاتل رجلاً من آل فرعون آخر، فاشتغاه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى قد ندم على ما كان منه، وكره الذي رأى، فغضب الإسرائيلي، وهو يريد أن يهبط بالفرعوني، فقال للإسرائيلي، لما فعل بالأمس واليوم: ﴿ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص: ١٨]. فنظر الإسرائيلي إلى موسى، بعد ما قال له ما قال، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس، الذي قتل فيه الفرعوني، فخاف أن يكون بعد ما قال له: إنك لعويٌّ مبين [١٨٨/١ ظ]. أن يكون إياه أراد، ولم يكن أراد، إنما أراد الفرعوني، فخاف الإسرائيلي، وقال: يا موسى، أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس؟ وإنما قال له؛ مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته، فتنازكا،

(١ - ١) زيادة من: الأصل.

وَأَنْطَلَقَ الْفِرْعَوْنِيُّ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّ مِنَ الْخَبِيرِ ، حِينَ يَقُولُ :
أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ؟ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ الذَّبَّاحِينَ لِيَقْتُلُوا
مُوسَى ، فَأَخَذَ رُشْلُ فِرْعَوْنَ الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ ، يَمْشُونَ عَلَى هَيْبَتِهِمْ ^(١) يَطْلُبُونَ
مُوسَى ، وَهُمْ لَا يَخَافُونَ أَنْ يَفُوتَهُمْ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ مُوسَى ، مِنْ أَقْصَى
الْمَدِينَةِ ، فَاخْتَصَرَ طَرِيقًا حَتَّى سَبَقَهُمْ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرَهُ - وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا بَنَ
جُبْيِيرٍ - فَخَرَجَ مُوسَى مُتَوَجِّهًا نَحْوَ مَدْيَنَ ، لَمْ يَلْقَ بَلَاءَ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ لَهُ
بِالطَّرِيقِ عِلْمٌ إِلَّا حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ قَالَ : ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ
يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [٢٢] وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّكَاسِ
يَسْتَقِيمُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴿ [القصص: ٢٢ ، ٢٣] . يَعْنِي
بِذَلِكَ حَابِسَتَيْنِ غَنَمَهُمَا ، فَقَالَ لِهَمَا : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ؟ مُغْتَرِلَتَيْنِ ، لَا تَشْقِيَانِ
مَعَ النَّاسِ ؟ قَالَتَا : لَيْسَ لَنَا قُوَّةُ نَزَاجِمِ الْقَوْمِ ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ فُضُولَ حِيَاضِهِمْ .
فَسَقَى لِهَمَا ، فَجَعَلَ يُعْرِفُ مِنَ الدَّلْوِ مَاءَ كَثِيرًا ، حَتَّى كَانَ أَوَّلَ الرَّعَاءِ ،
وَانصَرَفَتَا بَعْنِيهِمَا إِلَى أَبِيهِمَا ، وَانصَرَفَ مُوسَى ، فَاسْتَظَلَّ بِشَجَرَةٍ ، ﴿ فَقَالَ
رَبِّي إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] . وَاسْتَنكَرَ أَبُوهُمَا
سُرْعَةَ صُدُورِهِمَا بَعْنِيهِمَا حُقْلًا بِطَانًا ، فَقَالَ : إِنَّ لَكُمَا الْيَوْمَ لَشَأْنًا . فَأَخْبَرَتَاهُ بِمَا
صَنَعَ مُوسَى ، فَأَمَرَ إِحْدَاهُمَا أَنْ تَدْعُوهُ ، فَأَتَتْ مُوسَى فَدَعَتْهُ ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ :
﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥] لَيْسَ لِفِرْعَوْنَ وَلَا
لِقَوْمِهِ عَلَيْنَا مِنْ سُلْطَانٍ ، وَلِسْنَا فِي تَمَلُّكِهِ ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرَّ
إِلَيْكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرَّتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] . فَاحْتَمَلَتْهُ الْغَيْرَةُ عَلَى

(١) فِي سَنَنِ النَّسَائِيِّ : « هَيْبَتِهِمْ » . وَعَلَى هَيْبَتِهِمْ أَي عَلَى رِشْلِهِمْ .

أن قال لها : ما يُدريك ما قُوَّتُه ، وما أمانته ؟ فقالت : أما قُوَّتُه فما رأيتُ منه في الدُّلُو حين سَقَى لنا ، لم أرَ رجلاً قطُّ أقوى في ذلك السَّقِي منه ، وأما الأمانةُ فإنه نظر إليَّ حينَ أقبلتُ إليه ، وشخصتُ له ، فلما عَلِمَ أنني امرأةٌ صَوَّبَ رأسه ، فلم يَزَفَعه حتى بَلَّغته رسالتك ، ثم قال لي : امشي خلفي ، وانتهى لي الطريق . فلم يفعل هذا إلا وهو أمينٌ . فشرى عن أبيها ، وصدقتها ، وظنَّ به الذي قالت ، فقال له : هل لك ﴿ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَابٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧] . ففعل ، فكانت على نبيِّ الله موسى ثمانى سنينَ واجبةً ، وكانت السنتان عِدَّةً منه [١٨٩/١] ، فقضى الله عنه عِدَّتَه ، فَأَتَمَّهَا عَشْرًا .

قال سعيدُ بنُ جبَّيرٍ : فَلَقِيْتِي رَجُلًا مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ ، مِنْ عِلْمَائِهِمْ ، قَالَ : هل تَدْرِي أَيَّ الْأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى ؟ قلتُ : لا . وأنا يَوْمِيذٍ لا أَذْرِي ، فَلَقِيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ثَمَانِيَّةً كَانَتْ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ وَاجِبَةً ؟ لَمْ يَكُنْ نَبِيُّ اللَّهِ لِيُنْقِصْ مِنْهَا شَيْئًا وَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ كَانَ قَاضِيًا عَنْ مُوسَى عِدَّتَهُ الَّتِي وَعَدَهُ ، فَإِنَّهُ قَضَى عَشْرَ سَنِينَ . فَلَقِيْتُ النَّصْرَانِيَّ ، فَأَخْبَرْتُهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : الَّذِي سَأَلْتَهُ فَأَخْبَرَكَ أَعْلَمُ مِنْكَ بِذَلِكَ . قلتُ : أَجَلٌ ، وَأَوْلَى .

فلما سار موسى بأهله ، كان من أمرِ النَّارِ ، والعصا ، ويده ، ما قصَّ اللهُ عليك في القرآن ، فشكا إلى الله تعالى ما يتخوفُ من آلِ فِرْعَوْنَ في القَتِيلِ ، وَعُقْدَةَ لِسَانِهِ ، فإنه كان في لسانه عُقْدَةٌ تمنعه من كثيرٍ من الكلامِ ، وسأل ربه أن يُعيته بأخيه هارونَ ، يكونُ له رَدًّا ويتكلمُ عنه بكثيرٍ مما لا يُفصِحُ به لسانه ،

فَاتَاهُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، سُؤْلَهُ ^(١) وَحَلَّ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِهِ ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَارُونَ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَلْقَاهُ ، فَأَتَدَفَعَ مُوسَى بَعْضَاهُ حَتَّى لَقِيَ هَارُونَ ، فَانْطَلَقَا جَمِيعًا إِلَى فِرْعَوْنَ ، فَأَقَامَا عَلَى بَابِهِ حِينًا لَا يُؤَدُّنُ لِهَمَا ، ثُمَّ أُذِنَ لَهُمَا بَعْدَ حِجَابٍ شَدِيدٍ ، فَقَالَا : إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ . فَقَالَ : فَمَنْ رَبُّكُمَا ؟ فَأُخْبِرَهُ بِالَّذِي قَصَّ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي الْقُرْآنِ ، قَالَ : فَمَا تُرِيدَانِ ؟ وَذَكَرَهُ الْقَتِيلَ ، فَاغْتَدَرَ بِمَا قَدْ سَمِعْتَ ، قَالَ : أُرِيدُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَتُرْسِلَ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَأَتَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : ائْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ ، فَاغْرَءَ فَاها ، مُسْرِعَةً إِلَى فِرْعَوْنَ ، فَلَمَّا رَأَاهَا فِرْعَوْنُ قَاصِدَةً إِلَيْهِ خَافَهَا ، فَاغْتَحَمَ عَنْ سَرِيرِهِ ، وَاسْتَعَاثَ بِمُوسَى أَنْ يَكْفُفَهَا عَنْهُ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ جَيْبِهِ ، فَرَأَاهَا بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ شَوْءٍ - يَعْنِي مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ - ثُمَّ رَدَّهَا فَعَادَتْ إِلَى لَوْزِهَا الْأَوَّلِ ، فَاسْتَشَارَ الْمَلَأَ حَوْلَهُ فِيمَا رَأَى ، فَقَالُوا لَهُ : هَذَا سَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُنَى . يَعْنِي مُلْكَهُمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، وَالْعَيْشَ ، وَأَبْوَا عَلَى مُوسَى أَنْ يُعْطُوهُ شَيْئًا مِمَّا طَلَبَ ، وَقَالُوا لَهُ : اجْمَعِ السَّحْرَةَ ، فَإِنَّهُمْ بِأَرْضِكَ كَثِيرٌ ؛ حَتَّى تَغْلِبَ بِسِحْرِكَ سِحْرَهُمَا . فَأَرْسَلَ إِلَى الْمَدَائِنِ ، فَخَشِرَ لَهُ كُلُّ سَاحِرٍ مُتَعَالِمٍ ، فَلَمَّا أَتَوْا فِرْعَوْنَ ، قَالُوا : بِمِ يَعْمَلُ هَذَا السَّاحِرُ ؟ قَالُوا : يَعْمَلُ بِالْحَيَاتِ . قَالُوا : فَلَا وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ فِي الْأَرْضِ يَعْمَلُ بِالسَّحْرِ بِالْحَيَاتِ وَالْحِيَالِ وَالْعِصِيِّ الَّذِي نَعْمَلُ ، وَمَا أَجْزُنَا إِنْ نَحْنُ غَلَبْنَا ؟ قَالَ لَهُمْ : أَنْتُمْ أَقَارِبِي وَخَاصَّتِي [١٨٩] ، وَأَنَا صَانِعٌ إِلَيْكُمْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْبَبْتُمْ . فَتَوَاعَدُوا يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحَى . قَالَ سَعِيدٌ : فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ يَوْمَ الزَّيْنَةِ الْيَوْمَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَالسَّحْرَةَ ، هُوَ يَوْمٌ عَاشُورَاءَ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا فِي

(١) سقط من : النسخ . والمثبت من سنن النسائي الكبرى .

صعید قال النَّاسُ بعضهم لبعض: انطلقوا فلتحضروا هذا الأمر؛ لعلنا نتبع
السَّحرة إن كانوا هم الغالبين. يفتنون موسى وهارون، اشتيزاءً بهما، فقالوا: يا
موسى - بقدرتهم بسحرهم - إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين. قال:
بل ألقوا. ﴿ فَأَلْقَوْا حِجَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾
[الشعراء: ٤٤]. فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفةً، فأوحى الله
إليه: أن ألق عصاك، فلما ألقاها، صارت ثعباناً عظيمةً، فاغرةً فاها، فجعلت
العصى تتبش بالحبال، حتى صارت جرزاً^(١) على الثعبان تدخل فيه، حتى ما
أبقت عصاً ولا حبالاً إلا ابتلعته، فلما عرف السحرة ذلك، قالوا: لو كان هذا
سحراً لم تبلع^(٢) من سحرنا كل هذا، ولكنه أمر من الله تعالى، آمناً بالله وبما
جاء به موسى، وتوب إلى الله مما كُنتا عليه. فكسر الله ظهر فرعون في ذلك
الموطن وأشياعه، وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون، فعلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين، وامرأة فرعون بارزة متبدلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون
وأشياعه، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون
وأشياعه، وإنما كان حزنها وهمها لموسى، فلما طال مكث موسى بمواعيد
فرعون الكاذبة، كلما جاء بأية وعده عندها أن يُوسل معه بنى إسرائيل، فإذا
مضت أخلف مواعده وقال: هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا؟ فأرسل الله
على قومه الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم آيات مفصلات،
كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه، ويوافقه على أن يُوسل
معه بنى إسرائيل، فإذا كف ذلك عنه، أخلف مواعده، وتكث عهده، حتى

(١) الجزر جمع جزرة، وهي الحزمة من القث ونحوه.

(٢) فى ح، م: «تبلع». والمثبت موافق لما فى سنن النسائى ومسنده أبى يعلى.

أَمَرَ مُوسَى بِالْخُرُوجِ بِقَوْمِهِ ، فَخَرَجَ بِهِمْ لَيْلًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ فِرْعَوْنُ ، وَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ مَضَوْا ، أَرْسَلَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ، فَتَبِعَهُ بِجُنُودٍ عَظِيمَةٍ كَثِيرَةٍ ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْبَحْرِ : إِذَا ضَرَبَكَ عَبْدِي مُوسَى بِعَصَاهُ ، فَانْفَلِقْ ائْتِنِّي عَشْرَةَ فِرْقَةٍ ، حَتَّى يَجُوزَ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، ثُمَّ اتَّقِ عَلَيَّ مَنْ يَبْقَى بَعْدُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَأَشْيَاعِهِ . فَنَسِيَ مُوسَى أَن يَضْرِبَ الْبَحْرَ بِالْعَصَا ، وَانْتَهَى إِلَى الْبَحْرِ وَلَهُ قَصِيفٌ ^(١) ، مَخَافَةً أَنْ يَضْرِبَهُ مُوسَى بِعَصَاهُ وَهُوَ غَافِلٌ [١٩٠/١] فَيَصِيرُ عَاصِيًا لِلَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ وَتَقَارَبَا ، قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى : إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ، أَفْعَلْ مَا أَمَرَكَ بِهِ رَبُّكَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ وَلَمْ تَكْذِبْ . قَالَ : وَعَدَنِي رَبِّي إِذَا أَتَيْتُ الْبَحْرَ انْفَرَقَ ائْتِنِّي عَشْرَةَ فِرْقَةٍ حَتَّى أُجَاوِزَهُ ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَصَا ، فَضْرَبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ ، حِينَ دَنَا أَوَائِلُ جُنْدِ فِرْعَوْنَ مِنْ أَوَاخِرِ جُنْدِ مُوسَى ، فَانْفَرَقَ الْبَحْرُ كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ ، وَكَمَا وَعَدَ مُوسَى ، فَلَمَّا أَنْ جَاوَزَ مُوسَى وَأَصْحَابُهُ كُلَّهُمُ الْبَحْرَ ، وَدَخَلَ فِرْعَوْنُ وَأَصْحَابُهُ ، اتَّقَى عَلَيْهِمُ الْبَحْرُ ، كَمَا أَمَرَ ، فَلَمَّا جَاوَزَ مُوسَى ، قَالَ أَصْحَابُهُ : إِنَّا نَخَافُ أَنْ لَا يَكُونَ فِرْعَوْنُ غَرِقَ ، وَلَا نُؤْمِنُ بِهَلَاكِهِ . فَادْعَا رَبَّكَ ، فَأَخْرِجْهُ لَكَ بِيَدِنَا ، حَتَّى اسْتَيْقَنُوا بِهَلَاكِهِ ، ثُمَّ مَرُّوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ، ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [١٣٨] ، [الأعراف : ١٣٨] . قَدْ رَأَيْتُمْ مِنَ الْعَبْرِ ، وَسَمِعْتُمْ مَا يَكْفِيكُمْ وَمَضَى ، فَأَنْزَلَهُمُ مُوسَى مَنزِلًا ، وَقَالَ : أَطِيعُوا هَارُونَ ، فَإِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُهُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي . وَأَجْلَهُمْ ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ فِيهَا ، فَلَمَّا أَتَى رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَرَادَ أَنْ

(١) له قصيف؛ أي له صوت شديد يشبه صوت الرعد.

يُكَلِّمَهُ فِي ثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَقَدْ صَامَهُنَّ، لِيَلْهِنَ وَنَهَارَهُنَّ، وَكَرِهَ أَنْ يُكَلِّمَ رَبَّهُ
 وَرِيحٌ فِيهِ رِيحٌ فِي الصَّائِمِ، فَتَنَاوَلَ مُوسَى شَيْئًا مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَمَضَعَهُ، فَقَالَ
 لَهُ رَبُّهُ حِينَ آتَاهُ: لِمَ أَفْطَرْتَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالَّذِي كَانَ، قَالَ: يَا رَبُّ، إِنِّي كَرِهْتُ
 أَنْ أُكَلِّمَكَ إِلَّا وَقَمِي طَيْبُ الرِّيحِ. قَالَ: أَوْ مَا عَلِمْتَ يَا مُوسَى أَنَّ رِيحَ فِيهِ^(١)
 الصَّائِمِ أَطْيَبُ مِنَ رِيحِ الْمِسْكِ، أَرْجِعْ فَصُومْ عَشْرًا، ثُمَّ أَتِنِي. فَفَعَلَ مُوسَى مَا
 أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، فَلَمَّا رَأَى قَوْمُ مُوسَى أَنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فِي الْأَجْلِ، سَاءَهُمْ ذَلِكَ،
 وَكَانَ هَارُونُ قَدْ خَطَبَهُمْ وَقَالَ: إِنَّكُمْ خَرَجْتُمْ مِنْ مِصْرَ، وَلِقَوْمٍ فِرْعَوْنُ عِنْدَكُمْ
 عَوَارِيٌّ وَوَدَائِعُ، وَلَكُمْ فِيهَا مِثْلُ ذَلِكَ، وَأَنَا أَرَى أَنْ تَحْتَسِبُوا مَا لَكُمْ عِنْدَهُمْ،
 وَلَا أَجَلَ لَكُمْ وَدِيعَةً اسْتَوْدِعْتُمُوهَا، وَلَا عَارِيَّةً، وَلَسْنَا بَرَادِينَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ
 ذَلِكَ، وَلَا تُمْسِكِيهِمْ لِأَنْفُسِنَا. فَحَفَرَ حَفِيرًا، وَأَمَرَ كُلَّ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ
 مَتَاعٍ أَوْ حِلْيَةٍ أَنْ يَقْدِفُوهُ فِي ذَلِكَ الْحَفِيرِ. ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهِ النَّارَ فَأَخْرَقَهُ، فَقَالَ: لَا
 يَكُونُ لَنَا وَلَا لَهُمْ.

وَكَانَ السَّامِرِيُّ مِنْ قَوْمِ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ، جِيرَانِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَاحْتَمَلَ مَعَ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ اخْتَمَلُوا، فَقَضَى لَهُ أَنْ رَأَى
 أَثْرًا فَقَبِضَ مِنْهُ قَبْضَةً، فَمَرَّ بِهَارُونَ، فَقَالَ لَهُ هَارُونُ: يَا سَامِرِيُّ، أَلَا تَلْقَى مَا
 فِي يَدِكَ؟ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهِ، لَا يَرَاهُ أَحَدٌ طَوَالَ [١٩٠/١] ظ. ذَلِكَ، فَقَالَ: هَذِهِ
 قَبْضَةٌ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ الَّذِي جَاوَزَ بِكُمْ الْبَحْرَ، وَلَا أَلْقِيهَا لِشَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَدْعُو اللَّهَ
 إِذَا أَلْقَيْتَهَا أَنْ يَكُونَ مَا أُرِيدُ. فَأَلْقَاهَا وَدَعَا لَهُ هَارُونُ، فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ
 عِجْلًا. فَاجْتَمَعَ مَا كَانَ فِي الْحُفْرَةِ مِنْ مَتَاعٍ أَوْ حِلْيَةٍ، أَوْ نُحَاسٍ، أَوْ حَدِيدٍ،

(١) سقط من: الأصل، ح.

فصار عَجَلًا أَجوفَ ، ليس فيه رُوحٌ ، له خُوارٌ .

قال ابن عباس : لا والله ما كان له صوتٌ قطُّ ، إنما كانت الرِّيحُ تدخلُ من ذُبُرِهِ ، وتخرجُ من فيه ، فكان ذلك الصوتُ من ذلك ، فتفرَّقَ بنو إسرائيلَ فِرَقًا ، فقالت فيزقةٌ : يا سامريُّ ، ما هذا ، وأنت أعلمُ به ؟ قال : هذا ربُّكم ، ولكنَّ موسى أضلَّ الطريقَ . وقالت فيزقةٌ : لا تُكذِّبُ بهذا حتى يزجَعَ إلينا موسى ، فإن كان ربُّنا ، لم نكن ضيِّعناه وعجزنا فيه حين رأيناه ، وإن لم يكن ربُّنا ، فإننا نتَّبِعُ قولَ موسى . وقالت فيزقةٌ : هذا عملُ الشَّيطانِ ، وليس برُّبنا ، ولا نُؤمِنُ به ، ولا نُصدِّقُ . وأشربَ فيزقةٌ في قلوبهم الصَّدقَ بما قال السامريُّ في العجلِ ، وأغلثوا التَّكذِيبَ به ، فقال لهم هارونُ عليه السلامُ : ﴿ يَنْقُورُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴾ [طه : ٩٠] . ليس هذا ، قالوا : فما بالُ موسى وَعَدَدنا ثلاثينَ يومًا ثمَّ أَخْلَفنا ؟ هذه أربعونَ يومًا قد مَضَتْ . فقال سفهاؤُهُم : أخطأ ربُّه ، فهو يطلبُه وَيَتَّبِعِيهِ . فلَمَّا كَلَّمَ اللهُ موسى وقال له ما قال ، أَخْبِرَهُ بما لَقِيَ قَوْمَهُ من بعده ، فَرَجَعَ إلى قومه غَضبانَ أسفًا ، فقال لهم ما سَمِعْتُمْ في القرآنِ ، وأخذ بِرأسِ أخيه يَجُرُّهُ إليه ، وألقى الألواحَ مِنَ العَضْبِ ، ثم إنَّه عَدَرَ أخاه بعُدْرِهِ ، واستغْفَرَ له ، فانصَرَفَ إلى السامريِّ ، فقال له : ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ ؟ قال : ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ وَقَطِنْتُ لَهَا ، وَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ فَقَدَفْتُهَا ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ (١١) قَالَ فَآذَهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ يُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿ [طه : ٩٦ ، ٩٧] . ولو كان إلهاً لم نخلصُ إلى ذلك منه ، فاستيقنَ بنو إسرائيلَ بالفِتْنَةِ ، واغبطَ

الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون، فقالوا لجماعتهم^(١): يا موسى، سألنا أن يفتح لنا باب توبة نصنعها، فيكفر عنا ما عملنا. فاختر موسى قومه سبعين رجلاً لذلك، لا يألوا الخير، خيار بني إسرائيل، ومن لم يُشرك في العجل^(٢)، فانطلق بهم يسأل لهم التوبة، فرجفت بهم الأرض، فاستخيا نبي الله، عليه السلام، من قومه، ومن وفده، حين فعل بهم ما فعل، فقال: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَرَأْيِي أَنَّهُمْ لَفَلَّ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ وفيهم من كان الله أطلع منه على ما أشرب قلبه [١٩١/١] من حب العجل، وإيمان به، فلذلك رجفت بهم الأرض، فقال: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿[الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]. فقال: يارب، سألتك التوبة لقومي، فقلت: إنَّ رَحِمَتَكَ كَتَبْتَهَا^(٣) لقوم غير قومي، فليتك أحرزتنى حتى تُخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة. فقال له: إنَّ توبتهم أن يقتل كل رجلٍ من لقبي من والدٍ ووليدٍ، فيقتله بالسيف، لا يُيالي من قتل في ذلك الموطن. وتاب^(٤) أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون، وأطلع الله من ذنوبهم، فاعترفوا بها، وفعلوا ما أمروا، وعقر الله للقاتل والمقتول، ثم سار بهم موسى، عليه السلام، متوجِّهاً نحو الأرض المقدسة، وأخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب، فأمرهم بالذي أمر به من الوظائف ففعل ذلك عليهم، وأبوا أن يُقرُّوا بها، وتلق

(١) في النسخ: « لجماعتهم ». والمثبت من مسند أبي يعلى .

(٢) في النسخ: « الحق ». والمثبت من سنن النسائي .

(٣ - ٣) في النسخ: « رحمتي كتبها ». والمثبت من مسند أبي يعلى .

(٤) في سنن النسائي: « ويأتي » .

اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَبَلُ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ، وَدَنَا مِنْهُمْ حَتَّى خَافُوا أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ، فَأَخَذُوا
الْكِتَابَ بِأَيْمَانِهِمْ وَهُمْ ^(١) يُضْغَوْنَ ^(٢) يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَبَلِ، وَالْكِتَابُ بِأَيْدِيهِمْ وَهُمْ
مِنْ ^(٣) وِرَاءِ الْجَبَلِ، مَخَافَةَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى أَتَوْا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ،
فَوَجَدُوا مَدِينَةً فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارُونَ، خَلَقَهُمْ خَلْقَ مُنْكَرٍ - وَذَكَرَ مِنْ ثَمَارِهِمْ أَمْرًا
عَجِيبًا مِنْ عَظَمِهَا - فَقَالُوا: يَا مُوسَى، إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ،
وَلَا نَدْخُلُهَا مَا دَامُوا فِيهَا، فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ. قَالَ رَجُلَانِ مِنَ
الَّذِينَ يَخَافُونَ - قِيلَ لِيَزِيدَ: هَكَذَا قَرَأَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ - مِنَ الْجَبَّارِينَ آمَنَّا بِمُوسَى،
وَخَرَجْنَا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِقَوْمِنَا، إِنْ كُنْتُمْ إِتَمَّا تَخَافُونَ مَا رَأَيْتُمْ مِنْ
أَجْسَامِهِمْ وَعَدَدِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا قُلُوبَ لَهُمْ، وَلَا مَعَنَةَ عِنْدَهُمْ، فَادْخُلُوا عَلَيْهِمْ
الْبَابَ، فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ. وَيَقُولُ أَنَا: إِنَّهُمَا ^(٤) مِنْ قَوْمِ مُوسَى.
فَقَالَ الَّذِينَ يَخَافُونَ؛ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا
دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤].
فَأَعْضَبُوا مُوسَى، فَدَعَا عَلَيْهِمْ، وَسَمَّاهُمْ فَاسِقِينَ، وَلَمْ يَدْعُ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ؛
لِمَا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَإِسَاءَتِهِمْ، حَتَّى كَانَ يَوْمَئِذٍ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ
وَسَمَّاهُمْ كَمَا سَمَّاهُمْ فَاسِقِينَ، فَحَرَّمَهَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، يَتِيَهُونَ فِي
الْأَرْضِ، يُضْبِحُونَ كُلَّ يَوْمٍ، فَيَسِيرُونَ لَيْسَ لَهُمْ قَرَارٌ، ثُمَّ ظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ
فِي النَّهْيِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، وَجَعَلَ لَهُمْ ثِيَابًا لَا تَبْلَى وَلَا تَتَّسِخُ،
وَجَعَلَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ حَجَرًا مَرْبَعًا [١/١٩١ظ]، وَأَمَرَ مُوسَى فَضْرَبَهُ بِعَصَاهُ،

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) كذا في النسخ وفي مسند أبي يعلى. وفي سنن النسائي: «مضطقون».

(٣) في النسخ: «إنهم». والمثبت من سنن النسائي.

فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ثَلَاثَةٌ أَعْيُنٍ، وَأَعْلَمَ كُلُّ سَبِيطٍ عَيْنَهُمُ الَّتِي يَشْرَبُونَ مِنْهَا، فَلَا يَوْتِحِلُونَ مِنْ مَنَقَلَةٍ إِلَّا وَجَدُوا ذَلِكَ الْحَجَرَ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ بِالْأَمْسِ. رَفَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَصَدَّقَ ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّ مَعَاوِيَةَ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الْفِرْعَوْنِي الَّذِي أَفْسَى عَلَى مُوسَى أَمْرَ الْقَتِيلِ الَّذِي قَتَلَ، فَقَالَ: كَيْفَ يُفْسَى عَلَيْهِ، وَلَمْ يَكُنْ عَلِيمًا بِهِ وَلَا ظَهَرَ عَلَيْهِ إِلَّا الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي حَضَرَ ذَلِكَ؟ فَغَضِبَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَأَخَذَ بِيَدِ مَعَاوِيَةَ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى سَعِيدِ بْنِ مَالِكِ الرَّهْرِيِّ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، هَلْ تَذْكُرُ يَوْمَ حَدَّثْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتِيلِ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ؟ الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي أَفْسَى عَلَيْهِ، أَمْ الْفِرْعَوْنِيُّ؟^(١) قَالَ: إِنَّمَا أَفْسَى عَلَيْهِ الْفِرْعَوْنِيُّ بِمَا سَمِعَ الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي شَهِدَ ذَلِكَ وَحَضَرَهُ^(٢). هَكَذَا سَأَلَ هَذَا الْحَدِيثَ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرَيْهِمَا، مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ^(٣)، وَالْأَشْبَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أَنَّهُ مَوْقُوفٌ، وَكَوْنُهُ مَرْفُوعًا فِيهِ نَظَرٌ، وَغَالِبُهُ مُتَلَفًى مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَفِيهِ شَيْءٌ يَسِيرٌ مُضَرَّحٌ بَرَفْعِهِ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ، وَفِي بَعْضٍ مَا فِيهِ نَظَرٌ وَنَكَارَةٌ، وَالْأَغْلَبُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْحَافِظَ أَبَا الْحَجَّاجِ الْمُرِّيَّ يَقُولُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) ابن جرير في تفسيره ١٦/١٦٤. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/٢٩٦ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وغيره. كما أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٦١٨).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٦٦: رجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان.

ذِكْرُ^(١) بِنَاءِ قُبَّةِ الزَّمَانِ

قال أهل الكتاب^(٢) : وقد أمر الله موسى ، عليه السلام ، بعمل قبّة من خشب الشمشار ، وجلود الأنعام ، وشعر الأغنام ، وأمر بزيتها بالحري المصبغ ، والذهب ، والفضة ، على كفيّات مفصّلة عند أهل الكتاب ، ولها عشر سرادقات ، طول كل واحد ثمانية وعشرون ذراعاً ، وعرضه أربعة أذرع ، ولها أربعة أبواب ، وأطناّب من حري ودمقس مصبغ ، وفيها رفوف^(٣) وصفائح من ذهب وفضة ، ولكل زاوية بابان ، وأبواب أخر كبيرة ، وستور من حري مصبغ ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، وعمل تابوت من خشب الشمشار ، يكون طوله ذراعين ونصفاً ، وعرضه ذراعين ، وارتفاعه ذراعاً ونصفاً ، ويكون مضمبباً بذهب خالص ، من داخله وخارجه ، وله أربع جلّقي ، في أربع زواياه ، ويكون [١٩٢] على حافتيه كزويّتان من ذهب ، يعلّون صفة ملكين بأجنحة ، وهما متقابلان ، صنعه رجل اسمه بصليال . وأمره أن يعمل مائدة من خشب الشمشار ، طولها ذراعان ، وعرضها ذراع ونصف ، لها ضباب ذهب ، وإكليل ذهب بشفة مرتفعة ، وإكليل من ذهب ، وأربع جلّقي من نواحيها من ذهب ؛ خرزُه مثل الرّمان من خشب ملّبس ذهباً ، واعمل صحافاً ومصافى وقصاعاً على المائدة ، واصنع منارة من ذهب دُلّقي فيها ست قصبات من ذهب ، من كل

(١) سقط من : م .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٢٥ - ٢٧ .

(٣) في الأصل ، ح : «دوف» . ورفوف جمع رف ، وهو شبه الطاق تجعل عليه طرائف البيت .

جانِبِ ثَلَاثَ ، عَلَى كُلِّ قَصْبَةٍ ثَلَاثَ سُورٍ ، وَلِيَكُنْ فِي الْمَنَارَةِ أَرْبَعٌ قَنَادِيلَ ، وَلِتَكُنْ هِيَ وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَنْبِيَةِ مِنْ قِنطَارٍ مِنْ ذَهَبٍ ، صَنَعَ ذَلِكَ بَصَلِيَالٌ أَيْضًا ، وَهُوَ الَّذِي عَمِلَ الْمَذْبَحَ أَيْضًا ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْقُبَّةَ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ سَنَتِهِمْ ، وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الرَّبِيعِ ، وَنَصَبَ تَابُوتَ الشَّهَادَةِ ، وَهُوَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَعَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] .

وقد بُسِطَ هذا الفصلُ في كتابهم مُطَوَّلًا جَدًّا ، وفيه شرائعُ لهم ، وأحكامُ ، وصفةُ قُرْبَانِهِمْ ، وَكَيْفِيَّتِهِ ، وفيه أَنَّ قُبَّةَ الزَّمَانِ كَانَتْ مَوْجُودَةً قَبْلَ عِبَادَتِهِمْ الْعَجَلِ ، الَّذِي هُوَ مُتَقَدِّمٌ عَلَى مَجِيئِهِمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَأَنَّهَا كَانَتْ لَهُمْ كَالْكَعْبَةِ يُصَلُّونَ فِيهَا وَإِلَيْهَا ، وَيَتَفَرَّبُونَ عِنْدَهَا ، وَأَنَّ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَ إِذَا دَخَلَهَا يَقْفُونَ عِنْدَهَا ، وَيَنْزِلُ عَمُودُ الْغَمَامِ عَلَى بَابِهَا ، فَيَخْرُجُونَ عِنْدَ ذَلِكَ سُجَّدًا لِلَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَيَكَلِّمُ اللَّهُ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِنْ ذَلِكَ الْعَمُودِ الْغَمَامِ ، الَّذِي هُوَ نُورٌ ، وَيَخَاطِبُهُ ، وَيُنَاجِيهِ ، وَيَأْمُرُهُ ^(١) ، وَيُنْهَاهُ ، وَهُوَ واقِفٌ عِنْدَ التَّابُوتِ ، صَامِدٌ إِلَى مَا بَيْنَ الْكَرْوِيِّينَ إِذَا فُصِّلَ الْخِطَابُ ، يَخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا أَوْحَاهُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالتَّوَاهِي ، وَإِذَا تَحَاكَمُوا إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ ، لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ فِيهِ شَيْءٌ ، يَجِيءُ إِلَى قُبَّةِ الزَّمَانِ ، وَيَقِفُ عِنْدَ التَّابُوتِ ، وَيَصْمُدُّ لَمَّا بَيْنَ ذَيْنِكَ الْكَرْوِيِّينَ ، فَيَأْتِيهِ الْخِطَابُ بِمَا فِيهِ فَضْلٌ تِلْكَ الْحُكُومَةِ ، وَقَدْ كَانَ هَذَا مَشْرُوعًا لَهُمْ فِي زَمَانِهِمْ ، أَعْنَى اسْتِعْمَالَ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ الْمُصْبَغِ ،

(١) سقط من: الأصل .

وَاللَّائِي فِي مَعْبَدِهِمْ، وَعِنْدَ مُصَلَّاهُمْ، فَأَمَّا فِي شَرِيعَتِنَا فَلَا، بَلْ قَدْ نُهِينَا عَنْ زَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ، وَتَزْيِينِهَا؛ لِقَوْلِ تَشْغَلِ الْمَصَلِّينَ، كَمَا قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا وَسَّعَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ [١/١٩٢ظ] لِلَّذِي وَكَّلَهُ عَلَى عِمَارَتِهِ: ابْنِ لِلنَّاسِ مَا يُكْنُهُمْ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمَّرَ أَوْ تُصَفَّرَ، فَتَفْتِنَ النَّاسَ^(١). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَتَزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالتَّصَارِيُّ كَنَائِسَهُمْ^(٢).

وهذا من باب التَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّنْزِيهِ، فَهَذِهِ الْأُمَّةُ غَيْرُ مُشَابِهَةٍ مَن كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ؛ إِذْ جَمَعَ اللَّهُ هَمَّهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَصَانَ أَبْصَارَهُمْ وَخَوَاطِرَهُمْ عَنِ الِاسْتِغْيَالِ وَالتَّفَكُّرِ فِي غَيْرِ مَا هُمْ بِصَدَدِهِ مِنَ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالمِنَّةُ.

وَقَدْ كَانَتْ قُبَّةُ الزَّمَانِ هَذِهِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي النَّبِيِّ، يُصَلُّونَ إِلَيْهَا، وَهِيَ قِبْلَتُهُمْ وَكَفَّتُهُمْ، وَإِمَامُهُمْ كَلِيمُ اللَّهِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَقْدَّمُ الْقُرْبَانِ أَخُوهُ هَارُونَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَلَمَّا مَاتَ هَارُونَ، ثُمَّ مُوسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، اسْتَمَرَّتْ بَنُو هَارُونَ فِي الَّذِي كَانَ يَلِيهِ أَبُوهُمْ مِنْ أَمْرِ الْقُرْبَانِ، وَهُوَ فِيهِمْ، إِلَى الْآنَ، وَقَامَ بِأَعْبَاءِ النَّبُوءَةِ بَعْدَ مُوسَى وَتَدْيِيرِ الْأَمْرِ بَعْدَهُ، فَتَاهُ يَوْشَعُ بْنُ نُونٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ الَّذِي دَخَلَ بِهِمْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ؛ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٥٣٩/١ مَعْلُوقًا. وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ ٥٣٩/١: هُوَ طَرَفٌ مِنْ قِصَّةٍ فِي ذِكْرِ تَجْمِيدِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ. وَيُضِضُ لَهُ فِي تَفْهِيمِ التَّعْلِيقِ ٢/٢٣٦.
(٢) الْبُخَارِيُّ مَعْلُوقًا بِصِيغَةِ الْجَزْمِ ٥٣٩/١. وَأَبُو دَاوُدَ (٤٤٨). (صَحِيحُ أَبِي دَاوُدَ ٤٣١). وَانظُرِ الْإِحْسَانَ (١٦/٥).

والمقصود هنا أنه لما اشتقرت يده على البيت المقدس، نصب هذه القبلة على صخرة بيت المقدس، فكانوا يصلون إليها، فلما بادث صلوا إلى محلها، وهي الصخرة، فلماذا كانت قبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول الله ﷺ، وقد صلى إليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة، وكان يجعل الكعبة بين يديه، فلما هاجر، أمر بالصلاة إلى بيت المقدس، فصلّى إليها سنة عشر، وقيل: سبعة عشر شهراً. ثم حوّلت القبلة إلى الكعبة، وهي قبلة إبراهيم، في شعبان سنة ثنتين، في وقت صلاة العصر. وقيل: الظهر^(١)، كما بسطنا ذلك في «التفسير»^(٢)، عند قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ أَنِّي كَأَنُؤُا عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ زَيَّيْنَا قَلْبَكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ قِبَلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٢ - ١٤٤].

(١) انظر صحيح البخارى (٤٠، ٣٩٩، ٤٤٩٢، ٧٢٥٢). ومسلم (٥٢٥).

(٢) التفسير ٢٧٣/١ - ٢٨٢.

قصة قارون مع موسى ، عليه السلام

قال الله تعالى^(١) : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآيَاتِنَا مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُضْبَكِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسِكْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن [١٩٣/١] كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ فَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ مِنْهُ إِنْ كُنَّا لَهُ نَادِيًّا فَلْيَسِّرْ لَنَا وَمَا نُنَافِسُ لَكَ فِي مَوْلَاكَ إِنَّك لَكُنَّ تَعْلَمُ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُ إِلَّا الْمُحْسِنُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾] [الفصل: ٧٦ - ٨٣] . قال الأعمش : عن المنهال بن عمرو ، عن^(٢) سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان قارون ابن عم

(١) التفسير ٢٦٣/٦ - ٢٦٩ .

(٢) في الأصل ، م : (بن) .

موسى . وكذا قال إبراهيم النَّبَخِيُّ ، وعبدُ اللهِ بنُ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ ، وسِمَاكُ
ابنُ حَزْبٍ ، وَقَتَادَةُ ، ومالكُ بنُ دينارٍ ، وابنُ جُرَيْجٍ ، وزاد فقال : هو قارونُ بنُ
يصهْرَ بنِ قاهتَ ، وموسى بنُ عمرانَ بنِ قاهتَ ^(١) . قال ابنُ جريرٍ ^(٢) : وهذا
قولُ أكثرِ أهلِ العِلْمِ ؛ أنَّه كان ابنُ عمِّ موسى . وردَّ قولَ ابنِ إسحاقَ أنَّه كان
عمُّ موسى . قال قَتَادَةُ : وكان يُسَمَّى المنوَّرَ ^(٣) ؛ لحُسْنِ صَوْتِهِ بالتَّوْرَةِ ، ولكنَّ
عدوَّ اللهِ نَافِقٌ ، كما نَافَقَ السَّامِرِيُّ ، فأهلكه البَغِيُّ ؛ لكثْرَةِ مالِهِ . وقال شَهْرُ بنُ
حَوْشِبٍ : زاد في ثِيَابِهِ شَيْئًا طَوِيلًا ؛ تَرَفُّعًا على قَوْمِهِ . وقد ذَكَرَ اللهُ تعالى كَثْرَةَ
كُنُوزِهِ ؛ حتى إنَّ مَفَاتِيحَهُ كان يَتَّقَلُ حَمْلُهَا على الفِئَامِ ^(٤) مِنَ الرِّجَالِ الشَّدَادِ ،
وقد قِيلَ : إنَّهَا كانت مِنَ الجُلُودِ ، وإنَّهَا كانت تُحْمَلُ على سَتِينَ بَغْلًا . فاللهُ
أَعْلَمُ . وقد وَعَظَهُ النَّصْحَاءُ مِنْ قَوْمِهِ ؛ قائلين : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَرِحِينَ ﴾ أَي ؛ لَا تَبْتَظِرْ بما أُعْطِيتَ ، وَتَفَخَّرْ على غيرِكَ . ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا
ءَاتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ﴾ يقولون : لِتَكُنْ هِمَّتُكَ مَصْرُوفَةً لِتَحْصِيلِ ثَوَابِ
اللهِ فى الدَّارِ الآخِرَةِ ، فَإِنَّه خَيْرٌ وَأَبْقَى ، ومع هذا ﴿ وَلَا تَنسَ نَفْسِكَ مِنَ
الدُّنْيَا ﴾ أَي ؛ وَتَنَاولْ مِنْهَا بِمَالِكَ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ ، فَتَمَتِّعْ لِنَفْسِكَ بِالمَلادِ
الطَّيِّبَةِ الحلالِ ، ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾ أَي ؛ وَأَحْسِنْ إلى
خَلْقِ اللهِ ، كما أَحْسَنَ اللهُ خالِقَهُمْ وَبارئَهُمْ إِلَيْكَ ، ﴿ وَلَا تَبْغِ الفَسادَ فى
الأَرْضِ ﴾ أَي ؛ وَلَا تَسْؤِ إِلَيْهِمْ ، وَلَا تُفْسِدْ فِيهِمْ [١٩٣/١] فَتَقابَلَهُمْ ضِدًّا ما

(١) فى ح : « قاهت » ، وفى م : « هافت » . وانظر الأقوال السابقة فى التفسير ٢٦٣/٦ .

(٢) فى الأصل ، ح ، م : « جريج » . وانظر كلام ابن جرير فى تفسيره ١٠٥/٢٠ .

(٣) فى ح ، م : « النور » .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « القيام » . والقيام : الجماعة من الناس .

أُمِرَتْ فِيهِمْ، فَيُعَاقِبُكَ وَيَسْلُبُكَ مَا وَهَبَكَ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾
 فما كان جوابه^(١) لهذه النَّصِيحَةِ الصَّحِيحَةِ الْفَصِيحَةِ، إِلَّا أَنْ ﴿ قَالَ إِنَّمَا
 أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ يعني: أنا لا أحتاج إلى استعمال ما ذكركم، ولا إلى ما
 إليه أشركم؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَعْطَانِي هَذَا لَعَلِّيهِ أَنْ أُسْتَحَقَّهُ، وَأَنْتَى أَهْلٌ لَهُ، وَلَوْلَا
 أَنْتَى حَبِيبٌ إِلَيَّ، وَخَطِيئَةٌ عِنْدَهُ، لَمَّا أَعْطَانِي مَا أَعْطَانِي. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَادًّا عَلَيْهِ
 فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ: ﴿ أَلَمْ يَلْمَ أَنْتَ اللَّهَ فَذَّاهَكَ مِنْ قَبْلِهِ، مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ
 أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أَي؛ قَدْ
 أَهْلَكْنَا مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِينَ بِذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْ قَارُونَ قُوَّةً،
 وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، فَلَوْ كَانَ مَا قَالَ صَحِيحًا لَمْ تُعَاقَبْ أَحَدًا مِنْ كَانِ أَكْثَرَ
 مَالًا مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ مَالُهُ دَلِيلًا عَلَىٰ مَحَبَّتِنَا لَهُ، وَاعْتِنَانَا بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
 ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا ﴾ [سبأ: ٣٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ
 وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]. وَهَذَا
 الرَّدُّ عَلَيْهِ يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ
 عِلْمٍ عِنْدِي ﴾.

وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ، أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ صَنْعَةَ الْكِيمِيَاءِ^(٢)، أَوْ أَنَّهُ
 كَانَ يَحْفَظُ الْأَسْمَاءَ الْأَعْظَمَ، فَاسْتَعْمَلَهُ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ، فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِأَنَّ

(١) فِي م، ص: «جواب قومه».

(٢) الْكِيمِيَاءُ: الْحِيلَةُ وَالْحِذْقُ، وَكَانَ يَرَادُ بِهَا عِنْدَ الْقَدَمَاءِ: تَحْوِيلُ بَعْضِ الْمَعَادِنِ إِلَىٰ بَعْضٍ. وَعِلْمُ
 الْكِيمِيَاءِ عِنْدَهُمْ: عِلْمٌ يَعْرِفُ بِهِ طَرِيقَ سَلْبِ الْخَوَاصِّ مِنَ الْجَوْاهِرِ الْمَعْدِنِيَّةِ وَجَلِبِ خَاصَّةً جَدِيدَةً إِلَيْهَا،
 وَلَا سِيمَا تَحْوِيلَهَا إِلَىٰ ذَهَبٍ. الْوَسِيطُ ٨٤٠/٢.

الكيمياء تَخْيِيلٌ وَصِبْغَةٌ لَا تُحْيِلُ الْحَقَائِقَ، وَلَا تُشَابِهُ صَنْعَةَ الْخَالِقِ، وَالْإِسْمُ الْأَعْظَمُ لَا يَضَعُدُ الدُّعَاءُ بِهِ مِنْ كَافِرٍ بِهِ، وَقَارُونَ كَانَ كَافِرًا فِي الْبَاطِنِ، مُنَاقِقًا فِي الظَّاهِرِ، ثُمَّ لَا يَصِحُّ جَوَابُهُ لَهُمْ بِهَذَا، عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، وَلَا يَتَقَى بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ تَلَازُمٌ، وَقَدْ وَضَّحْنَا هَذَا فِي كِتَابِنَا «التفسير»^(١)، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

قال الله تعالى^(٢): ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُ خَرَجَ فِي تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ؛ مِنْ مَلَائِسَ، وَمَرَائِبَ، وَخَدَمٍ، وَحَشَمٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ مَنْ يُعَظَّمُ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَمَنَّنُوا أَنْ لَوْ كَانُوا مِثْلَهُ، وَغَبَطُوهُ بِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَتَهُمُ الْعُلَمَاءُ ذُووُ الْفَهْمِ الصَّحِيحِ، الزُّهَادُ الْأَبْيَاءُ، قَالُوا لَهُمْ: ﴿ وَيَلَاكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أَي؛ ثَوَابُ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَأَجَلٌ وَأَعْلَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّكِرُونَ ﴾ أَي؛ وَمَا يُلْقَى هَذِهِ النَّصِيحَةَ، وَهَذِهِ الْمَقَالََّةَ، وَهَذِهِ الْهِمَّةَ السَّامِيَّةَ إِلَى^(٣) الدَّارِ الْآخِرَةِ الْعَلِيَّةِ، عِنْدَ التَّنْظَرِ إِلَى زَهْرَةِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ، إِلَّا مَنْ هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ، وَثَبَّتَ فُرَادَهُ، وَأَيَّدَ لُبَّهُ، وَحَقَّقَ مُرَادَهُ [١/١٩٤و]، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ، وَالْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّهَوَاتِ.

قال الله تعالى: ﴿ فَحَسَبْنَا بِهِمُ وَيْدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ

(١) التفسير ٦/٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) التفسير ٦/٢٦٥. وتفسير الطبري ٢٠/١١٤، ١١٥.

(٣) في الأصل: (في).

يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿١﴾ . لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى خُرُوجَهُ فِي زِينَتِهِ ، وَاحْتِيَالَهُ فِيهَا ، وَفَخَرَّهَ عَلَى قَوْمِهِ بِهَا ، قَالَ : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهٖ وَيَدَارِيهِ الْأَرْضَ ﴾ .

كما رَوَى الْبُخَارِيُّ^(١) مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « بَيْنَا رَجُلٌ يَجْرُ إِزَارَهُ ، إِذْ خُسِيفَ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . ثُمَّ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(٢) مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ .

وَقَدْ ذَكَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالشَّدِيدِ أَنَّ قَارُونَ أَعْطِيَ امْرَأَةً بَغِيًّا مَالًا ، عَلَى أَنْ تَقُولَ لِمُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ : إِنَّكَ فَعَلْتَ بِي كَذَا وَكَذَا . فَيَقَالُ : إِنَّهَا قَالَتْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَزَعَدَ مِنَ الْفَرَقِ ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا ، فَاسْتَحْلَفَهَا : « مَنْ ذَلِكَ^(٣) عَلَى ذَلِكَ ، وَمَا حَمَلَكِ عَلَيْهِ ؟ فَذَكَرَتْ أَنَّ قَارُونَ هُوَ الَّذِي حَمَلَهَا عَلَى ذَلِكَ ، وَاسْتَعْفَرَتِ اللَّهَ ، وَتَابَتْ إِلَيْهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَّ مُوسَى لِلَّهِ سَاجِدًا ، وَدَعَا اللَّهَ عَلَى قَارُونَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ الْأَرْضَ أَنْ تُطِيعَكَ فِيهِ ، فَأَمَرَ مُوسَى الْأَرْضَ أَنْ تَبْتَلِعَهُ وَدَارَهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ^(٤) . فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ قَارُونَ لَمَّا خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ، مَرَّ بِجَحْفَلِهِ ، وَبِغَالِهِ ، وَمَلَابِسِهِ ، عَلَى مَجْلِسِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ يَذْكُرُ قَوْمَهُ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ انصرفت وجوه كثير من الناس ينظرون إليه ، فدعاه

(١) البخارى (٣٤٨٥ ، ٥٧٩٠) .

(٢) البخارى (٥٧٩٠) .

(٣ - ٣) في النسخ : « من ذلك » .

(٤) تفسير الطبرى ١١٧/٢٠ . والتفسير ٢٦٧/٦ .

موسى ، عليه السلام ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا موسى ، أما لئن كنتَ فَضِلْتَ عليّ بالثبوة ، فلقد فَضِلْتُ عليك بالمال ، ولئن شئتَ لتُخْرِجَنِي فلتَدْعُونَّ عليّ ، ولأَدْعُونَّ عليك . فخرج ، وخرج قارونُ فى قومه ، فقال له موسى : تدعو أو أدعو ؟ قال : أدعو أنا . فدعا قارونُ ، فلم يُجِبْ فى موسى ، فقال موسى : أدعو ؟ قال : نعم . فقال موسى : اللهم مُرِ الأَرْضَ فلتَطِغْنِي اليومَ . فأوحى الله إليه : إني قد فعلتُ . فقال موسى : يا أرضُ خُذِيهِمْ . فأخذتهم إلى أقدامِهِمْ ، ثم قال : خُذِيهِمْ . فأخذتهم إلى رُكَبِهِمْ ، ثم إلى مَنَاكِبِهِمْ ، ثم قال : أقبِلي بكنوزِهِمْ وأموالِهِمْ . فأقبلتُ بها ، حتى نَظَرُوا إليها ، ثم أشار موسى بيده ، فقال : اذهبوا بِنِي لاوى . فاستوت بهم الأرضُ . وقد روى عن قتادة أنه قال : يُخَسِّفُ بهم كلَّ يومٍ قامَةً ، إلى يومِ القيامةِ . [١٩٤ / ١ ط] وعن ابن عباسٍ أنه قال : خَسِيفُ بهم إلى الأرضِ السابعة^(١) . وقد ذَكَرَ كثيرٌ مِنَ المُفسِّرينَ ههنا إسرائيلياتٍ كثيرةً ، أَضْرَبْنَا عنها صَفْحًا ، وتركناها قَصْدًا .

وقوله تعالى^(٢) : ﴿ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ ، لم يكن له ناصرٌ من نفسه ، ولا من غيره ، كما قال : ﴿ فَمَا لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ١٠] . ولما حلَّ به ما حلَّ من الخسيف ، وذهابِ الأموالِ ، وخرابِ الدَّارِ ، وهلاكِ النَّفْسِ والأهلِ والعقارِ ، ندمَ مَنْ كان يَتَمَنَّى مثلَ ما أُوتِيَ ، وشكروا الله تعالى الذى يُدَبِّرُ عبادَهُ بما يشاءُ ، من حَسَنِ التَّدبِيرِ المَخْرُوجِ ، ولهذا قالوا : ﴿ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَتَكَانُنَا لَا

(١) التفسير ٦ / ٢٦٧ .

(٢) التفسير ٦ / ٢٦٧ .

يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ ، وقد تكلمنا على لفظ: «وَيْتِكَ» في «التفسير»^(١) ، وقد قال قتادة: ويكأن بمعنى ألم تر أن. «وهذا قول حسن من حيث المعنى. والله أعلم. ثم أخبر تعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ وهي دارُ القرار. وهي الدارُ التي يُغْبِطُ مَنْ أُعْطِيَهَا، وَيُعْزَى مَنْ حُرِمَهَا، إنما هي مُعَدَّةٌ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا. فَالْعُلُوُّ هُوَ التَّكَبُّرُ وَالْفَعْرُ وَالْأَشْرُ وَالْبَطْرُ. وَالْفِسَادُ هُوَ عَمَلُ الْمَعَاصِي اللَّازِمَةُ وَالْمُتَعَدِّيَّةُ؛ مِنْ أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ، وَإِفْسَادِ مَعَايِشِهِمْ، وَالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ، وَعَدَمِ التُّصْحِحِ لَهُمْ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقصة قارون هذه، قد تكون قبل خروجهم من مصر؛ لقوله: ﴿فَنَسَفْنَا بِيهِ وَايَاتِهِ الْأَرْضَ﴾ ، فإن الدارَ ظاهرةً في البُنيانِ، وقد تكون بعد ذلك في التَّيِّبِ، وتكون الدارُ عبارةً عن الحِلَّةِ التي تُضْرَبُ فِيهَا الْخِيَامُ، كما قال عنترة^(٢):

يا دارَ عِبلَةَ بِالْجَوَاءِ^(٤) تَكَلَّمِي وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عِبلَةَ وَاسْلَمِي

والله أعلم.

وقد ذكر الله تعالى مَذْمَةَ قَارُونَ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَجَانَ وَقَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [غافر: ٢٣، ٢٤]. وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ «بَعْدَ ذِكْرِ عَادٍ وَثَمُودَ: ﴿وَقَرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَجَانَ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ فَكَلَّا

(١) التفسير ٦/٢٦٨.

(٢) (٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) ديوان عنترة ص ٩٨.

(٤) الجواء اسم موضع.

أَخَذَنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّبْحَةُ
 وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ [المنكوت: ٣٩، ٤٠]. فالذي
 خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ قَارُونَ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَالَّذِي أُغْرِقَ فِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَجُنُودُهُمَا،
 إِنَّهُمْ كَانُوا خَاطِئِينَ.

وقد قال الإمام أحمد^(١): حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، حَدَّثَنَا
 كَعْبُ بْنُ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَيْسَى بْنِ هِلَالِ الصَّدْفِيِّ^(٢)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو،
 عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ: «مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا
 وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ [١٩٥/١]، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا
 بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنْدٍ بْنِ خَلْفٍ» .
 انْفَرَدَ بِهِ أَحْمَدُ، رَجَمَهُ اللَّهُ.

(١) في المسند ١٦٩/٢. (إسناده صحيح).

(٢) في الأصل: «الصندلي» .

ذِكْرُ فَضَائِلِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَسَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ وَوَفَاتِهِ^(١)

قال الله تعالى^(٢): ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَدَبْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مریم: ٥١ - ٥٣]. وقال تعالى^(٣): ﴿قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنَّي أَمْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤]. وتقدم في «الصحيحين»^(٤)، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «لا تُفْضَلُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يُضَعِّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوْلَ مَنْ يُفَبِّقُ، فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ، فَلَا أَذْرِي أَصْبِقُ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ». وقدّمنا^(٥) أن هذا من رسول الله ﷺ، من باب الهضم والتواضع، وإلا فهو، صلوات الله وسلامه عليه، خاتم الأنبياء، وسيّد ولد آدم في الدنيا والآخرة، قطعاً جزماً لا يَحْتَمِلُ التَّقْيِضَ. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴿١٠٩﴾﴾ إلى أن قال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ

(١) في م: «ووفاته».

(٢) التفسير ٥/٢٣٢، ٢٣٣.

(٣) التفسير ٣/٤٧١.

(٤) تقدم في ١/٣٩٥، ٣٩٦.

(٥) تقدم ص ٣٠.

نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿ [النساء: ١٦٣، ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحراب: ٦٩].

قال الإمام أبو عبد الله البخاري^(١): حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا^(٢) زَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، عن عَوْفٍ، عن الحسنِ ومحمّدٍ وِخْلَاسٍ، عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِّثًا سَيِّئًا، لَا يَرَى جِلْدَهُ شَيْءًا؛ اسْتِخْيَاءً مِنْهُ، فَأَذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا يَسْتَيْرُ هَذَا التَّسْتِيرَ إِلَّا مِنْ غَيْبِ جِلْدِهِ؛ إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أُذْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، أَرَادَ أَنْ يُبَيِّرَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَوَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَّغَ، أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ، وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: تَوَيْبِي حَجْرُ، تَوَيْبِي حَجْرُ. حتى انتهى إلى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا، أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجْرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بَعْصَاهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لِنَدْبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، أَوْ خَمْسًا» قال: «فذلك قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾». وقد رواه الإمام أحمد^(٣) من حديث عبد الله بن شقيق، وهمام بن منبّه، عن أبي هريرة به^(٤)، وهو في

(١) البخاري (٣٤٠٤).

(٢) في م، ص: «بن». وهو خطأ.

(٣) مسند أحمد ٢/٣٢٤ من حديث عبد الله بن شقيق، ٢/٣١٥ من حديث همام بن منبه.

(٤) سقط من: الأصل، ص.

«الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْهُ بِهِ،
وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقِ الْعُقَيْلِيِّ عَنْهُ.

قال بعضُ السَّلَفِ: كانَ مِنْ وَجَاهَتِهِ أَنَّهُ شَفَعَ فِي أُخِيهِ عِنْدَ اللَّهِ، وَطَلَبَ
مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ وَزِيْرًا، فَأَجَابَهُ اللَّهُ إِلَى سُؤْالِهِ، وَأَعْطَاهُ طَلِيْبَتَهُ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا؛
كما قال: ﴿وَوَهَبْنَا لِمَنْ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾. ثُمَّ قال البُخارىُّ^(٣):
حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، سَأَلْتُ أَبَا إِثْبَلٍ، قال: سمعتُ
عَبْدَ اللَّهِ، قال: قَسَمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ، قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ ما
أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ^(٤)، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْعَضْبَ
فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قال: «يَرَحِمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».
وكذا رواه مُسْلِمٌ^(٥)، مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ، عَنِ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْأَعْمَشِ بِهِ.

وقال الإمامُ أحمدُ^(٦): حَدَّثَنَا^(٧) حَجَّاجٌ، سَمِعْتُ إِسْرَائِيلَ بْنَ يُونُسَ، عَنِ
الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ^(٨)، مَوْلَى لِهَمْدَانَ، عَنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زَائِدٍ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «لا يَبْلُغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا،

(١) البخارى (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩).

(٢) مسلم (١٥٦) (١٠٠٠) من كتاب الفضائل.

(٣) البخارى (٣٤٠٥).

(٤) سقط من: ح، م.

(٥) مسلم (١٠٦٢) من حديث حفص بن غياث عن الأعمش به. وهو وجه واحد. ولعل ابن كثير
أخطأ - على ما ورد في تحفة الأشراف ٤٤/٧ - في عزو الحافظ المزرى على طرق البخارى فجعلها طرقاً
لحديث الإمام مسلم. وهو ما وقع خطأ في المطبوع من التحفة. فانظره.

(٦) مسند أحمد ١/٣٩٥، ٣٩٦. (إسناده حسن).

(٧) بعده في م، ص: «أحمد بن».

(٨) في المسند: «هشام» وكلاهما ورد. انظر تهذيب الكمال ٣١/١٠٤.

فإني أحب أن أخرج إليكم؛ وأنا سليم الصدر» قال: وأتى رسول الله ﷺ مأل فقسّمه، قال: فمررت برجلين، وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما أراد محمد يقسمته وجه الله، ولا الدار الآخرة، فتبّت^(١) حتى سمعت ما قالوا. ثم أتيت رسول الله فقلت: يا رسول الله، إنك قلت لنا: «لا يُبلغني أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئاً». وإني مررت بفلان وفلان، وهما يقولان كذا وكذا، فاحمر وجه رسول الله ﷺ، وشق عليه، ثم قال: «دعنا منك، فقد أودى موسى أكثر من ذلك فصبر». وهكذا رواه أبو داود، والترمذي^(٢)، من حديث إسرائيل، عن الوليد بن أبي هاشم به، وفي رواية للترمذي، ولأبي داود^(٣)، من طريق الحسين بن محمد^(٤) عن إسرائيل، عن الشدي، عن الوليد به. وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه.

وقد ثبت في «الصحيح»^(٥) في أحاديث الإسراء أن رسول الله ﷺ، مر بموسى، وهو قائم يصلّي في قبره. وزواه مسلم^(٦) عن أنس.

وفي «الصحيحين»^(٧)، من رواية قتادة، عن أنس، عن مالك بن صعصعة، عن النبي ﷺ، أنه مر ليلة أسرى به، بموسى في السماء السادسة، فقال له جبريل: هذا موسى، فسلم عليه. [١٩٦/١] قال: «فسلمت عليه. فقال:

(١) في المسند: «فتبت».

(٢) أبو داود (٤٨٦٠)، الترمذي (٣٨٩٦). (ضعيف الترمذي ٨١٧).

(٣) أبو داود (٤٨٦٠)، الترمذي (٣٨٩٧). (ضعيف أبي داود ١٠٣٥).

(٤ - ٤) في الأصل، ح، ص: «ابن العبد». وفي م: «ابن عبد». والمثبت من سنن أبي داود والترمذي.

(٥) في ح، ص، م: «الصحيحين». وتقدم تخريجه ص ٩٧.

(٦) مسلم (٢٣٧٥).

(٧) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

مرحبًا بالنبيِّ الصَّالحِ، والأخِ الصَّالحِ . فلَمَّا تجاوزتُ بكى ؛ قيل له : ما يُبكيك ؟ قال : أبكى لأنَّ غلامًا بُعثَ بعدي يَدْخُلُ الجنَّةَ مِن أُمَّتِهِ أَكثَرَ ممَّا يَدْخُلُهَا مِن أُمَّتِي . وذكُرَ إبراهيمَ في السَّماءِ السَّابعةِ . وهذا هو المحفوظُ ، وما وَقَعَ في حديثِ شريكِ بنِ أبي نَميرٍ ، عن أَنَسِ ، مِن أَنَّ إبراهيمَ في السَّادسةِ ، وموسى في السَّابعةِ ، بتفضيلِ كلامِ اللَّهِ ، فقد ذَكَرَ غيرُ واحدٍ مِنَ الحُقَاطِ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ الجَاذَةُ أَنَّ موسى في السَّادسةِ ، وإبراهيمَ في السَّابعةِ ، وَأَنَّهُ مُسْنِدٌ ظَهَرَ إِلَى البَيْتِ المَعْمُورِ ، الَّذِي يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألفًا مِنَ الملائكةِ ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ ما عَلَيْهِم . وانفقتِ الرُّواياثُ كُلُّها على أَنَّ اللَّهَ تعالى ، لَمَّا فَرضَ على مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأُمَّتِهِ ، خَمْسِينَ صَلَاةً في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ ، فمَرَّ بِموسى ، قال : « ارجعْ إلى رَبِّكَ فاسأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ ، فَإِنِّي قد عالجْتُ بنى إِسْرَائِيلَ قَبْلَكَ أَشَدَّ المَعالِجَةِ ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ أضعْفُ أَسْماعًا ، وَأَبصارًا ، وَأَقْدَةً » فلم يَزَلْ يتردَّدُ بَيْنَ موسى وَبَيْنَ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَيخفَّفُ عنه في كُلِّ مَرَّةٍ ، حتَّى صارَتْ خَمْسَ صَلَواتٍ في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ . وقال اللَّهُ تعالى : « هِيَ خَمْسٌ ، وَهِيَ خَمْسُونَ » ^(١) .

أى ؛ بالمضاعفةِ ، فجزى اللَّهُ عنَّا مُحَمَّدًا ﷺ خيرًا ، وجزى اللَّهُ عنَّا موسى ، عليه السَّلامُ ، خيرًا .

وقال البخاريُّ ^(٢) : حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنَا حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ ، عن حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ، قال : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا ، فقال : « عَرِضْتُ على الأُمَّمِ ، ورَأَيْتُ سِوَادًا كَثِيرًا ، سَدَّ الأُفُقَ ،

(١) البخاري (٣٤٩) .

(٢) البخاري (٥٧٥٢) .

فقيل: هذا موسى في قومه». هكذا روى البخاري هذا الحديث ههنا مختصراً.

وقد رواه الإمام أحمد^(١) مطوّلاً، فقال: حَدَّثَنَا سُرَيْجٌ^(٢)، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ^(٣)، حَدَّثَنَا حُضَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: أَيْكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي^(٤) لُدِغْتُ. قَالَ: وَكَيْفَ فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْوَيْتُ. قَالَ: وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشُّعْبِيُّ، عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا رُقِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حَمَةٍ». فَقَالَ سَعِيدٌ - يَعْنِي ابْنَ جُبَيْرٍ -: قَدْ أَحْسَنَ مَنْ أَنْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ. ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَيْنِ^(٥)»، وَالنَّبِيُّ وَوَلِيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ؛ إِذْ رُفِعَ لِي سِوَاذٌ عَظِيمٌ، فَقُلْتُ: هَذِهِ أُمَّتِي. فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْأَفْقِ. فَإِذَا سِوَاذٌ عَظِيمٌ، [١٩٦/١] ثُمَّ قِيلَ: انظُرْ إِلَى هَذَا الْجَانِبِ. فَإِذَا سِوَاذٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ. ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ، فَخَاضَ الْقَوْمَ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا النَّبِيَّ ﷺ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ

(١) مسند أحمد ١/ ٢٧١.

(٢) في الأصل، م، ص: «شريح».

(٣) في م، ص: «هشام».

(٤) في النسخ: «ولكن». والمثبت من مصدر التخريج.

(٥) كذا في الأصل، ح، ص، والمسند. وفي م وصحيح مسلم (٢٢٠): «الرجلان».

شيئاً قط . وذكروا أشياء ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فقال : « ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه ؟ » . فأخبروه بمقالتهم ، فقال : « هم الذين لا يكتفون ، ولا يستزفون ، ولا يتطهرون ، وعلى ربهم يتوكلون » . فقام عكاشة بن محصن الأسدي ، فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ قال : « أنت منهم » . ثم قام آخر فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال : « سبقك بها عكاشة » . وهذا الحديث له طرق كثيرة جداً ، وهو في الصحاح والحسان ، وغيرها ، وسنوردُها إن شاء الله تعالى في بابِ صفةِ الجنة ، عند ذكرِ أحوالِ القيامةِ وأهوالِها . وقد ذكر الله تعالى موسى ، عليه السلام ، في القرآنِ كثيراً ، وأتتني عليه ، وأوردت قصته في كتابه العزيزِ مراراً ، وكررها كثيراً ، مطوّلةً ومبسّطةً ، ومختصرةً ، وأتتني عليه بليغاً . وكثيراً ما يقرئُه ^(١) الله ، ويذكرُه ، ويذكرُ كتابه مع محمدٍ ﷺ ، وكتابه ، كما قال في سورة « البقرة » : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ وَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠١] . وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيمُ ﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِن قَبْلِ هَذِي لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [آل عمران : ١ - ٤] . وقال تعالى في سورة « الأنعام » : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِلُوهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ

(١) في الأصل : « يقرئه » .

الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
 يُحَافِظُونَ ﴿ [الأنعام: ٩١، ٩٢]. فأننى تعالى على التوراة، ثم مدح القرآن العظيم
 مدحا عظيما، وقال تعالى فى آخرها: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى
 الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ
 ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿ [الأنعام:
 ١٥٤، ١٥٥]. وقال تعالى فى سورة «المائدة»: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
 هُدًى وَنُورٌ ﴿ [١٩٧/١] يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
 وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ
 فَلَا تَخْشَوُا الْكَاسَ وَالْأَخْشُونَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِكُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿ [المائدة: ٤٤]. إلى أن قال: ﴿ وَلِيَحْكُمَ
 أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
 الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴿ الآية. [المائدة: ٤٧، ٤٨]. فجعل القرآن حاكما
 على سائر الكتب غيره، وجعله مصدقا لها، ومبين ما وقع فيها من التحريف
 والتبديل، فإن أهل الكتاب استُحفظوا على^(١) ما بأيديهم من الكتاب، فلم
 يقدروا على حفظها، ولا على ضبطها وضونها، فلهذا دخلها ما دخلها من
 تغييرهم وتبديلهم؛ لسوء فهمهم، وقصورهم فى علومهم، وزدادة قسودهم،
 وخيانتهم لمعبودهم، عليهم لعائن الله المتتابعة^(٢) إلى يوم القيامة، ولهذا يوجد فى
 كتبهم من الخطأ البين على الله، وعلى رسوله^(٣)، ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَفُ، وما لا

(١) سقط من: الأصل.

(٢) فى الأصل، ح: «التابعة».

(٣) فى م: «رسوله».

يُوجَدُ مِثْلُهُ وَلَا يُعْرَفُ . وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ «الْأَنْبِيَاءِ» : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُكْفِرُوا ؟ ﴾ [الأنبياء: ٤٨ - ٥٠] . وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ «الْقَصَصِ» : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ أَوْلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِي كِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [القصص: ٤٨ ، ٤٩] . فَأَتَى اللَّهُ عَلَى الْكِتَابَيْنِ ، وَعَلَى الرُّسُولَيْنِ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَقَالَتِ الْجِنُّ لِقَوْمِهِمْ : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ٣٠] . وَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، لَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، خَبَرَ مَا رَأَى مِنْ أَوَّلِ الْوَحْيِ ، وَتَلَا عَلَيْهِ : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ - ٥] . قَالَ : شُبُوحُ شُبُوحٍ ، هَذَا التَّامُوسُ الَّذِي أُنزِلَ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ^(١) .

وَبِالْجُمْلَةِ ، فَشَرِيعَةُ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَتْ شَرِيعَةً عَظِيمَةً ، وَأُمَّتُهُ كَانَتْ أُمَّةً كَثِيرَةً ، وَوُجِدَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءٌ ، وَعُلَمَاءٌ ، وَعِبَادٌ ، وَزُهَّادٌ ، وَأَلْبَاءٌ ، وَمُلُوكٌ ، وَأُمَرَاءٌ ، وَسَادَاتٌ ، وَكُبْرَاءٌ ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا ، فَبَادُوا وَتَبَدَّلُوا ، كَمَا بُدِّلَتْ شَرِيعَتُهُمْ ، وَمُسِيخُوا قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ ، ثُمَّ نُسِخَتْ بَعْدَ كُلِّ حِسَابٍ مِلَّتُهُمْ ، وَجَزَتْ ^(٢) عَلَيْهِمْ خُطُوبٌ ، وَأُمُورٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا ، [١٩٧/١ ظ] وَلَكِنْ سَنُورِدُ مَا فِيهِ مَقْتَعٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَلَعَّه خَبَرُهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبِهِ الثَّقَةُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ .

(١) البخارى (٣ ، ٣٣٩٢ ، ٤٩٥٣ ، ٤٩٥٥ ، ٤٩٥٧ ، ٦٩٨٢) ، وَمُسْلِمٌ (١٦٠) .

(٢) فِي الْأَصْلِ : «حَقٌّ» . وَفِي ح : «حَرَمَتْ» .

ذِكْرُ حَجِّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ،

إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَصِفَتِهِ

قال الإمام أحمد^(١) : حدثنا هشيمٌ ، حدثنا داودُ بنُ أبي هَندٍ ، عن أبي العالية ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، مرَّ بوادي الأزرقِ ، فقال : « أئى وادٍ هذا ؟ » قالوا : وادى الأزرقِ . قال : « كَأئى أنظُرُ إلى موسى ، وهو هابِطٌ من النَّبِيَّةِ ، وله جُؤارٌ^(٢) إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، بالثَّلبِيَّةِ » . حتى أتى على نَبِيَّةٍ هَرَشَاءَ^(٣) ، فقال : « أئى نَبِيَّةٍ هذه ؟ » قالوا : هذه نَبِيَّةُ هَرَشَاءَ . قال : « كَأئى أنظُرُ إلى يونسَ بنِ مَتَّى على ناقَةِ حمراءَ ، عليه جَبَّةٌ مِن صُوفٍ ، يَخِطَأُ ناقته خُلْبَةً - قال هُشَيْمٌ : يعنى لَيْفًا - وهو يُلَبِّي » . وأخْرَجَهُ مسلمٌ من حديثِ داودَ بنِ أبي هَندٍ به^(٤) . ورَوَى الطَّبْرَانِيُّ^(٥) ، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا : « إِنَّ موسى حَجَّ على نُورٍ أَحْمَرَ » . وهذا غريبٌ جدًّا .

وقال الإمام أحمد^(١) : حدثنا محمدُ بنُ أبي عَدِيٍّ ، عن ابنِ عونٍ ، عن مُجاهِدٍ ، قال : كُنَّا عِنْدَ ابنِ عباسٍ ، فذَكَرُوا الدَّجَالَ ، فقال : إِنَّه مكتوبٌ بين

(١) أحمد في المسند ١/ ٢١٥ ، ٢١٦ . (إسناده صحيح) .

(٢) الجؤار : التضرع والاستغاثة بصوت مرتفع .

(٣) نبية بين مكة والمدينة ، وقيل : جبل قرب الجحفة في طريق مكة .

(٤) مسلم (١٦٦) .

(٥) الطبراني في الكبير (١٢٥١٠) . قال الهيثمي «مجمع الزوائد» ٣/ ٢٢١ : رواه الطبراني وفيه ليث

ابن أبي سليم وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله ثقات .

(٦) المسند ١/ ٢٧٦ ، ٢٧٧ . (إسناده صحيح) .

عَيْنِيهِ : (ك ف ر) . قال : ما تقولون ؟ قال : يقولون : مكتوبٌ بين عينيه (ك ف ر) ، فقال ابنُ عباسٍ : لم أسمعُه قال ذلك ، ولكن قال : «أما إبراهيمُ فانظروا إلى صاحبِكُم ، وأما موسى ، فرجلٌ آدمٌ جَعْدٌ ، على جَمَلٍ أحمرٍ مخطومٍ بخُلْبِيَّةٍ ، كأنِّي أنظُرُ إليه وقد انحدَرَ مِنَ الوادِي يُلْبِي » . قال هُشَيْمٌ : الخُلْبَةُ اللَّيْفُ .

ثم رواه الإمامُ أحمدُ^(١) عن أسودَ ، عن إسرائيلَ ، عن عثمانَ بنِ المغيرةَ ، عن مُجاهِدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : «رأيتُ عيسى ابنَ مريمَ ، وموسى ، وإبراهيمَ ؛ فأما عيسى ، فأبيضُ ، جَعْدٌ ، عريضُ الصدرِ ، وأما موسى فآدمٌ جَسِيمٌ » قالوا : فإبراهيمُ ؟ قال : «انظروا إلى صاحبِكُم » . وقال الإمامُ أحمدُ^(٢) : حدَّثنا يونسُ ، حدَّثنا شَيْبَانُ ، قال : حدَّثَ قَتَادَةُ ، عن أبي العالِيَةِ ، حدَّثنا ابنُ عمِّ نبيِّكُم ، ابنُ عباسٍ ، قال : قال نبيُّ اللهِ ﷺ : «رأيتُ ليلةَ أُسْرِي بِي موسى بنَ عمرانَ ، رجلاً طَوَّالاً ، جَعْدًا ، كأنه من رجالِ شُوعَةَ ، ورأيتُ عيسى ابنَ مريمَ مَرْبُوعَ الخَلْقِ ، إلى الحُمْرَةِ والبياضِ ، سَبَطَ الرَّأْسِ » . وأخرجاه من حديثِ قَتَادَةَ به^(٣) .

وقال الإمامُ أحمدُ^(٤) : حدَّثنا عبدُ الرزَّاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، قال الزُّهْرِيُّ : وأخبرني سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ ، حينَ أُسْرِي به : «لَقِيتُ موسى » . فَتَعَنَّتْهُ ، فقال رجلٌ : قال : حَسِبْتُهُ قال :

(١) المسند ١/٢٩٦ . (إسناده صحيح) .

(٢) المسند ١/٢٤٥ . (إسناده صحيح) .

(٣) البخاري (٣٢٣٩ ، ٣٣٩٦) ، ومسلم (١٦٥) .

(٤) المسند ٢/٢٨٢ . (إسناده صحيح) .

« مضطرب رجل الرأس ، كأنه من [١٩٨/١] رجال شنوءة . ولقيت عيسى » .
فنعته رسول الله ﷺ ، فقال : « ربعة أحمر ، كأنما خرج من ديماس » . يعنى
حمّامًا ، قال : « ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به » . الحديث . وقد تقدّم غالب
هذه الأحاديث فى ترجمة الخليل^(١) ، صلوات الله عليه وسلامه .

(١) انظر ما تقدم فى ١/٤٠٠ ، ٤٠١ .

ذِكْرُ وِفَاتِهِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال البخاري^(١) في « صحيحه » : (وفاة موسى ، عليه السلام) : حدثنا يحيى بن موسى ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : أُرسِلَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى ، عليه السلام ، فلما جاءه صَكَّهُ ، فرجع إلى ربِّه ، عزَّ وجلَّ ، فقال : أرسلتني إلى عبدٍ لا يريدُ الموتَ ، قال : ارجع إليه ، فقلَّ له يَضَعُ يَدَهُ على مَتْنِ ثَوْبٍ ، فله بما غَطَّتْ يَدَهُ ، بكلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ . قال : أى ربِّ ، ثم ماذا ؟ قال : ثم الموتُ ، قال : فالآن . قال : فَسَأَلَ اللّهُ تَعَالَى أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المَقْدَسَةِ ، رَمِيَةً بِحَجَرٍ ، قال أبو هريرة : فقال رسولُ اللّهِ ﷺ : « فلو كنتُ ثمَّ لأَرِثُكُمْ قَبْرَهُ ، إلى جانبِ الطَّرِيقِ ، عندَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ » .

قال^(٢) : وأنبأنا معمرٌ ، عن همام ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ نحوه . وقد روى مسلمُ الطَّرِيقَ الأَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِهِ^(٣) . ورواه الإمامُ أحمدُ ، مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عن عُمَارِ بْنِ أَبِي عُمَارٍ ، عن أبي هريرة مرفوعًا ، وسيأتي^(٤) .

(١) البخارى (١٣٣٩ ، ٣٤٠٧) موقوفًا ومرفوعًا .

(٢) أى : البخارى .

(٣) مسلم (٢٣٧٢) موقوفًا .

(٤) أحمد فى المسند ٣١٩ / ٢ .

وقال الإمام أحمد^(١): «حَدَّثَنَا الْحَسَنُ^(٢)، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو يونس، يعني سُلَيْمَ بْنَ جُبَيْرٍ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ - قال الإمام أحمد: لم يَرَفَعَهُ - قال: جاءَ مَلَكُ المَوْتِ إلى موسى، عليه السَّلَامُ، فقال: أَجِبْ رَبِّكَ. فَلَطَمَ موسى عَيْنَ مَلَكِ المَوْتِ، فَفَقَّأَهَا، فَرَجَعَ المَلَكُ إلى اللَّهِ، فقال: إِنَّكَ بَعَثْتَنِي إلى عبدِكَ لا يريدُ المَوْتَ. قال: وقد فقأ عيني، قال: فردَّ اللَّهُ عَيْنَهُ، وقال: ارجع إلى عبدِي، فقل له: الحياةَ تريدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تريدُ الحياةَ، فَضَعْ يَدَكَ على مَتْنِ ثَوْبِي، فما وازتْ يَدَكَ مِن شَعْرِهِ، فَإِنَّكَ تعيشُ بها سنةً، قال: ثمَّ مَهْ؟ قال: ثمَّ المَوْتُ، قال: فالآنَ ياربُّ، مِن قريبٍ. تفرَّدَ به أحمدُ، وهو موقوفٌ بهذا اللَّفْظِ.

وقد رواه ابنُ جِبَّانَ^(٣) في «صحيحه»، من طريقِ مَعْمَرٍ، عن ابنِ طاوسٍ، عن أبيه،^(٤) عن أبي هُرَيْرَةَ، قال مَعْمَرٌ: وأخبرني مَنْ سَمِعَ الحسنَ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فذكره، ثم استَشَكَلَهُ ابنُ جِبَّانَ، وأجاب عنه بما حاصله: أنَّ مَلَكَ المَوْتِ، لما قال له هذا لم يعرفه؛ لمحبيته له على غيرِ صورةٍ يعرفها موسى، عليه السَّلَامُ، كما جاء جبريلُ، عليه السَّلَامُ، في صورةِ [١٩٨/١] أعرايى^(٥)، وكما وَرَدَتِ الملائكةُ على إبراهيمَ ولوطَ، في صورةِ شبابٍ، فلم يعرفهم إبراهيمُ ولا لوطُ أوَّلاً، وكذلك موسى، لعلَّه لم يعرفه لذلك، ولطمته فقأ عَيْنَهُ؛ لأنَّه دخلَ دارَه بغيرِ إذْنِهِ، وهذا موافقٌ لشريعتنا في جوازِ فِقْءِ عَيْنِ مَنْ

(١) أحمد في المسند ٢/ ٣٥١. (إسناده صحيح).

(٢) - (٢) سقط من: الأصل.

(٣) الإحسان (٦٢٢٣). إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) - (٤) سقط من: الأصل.

(٥) أخرجه مسلم (٨).

نظرَ إليك في دارِك بغيرِ إذنٍ . ثم أوردَ الحديثَ مِن طريقِ عبدِ الرزّاقِ ^(١) ، عن معمرٍ ، عن همامٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « جاء مَلَكُ الموتِ إلى موسى ليقبِضَ رُوحَه ، فقال له : أجبَ ربَّكَ . فلطمَ موسى عينَ مَلِكِ الموتِ ، ففقأ عينَه » . وذكرَ تمامُ الحديثِ - كما أشار إليه البخاريُّ - ثم تأوَّلَه على أَنه لما رفعَ يده ليلطمَه ، قال له : أجبَ ربَّكَ . وهذا التأويلُ لا يتماشى على ما وردَ به اللفظُ ، مِن تعقيبِ قولِه : أجبَ ربَّكَ . بلطمَه ، ولو استمرَّ على الجوابِ الأولِ ، لتمشى له . وكأنَّه لم يعرفه في تلك الصُّورة ، ولم يخيلُ قولُه هذا على أَنه « مطابقٌ ؛ إذ » لم يتحقَّق في الساعةِ الرَّاهنةِ أَنه مَلَكٌ كريمٌ ؛ لأنَّه كان يرجو أمورًا كثيرةً ، كان يُحبُّ وقوعها في حياته ؛ مِن خروجه مِن التَّيِّه ، ودخولهم الأرضِ المقدَّسة ، وكان قد سبقَ في قَدْرِ ^(٢) اللِّذِّ ، أَنه ، عليه السَّلامُ ، يموتُ في التَّيِّه ، بعدَ هارونَ أخيه ، كما سنبينه إن شاء اللهُ تعالى ، وقد زعمَ بعضهم ^(٣) أنَّ موسى ، عليه السَّلامُ ، هو الذي خرجَ بهم مِن التَّيِّه ، ودخلَ بهم الأرضِ المقدَّسةَ . وهذا خلافُ ما عليه أهلُ الكتابِ ، وجمهورُ المسلمين . ومما يدلُّ على ذلك قولُه ، لما اختارَ الموتَ : ربِّ ، أذِنني إلى الأرضِ المقدَّسةِ ، رَمِيَّةً بحجرٍ . ولو كان قد دَخَلها ، لم يَسألُ ذلك ، ولكنَّ لما كان مع قومه بالتَّيِّه ، وحانتْ وفاتُه ، عليه السَّلامُ ، أَحَبَّ أنْ يتقرَّبَ إلى الأرضِ التي هاجرَ إليها ، وحثَّ قَوْمَه عليها ، ولكنَّ حالَ بينهم وبينها القَدْرُ ، رَمِيَّةً بحجرٍ ، ولهذا قال

(١) الإحسان (٦٢٢٤) (صحيح) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) في م ، ص : « قدرة » .

(٤) انظر التفسير ٧٤/٣ ، ٧٥ . وتفسير الطبري ٦/١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

سَيِّدُ الْبَشَرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ الْوَيْرِ وَالْمَدْرِ: « فَلَو كُنْتُ نَمًّا لَأَرِيتُكُمْ قَبْرَهُ، عِنْدَ الْكَيْثِيبِ الْأَحْمَرِ »^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٢): حَدَّثَنَا عَفَانٌ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ وَسَلِيمَانُ التَّمِيمِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَمَّا أُسْرِيَ بِي، مَرَزْتُ بِمَوْسَى، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ، عِنْدَ الْكَيْثِيبِ الْأَحْمَرِ ». وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهِ^(٣).

وَقَالَ الشُّدِّيُّ^(٤)، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُرَّةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، قَالُوا: ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى: إِنِّي مُتَوَفِّ هَارُونَ، فَاتِّبِ بِهِ جِبَلَ كَذَا وَكَذَا. فَانطَلَقَ مُوسَى وَهَارُونَ [١٩٩/١] نَحْوَ ذَلِكَ الْجِبَلِ، فَإِذَا هُم بِشَجْرَةٍ لَمْ تُرْ شَجْرَةٌ مِثْلُهَا، وَإِذَا هُم بِبَيْتٍ مَبْنِيِّ، وَإِذَا هُم فِيهِ بِسَرِيرٍ عَلَيْهِ فُوشٌ، وَإِذَا فِيهِ رِيحٌ طَيِّبَةٌ، فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونَ إِلَى ذَلِكَ الْجِبَلِ وَالْبَيْتِ وَمَا فِيهِ، أَعْجَبَهُ، قَالَ: يَا مُوسَى، إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُنَامَ عَلَى هَذَا السَّرِيرِ. قَالَ لَهُ مُوسَى: فَتَمَّ عَلَيْهِ، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ فَيَغْضَبَ عَلَيَّ. قَالَ لَهُ: لَا تَرْهَبْ، أَنَا أَكْفِيكَ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، فَتَمَّ. قَالَ: يَا مُوسَى، بَلْ نَمَّ مَعِيَ، فَإِنْ جَاءَ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ، غَضِبَ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ جَمِيعًا. فَلَمَّا نَامَا، أَخَذَ هَارُونَ الْمَوْتُ، فَلَمَّا وَجَدَ جِسْمَهُ، قَالَ: يَا مُوسَى، خَدَعْتَنِي. فَلَمَّا قُبِضَ، رُفِعَ ذَلِكَ الْبَيْتُ، وَذَهَبَتْ تِلْكَ الشَّجْرَةُ، وَرُفِعَ السَّرِيرُ

(١) تقدم تخريجه صفحة ٢٢١.

(٢) أحمد في المسند ٣/٢٤٨.

(٣) سقط من: الأصل. مسلم (٢٣٧٥).

(٤) تاريخ الطبري ١/٤٣٢.

به إلى السماء، فلما رجع موسى إلى قومه، وليس معه هَارُونُ، قالوا: فَإِنَّ موسى قتلَ هارونَ، وحسدهَ حُبُّ بني إسرائيلَ له. وكان هَارُونُ أَكْفَ عَنْهُمْ وَأَيَّنَ لَهُمْ مِنْ موسى، وكان في موسى بعضُ الغِلظةِ عليهم، فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكمُ، كان أنحي أَفْتَرُونِي أَقْتُلُهُ؟ فلما أَكثَرُوا عليه، قام فصلَّى ركعتينَ، ثم دَعَا اللَّهَ فنزلَ السَّريُّ حتى نظروا إليه بينَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، ثم إِنَّ موسى، عليه السَّلَامُ، بينما هو يمشي ويوشعُ قَتَاهُ، إِذْ أَقْبَلَتْ رِيحٌ سوداءَ، فلما نظرَ إليها يُوشعُ ظنَّ أَنهَا السَّاعَةُ، فالتزمَ موسى وقال: تقومُ السَّاعَةُ وأنا مُلتزمٌ موسى نبيَّ اللَّهِ، فاستلَّ موسى، عليه السَّلَامُ، مِنْ تَحْتِ القَمِيصِ، وَتَرِكَ القَمِيصَ فِي يَدَيِ يُوشعَ، فلما جاءَ يُوشعُ بالقَمِيصِ أَخَذَتْهُ بنو إسرائيلَ، وقالوا: قتلْتَ نبيَّ اللَّهِ؟ فقال: لا وَاللَّهِ ما قتلتهُ، ولكنَّهُ اسْتَلَّ مِنِّي. فلم يُصدِّقوه وأرادوا قَتْلَهُ. قال: فإذا لم تصدِّقوني فأخزوني ثلاثةَ أَيامٍ. فدعا اللَّهَ، فَأَتَى كُلَّ رَجُلٍ مِمَّنْ كان يحرسُهُ في المنامِ، فَأُخْبِرَ أَنَّ يُوشعَ لم يَقْتُلْ موسى، وَأَنَا قد رَفَعْنَاهُ إِلَيْنَا، فتركوه، ولم يَبْقَ أَحَدٌ مِمَّنْ أَتَى أَنْ يَدْخُلَ قَرْيَةَ الجَبَّارِينَ مع موسى، إِلَّا ماتَ، ولم يَشْهَدِ الفَتْحَ. وفي بعضِ هذا السِّيَاقِ نَكَارَةٌ وَعَرَابَةٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وقد قَدَّمْنَا أَنَّهُ لم يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنَ النَّبِيِّ، مِمَّنْ كان مع موسى، سوى يُوشعَ بنِ نونٍ، وكالبِ ابنِ يُوقَنَّا، وهو زوجُ مريمَ، أُخْتِ موسى وهَارُونَ، وهما الرَّجُلانِ المذكورانِ فيما تقدَّم، اللذان أشارا على ملائكةِ إسرائيلَ بالدُّخُولِ عليهم، وذكرَ وَهْبُ ابنِ مُنَبِّهٍ^(١) أَنَّ موسى، عليه السَّلَامُ، مرَّ بملأٍ مِنَ الملائكةِ يَحْفِرُونَ قَبْرًا، فلم يَرَ أَحْسَنَ مِنْهُ، ولا أَنْضَرَ ولا أَبْهَجَ، فقال: يا ملائكةَ اللَّهِ، لِمَنْ تَحْفِرُونَ هذا القَبْرَ؟

(١) تاريخ الطبري ١/٤٣٣، ٤٣٤.

فقالوا: لعبيدٍ من عبادِ اللهِ كَرِيمٍ، فَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ هَذَا الْعَبْدَ، فَادْخُلْ هَذَا الْقَبْرَ، وَتَمَدَّدْ فِيهِ، وَتَوَجَّهْ إِلَى رَبِّكَ، وَتَنْفَسْ أَسْهَلَ تَنْفَسٍ. ففعل ذلك، فمات، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه [١٩٩/١ ظ] فَصَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَدَفَنُوهُ. وَذَكَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَغَيْرُهُمْ أَنَّهُ مَاتَ وَعَمْرُهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً^(١).

وقد قال الإمامُ أحمدُ^(٢): حَدَّثَنَا أَمِيَةُ بْنُ خَالِدٍ، وَيُونُسُ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يُونُسُ رَفَعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا، قَالَ: فَأَتَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَطَمَهُ، فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَأَتَى رَبَّهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، عَبْدُكَ مُوسَى فَقَأَ عَيْنِي، وَلَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَعُقْتُ بِهِ»^(٣). وَقَالَ يُونُسُ: «لَشَقَّقْتُ عَلَيْهِ». «قَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى عَبْدِي، فَقُلْ لَهُ: فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى جِلْدٍ - أَوْ مَسْكِ - ثَوْبٍ، فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْ يَدَهُ سَنَةٌ. فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: فَقَالَ: مَا بَعْدَ هَذَا؟ قَالَ: الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ». قَالَ: «فَشَمَّهُ شَمَّةً، فَقَبِضْ رُوحَهُ». قَالَ يُونُسُ: «فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَكَانَ يَأْتِي النَّاسَ خُفِيَةً». وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٤)، عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنْ مُضْعَبِ بْنِ الْمِقْدَامِ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهِ، فَرَفَعَهُ أَيْضًا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(١) سفر التثنية الأصحاح ٧/٣٤.

(٢) أحمد في المسند ٥٣٣/٢. قال الهيثمي في المجمع ٢٠٥/٨ رواه أحمد والبخاري ورجالهم الصحيح.

(٣) في النسخ: «عليه». والمثبت من المسند.

(٤) تاريخ الطبري ٤٣٤/١.

ذِكْرُ نُبُوءَةِ يَوْشَعَ وَقِيَامِهِ بِأَعْبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

بعد موسى وهارون، عليهم السلام

هو يَوْشَعَ بْنُ نُونٍ بْنِ أَفْرَائِيمَ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ^(١) وَأَهْلُ الْكِتَابِ يَقُولُونَ: يَوْشَعَ ابْنُ عَمِّ هُودٍ. وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ غَيْرَ مُصْرَحٍ بِاسْمِهِ فِي قِصَةِ الْخَضِرِ، كَمَا تَقَدَّمَ ^(٢) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ﴾ [الكهف: ٦٠] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْنَهُ﴾ [الكهف: ٦٢]. وَقَدَّمْنَا ^(٣) مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»، مِنْ رِوَايَةِ أُتَيْ بْنِ كَعْبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، مِنْ أَنَّهُ يَوْشَعَ بْنُ نُونٍ، وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَى نُبُوءَتِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(٤)، فَإِنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ، وَهَمُ السَّامِرَةُ لَا يَقْرَءُونَ بِنُبُوءَةِ أَحَدٍ بَعْدَ مُوسَى إِلَّا يَوْشَعَ بْنَ نُونٍ؛ لِأَنَّهُ مُصْرَحٌ بِهِ فِي التَّوْرَةِ، وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، فَعَلَيْهِمْ لِعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَّابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَأَمَّا مَا حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٥) وَغَيْرُهُ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، مِنْ أَنَّ النُّبُوءَةَ حُوِّلَتْ مِنْ مُوسَى إِلَى يَوْشَعَ فِي آخِرِ عُمرِ مُوسَى، فَكَانَ مُوسَى يَلْقَى يَوْشَعَ فَيَسْأَلُهُ مَا أَحَدَّثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالتَّوَاهِي، حَتَّى قَالَ لَهُ: يَا كَلِيمَ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) تقدم في صفحة ١٦٩.

(٣) تقدم في صفحة ١٧٤.

(٤) سفر يشوع الأصحاح ١/١، ٢.

(٥) تاريخ الطبري ١/٤٣٣.

اللَّهُ، إِنِّي كُنْتُ لَا أَسْأَلُكَ عَمَّا كَانَ يُوْحَى إِلَيْكَ، حَتَّى تُخَيِّرَنِي أَنْتَ ابْتِدَاءً مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِكَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ كَرِهَ مُوسَى الْحَيَاةَ، وَأَحَبَّ الْمَوْتَ . فَفِي هَذَا نَظَرٌ؛ لِأَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ وَالْوَحْيُ، وَالتَّشْرِيعُ، وَالكَلَامُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَزَلْ مَعْرُزًا، مُكْرَمًا، مُدَلَّلًا، وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا قَدَّمْنَا^(١) فِي «الصَّحِيحِ»، مِنْ قِصَّةِ فَقِّهِهِ عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ، ثُمَّ [٢٠٠/١] بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَيَاةَ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى جِلْدِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْ يَدَهُ سَنَةٌ يَعِيشُهَا، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْمَوْتُ. قَالَ: فَالآنَ يَا رَبِّ. وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُذِنَّ لَهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ رَفِئَةً بِحَجَرٍ، وَقَدْ أُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، إِنْ كَانَ إِنَّمَا يَقُولُهُ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَفِي كِتَابِهِمُ الَّذِي يُسَمُّونَهُ التَّوْرَةَ، أَنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَزَلْ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى فِي كُلِّ أَمْرٍ^(٢) يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، إِلَى آخِرِ مَدَّةِ مُوسَى، كَمَا هُوَ الْمَعْلُومُ مِنْ سِيَاقِ كِتَابِهِمْ عِنْدَ تَأْبُوتِ الشَّهَادَةِ فِي قُبَّةِ الزَّمَانِ^(٣). وَقَدْ ذَكَرُوا فِي السَّفَرِ الثَّالِثِ^(٤)، أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ مُوسَى وَهَارُونَ أَنْ يَعُدَّآ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَسْبَاطِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَا عَلَى كُلِّ سِبْطٍ مِنَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ أَمِيرًا، وَهُوَ التَّقِيْبُ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِيَتَأَهَّبُوا لِلْقِتَالِ؛ قِتَالِ الْجَبْتَارِينَ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ التِّيهِ، وَكَانَ هَذَا عِنْدَ اقْتِرَابِ انْقِضَاءِ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا فَقَّأَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ فِي صَوْرَتِهِ تِلْكَ، وَلِأَنَّهُ

(١) تقدم ص ٢٢١ .

(٢) في م: «حين» .

(٣) سفر الخروج الأصحاح ٧/٣٣ - ١١ .

(٤) أى الأصحاح الأول من سفر العدد، فيما هو موجود الآن في كتابهم .

كان قد أُمِرَ بِأَمْرِ كَانَ يُرْتَجَى وَقُوعَهُ فِي زَمَانِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي قَدْرِ اللَّهِ أَنْ يَقَعَ
 ذَلِكَ فِي زَمَانِهِ ، بَلْ فِي زَمَانٍ فَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ ﷺ كَانَ قَدْ أَرَادَ غَزْوَ الرُّومِ بِالشَّامِ ، فَوَصَلَ إِلَى تَبُوكَ ، ثُمَّ رَجَعَ عَامَهُ ذَلِكَ
 فِي سَنَةِ تِسْعٍ ، ثُمَّ حَجَّ فِي سَنَةِ عَشْرِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَجَهَّزَ جَيْشَ أُسَامَةَ إِلَى
 الشَّامِ ، طَلِيعَةً بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ كَانَ عَلَى غَزْمِ الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ ؛ امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ
 تَعَالَى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا
 حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى
 يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩] . وَلَمَّا جَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ
 جَيْشَ أُسَامَةَ ، تُوَفِّيَ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَأُسَامَةُ مُخَيَّمٌ بِالْجَوْفِ ، فَتَقَدَّمَ
 صَدِيقُهُ وَخَلِيفَتُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ لَمَّا لَمْ شَعَتْ جَزِيرَةُ
 الْعَرَبِ ، وَمَا كَانَ وَهِيَ ^(١) مِنْ أَمْرِ أَهْلِهَا ، وَعَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ ، جَهَّزَ الْجِيُوشَ
 يَمْنَةً وَيَسْرَةً إِلَى الْعِرَاقِ ، أَصْحَابِ كِسْرَى مَلِكِ الْفَرَسِ ، وَإِلَى الشَّامِ أَصْحَابِ
 قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ ، فَفَتَحَ اللَّهُ لَهُمْ ، وَمَكَّنَ لَهُمْ وَبِهِمْ ، وَمَلَكَهُمْ نَوَاصِي
 أَعْدَائِهِمْ ، كَمَا سَنُورُدُّهُ فِي مَوْضِعِهِ ، إِذَا انْتَهَيْتَا إِلَيْهِ مَفْضَلًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 تَعَالَى ، بِعَوْنِهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَحُسْنِ إِرْشَادِهِ . وَهَكَذَا مَوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ كَانَ
 اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَمَرَهُ أَنْ يُجَنِّدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَنْ يَجْعَلَ عَلَيْهِمْ نُقَبَاءَ ، كَمَا قَالَ
 تَعَالَى ^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ
 عَشَرَ [٢٠٠/١] نَقِيبًا ﴾ . وَقَالَ اللَّهُ ^(٣) : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمْ
 الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمْ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمْ اللَّهَ قَرْضًا

(١) فِي م : (د م) .

(٢) التفسير ٦٠/٣ - ٦٢ .

حَسَنًا لَّا كَفَرْنَا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَآدُخِلْنَاكُمْ جَنَّتِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾
[المائدة: ١٢]. يقول لهم: لَئِن قُتِمْتُمْ بِمَا أُوجِبْتُ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ تَتَّكِلُوا عَنِ الْقِتَالِ،
كَمَا تَكَلَّمْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، لِأَجْعَلَنَّ ثَوَابَ هَذِهِ مَكْفَرًا لِمَا وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِ
تلك، كما قال تعالى لِمَنْ تَخَلَّفَ مِنَ الْأَعْرَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَمْرَةٍ^(١)
الْحُدُيَّةِ: ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمِ أَوَّلَىٰ بِأَرْسَالِي مِنْكُمْ
نَقِيلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ
مِن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ . [الفتح: ١٦] وهكذا قال تعالى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ:
﴿ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ . ثم
ذمَّهم اللهُ تعالى على سُوءِ صَنِيعِهِمْ، وَنَقِضَهُمْ مَوَائِقَهُمْ، كما ذمَّ مَنْ بَعَدَهُمْ
مِن النَّصَارَى على اختلافِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ. وقد ذكّرنا ذلك فِي
«التَّفْسِيرِ»^(٢) مُسْتَقْصَى، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

والمقصود أَنَّ اللهُ تعالى أَمَرَ موسى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَكْتُبَ أَسْمَاءَ الْمُقَاتِلَةِ
مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَمُنَّ يَحْمِلُ السَّلَاحَ وَيُقَاتِلُ، يَمُنَّ بَلَغَ عَشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا،
وَأَنْ يَجْعَلَ عَلَى كُلِّ سَبْطٍ نَقِيبًا مِنْهُمْ؛ السَّبْطُ الْأَوَّلُ سَبْطُ زَوِيلَ؛ لِأَنَّهُ بِكُرِّ
يَعْقُوبَ، كَانَ عِدَّةُ الْمُقَاتِلَةِ مِنْهُمْ سِتَّةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةَ، وَنَقِيبُهُمْ مِنْهُمْ،
وَهُوَ أَلْيَصُورُ بْنُ شَدْيُوثَورَا، السَّبْطُ الثَّانِي سَبْطُ شَمْعُونَ، وَكَانُوا تِسْعَةَ وَخَمْسِينَ
أَلْفًا وَثَلَاثِمِائَةَ، وَنَقِيبُهُمْ شَلُومِيئِيلُ بْنُ هُورِيَشَدَّايَ، السَّبْطُ الثَّلَاثُ سَبْطُ يَهُوذَا،

(١) فِي م: (غزوة).

(٢) التفسير ٦٢/٣.

وكانوا أربعة وسبعين ألفاً وستمائة، ونقيبهم نَحْشُونُ بْنُ عَمِينَادَابَ، السَّبْطُ
الرَّابِعُ سِبْطُ إِيسَاخَرِ، وكانوا أربعة وخمسين ألفاً وأربعمائة، ونقيبهم نَشَائِلُ بْنُ
صَوْغَرَ، السَّبْطُ الْخَامِسُ سِبْطُ يَوْسَفَ، عليه السَّلَامُ، وكانوا أربعين ألفاً
وخمسمائة، ونقيبهم يَوْشَعُ بْنُ نُونِ، السَّبْطُ السَّادِسُ سِبْطُ مِيشَا، وكانوا أحداً
وثلاثين ألفاً ومائتين، ونقيبهم جَمْلِيئِيلُ بْنُ قَدْهُصُورَ. السَّبْطُ السَّابِعُ سِبْطُ
بَنِيَامِينَ، وكانوا خمسة وثلاثين ألفاً وأربعمائة، ونقيبهم أَيْدَنُ بْنُ جِدْعُونَ،
السَّبْطُ الثَّامِنُ سِبْطُ جَادَ، وكانوا خمسة وأربعين ألفاً وستمائة وخمسين رجلاً،
ونقيبهم الْيَاسَافُ بْنُ رَعُوئِيلَ، السَّبْطُ التَّاسِعُ سِبْطُ أَشِيرَ، وكانوا أحداً وأربعين
ألفاً وخمسمائة، ونقيبهم فَجَعِيئِيلُ بْنُ عُكْرَنَ، السَّبْطُ الْعَاشِرُ سِبْطُ دَانَ،
وكانوا اثنين وستين ألفاً وسبعمائة، ونقيبهم أَحْيَعَزُّزُ [٢٠١/١] بْنُ عَمِّيَشْدَايَ،
السَّبْطُ الْحَادِي عَشَرَ سِبْطُ نِفْتَالِي، وكانوا ثلاثة وخمسين ألفاً وأربعمائة،
ونقيبهم أَحْيِيرُغُ بْنُ عَيْنَ، السَّبْطُ الثَّانِي عَشَرَ سِبْطُ زَبُولُونَ، وكانوا سبعة
وخمسين ألفاً وأربعمائة، ونقيبهم أَلْبَابُ بْنُ حِيلُونَ. هذا نصُّ كتابهم^(١) الذي
بأيديهم. واللَّهُ أَعْلَمُ. وليس منهم بنو لاوى، فَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ لَا يُعْذِّهِمْ
مَعَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ مُؤَكَّلُونَ بِحِمْلِ قُبَّةِ الشَّهَادَةِ، وَخَزَنَهَا^(٢) وَنَضَبَهَا، إِذَا ارْتَحَلُوا،
وَهُمْ سِبْطُ مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَكَانُوا اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، مِنْ ابْنِ
شَهْرِ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، وَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قِبَائِلُ، إِلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ طَائِفَةٌ مِنَ قُبَّةِ الزَّمَانِ
يَحْرُسُونَهَا، وَيَحْفَظُونَهَا، وَيَقُومُونَ بِمَصَالِحِهَا، وَنَضَبِهَا، وَحِمْلِهَا، وَهُمْ كُلُّهُمْ

(١) سفر العدد، الأصحاح ٢٠/١ - ٤٧.

(٢) في م: «وضربها».

حولها يَنْزِلُونَ وَيَرْتَحِلُونَ أَمَامَهَا وَيَمِينُهَا وَشِمَالَهَا وَوَرَاءَهَا .

وجملة ما ذُكِرَ مِنَ المَقَاتِلَةِ ، غَيْرَ بَنِي لَآوِي ، خَمْسُمِائَةِ أَلْفٍ وَأَحَدٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا وَسِتُّمِائَةٍ وَسِتَّةٌ وَخَمْسُونَ ، لَكِنْ قَالُوا : فَكَانَ عَدْدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، يَمِّنَ عَمْرِهِ عَشْرُونَ سَنَةً فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ ، يَمِّنَ حَمَلِ السَّلَاحِ ، سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَخَمْسُمِائَةٍ^(١) وَخَمْسِينَ رَجُلًا ، سِوَى بَنِي لَآوِي . وَفِي هَذَا نَظَرٌ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الجَمَلِ المُتَقَدِّمَةِ ، إِنْ كَانَتْ كَمَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِهِمْ ؛ لَا تَطَابِقُ الجَمْلَةَ الَّتِي ذَكَرُوهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَكَانَ بَنُو لَآوِي ، المُؤَكَّلُونَ بِحِفْظِ قُبَّةِ الزَّمَانِ ، يَسِيرُونَ فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ القَلْبُ ، وَرَأْسُ المِئْمَنَةِ بَنُو رُوَيْبِلَ ، وَرَأْسُ المِيسِرَةِ بَنُو رَانَ ، وَبَنُو نَفْتَالِي يَكُونُونَ سَاقَةً ، وَقَرَّرَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ ، الكَهَانَةَ فِي بَنِي هَارُونَ ، كَمَا كَانَتْ لِأَيُّهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَهُمْ : نَادَابُ ، وَهُوَ يَكْرَهُ ، وَأَيُّهُو ، وَالْعَازِرُ ، وَيَشْمُرُ .

والمقصود أن بني إسرائيل لم يبق منهم أحد ممن كان نكل عن دخول مدينة الجبارين ، الذين قالوا : ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَاهَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] . قَالَ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ^(٢) عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣) . وَقَالَ قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ ، وَرَوَاهُ الشُّدِّيُّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ^(٤) ، حَتَّى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ : وَمَاتَ مُوسَى ، وَهَارُونَ قَبْلَهُ ، كِلَاهِمَا فِي التِّيهِ جَمِيعًا . وَقَدْ زَعَمَ ابْنُ

(١) بعده في ح : « وخمسة » .

(٢) في الأصل : « سعد » .

(٣) تاريخ الطبري ١/٤٣٥ ، وتفسيره ٦/١٨٣ .

(٤) تاريخ الطبري ١/٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، وتفسيره ١/١٨٢ ، ١٨٣ .

إسحاق أن الذي فَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هو موسى ، وإنما كان يُوشَعُ على مُقَدِّمَتِهِ ،
 وذكر في مُرُورِهِ إِلَيْهَا قِصَّةَ بِلْعَامَ بْنِ بَاعُورَاءَ ، الذي قال تعالى فيه : ﴿ وَأَتْلُ
 عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
 الْغَاوِينَ ﴾ (١٧٥) وَلَوْ سِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ [١]
 [٢٠١ظ] هَوْنَهُ فَشَلُّمٌ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ
 يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ
 يَتَفَكَّرُونَ ﴿ ١٧٦ ﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿
 [الأعراف : ١٧٥ - ١٧٧] . وقد ذكرنا قِصَّتَهُ فِي « التَّفْسِيرِ » ^(١) ، وَأَنَّهُ كَانَ فِيمَا قَالَهُ
 ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ ، يَعْلَمُ الْاسْمَ الْأَعْظَمَ ، وَأَنَّ قَوْمَهُ سَأَلُوهُ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى مُوسَى
 وَقَوْمِهِ ، فَاِمْتَنَعَ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أَحْلَوْا عَلَيْهِ ، رَكِبَ جِمَارَةً لَهُ ، ثُمَّ سَارَ نَحْوَ مَعْشَكِرِ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، رَبِضَتْ بِهِ جِمَارَتُهُ ، فَضْرِبَهَا حَتَّى قَامَتْ ،
 فَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ وَرَبِضَتْ ، فَضْرِبَهَا ضَرْبًا أَشَدَّ مِنَ الْأُولَى فَقَامَتْ ، ثُمَّ رَبِضَتْ
 فَضْرِبَهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا بِلْعَامُ ، أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ أَمَا تَرَى الْمَلَائِكَةَ أَمَامِي ، تَرُدُّنِي عَنِ
 وَجْهِهِ هَذَا ، أَتَذْهَبُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ تَدْعُو عَلَيْهِمْ ؟ فَلَمْ يَنْزِعْ عَنْهَا ،
 فَضْرِبَهَا حَتَّى سَارَتْ بِهِ ، حَتَّى أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ حُسْبَانٍ ، وَنَظَرَ إِلَى
 مَعْشَكِرِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَأَخَذَ يَدْعُو عَلَيْهِمْ ، فَجَعَلَ لِسَانَهُ لَا يُطِيعُهُ إِلَّا أَنْ
 يَدْعُوَ لِمُوسَى وَقَوْمِهِ ، وَيَدْعُوَ عَلَى قَوْمِ نَفْسِهِ ، فَلَا تُؤْمَرُ عَلَى ذَلِكَ ، فَاعْتَدَرَ إِلَيْهِمْ
 بِأَنَّهُ لَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ إِلَّا هَذَا ، وَأَنْدَلَعَ لِسَانُهُ حَتَّى وَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ ، وَقَالَ
 لِقَوْمِهِ : ذَهَبَتْ مِنِّي الْآنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْمَكْرُ وَالْحِيلَةُ . ثُمَّ أَمَرَ قَوْمَهُ

(١) التفسير ٥٠٧/٣ - ٥١٢ . وانظر تفسير الطبري ١٢٤/٩ - ١٢٦ .

أَنْ يُزَيِّنُوا النَّسَاءَ، وَيَبْعَثُوهُنَّ بِالْأَمْتِعَةِ يَبِغْنَ عَلَيْهِمْ، وَيَتَعَرَّضْنَ لَهُمْ، حَتَّى لَعَلَّهُمْ يَفْعَمُونَ فِي الزَّيْنَى، فَإِنَّهُ مَتَى زَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ كُفِّيَتْهُمْ. فَفَعَلُوا وَزَيَّنُوا نِسَاءَهُمْ، وَبَعَثُوهُنَّ إِلَى الْمَعْسَكِ، فَمَرَّتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ اسْمُهَا كَسْتَى، بِرَجُلٍ مِنْ عِظْمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ زِمْرِيُّ بْنُ شَلُومَ، يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ رَأْسَ سَيْبِطَ بَنِي شَمْعُونَ بْنِ يَعْقُوبَ. فَدَخَلَ بِهَا قُبَّتَهُ، فَلَمَّا خَلَا بِهَا، أَرْسَلَ اللَّهُ الطَّاعُونَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَجَعَلَ يَجُوسُ فِيهِمُ الْمَوْتَ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبِيرُ إِلَى فَنحَاصَ بْنِ الْعِيزَارِ بْنِ هَارُونَ، أَخَذَ حَرْبَتَهُ، وَكَانَتْ مِنْ حَدِيدٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا الْقُبَّةَ، فَانْتَضَمَهُمَا جَمِيعًا فِيهَا، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا عَلَى النَّاسِ وَالْحَرْبَةُ فِي يَدِهِ، وَقَدْ اعْتَمَدَ عَلَى خَاصِرَتِهِ، وَأَسْنَدَهَا إِلَى لِحْيَتِهِ، وَرَفَعَهُمَا نَحْوَ السَّمَاءِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَكَذَا نَفَعَلُ بِمَنْ يَعَصِيكَ. وَرَفَعَ اللَّهُ الطَّاعُونَ، فَكَانَ جَمَلَةٌ مَن مَاتَ مِنْهُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَالْمَقْتُلُ يَقُولُ: عَشْرِينَ أَلْفًا. وَكَانَ فَنحَاصُ بِكَرٍّ أَبِيهِ الْعِيزَارِ بْنِ هَارُونَ، فَلِهَذَا يَجْعَلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَوْلِدِ فَنحَاصَ «مِنَ الذَّيْبِحَةِ^(١) الْقِبَّةِ^(٢)» وَالذَّرَاعِ وَاللَّحْيِ، وَلَهُمُ الْبِكْرُ مِنْ كُلِّ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ قِصَّةِ بِلْعَامَ صَحِيحٌ قَدْ ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عِلْمَاءِ السَّلَفِ، لَكِنْ [٢٠٢/١] لَعَلَّهُ لَمَّا أَرَادَ مُوسَى دُخُولَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، «أَوَّلَ مَقْدَمِهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَلَعَلَّهُ مُرَادُ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَلَكِنْ مَا فَهَمَهُ بَعْضُ النَّاقِلِينَ عَنْهُ. وَقَدْ قَدَّمْنَا عَنْ نَصِّ التَّوْرَةِ مَا يَشْهَدُ لِبَعْضِ هَذَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلَعَلَّ هَذِهِ قِصَّةٌ أُخْرَى كَانَتْ فِي خِلَالِ^(٣)

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) في م: «اللية». والقِبَّة من الشاة - بكسر القاف وفتح الباء مخففة - : هَنَّةٌ ذَاتُ أَطْبَاقٍ أَسْفَلَ الْكَرْشِ إِلَى جَنْبِهَا، لَا يَخْرُجُ مِنْهَا الْفَرْثُ أَبَدًا. الوسيط (ق ب و).

(٣ - ٣) سقط من: ح.

سَيَّرِهِمْ فِي التِّيَّةِ ، فَإِنَّ فِي هَذَا السِّيَاقِ ذِكْرَ حُسْبَانٍ ، وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنِ أَرْضِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، أَوْ لَعَلَّهُ كَانَ هَذَا لَجَيْشِ مُوسَى ، الَّذِينَ عَلَيْهِمْ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ ، حِينَ خَرَجَ بِهِمْ مِنَ التِّيَّةِ قَاصِدًا بَيْتَ الْمَقْدِسِ^(١) ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ السُّدِّيُّ^(٢) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ ، فَالَّذِي عَلَيْهِ الْجَمْهُورُ ، أَنَّ هَارُونَ تُوَفِّيَ بِالتِّيَّةِ قَبْلَ مُوسَى أَخِيهِ بِنَحْوِ مِنْ سَنَتَيْنِ . وَبَعْدَهُ مُوسَى فِي التِّيَّةِ أَيْضًا ، كَمَا قَدَّمْنَا^(٣) ، وَأَنَّهُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُقَرَّبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، فَكَانَ الَّذِي خَرَجَ بِهِمْ مِنَ التِّيَّةِ وَقَصَدَ بِهِمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَذَكَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّارِيخِ^(٤) ، أَنَّهُ قَطَعَ بَيْتِي^(٥) إِسْرَائِيلَ ، نَهَرَ الْأَزْدُونَ ، وَانْتَهَى إِلَى أَرِيخَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْصَنِ الْمَدَائِنِ سُورًا ، وَأَعْلَاهَا قُصُورًا ، وَأَكْثَرُهَا أَهْلًا ، فَحَاصَرَهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَحَاطُوا بِهَا يَوْمًا ، وَضَرَبُوا بِالْقُرُونِ ، يَعْنِي الْأَبْوَاقَ ، وَكَبَّرُوا تَكْبِيرَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَتَفَسَّخَ سُورُهَا ، وَسَقَطَ وَجْبَةٌ وَاحِدَةً ، فَدَخَلُوهَا ، وَأَخَذُوا مَا وَجَدُوا فِيهَا مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَقَتَلُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الرِّجَالِ وَالتِّسَاءِ ، وَحَارَبُوا مُلُوكًا كَثِيرَةً ، وَيُقَالُ : إِنَّ يُوشَعَ ظَهَرَ عَلَى أَحَدٍ وَثَلَاثِينَ مَلِكًا مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ . وَذَكَرُوا أَنَّهُ انْتَهَى مُحَاصِرَتُهُ لَهَا إِلَى يَوْمِ جُمُعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، أَوْ كَادَتْ تَغْرُبُ ، وَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ السَّبْتُ الَّذِي جُعِلَ

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) تقدم ص ٢٢٣ .

(٣) تقدم ص ٢٢٣ .

(٤) تاريخ الطبري ١/٤٤١ ، ٤٤٢ . سفر يشوع الأصحاح ١ - ١٠ .

(٥) في النسخ : « بنى » . وأثبتنا ما يستقيم به السياق .

عليهم ، وشُرع لهم ذلك الزمان ، قال لها : إنك مأمورة وأنا مأمورٌ ، اللهم احببها عليّ . فحبسها الله عليه ، حتى تمكن من فتح البلد ، وأمر القمر ، فوقف عن الطلوع ، وهذا يقتضي أن هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشرة من الشهر . والأول^(١) ، وهو قصة الشمس المذكورة^(٢) في الحديث الذي سأذكره . وأما قصة القمر ، فمن عند أهل الكتاب ، ولا يُنافي الحديث ، بل فيه زيادة تُستفاد ، فلا تُصدق ولا تُكذب ، ولكن ذكرهم أن هذا كان في فتح أريحا ، فيه نظرٌ ، والأشبه ، والله أعلم ، أن هذا كان في فتح بيت المقدس ، الذي هو المقصود الأعظم ، وفتح أريحا كان وسيلة إليه . والله أعلم .

قال الإمام أحمد^(٣) : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشمس [٢٠٢/١ ظ] لم تُحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس » . انفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط البخاري . وفيه دلالة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون ، عليه السلام ، لا موسى ، وأن حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا أريحا ، كما قلنا . وفيه أن هذا كان من خصائص يوشع ، عليه السلام ، فيدل على ضعف الحديث الذي رَوَّاه ؛ أن الشمس رجعت حتى صلى على بن أبي طالب صلاة العصر ، بعدما فاتته ، بسبب نوم النبي ﷺ على ركبته ، فسأل رسول الله ﷺ أن يردها عليه ، حتى يُصلّى

(١) في م : (الأول) .

(٢) في م : (المذكورة) .

(٣) أحمد في المسند ٢/٣٢٥ . (السلسلة الصحيحة ٢٠٢) .

العصر، فَرَجَعَتْ^(١). وقد صحَّحه أحمد^(٢) بن صالح المصري، ولكنه مُنْكَرٌ، ليس في شيءٍ مِنَ الصُّحاحِ ولا الحِسانِ، وهو ممَّا تنوَّفَ الدَّواعي على نقله، وتفرَّدتْ بنقله امرأةٌ من أهلِ البيْتِ مجهولةٌ، لا يُعرفُ حالها. واللَّه أعلم.

وقال الإمام أحمد^(٣): حدثنا عبدُ الرزَّاقِ، حدثنا مَعْمَرٌ، عن هَمَّامٍ، عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «عَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَنِي بِهَا، وَلَا يَبِينُ، وَلَا آخِرُ قَدِ بَنَى بُنْيَانًا وَلَمْ يَزِفْعَ سَقْفَهَا، وَلَا آخِرُ قَدْ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِيفَاتٍ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلَادَهَا. فَعَزَا، فَذَنَا مِنَ الْقَرِيَةِ حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا. فَحَبَسَتْ عَلَيْهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعُوا مَا غَنِمُوا، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ لِتَأْكُلَهُ، فَأَبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ فَقَالَ: فِيكُمْ غُلُولٌ، فَأُيْبِيغُنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ. فَبَايَعُوهُ، فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، وَلِثْبَايغُنِي قَبِيلَتُكَ. فَبَايَعْتَهُ قَبِيلَتَهُ، فَلَصِقَ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، أَنْتُمْ غَلَلْتُمْ. فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رَأْسِ بَقْرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَوَضَعُوهُ بِالْمَالِ، وَهُوَ بِالصَّعِيدِ، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهُ، فَلَمْ تَحِلْ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا، فَطَيَّبَهَا لَنَا». انفردَ به مسلمٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ^(٤).

(١) الطحاوي في مشكل الآثار ٨/٢، ٩. والطبراني في الكبير (٣٨١). موضوع (السلسلة الضعيفة) (٩٧١).

(٢) في ح، م: «على». انظر تهذيب الكمال ١/٣٤٠ - ٣٥٤.

(٣) المسند ٢/٣١٨. (صحيح).

(٤) مسلم (١٧٤٧).

وقد روى البيهقي^(١) من طريق مبارك^(٢) بن فضالة^(٣)، عن عبيد الله، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ نحوه. قال: ورواه محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، قال: ورواه قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

والمقصود أنه لما دخل بهم باب المدينة، أمروا أن يدخلوها سُجَّدًا؛ أي رُكْعًا متواضعين شاكرين لله، عز وجل، على ما منَّ به عليهم من الفتح العظيم، الذي كان الله وَعَدَّهم إياه، وأن يقولوا حال دخولهم: حِطَّة. أي؛ حُطَّ عَنَّا خَطَايَانَا التي سَلَفَتْ مِن نُكُولِنَا الذي تقدَّم مِنَّا. ولهذا لما دخل [١/ ٢٠٣] رسول الله ﷺ مكة يومَ فَتَحَها، دَخَلَها وهو راكبٌ ناقته، وهو متواضعٌ حامدٌ شاكرٌ، حتى إنَّ عُثْمونَه، وهو طرفٌ لحِيتَه، لَيَمَسُّ مَؤْرِكَ رَحْلِهِ، ممَّا يُطَاطِئُ رأسَه خُضْعَانًا لله، عز وجل، ومعَه الجنودُ والجيوشُ، مِن لا يُرَى منه إلا الحَدَقُ لا سِيْمَا الكَتِيْبَةُ الخُضْرَاءُ، التي فيها رسولُ اللهِ ﷺ، ثم لما دَخَلَها، اغْتَسَلَ وصَلَّى ثمانِي رَكَعَاتٍ^(٤). وهي صلاةُ الشُّكْرِ على النَّصْرِ، على المنصورِ مِن قَوْلِي العلماءِ. وقيل: إنها صلاةُ الضُّحَى. وما حَمَلَ هذا القائلُ على قوله هذا، إلا لأنَّها وقعتْ وقتَ الضُّحَى^(٥). وأمَّا بنو إسرائيلَ، فإنَّهم خالَفُوا ما أُمِرُوا به قولًا وفعلاً؛ دَخَلُوا البابَ يزحفون^(٦) على أَسْتَاهِمِهِم وهم

(١) ومن طريق مبارك بن فضالة، أخرجه الحاكم في المستدرک ١٣٩/٢ وقال: غريب صحيح، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢ - ٢) في الأصل: «وفضالة».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) البخاري (١١٧٦). مسلم (٣٣٦).

(٥) انظر فتح الباري ٥٢/٣ - ٥٥.

(٦) في الأصل: «يرجفون».

يقولون: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ^(١). وفي رواية^(٢): حِنْطَةٌ فِي شَعْرَةٍ. وحاصله: أنهم بدُّوا ما أُمِرُوا به، واستهزءوا به، كما قال تعالى، حَاكِيًا عَنْهُمْ فِي سُورَةِ «الأعراف»، وهي مكية: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفْعِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٦﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٧﴾ [الأعراف: ١٦٦، ١٦٧]. وقال تعالى في سورة «البقرة» وهي مَدِينَةٌ مُخَاطَبًا لَهُمْ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَفْعِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩]. قال الثَّوْرِيُّ، عن الأعمش، عن المِنْهَالِ بْنِ^(٣) عمرو، عن سعيد بن جُبَيْرٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ قال: رُكْعًا مِنْ بَابٍ صَغِيرٍ. رواه الحَاكِمُ، وابنُ جَرِيرٍ، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٤)، وكذا رَوَى العَوْفِيُّ^(٥)، عن ابنِ عَبَّاسٍ. وكذا رَوَى الثَّوْرِيُّ^(٦)، عن أبي إِسْحَاقَ، عن البراءِ. قال مجاهدٌ والشَّدِّيُّ،

(١) البخارى (٣٤٠٣). مسلم (٣٠١٥).

(٢) المسند ٣١٢/٢. (إسناده صحيح).

(٣) فى الأصل: «عن».

(٤) الحاكم فى المستدرک ٢٦٢/٢ مطولاً. والطبرى فى التفسير ١/٣٠٠. وابن أبى حاتم فى التفسير ١/

١٨٢

(٥) التفسير ١/١٤٠.

(٦) التفسير ١/١٤٢.

(٧) فى م، ص: «ابن».

وَالضُّحَاكُ^(١) : البابُ هو بابُ حِطَّةٍ من بيتِ إيلياءَ، بيتِ المقدسِ . قال ابنُ مسعودٍ^(٢) : فدخلوا مُقْنَعِي رُؤوسِهِمْ ، ضدُّ ما أُمروا به . وهذا لا يُنافي قولَ ابنِ عباسٍ ، أَنَّهُمْ دَخَلُوا يَرْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ^(٣) . وهكذا في الحديثِ الذي سنوردهُ بعدُ ، فَإِنَّهُمْ دَخَلُوا يَرْحَفُونَ وَهُمْ مُقْنَعُو رُؤوسِهِمْ . وقوله : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً ﴾ الواوُ هنا حالِيَّةٌ ، لا عاطفةٌ أى ادخلوا سُجَّدًا في حالِ قولِكُمْ : حِطَّةً . قال ابنُ عباسٍ ، وَعَطَاءٌ ، وَالْحَسَنُ ، وَقَتَادَةُ ، وَالرَّبِيعُ : أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا^(٤) .

قال البخاريُّ^(٥) : حدثنا محمدٌ ، حدثنا عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، عن ابنِ المباركِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن هَمَّامِ [٢٠٣/١ ظ] بنِ مُنْبِهٍ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ ، قال : « قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ، وَقُولُوا حِطَّةً . فَدَخَلُوا يَرْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ ، فَبَدَّلُوا وَقَالُوا : حِطَّةٌ ؛ حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ » . وكذا رواه النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ الْمُبَارَكِ بِيَعْضِهِ^(٦) ، ورواه عن محمدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ بنِ إِبراهيمَ ، عن ابنِ مَهْدِيٍّ به موقوفًا^(٧) . وقد قال عبدُ الرَّزَّاقِ : أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ ، عن هَمَّامِ بنِ مُنْبِهٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَنْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا الْبَابَ يَرْحَفُونَ عَلَى

(١) التفسير ١٤٠/١ . تفسير الطبري ٢٩٩/١ . تفسير ابن أبي حاتم ١٨٢/١ .

(٢) التفسير ١٤٠/١ . تفسير ابن أبي حاتم ١٨٣/١ .

(٣) أخرج الطبري في التفسير ٣٠٤/١ بإسناده إلى ابن عباس ، قال : فدخلوا على أستاههم مقنعي رؤوسهم .

(٤) التفسير ١٤٠/١ . تفسير الطبري ٣٠٠/١ . تفسير ابن أبي حاتم ١٨٣/١ ، ١٨٤ .

(٥) البخاري (٤٤٧٩) .

(٦) النسائي في الكبرى (١٠٩٩٠) .

(٧) النسائي في الكبرى (١٠٩٨٩) .

أَسْتَاهِهِمْ ، فَقَالُوا : حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ . وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ^(١) ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ صَحِيحٌ . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ^(٢) : كَانَ تَبْدِيلُهُمْ ، كَمَا حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ ، عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَّامَةِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَعَمَّنْ لَا أَتَهُمْ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « دَخَلُوا الْبَابَ الَّذِي أَمُرُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ سُجَّدًا ، يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ ، وَهُمْ يَقُولُونَ : حِنْطَةٌ فِي شَعِيرَةٍ » . وَقَالَ أُسْبَاطُ ^(٣) عَنِ الشُّدِّيِّ ، عَنْ مَرَّةٍ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ قَالَ : قَالُوا : (هَطَى سَمَقَانَا أَزْبَةَ مِزْبَا) فَهِيَ بِالْعَرَبِيَّةِ : حَبَّةٌ حِنْطَةٌ حَمْرَاءُ مَثْقُوبَةٌ ، فِيهَا شَعْرَةٌ سُودَاءُ . وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ عَاقَبَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْمُخَالَفَةِ بِإِرْسَالِ الرَّجْزِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ الطَّاعُونُ ، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» ^(٤) مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ ^(٥) ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعِيدٍ ، وَمِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ ^(٦) ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنِّكِيرِ وَسَالِمِ أَبِي النَّضْرِ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ هَذَا الْوَجَعُ - أَوِ السَّقَمُ - رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الْأُمَّمِ قَبْلِكُمْ » . وَرَوَى النَّسَائِيُّ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(٧) ، وَهَذَا لَفْظُهُ ، مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ،

(١) البخارى (٣٤٠٣ ، ٤٦٤١) . مسلم (٣١٠٥) . الترمذى (٢٩٥٦) .

(٢) تفسير الطبرى ٣٠٣/١ . سيرة ابن هشام ٥٣٥/١ .

(٣) التفسير ١٤٢/١ . تفسير ابن أبى حاتم ١٨٦/١ . الحاكم فى المستدرک ٣٢١/٢ . وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبى .

(٤) فى ص : «الصحيح» .

(٥) البخارى (٦٩٧٤) . مسلم (٢٢١٨) .

(٦) البخارى (٣٤٧٣) . مسلم (٢٢١٨) .

(٧) النسائى فى الكبرى (٧٥٢٣) . تفسير ابن أبى حاتم ١٨٦/١ ، ١٨٧ . (صحيح الإسناد) .

عن أبيه، وأسامة بن زيد، وحزيمة بن ثابت، قالوا: «قال رسول الله ﷺ: «الطَّاعُونَ رِجْزُ عَذَابٍ، عُذِّبَ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». و^(١) قال الضَّحَّاكُ، عن ابن عباس: الرَّجْزُ: العَذَابُ. وكذا قال مُجَاهِدٌ، وأبو مالك، والسُّدِّيُّ، والحسن، وقتادة، وقال أبو العالية: هو الغضبُ. وقال الشَّعْبِيُّ: الرَّجْزُ إمَّا الطَّاعُونَ، وإمَّا البردُ. وقال سعيدُ بنُ جبَّيرٍ: هو الطَّاعُونَ^(٢).

ولمَّا استقرَّتْ يَدُ بنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، استمروا فيه، وبين أَظْهَرِهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ يُوشَعَ، يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بَكْتَابِ اللَّهِ التَّوْرَةِ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَسَبْعٍ وَعِشْرِينَ [٢٠٤/١] سَنَةً، فَكَانَ مَدَّةَ حَيَاتِهِ بَعْدَ مُوسَى، سَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) انظر الأقوال السابقة في تفسير الطبري ١/٣٠٥، ٣٠٦. تفسير ابن أبي حاتم ١/١٨٧. التفسير ١/١٤٢.

«ذِكْرُ قِصَّتِي» الْخَضِرِ وَإِلْيَاسَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

أما الخَضِرُ، فقد تقدّم أنّ موسى، عليه السَّلَامُ، رَحَلَ إليه في طَلَبِ ما عنده من العلمِ اللدُنِّي^(١)، وقصَّ اللهُ من خبرِهِما في كتابِهِ العزيزِ، في سورةِ «الكهفِ»^(٢)، وذكرنا في تفسيرِ ذلك هُنالِكَ^(٣)، وأوردنا هنا ذِكْرَ الحديثِ^(٤) المصرِّحِ بذكرِ الخَضِرِ، عليه السَّلَامُ، وأنّ الذي رَحَلَ إليه هو موسى بنُ عِمْرانَ، نبيُّ بني إِسرائيلَ، عليه السَّلَامُ، الذي أنزِلَتْ عليه التَّورَةُ.

وقد اختلفَ في الخَضِرِ؛ في اسمِهِ، ونَسَبِهِ، ونبوَّتِهِ، وحياتِهِ إلى الآنَ، على أقوالٍ سأذكرُها لك ههنا إن شاء اللهُ تعالى وبحوْلِهِ وقوَّتِهِ.

قال الحافظُ ابنُ عساکرَ^(٥) : يقال : إنّه الخَضِرُ بنُ آدمَ، عليه السَّلَامُ، لصلْبِهِ. ثم رَوَى من طريقِ الدَّارِقُطَنِيِّ^(٦) : حدَّثنا محمدُ بنُ الفتحِ القلانيسيُّ، حدَّثنا العباسُ بنُ عبدِ اللهِ التُّرُقُفِيُّ حدَّثنا رِوَادُ بنُ الجراحِ، حدَّثنا مُقاتِلُ بنُ سُلَيْمانَ، عن الضُّحَّاكِ، عن ابنِ عباسٍ قال : الخَضِرُ ابنُ آدمَ لصلْبِهِ، ونُسِبَ له في أَجَلِهِ حتى يُكذَّبَ الدُّجَالُ. وهذا منقطعٌ وغريبٌ. وقال أبو حاتمٍ سهلُ بنُ محمدِ بنِ عثمانَ السُّجِسْتَانِيُّ : سمِعْتُ مَشِيخَتَنَا؛ منهم، أبو عبيدةَ وغيرَهُ،

(١ - ١) في م : «قصتا» .

(٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) التفسير ١٧٠/٥ - ١٨٥ .

(٤) انظر ما تقدم ص ١٦٨ .

(٥) تقدم ١٦٨ - ١٧٠ .

(٦) تاريخ دمشق ٣٩٩/١٦ .

(٧) تاريخ دمشق ٣٩٩/١٦ ، ٤٠٠ .

قالوا: إِنَّ أَطْوَلَ نَبِيٍّ آدَمَ عُمُرًا الْخَضِرُ، واسمُهُ: خَضِرُونَ بِنُ قَابِيلَ بِنِ آدَمَ^(١). قال^(٢): وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا خَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أُخْبِرَ بَيْنِهِ أَنَّ الطُّوفَانَ سَيَقَعُ بِالنَّاسِ، وَأَوْصَاهُمْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ أَنْ يَحْمِلُوا جَسَدَهُ مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ، وَأَنْ يَذْفِنُوهُ فِي مَكَانٍ عَيْتَهُ لَهُمْ. فَلَمَّا كَانَ الطُّوفَانُ، حَمَلُوهُ مَعَهُمْ، فَلَمَّا هَبَطُوا إِلَى الْأَرْضِ، أَمَرَ نُوحٌ بَيْنَهُ أَنْ يَذْهَبُوا بِبَدَنِهِ، فَيَذْفِنُوهُ حَيْثُ أَوْصَى، فَقَالُوا: إِنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ، وَعَلَيْهَا وَحْشَةٌ، فَحَرَضَهُمْ، وَحَثَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ. وَقَالَ: إِنَّ آدَمَ دَعَا لِيَن يَلِي دَفْنَهُ بِطَوِيلِ الْعُمُرِ، فَهَابُوا الْمَسِيرَ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَلَمْ يَزَلْ جَسَدُهُ عِنْدَهُمْ، حَتَّى كَانَ الْخَضِرُ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى دَفْنَهُ، وَأَنْجَزَ اللَّهُ مَا وَعَدَهُ، فَهُوَ يَحْتَجِي إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَحْتَجِيَ. وَذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي «الْمَعَارِفِ»^(٣)، عَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّ اسْمَ الْخَضِرِ بَلْيَا^(٤). وَيُقَالُ: إِبِلْيَا بِنُ مَلِكَانَ بِنِ فَالْعِ بِنِ عَابِرِ بِنِ شَالِحِ بِنِ أَرْفَخْشَدَ بِنِ سَامِ بِنِ نُوحٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بِنُ أَبِي أُوَيْسٍ^(٥): اسْمُ الْخَضِرِ، فِيمَا بَلَّغْنَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْمُعَمَّرُ بِنُ مَالِكِ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ نَصْرِ بِنِ الْأَزْدِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ خَضِرُونَ بِنُ عَمِيَايِلَ بِنِ الْيَغْزِ بِنِ الْعِيصِ بِنِ إِسْحَاقَ بِنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ. وَيُقَالُ: هُوَ أَرْمِيَا [١/٢٠٤] بِنُ حَلْقِيَا. فَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ ابْنُ فِرْعَوْنَ صَاحِبِ مُوسَى، مَلِكِ مِصْرَ. وَهَذَا غَرِيبٌ جِدًّا. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: رَوَاهُ مُحَمَّدُ بِنُ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ، وَهُمَا ضَعِيفَانُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ ابْنُ مَالِكِ، وَهُوَ أَخُو الْيَاسِ. قَالَ الشُّدِّيُّ كَمَا سَيَأْتِي.

(١) تاريخ دمشق ١٦/٤٠٠.

(٢) تاريخ دمشق ١٦/٤٠٠.

(٣) المعارف ص ٤٢.

(٤) في الأصل: «بليا».

(٥) في الأصل: «إدريس». وانظر تاريخ دمشق ١٦/٣٩٩.

وقيل: إنه كان على مُقَدِّمَةِ ذِي الْقَرْيَيْنِ. وقيل: كان ابنُ بعضِ مَنْ آمَنَ
 بإبراهيمَ الخليلِ وهاجرَ معه. وقيل: كان نبيًّا في زمنِ بشتاسبِ بنِ لهراسبِ.
 قال ابنُ جريرٍ^(١): والصَّحِيحُ أَنَّهُ كان متقدِّمًا في زمنِ أفريدونَ بنِ أثفيانَ،
 حتى أدركه موسى، عليهما السَّلامُ. وروى الحافظُ ابنُ عسَّاكرٍ^(٢)، عن
 سعيدِ بنِ المسيَّبِ أَنَّهُ قال: الحَضِرُ أُمُّهُ رُومِيَّةٌ، وأبوه فارسيٌّ.

^(٣) وقد ورد ما يدلُّ على أَنَّهُ كان من بني إسرائيلَ في زمانِ فِرْعَوْنَ أيضًا. قال أبو
 زُرْعَةَ، في «دلائلِ النُّبُوَّةِ»^(٤): حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحِ الدَّمَشْقِيِّ، حَدَّثَنَا
 الوليدُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، عن قَتَادَةَ، عن مُجَاهِدٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن
 أُتَيْبِ بْنِ كَعْبٍ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ وَجَدَ رائحةً طيبةً فقال:
 «يا جبريلُ، ما هذه الرائحةُ الطَّيِّبَةُ؟ قال: هذه ريحُ قَبْرِ الماشِطَةِ، وابنتِها»^(٥)،
 وزوجِها. وقال: «وكانَ بَدْءُ ذلكَ أَنَّ الحَضِرَ كانَ مِنْ^(٦) أَشْرَافِ بني
 إسرائيلَ، وكانَ ممْرُه يراهِبُ في صومعتهِ، فتنطَلَعُ عليه الرَّاهِبُ، فعَلِمَه الإسلامَ،
 فلَمَّا بَلَغَ الحَضِرُ، زَوَّجَه أبوه امرأةً، فعَلِمَها الإسلامَ، وأخذَ عليها أَن لا تُعَلِّمَ
 أَحَدًا، وكانَ لا يَقْرُبُ النِّساءَ، ثُمَّ طَلَّقَها، ثُمَّ زَوَّجَه أبوه بأخرى فعَلِمَها
 الإسلامَ، وأخذَ عليها أَن لا تُعَلِّمَ أَحَدًا، ثُمَّ طَلَّقَها، فكتمتُ إِحداهما»^(٧)

(١) تاريخ الطبري ١/٣٦٦.

(٢) تاريخ دمشق ١٦/٤٠٠، ٤٠١.

(٣) (٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٠)، وابن عسَّاكر في تاريخ «دمشق» ١٦/٤١٨ من طريق الوليد بن مسلم به.

(٥) في ح، م: «وابنتها». والمثبت من تاريخ دمشق. والدر المنثور ٤/٢٣٦.

(٦) (٦ - ٦) سقط من: الأصل، ص.

^(١) وَأَفْشَتْ عَلَيْهِ الْأُخْرَى، فَاَنْطَلَقَ هَارِبًا حَتَّى أَتَى جَزِيرَةً فِي الْبَحْرِ، فَأَقْبَلَ رَجُلَانِ يَحْتَطِبَانِ فَرَأَاهُ، فَكَتَمَ أَحَدُهُمَا وَأَفْشَى عَلَيْهِ الْآخَرَ، قَالَ: ^(٢) «قَدْ رَأَيْتُ الْخَضِرَ. فَقِيلَ: ^(٣) وَمَنْ رَأَاهُ مَعَكَ؟ قَالَ: فَلَانٌ. فَسُئِلَ فَكَتَمَ، وَكَانَ مِنْ دِينِهِمْ أَنَّهُ مَنْ كَذَبَ قُتِلَ، فَقُتِلَ وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ الْكَاتِمُ الْمَرْأَةَ الْكَائِمَةَ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي بِنْتِ فِرْعَوْنَ، إِذْ سَقَطَ الْمَشْطُ مِنْ يَدِهَا، فَقَالَتْ: تَعَسَ فِرْعَوْنُ. فَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا، وَكَانَ لِلْمَرْأَةِ ابْنَانِ وَزَوْجٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَزَادَ الْمَرْأَةَ وَزَوْجَهَا أَنْ يَرْجِعَا عَنْ دِينِهِمَا فَأَيًّا، فَقَالَ: إِنِّي قَاتِلُكُمْ. فَقَالَا: إِحْسَانٌ مِنْكَ إِلَيْنَا إِنْ أَنْتَ قَتَلْتَنَا أَنْ تَجْعَلَنَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ. فَجَعَلَهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ». فَقَالَ: «وَمَا وَجَدْتُ رِيحًا أَطِيبَ مِنْهُمَا، وَقَدْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ». وَقَدْ تَقَدَّمَ قِصَّةُ مَائِلَةَ ^(٤) بِنْتِ فِرْعَوْنَ، وَهَذَا الْمَشْطُ ^(٥) فِي أَمْرِ الْخَضِرِ قَدْ يَكُونُ مُدْرَجًا مِنْ كَلَامِ أُتَيْبِ بْنِ كَعْبٍ، أَوْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٦). وَقَالَ بَعْضُهُمْ ^(٧): كُنِيَّتُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ. وَالْأَشْبُهَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْخَضِرَ لَقَّبَ غَلَبَ عَلَيْهِ.

قال البخاري ^(١)، رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ؛ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بِيضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَرُ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ». تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ^(٢)، عَنْ مَعْمَرٍ بِهِ. ثُمَّ قَالَ عَبْدُ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص، وفي ح، م: «قد رأيت العزقي». والمثبت من سنن ابن ماجه.

(٣) كذا بالنسخ، ولعلها ماشطة، وقصتها لم تتقدم، بل سترد في صفحة ٢٥٥.

(٤) كذا في: النسخ. ولعلها: «البسط».

(٥) هو الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات ١/١٧٦. حيث صرح به المصنف في تفسيره ٥/١٨٤.

(٦) البخاري (٣٤٠٢).

(٧) الترمذي من طريق عبد الرزاق (٣١٥١). (صحيح الترمذي ٢٥١٩).

الرَّزَاقِ: الْفَرْوَةُ؛ الْحَشِيشُ الْأَبْيَضُ وَمَا أَشْبَهَهُ، يَعْنِي الْهَشِيمَ الْيَابِسَ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ^(١): وَقَالَ أَبُو عَمَرَ: الْفَرْوَةُ؛ الْأَرْضُ الْبِيضَاءُ، الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا، وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ الْهَشِيمُ الْيَابِسُ، سَبَّهَهُ بِالْفَرْوَةِ، وَمِنْهُ قِيلَ: فَرْوَةُ الرَّأْسِ. وَهِيَ جِلْدَتُهُ بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الشَّعْرِ كَمَا قَالَ الرَّاعِي^(٢):

وَلَقَدْ تَرَى الْحَبَشِيَّ^(٣) حَوْلَ يُوتِنَا^(٤) جَذَلًا^(٥) إِذَا مَا نَالَ يَوْمًا مَأْكَلًا

صَعِلًا أَسَكَّ^(٦) كَأَنَّ فَرْوَةَ رَأْسِهِ^(٧) بُدِرَتْ فَأَنْبَتَ جَانِبَاهُ^(٨) فَلُقْلًا

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ^(٩): إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا؛ لِحُسْنِهِ وَإِشْرَاقِ وَجْهِهِ.

قلت: هذا لا يُنَافِي مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»^(١٠)، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ مِنَ التَّعْلِيلِ بِأَحَدِهِمَا، فَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» أَوْلَى وَأَقْوَى، بَلْ لَا يُتَّفَقُ إِلَى مَا عَدَاهُ. وَقَدْ رَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(١١) هَذَا الْحَدِيثَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ^(١٢) أَبِي إِسْمَاعِيلَ^(١٣) حَفْصِ بْنِ عُمَرَ الْأَنْبَلِيِّ، حَدَّثَنَا عِثْمَانُ، وَأَبُو جَزِيٍّ، وَهَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَوْفَلٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا؛ لِأَنَّهُ صَلَّى عَلَى فَرْوَةٍ بِيضَاءَ، فَاهْتَزَّتْ خَضِرًا». وَهَذَا غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَقَالَ قَبِيصَةُ، عَنِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ

(١) انظر تاريخ دمشق ٤٠٢/١٦.

(٢) البيتان في ديوان الراعي النميري ص ٢١٨.

(٣-٣) في الديوان: «وهو يصكها».

(٤) في الديوان: «أشرا».

(٥-٥) في م: «جعدا أصك». وفي الديوان: «وسم الثياب».

(٦-٦) في الديوان: «زرعت فأنبت جانباها».

(٧) تاريخ دمشق ٢٠٤/١٦.

(٨) في الأصل: «الحديث».

(٩) تاريخ دمشق ٤٠١/١٦، ٤٠٢.

(١٠-١٠) في م، ص: «إسماعيل بن».

منصور، عن مُجاهد، قال: إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى اخْضَرَ مَا حَوْلَهُ ^(١). وتقدّم ^(٢) أَنَّ مُوسَى، وَيُوشَعَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لَمَّا رَجَعَا بِقُضَانَ الْأَثَرِ، وَجَدَاهُ عَلَى طَيْفَسِيَّةٍ ^(٣) خَضِرَاءَ، عَلَى كَيْدِ الْبَحْرِ، وَهُوَ [٢٠٥/١] مُسَجَّجِي بِشُوبٍ، قَدْ جُعِلَ طَرْفَاهُ مِنْ تَحْتِ رَأْسِهِ وَقَدَمَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، فَرَدُّ وَقَالَ: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ! مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا قَصَّه اللَّهُ فِي كِتَابِهِ عَنْهُمَا.

وقد دلَّ سياقُ القِصَّةِ عَلَى نُبُوَّتِهِ مِنْ وَجْهِهِ؛ أَحَدُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. الثَّانِي، قَوْلُ مُوسَى لَهُ: ﴿هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ٦٩ قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٦٦-٧٠]. فلو كان وليًّا وليس نبيًّا، لم يُخاطبهُ مُوسَى بِهَذِهِ الْمُخَاطَبَةِ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَى مُوسَى هَذَا الرَّدُّ، بَلِ مُوسَى إِنَّمَا سَأَلَ صُحْبَتَهُ لِيُنَالَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ، الَّذِي اخْتَصَّهُ اللَّهُ بِهِ دُونَهُ، فَلَوْ كَانَ غَيْرَ نَبِيٍّ لَمْ يَكُنْ مَعْصُومًا، وَلَمْ يَكُنْ لِمُوسَى - وَهُوَ نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَرَسُولٌ كَرِيمٌ، وَاجِبُ الْعِصْمَةِ - كَبِيرُ رَغْبَةٍ، وَلَا

(١) تاريخ دمشق ٤٠٢/١٦. من طريق قبصة به.

(٢) تقدم ص ١٦٩ في قصة الخضر وموسى.

(٣) أي نمرقة.

عَظِيمٌ طَلِبَةٌ فِي عِلْمٍ وَلِيٍّ غَيْرٍ وَاجِبِ الْعِصْمَةِ ، وَمَا عَزَمَ عَلَى الذَّهَابِ إِلَيْهِ ،
والتفتيش عليه ، ولو أنه يَمْضِي حُقُبًا مِنَ الزَّمَانِ ، قِيلَ : ثَمَانِينَ سَنَةً . ثُمَّ لَمَّا اجْتَمَعَ
به ، تَوَاضَعَ لَهُ ، وَعَظَّمَهُ ، وَأَتْبَعَهُ فِي صُورَةٍ مُسْتَفِيدٍ مِنْهُ ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ نَبِيُّ مِثْلِهِ ،
يُوحَى إِلَيْهِ كَمَا يُوحَى إِلَيْهِ ، وَقَدْ خُصَّ مِنَ الْعُلُومِ اللَّدُنِيَّةِ ، وَالْأَسْرَارِ التَّبَوُّيَّةِ بِمَا لَمْ
يُطَّلِعِ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى الْكَلِيمَ ، نَبِيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكَرِيمَ ، وَقَدْ احْتَجَّ بِهَذَا الْمَسْلُوكِ
بِعَيْنِهِ الرَّمَّانِيُّ ، عَلَى نُبُوَّةِ الْخَضِرِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ . الثَّالِثُ ، أَنَّ الْخَضِرَ أَقْدَمَ عَلَى
قَتْلِ ذَلِكَ الْغَلَامِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِلْوَحْيِ إِلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ . وَهَذَا دَلِيلٌ
مُسْتَقِيلٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ ، وَبِرَهَانٍ ظَاهِرٍ عَلَى عِصْمَتِهِ ؛ لِأَنَّ الْوَلِيَّ لَا يَجُوزُ لَهُ الْإِقْدَامُ
عَلَى قَتْلِ النَّفْسِ بِمَجْرُودٍ مَا يُلْقَى فِي خَلْدِهِ ، لِأَنَّ خَاطِرَهُ لَيْسَ بِوَاجِبِ الْعِصْمَةِ ؛
إِذْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ بِالِاتِّفَاقِ . وَمَا أَقْدَمَ الْخَضِرَ عَلَى قَتْلِ ذَلِكَ الْغَلَامِ ، الَّذِي لَمْ
يَبْلُغِ الْحُلُمَ ، عَلِمًا مِنْهُ بِأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ يَكْفُرُ ، وَيَحْمِلُ أَبُوهُ عَلَى الْكُفْرِ ؛ لِشِدَّةِ
مُحِبَّتِهِمَا لَهُ ، فَيَتَابَعَانِهِ عَلَيْهِ ، فَفِي قَتْلِهِ مَصْلَحَةٌ عَظِيمَةٌ تَزُبُّو عَلَى بَقَاءِ مُهْجَتِهِ ؛
صِيَانَةٌ لِأَبُوهِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ وَعَقُوبَتِهِ ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى نُبُوَّتِهِ ، وَأَنَّهُ مُؤَيَّدٌ مِنَ
اللَّهِ بِعِصْمَتِهِ . وَقَدْ رَأَيْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْفَرَجِ ابْنَ الْجَوْزِيِّ طَرَّقَ هَذَا الْمَسْلُوكَ بِعَيْنِهِ
فِي الْاِحْتِجَاجِ عَلَى نُبُوَّةِ الْخَضِرِ وَصَحَّحَهُ . وَحَكَى الْاِحْتِجَاجَ عَلَيْهِ الرَّمَّانِيُّ
أَيْضًا . الرَّابِعُ ، أَنَّهُ لَمَّا فَسَّرَ الْخَضِرُ تَأْوِيلَ تِلْكَ الْأَفَاعِيلِ لِمُوسَى ، وَوَضَّحَ لَهُ عَنِ
حَقِيقَةِ أَمْرِهِ ، وَجَلَّى ، قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ : ﴿ رَحْمَةً [٢٠٥/١] ظ] مِّن رَّبِّكَ وَمَا
فَعَلْتَهُ عَن أَمْرِي ﴾ يَعْنِي : مَا فَعَلْتَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي ، بَلْ أَمَرْتُ بِهِ ، وَأَوْجِىءُ إِلَيَّ
فِيهِ ، فَدَلَّتْ هَذِهِ الْوُجُوهُ عَلَى نُبُوَّتِهِ . وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ حُصُولُ وَلايَتِهِ ، بَلْ وَلَا
رِسَالَتِهِ ، كَمَا قَالَ آخَرُونَ . وَأَمَّا كَوْنُهُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَغَرِيبٌ جِدًّا . وَإِذَا
تَبَيَّنَتْ نُبُوَّتُهُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، لَمْ يَتَّقَ لِمَنْ قَالَ بِوَلَايَتِهِ - وَأَنَّ الْوَلِيَّ قَدْ يَطَّلِعُ عَلَى

حقيقة الأمور دون أرباب الشُّرع الظَّاهر - مُسْتَنَدٌ يَسْتَنْدُونَ إِلَيْهِ ، وَلَا مُعْتَمَدٌ
يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ .

وأما الخلافُ في وجوده إلى زماننا هذا ، فالجمهورُ على أنه باقٍ إلى اليوم ،
قيل : لأنه دَفَنَ آدَمَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الطُّوفَانِ ، فَنَالَتْهُ دَعْوَةُ أَبِيهِ آدَمَ بِطَوْلِ
الحياة . وقيل : لأنه شَرِبَ مِنْ عَيْنِ الحَيَاةِ فَحَيِيَ .

وَذَكَرُوا أَحْبَابًا اسْتَشْهَدُوا بِهَا عَلَى بَقَائِهِ إِلَى الْآنَ ، وَسُورِدُهَا مَعَ غَيْرِهَا ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبِهِ الثَّقَةُ . وَهَذِهِ وَصِيَّتُهُ لِمُوسَى حِينَ ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي
وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٧٨] . رُوي فِي
ذَلِكَ أَنَاذَرُ مُنْقَطِعَةً كَثِيرَةً . قَالَ البَيْهَقِيُّ ^(١) : أَنبَأَنَا أَبُو سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّفَّارُ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ،
حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ المَلَطِيُّ ، قَالَ : لَمَّا أَرَادَ مُوسَى أَنْ يُفَارِقَ الخَضِرَ ،
قَالَ لَهُ مُوسَى : أَوْصِنِي . قَالَ : كُنْ نَفَاعًا وَلَا تَكُنْ ضَرًّا ، كُنْ بَشَاشًا وَلَا تَكُنْ
غَضْبَانًا ، ارْجِعْ عَنِ اللُّجَاجَةِ ، وَلَا تَمْشِ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ . وَفِي رِوَايَةٍ مِنْ طَرِيقِ
أُخْرَى زِيَادَةٌ : وَلَا تَضْحَكُ إِلَّا مِنْ عَجَبٍ ^(٢) . وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ ^(٣) : قَالَ
الخَضِرُ : يَا مُوسَى ، إِنَّ النَّاسَ مَعْدَبُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدْرِ هُمُومِهِمْ بِهَا . وَقَالَ
بِشْرُ بْنُ الحَارِثِ الحَافِي ^(٤) : قَالَ مُوسَى لِلخَضِرِ : أَوْصِنِي . فَقَالَ : يَسِّرْ ^(٥) اللَّهُ

(١) فِي ح : « السَّهْلِيُّ » .

وَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ البَيْهَقِيِّ ، ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٦/٤١٥ ، ٤١٦ .

(٢) تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٦/٤١٦ . الزَّهْدُ لِأَحْمَدَ ٦١ .

(٣) تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٦/٤١٦ .

(٤) تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٦/٤١٦ ، ٤١٧ .

(٥) فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ : « سَتْر » .

عليك طاعته. وقد ورد في ذلك حديث مرفوع، رواه ابن عساکر^(١)، من طريق زكريا بن يحيى الوقار^(٢)، إلا أنه من الكذابين الكبار. قال: قرئ على عبد الله بن وهب، وأنا أسمع، قال الثوري: قال مجالد: قال أبو الوداك: قال أبو سعيد الخدري: قال عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال أخى موسى: يارب. ذكر كلمة^(٣)، فأثاه الخضر، وهو فتى طيب الريح، حسن بياض الثياب، مشمرها، فقال: السلام عليك ورحمة الله يا موسى بن عمران، إن ربك يقرأ عليك السلام. قال موسى: هو السلام، وإليه السلام، والحمد لله رب العالمين، الذى لا أحصى نعمته، ولا أقدر على أداء شكره إلا بمعونته. ثم قال موسى: أريد أن توصيتى بوصية، ينفعى الله بها بعدك. فقال الخضر: يا طالب [٢٠٦/١] العلم، إن القائل أقل ملامة^(٤) من المستمع، فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم، واعلم أن قلبك وعاء فانظر ماذا تحشو به وعاءك؟ واعزف عن الدنيا وانبذها ورائك، فإنها ليست لك بدار، ولا لك فيها محل قرار. وإنما جعلت بلعة للعباد، والتزود منها ليوم المعاد. ورض نفسك على الصبر، تخلص من الإثم، يا موسى، تفرغ للعلم^(٥) إن كنت تريد، فأما العلم لمن تفرغ له، ولا تكن مكثارا بالمنطق^(٦) مهذارا^(٧)؛ فإن كثرة المنطق تشين

(١) فى تاريخ دمشق ١٦/٤١٤، ٤١٥.

(٢) فى ح: «الوتار». وفى م: «الوقاد»، انظر الإكمال لابن ماكولا ٧/٣٩٦. والكامل فى الضعفاء لابن عدى ٣/١٠٧١، ١٠٧٢.

(٣) فى م: «كلمته».

(٤) فى ح، م: «ملامة».

(٥ - ٥) سقط من: ص.

(٦) فى الأصل: «للعلم». وفى ح، م: «بالعلم».

(٧) فى م: «مهذارا».

العلماء، وتُبدي مساوئ الشخفاء، ولكن عليك بالاعتصام، فإن ذلك من التوفيق والسداد. وأعرض عن الجهال وباطلهم^(١)، واحلم عن السفهاء، فإن ذلك فعل الحكماء، وزهن العلماء، إذا شتمك الجاهل فاسكت عنه جلماً، وجازبه خزماً؛ فإن ما بقى من جهله عليك، وسبه إياك، أكثر وأعظم. يا بن عمران، ولا تر أنك أوتيت من العلم إلا قليلاً؛ فإن الاندلاث^(٢) والتعسف، من الاقبح والتكلف. يا بن عمران، لا تفتحن باباً لا تدري ما غلقه، ولا تغلقن باباً لا تدري ما فتحه. يا بن عمران من لا تنتهي من الدنيا نهمته، ولا تنقضي منها رغبته^(٣) كيف يكون عبداً؟! ومن يحقر حاله ويتهم الله فيما قضى له، كيف يكون زاهداً؟! هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه، أو ينفعه طلب العلم، والجهل قد حواه؛ لأن سعيه إلى آخرته وهو مقبل على دنياه؟! يا موسى، تعلم ما تعلمت لتعمل به، ولا تعلمه لتحدث به، فيكون عليك بواره ولغيرك نوره. يا موسى بن عمران، اجعل الزهد والتقوى لباسك، والعلم والذكر كلامك، واستكثر من الحسنات، فإنك مصيب السيمات، وزغزغ بالخوف قلبك، فإن ذلك يرضى ربك، واعمل خيراً فإنك لا بد عامل سوءاً. قد وعظت إن حفظت». قال: «فتولى الخضر، وبقى موسى مخزوناً مكروباً يتكى».

لا يصح هذا الحديث^(٤)، وأظنه من صنعة زكريا بن يحيى الوقار^(٥)

(١) في ح، م: «باطلهم».

(٢) الاندلاث: التقدم بلا فكرة ولا روية. اللسان (د ل ث).

(٣ - ٢) سقط من: ح، م.

(٤) انظر تنزيه الشريعة لابن عراق ١/٢٤٣، ٢٤٤.

(٥) في م: «الوقاد». وانظر ص ٢٥١ حاشية (٢).

المصري، كذبه غير واحد^(١)، والعجب أن الحافظ ابن عساكر سكت عنه. وقال الحافظ أبو^(٢) نعيم الأصبهاني^(٣): حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي، حدثنا محمد بن الفضل بن عمران الكندي، حدثنا بقيق بن الوليد، عن محمد بن زياد، عن أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «ألا أحدثكم عن الخضير؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: [٢٠٦/١ ظ] «بينما هو ذات يوم يمشى في سوق بني إسرائيل، أبصره رجل مكاتب، فقال: تصدق علي، بارك الله فيك. فقال الخضير: آمنت بالله، ما شاء الله من أمر يكون، ما عندي من شيء أعطيته. فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدقت علي، فأني نظرت السماء^(٤) في وجهك، ورجوت البركة عندك. فقال الخضير: آمنت بالله، ما عندي شيء أعطيته، إلا أن تأخذني فتبيعي. فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم، الحق أقول لك، لقد سألتني بأمر عظيم، أما إني لا أخيبك بوجه ربي، يعني. قال: فقدّمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم، فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء؛ فقال له: إنك إنما ابتعتني التماس خير عندي، فأوصني بعمل. قال: أكره أن أسق عليك، إنك شيخ كبير ضعيف. قال: ليس تسق علي. قال: فانقل هذه الحجارة. وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم، فخرج الرجل لبعض حاجته، ثم انصرف وقد نقل

(١ - ١) سقط من: ح، م.

(٢) في الأصل: «ابن».

(٣) ومن طريقه أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١٧/١٦، ٤١٨. وأخرجه الطبراني شيخ أبي نعيم في المعجم الكبير (٧٥٣٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٣/٨: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون، إلا أن فيه بقيق بن الوليد، وهو مدلس. وزاد في موضع آخر ١٠٣/٣... ولكنه ثقة.

(٤) في م، ص: «إلى السماء».

الحجارة في ساعة. فقال: أحسنت وأجملت، وأطقت ما لم أرك تطيقه. ثم
عَرَضَ للرجلِ سَفَرًا فقال: إني أحسبك أمينًا، فاخلُفني في أهلي خلافةً حسنةً.
قال: فأوصني بعمل. قال: إني أكره أن أشق عليك. قال: ليس تشق علي.
قال: فاضرب من اللبن لبتي حتى أقدم عليك. فمضى الرجل لسفريه، فرجع
وقد شيد بناءه. فقال: أسألك بوجه الله ما سببك^(١) وما أمرك؟ فقال: سألتني
بوجه الله، والتسؤال بوجه الله أوقعني في العبودية، سأخبرك من أنا، أنا الخضر
الذي سمعت به^(٢)، سألتني مسكين صدقة، فلم يكن عندي شيء أعطيته،
فسألتني بوجه الله فأمكنته من رقتي، فباعني، وأخبرك أنه من سئل بوجه الله،
فرد سائله وهو يقدر، وقف يوم القيامة؛ جلده لا لحم له، ولا عظم يتعقق.
فقال الرجل: آمنت بالله، شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم. فقال: لا بأس،
أحسنت وأبقيت. فقال الرجل: بأبي وأمي يا نبي الله، احكم في أهلي ومالي
بما أراك الله، أو أخبرك فأخلى سبيلك. فقال: أحب أن تخلى سبيلي فأعبد
ربي. فخلى سبيله، فقال الخضر: الحمد لله الذي أوقعني في العبودية ثم نجاني
منها. وهذا حديث رفعه خطأ، والأشبه أن يكون موقوفًا، وفي رجاله من لا
يعرف. فالله أعلم.

وقد رواه ابن الجوزي، في كتابه «عجالة المنتظر في شرح حال الخضر»
من طريق عبد الوهاب بن الضحاك [٢٠٧/١]، وهو متروك^(٣) عن بقرته^(٤). وقد

(١) في م: «سبيلك».

(٢) سقط من: ح.

(٣ - ٣) في الأصل: «غير ثقة».

روى الحافظ ابن عساكر^(١)، بإسناده إلى الشدّي، أنّ الحَضِرَ واليَاسَ كانا
 أَخَوَيْنِ، وكان أبوهما مَلِكًا، فقال إلياس لأبيه: إنّ أختي الحَضِرَ لا رغبةَ له في
 المَلِكِ، فلو أنّك زوّجته؛ لعلّه يَجِيءُ منه ولدٌ يكونُ المَلِكُ له. فزوّجه أبوه بامرأة
 حسناء بِكْرٍ، فقال لها الحَضِرُ: إنّهُ لا حاجةَ لي في النِّسَاءِ، فإنّ شئتِ أطلقتُ
 سَراحَكَ، وإنّ شئتِ أقمتِ معي تَعْبُدِينَ اللَّهَ، عزّ وجلّ، وتكثمين عليّ سِرِّي.
 فقالت: نعم. وأقامت معه سنةً، فلما مضتِ السَّنَةُ دعاها المَلِكُ فقال: إنّكِ
 شائبةٌ وابني شابٌّ، فأين الولدُ؟ فقالت: إنّما الولدُ من عندِ اللَّهِ، إنّ شاءَ كان،
 وإنّ لم يشأْ لم يكن. فأمره أبوه فطلّقها، وزوّجه أُخْرَى تَيْبًا قد وُلِدَ لها، فلما
 زُفّت إليه، قال لها كما قال لَلَّتِي قبلها، فأجابته إلى الإقامةِ عنده، فلما مضتِ
 السَّنَةُ، سأَلها المَلِكُ عن الولدِ، فقالت: إنّ ابنتك لا حاجةَ له في النِّسَاءِ. فَتَطَلَّبَهُ
 أبوه فَهَرَبَ، فأزسَل وراءه. فلم يقدروا عليه، فيقال: إنّهُ قَتَلَ المرأةَ الثَّانِيَةَ،
 لكونها أفسَتْ سرّه^(٢)، فَهَرَبَ مِنْ أَجْلِ ذلك، وأُطْلِقَ سَراحَ الأُخْرَى، فأقامت
 تَعْبُدُ اللَّهَ في بعضِ نواحي تلك المدينة، فمرّ بها رجلٌ يومًا، فسمِعته يقول:
 بِسْمِ اللَّهِ. فقالت له: أنّي لك هذا الاسمُ؟ فقال: إنّني من أصحابِ الحَضِرِ.
 فَتَزَوَّجته، فولدت له أولادًا، ثم صار من أمرها أنّ صارت ماشِطَةَ بنتِ فِوَعُونَ،
 فينما هي يومًا تُمَشِّطُها؛ إذ وَقَعَ المُشْطُ مِنْ يديها، فقالت: بِسْمِ اللَّهِ. فقالتِ
 ابنةُ فِوَعُونَ: أُمِّي؟ فقالت: لا، رَبِّي وربُّكَ وربُّ أبيك، اللَّهُ. فأعلمتْ أباهَا،
 فأمرَ بِبِقَرَةٍ^(٣) مِنْ نُحَاسٍ، فأَحْمِيَتْ، ثم أُمرَ بها، فألْقِيَتْ فيه، فلما عاينتْ

(١) تاريخ دمشق ٤١٨/١٦ - ٤٢٠. وقد ذكره ابن كثير هنا بمعناه لا بلفظه.

(٢) الذي قتل المرأة لأنها أفسدت سرّ ولده؛ هو الملك والد الحضر، كما في تاريخ دمشق مفصلاً.

(٣) في م، ص: «بنقرة». والبقرة: قنّز واسعة كبيرة. تاج العروس (ب ق ر).

ذلك ، تقاعستُ أنْ تقعَ فيها ، فقال لها ابنُ معها صغيرٌ : يا أمُّه ، اضيرى فإنك على الحقِّ . فألقتْ نفسها فى النارِ ، فماتتْ ، رَحِمَهَا اللهُ تعالى .

وقد رَوَى ابنُ عساکر^(١) ، عن أبى داودَ الأعمى نُفيع ، وهو كذّابٌ وضاعٌ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، ومن طريقِ كثيرٍ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ عوفٍ ، وهو كذّابٌ أيضاً ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّ الخَضِرَ جاء ليلةَ فسَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ كلامه^(٢) وهو يدعُو ويقولُ : اللهم أعِنِّي على ما يُتَجَنَّبُ مما خَوَّفْتَنِي ، وازرُقْنى شوقَ الصّالحينِ إلى ما شوقْتَهُمْ إليه . فبعثَ إليه رسولُ اللهِ أنسُ بنُ مالكٍ ، فسَلَّمَ عليه ، فردَّ عليه السّلامَ ، وقال له : قُلْ له : إنّ اللهَ فضّلَكَ على الأنبياءِ ، كما فضّلَ شهرَ رمضانَ على سائرِ الشُّهورِ ، وفضّلَ أمّتَكَ على الأممِ ، [٢٠٧/١ ظ] كما فضّلَ يومَ الجُمُعَةِ على غيره . الحديث ، وهو مكذوبٌ ، لا يصحُّ سندًا ولا متنًا ؛ كيف لا يتمثّلُ بين يدَيِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ويَجِيءُ بنفسِه مُسلّمًا ومتعلّمًا ، وهم يذكّرون فى حكاياتهم ، وما يُشْنِدُونَه عن بعضِ مشايخهم ، أنّ الخَضِرَ يأتى إليهم ، ويسلّمُ عليهم ، ويعرِفُ أسماءهم ومنازلهم ومحلّهم ، وهو مع هذا لا يعرِفُ موسى بنَ عمرانَ ، كليّمَ الله الذى اصطفاه اللهُ فى ذلك الزّمانِ على من سواه ، حتى يتعرّفَ إليه بأنّه موسى بنى إسرائيلَ . وقد قال الحافظُ أبو الحسينِ ابنُ المنادى بعد إيرادِه حديثِ أنسٍ هذا : وأهلُ الحديثِ مُتَّفِقون على أنّه حديثٌ مُنكَرُ الإسنادِ ، سَقِيمُ المتنِ ، يَبَيِّنُ فيه أثرُ الصَّنَعَةِ . فأما الحديثُ الذى رواه

(١) تاريخ دمشق ٤٢٣/١٦ ، ٤٢٤ . وساقه ابن كثير هنا بتصريف مختصرًا . وانظر الموضوعات لابن الجوزى ١٩٣/١ - ١٩٥ .
(٢) سقط من : م .

الحافظ أبو بكر البيهقي^(١)، قائلًا: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر ابن بالويه، حدثنا محمد بن بشر بن مطير، حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك، قال: لما قبض رسول الله ﷺ، أخذق به أصحابه، فبكوا حوله، واجتمعوا، فدخل رجل أشهب اللحية، جسيم، صبيح، فتخطى رقابهم فيكى، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: إن في الله عزاء من كل مضية، وعوضًا من كل فائت، وخلفًا من كل هالك، فإلى الله فاتيوا، وإليه فارغوا، وتظروه إليكم في البلاء فانظروا، فإن المصاب من لم يُعجز. وانصرف^(٢)، فقال بعضهم لبعض: تعرفون الرجل؟ فقال أبو بكر، وعلي: نعم، هذا أخو رسول الله ﷺ، الخضر عليه السلام^(٣). وقد رواه أبو بكر ابن أبي الدنيا^(٤)، عن كامل بن طلحة به^(٥)، وفي مثله مخالفة لسياق البيهقي، ثم قال البيهقي^(٦): عباد بن عبد الصمد ضعيف، وهذا منكر بمره. قلت: عباد بن عبد الصمد هذا، هو أبو معمر البصري؛ روى عن أنس نسخة. قال ابن حبان والعقيلي^(٧): أكثرها موضوع. وقال البخاري^(٨): منكر الحديث. وقال أبو حاتم^(٩): ضعيف الحديث جدًا منكره.

-
- (١) في دلائل النبوة ٢٦٩/٧. والحاكم في المستدرک ٥٨/٣، ومن طريق البيهقي، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢٤/١٦.
(٢) سقط من: ح.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة بسنده ٣١٦/٢.
(٥) سقط من: الأصل.
(٦) دلائل النبوة ٢٦٩/٧.
(٧) في الأصل، ح، م: ابن ع.
(٨) انظر المجروحين لابن حبان ١٧١/٢. والضعفاء الكبير ١٣٩/٣.
(٩) في التاريخ الكبير ٤١/٦.
(١٠) في المرح والتعديل ٨٢/٦.

وقال ابن عَدِيٍّ^(١) : عامَّةُ ما يَزُوِيه في فضائلِ عليٍّ ، وهو ضعيفٌ ، غالي في التشييع .

وقال الشافعي في « مسنده »^(٢) : أخبرنا القاسمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه عليِّ بنِ الحسينِ ، قال : لما تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ ، وجاءتِ التَّعْزِيَةُ ، سَمِعُوا قائلاً يقولُ : إنَّ في اللهِ عزاءً مِن كُلِّ مصيبةٍ ، وخُلُفاً مِن كُلِّ هالكٍ ، ودَرْكاً مِن كُلِّ فائتٍ ، فباللهِ فثَقُوا ، وإياه فارجُوا ، فَإِنَّ المصابَ مِن حُرْمِ الثَّوابِ . قال عليُّ بنُ الحسينِ : أتدرون [١ / ٢٠٨] من هذا ؟ هذا الخَضِرُ . شيخُ الشافعيِّ القاسمُ العُمَريُّ متروكٌ . قال أحمدُ ابنُ حنبلٍ ، ويحيى بنُ مَعِينٍ^(٣) : يَكْذِبُ . زاد أحمدُ : وَيَضَعُ الحديثَ^(٤) . ثم هو مرسلٌ ، ومثله لا يُعْتَمَدُ عليه ههنا . واللهُ أعلمُ .

وقد رُوِيَ مِن وجهٍ آخرٍ ضعيفٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن أبيه ، عن عليٍّ^(٥) . ولا يصحُّ .

وقد رَوَى عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ^(٦) ، عَمَّن حَدَّثَهُ ، عن محمدِ بنِ عَجَلَانَ ، عن محمدِ بنِ المُثَكِّيرِ ، أَنَّ عمرَ بنَ الخطابِ بينما هو يُصَلِّي على جنازةٍ ؛ إِذْ سَمِعَ هاتفاً وهو يقولُ : لَا تَسْبِقُنَا يَرْحَمُكَ اللهُ . فانتظره حتى لَحِقَ بالصفِّ ، فَذَكَرَ دعاءَهُ للميتِ ؛ إِنَّ تُعَذِّبُهُ فكثيراً عصاك ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُ ففقيهٌ إلى رحمتِكَ . ولَمَّا

(١) في الكامل في الضعفاء ٤ / ١٦٤٨ .

(٢) ترتيب مسند الشافعي ١ / ٢١٦ . ومن طريق الشافعي أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧ / ٢٦٨ .

(٣) كتاب المجروحين لابن حبان ٢ / ٢١٢ . وتهذيب الكمال ٢٣ / ٣٧٧ .

(٤) في دلائل النبوة للبيهقي ٧ / ٢٦٧ مطولاً .

(٥) تاريخ دمشق ١٦ / ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

ذُفِنَ قَالَ : طُوِيَتْ لَكَ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ ، إِنَّ لَمْ تَكُنْ عَرِيفًا ، أَوْ جَانِبًا ، أَوْ خَازِنًا ، أَوْ كَاتِبًا ، أَوْ شُرْطِيًّا . فَقَالَ عَمْرٌ : خَذُوا الرَّجُلَ نَسْأَلُهُ عَنْ صَلَاتِهِ وَكَلَامِهِ عَمَّنْ هُوَ . قَالَ : فَتَوَارَى عَنْهُمْ ، فَتَنظَرُوا فَإِذَا أَثَرُ قَدَمِهِ ذِرَاعٌ . فَقَالَ عَمْرٌ : هَذَا وَاللَّهِ الْخَضِرُ الَّذِي حَدَّثْنَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَهَذَا الْأَثَرُ فِيهِ مُبَهِّمٌ ، وَفِيهِ انْقِطَاعٌ ، وَلَا يَصِحُّ مِثْلُهُ .

وَرَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ ^(١) ، عَنِ الثَّوْرِيِّ ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرَّزِيِّ ^(٢) ، عَنِ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ ، عَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ الطَّوْفَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ مُتَعَلِّقٍ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا مَنْ لَا يَمْنَعُهُ سَمْعٌ عَنِ سَمْعٍ ، وَيَا مَنْ لَا تُغْلِظُهُ الْمَسَائِلُ ، وَيَا مَنْ لَا يُبْرِئُهُ إِلَّا الْحَاحُ الْمَلِيْحِينَ ، وَلَا مَسْأَلَةَ السَّائِلِينَ ، ارزُقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحِلَاوَةَ رَحْمَتِكَ . قَالَ : فَقُلْتُ : أَعِدْ عَلَيَّ مَا قُلْتَ . فَقَالَ لِي : أَوْ سَمِعْتَهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ لِي : وَالَّذِي نَفْسُ الْخَضِرِ بِيَدِهِ - قَالَ : وَكَانَ هُوَ الْخَضِرُ - لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ خَلْفَ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ ؛ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبِيهِ ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ ^(٣) ، « وَوَرَقِ الشَّجَرِ » ^(٤) ، وَعَدَدِ النُّجُومِ ؛ لَغَفَرَهَا اللَّهُ لَهُ . وَهَذَا ضَعِيفٌ مِنْ جِهَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرَّزِيِّ ؛ فَإِنَّهُ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ لَمْ يُدْرِكْ عَلِيًّا . وَمِثْلُ هَذَا لَا يَصِحُّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو

(١) تاريخ دمشق ٤٢٦/١٦ . ورواه ابن الجوزي في الموضوعات ١٩٨/١ من طريق سفيان الثوري ،

وقال : هذا حديث لا يصح . وانظر تنزيه الشريعة ٢٣٥/١ .

(٢) في م : « محرز » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/١٦ .

(٣) بعده في تاريخ دمشق : « ورمل عالج » .

(٤) سقط من : الأصل .

إسماعيل الترميذي^(١) : حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا صالح بن أبي الأسود ، عن محفوظ بن عبد الله الحضرمي ، عن محمد بن يحيى ، قال : بينما علي بن أبي طالب يطوف بالكعبة ، إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة ، وهو يقول : يا مَنْ لا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عن سَمْعٍ ، ويا مَنْ لا يُغْلِطُهُ السَّائِلُونَ ، ويا مَنْ لا يَبْرَهُمُ بِالْحَاحِ الْمَلْحِينِ ، أذْقَنِي بَرْدَ عَفْوِكَ ، وحلاوة رحمتك . قال : فقال له علي : يا عبد الله ، أَعِدْ دُعَاءَكَ هذا . قال : وقد سمعته ؟ [٢٠٨/١ ط] قال : نعم . قال : فاذعُ به في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ، فوالذي نفس الحضير بيده ، لو كان عليك من الذُّنُوبِ عددُ نجومِ السَّمَاءِ ومطرِها ، وحصباءِ الأرضِ وثرايها ، لَغَفِرَ لك أَسْرَعُ مِن طَرْفَةِ عَيْنٍ . وهذا أيضًا منقطعٌ ، وفي إسناده مَنْ لا يُعْرَفُ . واللَّهُ أَعْلَمُ .

وقد أوردَه ابنُ الجوزي^(٢) ، من طريقِ أبي بكرِ ابنِ أبي الدنيا : حدثنا يعقوبُ بنُ يوسفَ ، حدثنا مالكُ بنُ إسماعيلَ ، فذكرَ نحوه . ثم قال : وهذا إسنَادٌ مجهولٌ منقطعٌ ، وليس فيه ما يدلُّ على أنَّ الرَّجُلَ الحَضِرُ .

وقال الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكر^(٣) : أنبأنا أبو القاسمِ بنُ الحَصِينِ ، أنبأنا أبو طالبٍ محمدُ بنُ محمدٍ ، أنبأنا أبو إسحاقَ المَرْكَبِيُّ^(٤) ، حدثنا محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ حُزَيْمَةَ ، حدثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ زَيْدٍ^(٥) ، أمَّله علينا بعبَّادانَ ، أنبأنا عمرو بنُ عاصمٍ ، حدثنا الحسنُ بنُ رَزِينٍ^(٦) ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطائٍ ، عن

(١) في الأصل : «البيزدي» .

وقد أخرجه من طريق أبي إسماعيل الترمذي ، ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢٦/١٦ .

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣٢٠/٢ من طريق ابن أبي الدنيا .

(٣) تاريخ دمشق ٤٢٦/١٦ ، ٤٢٧ . ورواه ابن الجوزي في الموضوعات ١/١٩٥ .

(٤) في الأصل : «الزلي» .

(٥) في م : «يزيد» .

(٦) في م : «زريق» .

ابن عباس - قال : ولا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ - قال : « يلتقى الخضر واليباس كل عام في الموسم ، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات : بسم الله ما شاء الله ، لا يشوق الخير إلا الله ، ما شاء الله ، لا يضرِفُ الشرُّ إلا الله ، ما شاء الله ، ما كان من نعمةٍ فمن الله ، ما شاء الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله » . قال : وقال ابن عباس : من قالهنَّ حين يُصبحُ وحين يُمسي ثلاثَ مراتٍ ، آمنه الله من العرق ، والحرق ، والسرق . قال : وأحسبه قال : ومن الشيطان ، والسلطان ، والحية ، والعقرب .

قال الدارقطني في « الأفراد » : هذا حديثٌ غريبٌ من حديث ابن جرير ، لم يُحدِّث به غيرُ هذا الشيخ عنه . يعنى الحسن بن زرين^(١) هذا . وقد روى عنه محمد بن كثير العبدي أيضاً ، ومع هذا قال فيه الحافظ أبو أحمد ابن عدى : ليس بالمعروف . وقال الحافظ أبو جعفر العقيلي^(٢) : مجهول ، وحديثه غير محفوظ . وقال أبو الحسين^(٣) ابن المنادي : هو حديث واه ، بالحسن بن زرين^(٤) .

وقد روى ابن عساكر^(٥) نحوه من طريق علي بن الحسن الجهضمي ، وهو كذاب ، عن ضمرة بن حبيب المقدسي ، عن أبيه ، عن العلاء بن زياد

(١) في م : « زريق » .

وانظر الكامل في الضعفاء ٢ / ٧٤٠ .

(٢) الضعفاء الكبير ١ / ٢٢٤ ، لسان الميزان ٢ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٣) في م ، ص : « الحسن » .

(٤) الإصابة : ٢ / ٣٠٥ .

(٥) في ح ، م : « زريق » .

(٦) تاريخ دمشق ١٦ / ٤٢٧ . ورواه ابن الجوزي في الموضوعات ١ / ١٩٦ ، ١٩٧ .

الْقَشِيرِيُّ^(١) ، عن عبد الله بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن أبي طالب مرفوعاً ، قال : يَجْتَمِعُ كُلُّ يَوْمٍ عَرَفَةَ بِعَرَفَاتِ جَبْرَيْلُ ، وَمِيكَائِيلُ ، وَإِسْرَافِيلُ ، وَالْخَضِرُ . وَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا مَوْضُوعًا ، تَرَكْنَا إِيرَادَهُ قَصْدًا . وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ^(٢) ، مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ خَالِدٍ ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ يَحْيَى الْخُشْنِيِّ ، عَنِ ابْنِ^(٣) أَبِي رَوَادٍ^(٤) قَالَ : إِيَّاسُ وَالْخَضِرُ يَصُومَانِ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي بَيْتِ [٢٠٩/١] الْمَقْدِسِ ، وَيَحْجِجَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ ، وَيَشْرَبَانِ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً تَكْفِيهِمَا إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَائِلٍ .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ^(٥) أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، بَانِيَّ جَامِعِ دِمَشْقَ ، أَحَبَّ أَنْ يَتَعَبَّدَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ فَأَمَرَ الْقَوْمَةَ أَنْ يُخْلَوْهُ لَهُ ، فَفَعَلُوا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ ، جَاءَ مِنْ بَابِ السَّاعَاتِ ، فَدَخَلَ الْجَامِعَ ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يَصَلِّيُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَابِ الْخَضِرَاءِ^(٦) ، فَقَالَ لِلْقَوْمَةِ : أَلَمْ أَمُرْكُمْ أَنْ تُخْلَوْهُ ؟ فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا الْخَضِرُ ، يَجِيءُ كُلَّ لَيْلَةٍ يُصَلِّيُ هَهُنَا .

وَقَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٧) أَيْضًا : أَنْبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ^(٨) إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، أَنْبَأَنَا أَبُو

(١) في تاريخ دمشق : «النشيري» . وانظر تهذيب الكمال ٣/٣١٥ ، ٣١٦ .

(٢) تاريخ دمشق ١٦/٤٢٨ .

(٣) سقط من : ص .

(٤) في الأصل : «زياد» .

(٥) تاريخ دمشق ١٦/٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٦) في الأصل : «الخصر» .

(٧) تاريخ دمشق ١٦/٤٣٢ . رواه ابن الجوزي في الموضوعات ١/١٩٨ ، ١٩٩ .

(٨) بعد هذا في م : «بن» .

بكر ابن الطبري، أنبأنا أبو الحسين بن الفضل، أنبأنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب - هو ابن سفيان - القسوي^(١)، حدثني محمد بن عبد العزيز، حدثنا ضمرة^(٢)، عن السري بن^(٣) يحيى، عن^(٤) رباح^(٥) بن عبيدة، قال: رأيت رجلاً يمشي عمر بن عبد العزيز، معتمداً على يديه، فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جاف^(٦). قال: فلما انصرف من الصلاة، قلت: من الرجل الذي كان معتمداً على يدك آنفاً؟ قال: وهل رأيتَه يا رباح^(٧)؟ قلت: نعم. قال: ما أحسبتك إلا رجلاً صالحاً. ذاك أخي الخضير، بشرني أني سألي وأعيدل. قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي: الرملئ مجروح عند العلماء. وقد قدح أبو الحسين ابن المنادي في ضمرة، والسري، ورباح. ثم أوزد من طرق أخرى، عن عمر بن عبد العزيز، أنه اجتمع بالخضير. وضعفها كلها. وروى ابن عساکر^(٨) أيضاً، أنه اجتمع بإبراهيم التيمي^(٩)، وبسفيان بن عيينة، وجماعة يطول ذكْرهم.

وهذه الروايات والحكايات، هي عمدة^(١٠) من ذهب^(١١) إلى حياته إلى اليوم. وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً، لا يقوم بمثلها حجة في

(١) في ص: «الثوري».

(٢) في الأصل، ح، م: «حمزة».

(٣) في ص: «عن».

(٤) في ص: «بن».

(٥) في الأصل، م، ص: «رباح». انظر تهذيب الكمال ٢٥٨/٩، ٢٥٩.

(٦) في ح، م، ص: «حافي».

(٧) في النسخ: «رباح». وراجع حاشية (٥).

(٨) تاريخ دمشق ٤٢٩/١٦ - ٤٣٣.

(٩) في تاريخ دمشق: «التيمي». وهو خطأ، وانظر الإصابة لابن حجر ٣٢٩/٢.

(١٠ - ١٠) في الأصل: «ابن وهب».

الدِّينِ . والحكاياتُ لا يَخْلُو أَكْثَرُهَا عن ضعيفٍ في الإسنادِ ، وقَصَارَاهَا أَنَّهَا صحِيحَةٌ إلى مَنْ ليس بمعصومٍ ؛ مِنْ صحابِيٍّ أو غيره ؛ لأنَّهُ يجوزُ عليه الخطأُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال عبدُ الرزاقِ^(١) : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِيِّ ، أَخْبَرَنِي عُبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتبَةَ أَنَّ أبا سعيدٍ ، قال : حَدَّثَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا طَوِيلًا عن الدَّجَالِ ، فقال فيما يحدِّثنا : « يَأْتِي الدَّجَالُ ، وهو مُحَرَّمٌ عليه أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ ، فيَخْرُجُ إليه يومئذٍ رجلٌ ، هو خيرُ النَّاسِ ، أو مِنْ خيرِهِمْ ، فيقولُ : أشهدُ أَنَّكَ أَنْتَ الدَّجَالُ الذي حَدَّثَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ بحديثِهِ . فيقولُ الدَّجَالُ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هذا ثم أَحْيَيْتُهُ ، أَتَشْكُونَ في الأمرِ ؟ فيقولون : لا . فيقتله [١ / ٢٠٩ ظ] ثم يُحْيِيهِ ، فيقولُ حين يُحْيِيهِ : واللَّهُ ما كنتُ أَشدَّ بَصِيرَةً فِلكَ مِنِّي الآنَ . قال : فيريدُ قَتْلَهُ الثَّانِيَةَ فلا يُسَلِّطُ عليه » قال مَعْمَرٌ : بَلَّغَنِي أَنَّهُ يَجْعَلُ " على خَلْقِهِ " صَفِيحَةً^(٢) مِنْ نُحَاسٍ ، وبلغني أَنَّهُ الحَضِرُ الذي يَقْتُلُهُ الدَّجَالُ ، ثم يُحْيِيهِ . وهذا الحديثُ مخرُجٌ في « الصَّحِيحِينَ »^(٤) ، مِنْ حديثِ الزُّهْرِيِّ بِهِ . وقال أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ سفيانَ ، الفقيهُ الرَّاوي عن مسلمٍ : الصَّحِيحُ أَنْ يُقالَ : إِنَّ هذا الرَّجُلَ الحَضِرُ . وقولُ مَعْمَرٍ وغيرِهِ : بَلَّغَنِي . ليس فيه حُجَّةٌ ، وقد وَرَدَ في بعضِ ألفاظِ الحديثِ : « يَأْتِي بِشَابٍّ مُمْتَلئٍ شِبابًا ، فيقتله »^(٥) . وقولُهُ : « الذي حَدَّثَنَا عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ » . لا يَقْتَضِي المُشافَهَةَ ،

(١) مصنف عبد الرزاق (٢٠٨٢٤) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) في الأصل ، م : (صحيفه) .

(٤) البخاري (١٨٨٢ ، ٧١٣٢) . مسلم (٢٩٣٨) .

(٥) مسلم (٢٩٣٧) . ابن ماجه (٤٠٧٥) . الترمذى (٢٢٤٠) . كلهم من حديث النواس بن =

بل يكفى التواتر.

وقد تصدّى الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي^(١)، رجمه الله فى كتابه: «عجالة المنتظر»، فى شرح حال الخضر للأحاديث الواردة فى ذلك من المرفوعات، فبيّن أنّها موضوعات، ومن الآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فبيّن ضعف أسانيدّها ببيان أحوالها، وجهالة رجالها، وقد أجاد فى ذلك، وأحسن الانتقاد.

وأما الذين ذهبوا إلى أنّه قد مات، ومنهم البخارى، وإبراهيم الحرى، وأبو الحسين ابن المنادى، والشيخ أبو الفرج ابن الجوزي، وقد انتصر لذلك وصنّف فيه كتاباً سمّاه: «عجالة المنتظر فى شرح حال الخضر» فيحتجّ لهم بأشياء كثيرة؛ منها، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]. فالخضر، إن كان بشراً، فقد دخل فى هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يُذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله. ومنها، أنّ الله تعالى قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكَمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. قال ابن عباس^(٢): ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث

= سمعان رضى الله عنه. وفى هذه المواضع ليس فيها: «فيقتله». ولكن فيها: «فيضربه بالسيف فيقطعه».

(١) انظر الموضوعات لابن الجوزي ١٩٣/١ - ١٩٩. وترجمة الخضر فى الإصابة لابن حجر ٢/

٢٨٦ - ٢٣٥.

(٢) التفسير ٥٦/٢.

محمدؐ، وهو حتى؛ لِيُؤْمِنَنَّ به وَلِيَنْصُرَنَّهُ. ^(١) وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق: لِيَعْنِ بَيْعَتِ مُحَمَّدٍ وَهُمْ أَحْيَاءٌ؛ لِيُؤْمِنَنَّ به وَلِيَنْصُرَنَّهُ ^(٢). ذكره البخاري عنه. فالخضِرُ إن كان نبياً أو ولياً، فقد دخل في هذا الميثاق، فلو كان حياً في زمنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ لكان أشرفَ أحواله أن يكونَ بينَ يديه، يُؤْمِنُ بما أنزلَ اللَّهُ عليه، وَيَنْصُرُهُ إن وَصَلَ أَحَدٌ مِنَ الْأَعْدَاءِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ [٢١٠/١] وِلِيًّا؛ فَالْصَّدِيقُ أَفْضَلُ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا؛ فموسى أفضلُ منه.

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ في «مسنده» ^(٣): حَدَّثَنَا شَرِيحٌ ^(٤) بِنِ الثُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَنبَأَنَا مُجَالِدٌ ^(٥)، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي». وهذا الذي يُقَطَّعُ به، وَيُعَلِّمُ مِنَ الدِّينِ عِلْمَ الضَّرُورَةِ، وَقَدْ ذَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ؛ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ لَوْ فُرِضَ أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ ^(٦) فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَكَانُوا كُلَّهُمْ أَتْبَاعًا لَهُ، وَتَحْتَ أَمْرِهِ، وَفِي عَمُومِ شَرْعِهِ، كَمَا أَنَّهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمَّا اجْتَمَعَ مَعَهُمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، رُفِعَ فَوْقَهُمْ كُلَّهُمْ، وَلَمَّا هَبَطُوا مَعَهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَحَانَتِ الصَّلَاةُ؛ أَمَرَهُ جَبْرِيلُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ أَنْ يُؤْمِمَهُمْ، فَصَلَّى بِهِمْ فِي مَحَلٍّ وَلا يَتَّهِمُ، وَدَارِ إِقَامَتِهِمْ، فَذَلَّ عَلَى أَنَّهُ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ، وَالرَّسُولُ الْخَاتَمُ، الْمُبْجَلُ، الْمُقَدَّمُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. فَإِذَا عَلِمَ هَذَا - وَهُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ كُلِّ مُؤْمِنٍ - عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْخَضِرُ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ح.

(٢) تقدم في ٤٥٧/١.

(٣) في م، ص: «شريح».

(٤) في الأصل: «مجاهد».

(٥) بعد هذا في ح، م: «مكلفون».

حَيًّا ، لَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمَنْ يَفْتَدِي بِشَرِيحِهِ ، لَا يَسَعُهُ إِلَّا ذَلِكَ . هَذَا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذَا نَزَلَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، يَحْكُمُ بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، لَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَلَا يَحِيدُ عَنْهَا ، وَهُوَ أَحَدُ أَوْلَى الْعَزْمِ الْخَمْسَةِ الْمُرْسَلِينَ ، وَخَاتَمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْخَضِرَ ، لَمْ يُنْقَلْ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَلَا حَسَنٍ تَشْكُرُ النَّفْسُ إِلَيْهِ ، أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَلَمْ يَشْهَدْ مَعَهُ قِتَالًا فِي مَشْهَدٍ مِنَ الْمَشَاهِدِ ، وَهَذَا يَوْمٌ بَدِي ، يَقُولُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ، فِيمَا دَعَا بِهِ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاسْتَنْصَرَهُ ، وَاسْتَفْتَحَهُ عَلَى مَنْ كَفَرَهُ : « اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكُ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ بَعْدَهَا فِي الْأَرْضِ » ^(١) ، وَتَلِكِ الْعِصَابَةُ كَانَتْ تَحْتَهَا سَادَةُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ ، وَسَادَةُ الْمَلَائِكَةِ ، حَتَّى جَبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا قَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ ^(٢) فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ، فِي بَيْتٍ يَقَالُ : إِنَّهُ أَفْخَرُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ :

وَبَيْتٍ ^(٣) بَدِي إِذْ يَرُدُّ وُجُوهُهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لِيَاثِنَا وَمُحَمَّدُ

فَلَوْ كَانَ الْخَضِرُ حَيًّا لَكَانَ وَقُوفُهُ تَحْتَ هَذِهِ الرَّايَةِ أَشْرَفَ مَقَامَاتِهِ ، وَأَعْظَمَ عَزَوَاتِهِ .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَّاءِ الْحَنْبَلِيُّ : سُئِلَ بَعْضُ

(١) مسلم (١٧٦٣) . والترمذى (٣٠٨١) . ومسنده أحمد ٣٠ / ٢ ، ٣٢ .
 (٢) أورده ابن هشام في السيرة ١٥٨ / ١ في : ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد ، ونسبه إلى كعب بن مالك ، وليس كما قال ابن كثير أنه من شعر حسان . وكذا أورده ابن كثير نفسه في مصنفه - البداية المطبوع - ٥٨ / ٤ في : فصل فيما تناول به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الأشعار ، وقال : قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها - أي القصيدة - لحسان . وقال ابن إسحاق : قال كعب بن مالك . أي ينسبها له .

(٣) في ح : « وسين » . وفي م ، ص : « وبيير » .

أصحابنا عن الخَضِرِ: هل مات؟ فقال: نعم. قال: وبلغني مثل هذا عن أبي طاهر ابن العُبَارِيِّ قال: وكان يحتجُّ بأنَّه لو كان حيًّا، لَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. نَقَلَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ [١/٢١٠ ظ] فِي «الْمُجَالَةِ»^(١). فَإِنْ قِيلَ: فَهَلَّا يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ حَاضِرًا فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدًا^(٢) يَرَاهُ. فَالْجَوَابُ أَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُ هَذَا الْإِحْتِمَالِ الْبَعِيدِ، الَّذِي يَلْزَمُ مِنْهُ تَخْصِيصُ الْعُمُومَاتِ بِمَجْرَدِ التَّوَهُّمَاتِ، ثُمَّ مَا الْحَامِلُ^(٣) لَهُ عَلَى هَذَا الْإِخْتِفَاءِ؟ وَظَهْرُهُ أَعْظَمُ لِأَجْرِهِ، وَأَعْلَى فِي مَرْتَبَتِهِ، وَأَظْهَرُ لِمُعْجَزَتِهِ. ثُمَّ لَوْ كَانَ بَاقِيًا بَعْدَهُ، لَكَانَ تَبْلِيغُهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ وَالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ، وَإِنْكَارُهُ لِمَا وَقَعَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَكْذُوبَةِ، وَالرِّوَايَاتِ الْمَقْلُوبَةِ، وَالْآرَاءِ الْبِدْعِيَّةِ، وَالْأَهْوَاءِ الْعَصَبِيَّةِ، وَقِتَالُهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزَوَاتِهِمْ، وَشَهُودُهُ جُمُعَتَهُمْ وَجَمَاعَاتِهِمْ، وَنَفْعُهُ إِتْيَانَهُمْ، وَدَفْعُهُ الضَّرَرَ عَنْهُمْ، مِمَّنْ سِوَاهُمْ، وَتَسْدِيدُهُ الْعُلَمَاءَ وَالْحُكَّامَ، وَتَقْرِيرُهُ الْأَدْلَةَ وَالْأَحْكَامَ، أَفْضَلَ مِمَّ^(٤) يُقَالُ عَنْهُ مِنْ كُنُونِهِ فِي الْأَمْصَارِ، وَجَوْبِهِ الْفَيَافِي وَالْأَقْطَارِ، وَاجْتِمَاعِهِ بِعِبَادٍ لَا يُعْرِفُ أَحْوَالَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَجَعْلِهِ لَهُمْ كَالْتَقِيْبِ الْمُتَزَجِمِ عَنْهُمْ. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ لَا يَتَوَقَّفُ أَحَدٌ فِيهِ بَعْدَ التَّفَقُّهِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَمِنْ ذَلِكَ مَا ثَبَّتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَغَيْرِهِمْ^(٥)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى لَيْلَةَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ

(١) وَذَكَرَهُ نَقْلًا عَنِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ، الْحَافِظِ ابْنِ حَجَرَ فِي الْإِصَابَةِ ٢/٢٩٩، وَعِنْدَهُ: «أَبُو طَاهِرِ ابْنِ الْعِبَادِيِّ»، وَالصَّحِيحُ مَا هُوَ مُثَبَّتٌ هُنَا، وَانظُرْ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ ٢/١٨٨، وَالْمُنْهَجُ الْأَحْمَدُ ٢/٩٩.

(٢) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ.

(٣) فِي م: «الْحَاصِلُ».

(٤) فِي ح، م: «مَا».

(٥) الْبِخَارِيُّ (٦٠١). مُسْلِمٌ (٢٥٣٧). التِّرْمِذِيُّ (٢٢٥١). أَبُو دَاوُدَ (٤٣٤٨). النَّسَائِيُّ فِي الْكَبِيرِ

(٥٨٧١). كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ.

قال: «أرأيتم ليلتكم هذه، فإنه إلى مائة سنة، لا يتقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد». وفي رواية^(١): «عين تطرف». قال ابن عمر: فوهل^(٢) الناس في مقالة رسول الله ﷺ هذه، وإنما أراد انخرام قومه.

قال الإمام أحمد^(٣): حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن الزهري، قال: أخبرني سالم بن عبد الله، وأبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة^(٤)، أن عبد الله بن عمر قال: صلى رسول الله ﷺ ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلم قام، فقال: «أرأيتم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة لا يتقى ممن على ظهر الأرض أحد». وأخرجه البخاري، ومسلم، من حديث الزهري^(٥).

وقال الإمام أحمد^(٦): حدثنا محمد بن أبي عدي، عن سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ، قبل موته بقليل أو بشهر: «ما من نفس منقوسة - أو: ما منكم من نفس اليوم منقوسة - يأتي عليها مائة سنة وهي يؤمئذ حية».

وقال أحمد^(٧): حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ، أنه قال، قبل أن يموت بشهر: «يسألوني عن الساعة، وإنما علمها عند الله، أقسم بالله، ما على الأرض نفس منقوسة اليوم،

(١) مشكل الآثار ١/١٦١ من حديث أبي مسعود.

(٢) قال ابن حجر الفتح ٢/٧٥: أي غلطوا أو توهموا، أو فزعوا أو نسوا، والأول أقرب هنا، وقيل: وهل - بالفتح - بمعنى وهم بالكسر، وهل - بالكسر - مثله. وقيل: بالفتح؛ غلط. وبالكسر؛ فزع.

(٣) أحمد في المسند ٢/٨٨. (إسناده صحيح).

(٤) البخاري (١١٦، ٥٦٤)، ومسلم (٢٥٣٧).

(٥) في الأصل، م: «خيمة». وفي ص: «حمة». وانظر تقريب التهذيب ٢/٣٩٧.

(٦) مسند أحمد ٣/٣٠٥، ٣٠٦.

(٧) المسند ٣/٣٤٥.

يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةٌ سَنَةٍ . وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي نَضْرَةَ ، [٢١١/١]
وَأَبِي الزُّبَيْرِ ، كُلُّهُمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِهِ نَحْوَهُ ^(١) .

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ ^(٢) : حَدَّثَنَا هِنَادٌ ^(٣) ، حَدَّثَنَا أَبُو معاويةَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ
أَبِي سَفِيَانَ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا عَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ
مَنْفُوسَةٌ ^(٤) ، يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةٌ سَنَةٍ . وَهَذَا أَيْضًا عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ . قَالَ ابْنُ
الْجَوْزِيِّ ^(٥) : فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ تَقْطَعُ ذَابِرَ دَعْوَى حَيَاةِ الْخَضِرِ . قَالُوا :
فَالْخَضِرُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَدْرَكَ زَمَانَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَمَا هُوَ الْمَظْنُونُ الَّذِي
يَتَرَقَّى فِي الْقُوَّةِ إِلَى الْقَطْعِ ، فَلَا إِشْكَالَ . وَإِنْ كَانَ قَدْ أَدْرَكَ زَمَانَهُ ، فَهَذَا
الْحَدِيثُ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ ^(٦) مِائَةَ سَنَةٍ ، فَيَكُونُ الْآنَ مَفْقُودًا لَا مَوْجُودًا ؛
لَأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْعُمُومِ ، وَالْأَصْلُ عَدَمُ الْخُصْصِ لَهُ ، حَتَّى يَثْبُتَ بِدَلِيلٍ
صَحِيحٍ يَجِبُ قَبُولُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ حَكَى الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّهْنَلِيُّ فِي كِتَابِهِ : « التَّعْرِيفُ وَالْإِعْلَامُ » ^(٧)
عَنِ الْبُخَارِيِّ وَشَيْخِهِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ ، أَنَّهُ أَدْرَكَ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ ، ^(٨) وَلَكِنْ
مَاتَ ^(٩) بَعْدَهُ ؛ لِهَذَا الْحَدِيثِ . وَفِي كَوْنِ الْبُخَارِيِّ ، رَجِمَهُ اللَّهُ ، يَقُولُ بِهَذَا ،
وَأَنَّهُ بَقِيَ إِلَى زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ ، نَظَرَ . وَرَجَّحَ الشَّهْنَلِيُّ بَقَاءَهُ ، وَحَكَاهُ عَنِ

(١) مُسْلِمٌ (٢٥٣٨) .

(٢) التِّرْمِذِيُّ (٢٢٥٠) . (صَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ ١٨٣٤) .

(٣) فِي ح ، م : « عِبَادَةٌ » .

(٤) بَعْدَهَا فِي التِّرْمِذِيِّ : « يَعْنِي الْيَوْمَ » .

(٥) لَعَلَّ هَذَا الْقَوْلُ فِي كِتَابِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ « عَجَالَةُ الْمُنْتَظَرِ فِي شَرْحِ حَالِ الْخَضِرِ » .

(٦) فِي م : « بَعْدَ » .

(٧) التَّعْرِيفُ وَالْإِعْلَامُ ١/١٩٠ .

(٨ - ٩) سَقَطَ مِنْ : ص .

الأكثرين^(١)؛ قال: وأما اجتماعه مع النبي ﷺ، وتعزيبه لأهل البيت، فمزور من طريقي صحاح^(٢). ثم ذكر ما تقدم بما ضعفناه^(٣)، ولم يورد أسانيدها. والله أعلم.

(١) التعريف والإعلام ١/١٩٠.

(٢) التعريف والإعلام ١/١٩٠.

(٣) التعريف والإعلام ١/١٩٥ - ١٩٨.

أما إلياس ، عليه السلام

فقال الله تعالى ، بعد قصة موسى وهارون من سورة « الصافات » ^(١) :

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَى ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ مَحْضُورٌ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾

[الصافات: ١٢٣ - ١٣٢]. قال علماء النسب: هو إلياس بن ^(٢) تسبي ^(٣). ويُقال: ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار ^(٤) بن هارون. وقيل: إلياس بن العازر بن العيزار ^(٤) بن هارون بن عمران. قالوا: وكان إرساله إلى أهل بعلبك، غربي دمشق ^(٥)، فدعاهم إلى عبادة الله، عز وجل، وأن يتركوا عبادة صنم لهم، كانوا يُسمونه بعلًا. وقيل: كانت امرأة اسمها بعل ^(٦). والأول أصح. ولهذا قال لهم: ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَى ﴾ فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، وأرادوا قتله، فيقال: إنه هرب منهم، واختفى عنهم.

(١) التفسير ٣١/٧، ٣٢.

(٢) سقط من: م.

(٣) في م: «التسبي». وفي ص: «تسبي».

(٤) في الأصل: «العيزار».

(٥) تاريخ دمشق ٩/٢٠٥.

(٦) انظر القولين وقائليهما في تفسير الطبري ٢٣/٩٢، ٩٣.

قال أبو يعقوب الأذْرَعِيُّ^(١)، عن يزيد بن عبد الصّمد، عن هشام بن عمار
[٢١١/١] قال: وَصِغْتُ مَنْ يَذْكَرُ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ إِيَّاسَ اخْتَبَأَ
مِنْ مَلِكِ قَوْمِهِ، فِي الْغَارِ الَّذِي تَحْتَ الدَّمِ^(٢)، عَشْرَ سِنِينَ، حَتَّى أَهْلَكَ اللَّهُ
الْمَلِكَ، وَوَلَّى غَيْرَهُ، فَأَتَاهُ إِيَّاسُ، فَعَرَّضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَ، وَأَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ
خَلْقٌ عَظِيمٌ غَيْرَ عَشْرَةِ آفِ مِنْهُمْ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ.

وقال ابنُ أبي الدنيا^(٣): حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ هَاشِمٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو
ابْنُ سَعِيدٍ الدَّمَشْقِيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ بَعْضِ مَشِيخَةِ دِمَشْقَ،
قَالَ: أَقَامَ إِيَّاسُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، هَارِبًا مِنْ قَوْمِهِ فِي كَهْفِ جَبَلٍ عَشْرِينَ لَيْلَةً، أَوْ
قَالَ: أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، تَأْتِيهِ الْغُرَبَاءُ بِرِزْقِهِ.

وقال محمد بن سعيد، كاتب الواقدي^(٤): أَنبَأَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ
السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَوَّلُ نَبِيٍّ بُعِثَ إِدْرِيسُ، ثُمَّ نُوحٌ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ،
ثُمَّ إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ، ثُمَّ يَعْقُوبُ، ثُمَّ يُوسُفُ، ثُمَّ لُوطٌ، ثُمَّ هُودٌ، ثُمَّ صَالِحٌ،
ثُمَّ شُعَيْبٌ، ثُمَّ مُوسَى وَهَارُونَ ابْنَا عِمْرَانَ، ثُمَّ إِيَّاسُ بْنُ^(٥) تَسْيِ بْنِ الْعَازِرِ بْنِ
هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ قَاهْتِ بْنِ لَؤَى بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ. هَكَذَا قَالَ، وَفِي هَذَا التَّرْتِيبِ نَظَرٌ. وَقَالَ مَكْحُولٌ عَنْ كَعْبِ^(٦):

(١) تاريخ دمشق ٢٠٥/٩.

(٢) في ح: «الدم».

(٣) وأخرجه من طريق ابن أبي الدنيا، ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠٦/٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٥٤/١، ٥٥ مطولاً. ومن طريق ابن سعد، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠٦/٩ بنحو ما أورده ابن كثير.

(٥) سقط من: م. وفي ح: «ثم».

(٦) أخرجه بإسناده، ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠٧/٦. وعنده: «اليوم»، بدل «أحياء». و: «في الدنيا»، بدل «في الأرض».

أربعة أنبياء أحياء؛ اثنان في الأرض: إلياس والخضر، واثنان في السماء: إدريس وعيسى. وقد قدمنا قول من ذكر أن إلياس والخضر يجتمعان في كل عام في شهر رمضان ببيت المقدس، وأنهما يحجان كل سنة، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل. وأوردنا الحديث الذي فيه أنهما يجتمعان بعرفات كل سنة، وبيئاً أنه لم يصح شيء من ذلك، وأن الذي يقوم عليه الدليل: أن الخضر مات، وكذلك إلياس، عليهما السلام. وما ذكره وهب بن مئبغ وغيره^(١)؛ أنه لما دعا ربه، عز وجل، أن يقبضه إليه لما كذبوه، وأذوه فجاءته دابة، لونها لون التار، فركبها، وجعل الله له ريشاً، وألبسه الثور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وصار ملكياً بشرياً سماوياً أرضياً، وأوصى إلى اليسع بن أخطوب، ففي هذا نظراً، وهو من الإسرائيليات، التي لا تُصدق ولا تُكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة. والله أعلم.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي^(٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني^(٣) أبو العباس أحمد بن سعيد المغداني^(٤) ببخارى، حدثنا عبد الله بن محمود، حدثنا عبدان بن سنان، حدثني^(٥) أحمد بن عبد الله

(١) تاريخ دمشق ٩/٢١٠. عن وهب. وتاريخ الطبري ١/٤٦٢ - ٤٦٤ مطولاً، وتفسيره ٢٣/٩٣، ٩٤، عن ابن إسحاق مطولاً.

(٢) في دلائل النبوة ٥/٤٢١. وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢/٦١٧ وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي: بل موضوع قبح الله من وضعه. كما قال ابن كثير نفسه عقب الحديث. وقال ابن حجر في لسان الميزان ٦/٢٩٥: حديث باطل.

وأخرجه من طريق البيهقي، ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/٢١٢ وذكر عقبه كلام البيهقي الذي ذكره ابن كثير.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) في الأصل: «العديني». وفي دلائل النبوة: «البغدادى». وانظر الأنساب ٥/٣٣٩.

البيهقي^(١)، حدَّثنا يزيدُ بنُ يزيدَ البَلَوِيُّ^(٢)، حدَّثنا أبو إسحاقَ الفَرَزَارِيُّ، عن الأوزاعيِّ، عن مَكْحُولٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال [٢١٢/١ و]: كُنَّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ في سَفَرٍ، فَتَزَلْنَا مَنْزِلًا، فإذا رجلٌ في الوادي، يقولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِن أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ المرحومةِ، المغفورةِ، المثابِّ لها. قال: فأشرفْتُ على الوادي، فإذا رجلٌ طوله أكثرُ مِن ثلثمائةِ ذراعٍ، فقال لي: مَنْ أنت؟ قلتُ: أنسُ بنُ مالكٍ، خادِمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ. قال: فأين هو؟ قلتُ: هو ذا يسمعُ كلامك. قال: فأنته فأقرئته السلامَ، وقُلْ له: أخوك إلياسُ يُقرئُك السلامَ. قال: فأتيتُ النَّبِيَّ ﷺ فأخبرتهُ، فجاء حتى لقيته، فعانقه وسلَّم، ثم قعدا يتحدَّثان، فقال له: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّي ما أَكُلُ في سَنَةٍ إلا يومًا، وهذا يومُ فطري، فأكلُ أنا وأنت. قال: فنزلتُ عليهما مائدةٌ مِنَ السَّمَاءِ عليها خُبْزٌ، وحوثٌ، وكرفسٌ، فأكلا وأطعماني، وصلَّينا العصرَ، ثم ودَّعه، ورأيتُه مرًّا في السحابِ نحوَ السَّمَاءِ. فقد كَفانا البيهقيُّ أمره، وقال: هذا حديثٌ ضعيفٌ بمرَّةٍ. والعَجَبُ أنَّ الحَاكِمَ أبا عبدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِيَّ أخرجَه في «مُسْتَدْرَكِهِ على الصَّحِيحَيْنِ»، وهذا بما يُسْتَدْرَكُ به على «المُسْتَدْرَكِ»، فإنَّه حديثٌ موضوعٌ، مُخَالِفٌ للأحاديثِ الصَّحاحِ من وجوه. ومعناه لا يَصِحُّ أيضًا، فقد تقدَّم في «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ طُولَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»، إلى أن قال: «ثم لم يَزَلِ الخَلْقُ يَنْقُصُ، حتى الآنَ». وفيه أنَّه لم يَأْتِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى كان هو الذي ذهب إليه. وهذا لا يَصِحُّ؛ لأنَّه

(١) في دلائل النبوة: «الرقى». وانظر ميزان الاعتدال ٤/٤٤١. ولسان الميزان ٦/٢٩٥.

(٢) في دلائل النبوة: «العلوى». وانظر ميزان الاعتدال ٤/٤٤١. ولسان الميزان ٦/٢٩٥.

(٣) تقدم تخريجه في ١/٢٠٦.

كان أحقَّ بالسَّعى إلى بين يَدَي خاتمِ الأنبياءِ . وفيه أنه يأكلُ في السَّنةِ مرَّةً ، وقد تقدَّم عن وَهَبٍ أَنَّهُ سَلَبَهُ اللَّهُ لَذَّةَ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ ، وفيما تقدَّم عن بعضهم أَنَّهُ يشربُ مِن زَفْرَمٍ كُلِّ سَنَةٍ شَرْبَةً تُكْفِيهِ إلى مثلِها مِن الحَوْلِ الآخِرِ . وهذه أشياء مُتعارضةٌ ، وكلُّها باطلةٌ ، لا يصحُّ شيءٌ منها .

وقد ساق ابنُ عساکرَ هذا الحديثَ مِن طريقِ أُخرى ^(١) ، واعترفَ بضعفِها ، وهذا عَجَبٌ منه ، كيف تكلمَ عليه ، فَإِنَّهُ أوردَهُ مِن طريقِ ^(٢) «خَيْرِ بنِ عرفة» ، عن هانئِ بنِ الحسنِ ^(٣) ، عن بَقِيَّةٍ ، عن الأوزاعيِّ ، عن مكحولٍ ، عن وإثلة ^(٤) بنِ الأَشَقِّعِ ، فذَكَرَ نحوَ هذا مطوَّلاً ، وفيه أنْ ذلك كان في غزوةِ تَبُوكَ ، وَأَنَّهُ بعثَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ أنسُ بنُ مالكٍ ، وحُدَيْفَةُ بنَ اليمانِ ، قالَا : فإذا هو أعلى جِسْمًا مِنَّا ^(٥) بذراعين أو ثلاثةً ، واعتذرَ بعدمِ قدومه ^(٦) لِقَلَّا تَنْفِرَ الإِبِلُ . وفيه أَنَّهُ لما اجتمعَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ [٢١٢/١ ظ] أَكَلَا مِن طعامِ الجَنَّةِ ، وقال : إنَّ لى فى كلِّ أربعينَ يوماً أَكَلَةٌ ، وفى المائدةِ خَبِزٌ ، ورُمَّانٌ ، وعنبٌ ، وموزٌ ، ورُطَبٌ ، وبَقْلٌ ما عدا الكُرَاثَ . وفيه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سألَهُ عن الخَضِرِ ، فقال : عهدى به عامَ أوَّلِ ، وقال لى : إنَّكَ ستلقاه قبلى ، فأقرَّته منى السَّلامِ . وهذا يدلُّ على أَنَّ الخَضِرَ واليَّاسَ ، بتقديرِ وجودِهما وصحةِ هذا الحديثِ ، لم يجتمعا

(١) تاريخ دمشق ٢١٢/٩ - ٢١٤ مطوَّلاً . وقال ابنُ عساکرَ عقبه : هذا حديثٌ منكرٌ وليس بالقوى .
(٢) - ٢) فى تاريخ دمشق : «خير بن عرفة» . والصحيح ما أثبتناه . وانظر سير أعلام النبلاء ٤١٣/١٣ ، ٤١٤ . والإصابة لابن حجر ٣٠٧/٢ حيث ذكر الخير عن ابن شاهين ، وحقق اسم «خير» ص ٣٠٩ .
(٣) فى الأصل : «الحسين» . والمثبت موافق لما عند ابن عساکر . وفى الإصابة : «هانئ بن المتوكل» .
(٤) بعده فى م : «عن» .
(٥) سقط من : م .
(٦) فى ح ، م : «قدرته» .

به إلى سنة تسع من الهجرة، وهذا لا يسوغ شرعاً، وهذا موضوع أيضاً. وقد
أورد ابن عساكر طرُقاً في من اجتمع بالياس من العبّاد^(١)، وكلها لا يفرح بها؛
إما لضعف إسنادهما، أو لجهالة المسند إليه فيها. ومن أحسنها ما قال أبو بكر
ابن أبي الدنيا^(٢): حدثني بشر بن معايد، حدثنا حماد^(٣) بن وايد، عن ثابت،
قال: كنت مع مضعب بن الزبير، بسواد الكوفة، فدخلت حائطاً أصلى فيه
ركعتين، فافتحت ﴿حَمَّ﴾ ﴿تَزِيلُ الْكِنَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر: ١ - ٣]. فإذا
رجلٌ من خلفي على بغلة شهباء، عليه مقطعات يمينية، فقال لي: إذا قلت:
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾. فقل: يا غافر الذنب، اغفر لي ذنبي. وإذا قلت: ﴿وَقَابِلِ
التَّوْبِ﴾. فقل: يا قابِلِ التَّوْبِ، تقبل توبتي. وإذا قلت: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾.
فقل: يا شديد العقاب، لا تعاقبني. وإذا قلت: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾. فقل: يا ذا
الطول، تطول علي برحمة. فالتفت فإذا لا أحد، وخرجت فسألت: مرّ بكم
رجلٌ على بغلة شهباء، عليه مقطعات^(٤)، يمينية؟ فقالوا: ما مرّ بنا أحد. فكانوا لا
يرؤن إلا أنه إلياس. وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنهَمَ لَمُحْضَرُونَ﴾. أي؛ للعذاب؛
إما في الدنيا والآخرة، وإما في الآخرة، والأول أظهر، على ما ذكره المفسرون
والمؤرخون. وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ﴾. أي؛ إلا من آمن منهم،
وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾. أي؛ أبقينا بعده ذكراً حسناً له في

(١) انظرها في تاريخ دمشق ٢١٤/٩ - ٢١٧.

(٢) أخرجه ابن عساكر من طريقه، في تاريخ دمشق ٢١٦/٩، ٢١٧.

(٣) في تاريخ دمشق: «أحمد». وما أثبتناه هو الصحيح. وانظر تهذيب الكمال ٢٨٩/٧، ٢٩٠.

(٤) المقطعات: بزود عليها وشئ مقطوع. الوسيط (ق ط ع).

العالمين، فلا يُذكَرُ إلا بخير، ولهذا قال^(١): ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِلَى يَاسِينَ﴾ . أى؛ سلامٌ على إِيَّاسَ . والعربُ تُلْحِقُ الثَّوْنَ فى أسماءٍ كثيرة، وتُبدِّلُهَا مِنْ غَيْرِهَا، كما قالوا: إسماعيلُ وإسماعينُ، وإسرائيلُ وإسرائينُ، وإلياسُ وإلياسينُ . ومَنْ قرأ (سَلَامٌ عَلَيَّ آلِ يَاسِينَ) أى؛ على آلِ محمدٍ، وقرأ ابنُ مسعودٍ وغيرُه: (سَلَامٌ عَلَيَّ إِذْرَاسِينَ)^(٢) . ونُقِلَ عنه مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ، عن عبيدَةَ بنِ ربيعةَ، عن ابنِ مسعودٍ^(٣)، أَنَّهُ قال: إِيَّاسُ هو إِدْرِيسُ . وإليه ذهب الضَّحَّاكُ بنُ مُزَاجِمٍ، وحكاه قَتَادَةُ، ومحمدُ بنُ إِسْحَاقَ، والصَّحِيحُ [٢١٣/١] أَنَّهُ غيرُه كما تقدَّم، واللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ .

(١) انظر التفسير ٣٢/٧ .

(٢) انظر التفسير ٣٢/٧ . وتفسير الطبرى ٩٦/٢٣ . والقرطبي ١١٨/١٥ ، ١١٩ .

(٣) أورده المصنف فى التفسير ٣١/٧ وعزاه لابن أبى حاتم .

بَابُ ذِكْرِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

بَعْدَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ

ثم تُتَّبِعُهُمْ بِذِكْرِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. قال ابن جرير، في «تاريخه»^(١): لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين، وأمور السالفين من أُمَّتِنَا^(٢)، وغيرهم؛ أَنَّ الْقِيَمَ بِأُمُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ يَوْشَعَ، كَالْبُ بِنِ يَوْفَنَّا. يَعْنِي أَحَدَ أَصْحَابِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ زَوْجُ أُخْتِهِ مَرْيَمَ، وَهُوَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ مِمَّنْ يَخَافُونَ اللَّهَ، وَهُمَا يَوْشَعُ وَكَالْبُ، وَهُمَا الْقَاتِلَانِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ نَكَلُوا عَنِ الْجِهَادِ^(٣): ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. قال ابن جرير^(٤): ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ كَانَ الْقَائِمُ بِأُمُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ جِرْقِيلَ بْنَ بُوذَى^(٥). وَهُوَ الَّذِي دَعَا اللَّهَ فَأَخْبَا الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ.

(١) ٤٥٧/١.

(٢) في ص: «أُمَّتِنَا».

(٣) التفسير ٧١/٣.

(٤) في تاريخه ٤٥٧/١.

(٥) في الأصل: «لورى». وفي ح: «يورى». وفي ص: «نورى».

قِصَّةُ حِرْقِيلَ

قال الله تعالى^(١): ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَجَبْتُمْ إِلَى اللَّهِ لَدُوْ فَضَّلِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. قال محمد بن إسحاق^(٢)، عن وهب بن منبّه: إن كالب بن يوفتا^(٣) لما قبضه الله إليه^(٤) بعد يوشع^(٥)، خلف في بني إسرائيل حرقيل بن بودى، وهو ابن العجوز، وهو الذى دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه، فيما بلغنا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾. قال ابن إسحاق^(٦): فَمَرُوا مِنَ الْوَبَاءِ، فَتَزَلُّوا بِصَعِيدٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ: مُوتُوا. فماتوا جميعاً، فحفظوا عليهم حظيرة^(٧) دُونَ السَّبَاعِ، فمضت عليهم دُهورٌ طويلةٌ، فَمَرَّ بِهِمْ حِرْقِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ مُتَفَكِّراً^(٨)، فقيل له: أَلَمْ تُحِبَّ أَنْ يَبْعَثَهُمُ اللَّهُ وَأَنْتَ تَنْظُرُ؟ فقال: نعم. فأمر أن يدعوا تلك العظام أن تكتسب لحمًا، وأن يتصل العصب بعضها ببعض. فناداهم عن أمر الله له بذلك، فقام القوم

(١) التفسير ١/ ٤٤٠.

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١/ ٤٥٩، ٤٦٠ من قول محمد بن إسحاق. وفى تفسيره ٢/ ٥٨٧، ٥٨٨.

(٣) سقط من: ص.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥ - ٥) سقط من: ح.

(٦) فى ح: «خطرة».

(٧) فى ح: «مفكراً».

أجمعون ، وكثيروا تكبيرة رجل واحد^(١) . وقال أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة^(٢) ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من الصحابة^(٣) ، في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ . قالوا : كانت^(٤) قرية يُقال لها : « دَاوْرَدَانُ »^(٥) ، قَبِلَ « وَاِسْطِ » ، وقع بها الطاعون ، فهرب [١ / ٢١٣ ظ] عامة أهلها ، فنزلوا ناحية منها ، فهلك من بقي في القرية ، وسلم الآخرون ، فلم يمُت منهم كثيرٌ ، فلما ارتفع الطاعون ، رجعوا سالمين ، فقال الذين بقوا : أصحابنا هؤلاء كلنوا أخزَمَ مِنَّا ، لو صَنَعْنَا كما صَنَعُوا بَقِينَا ، ولئن وقع الطاعون ثانية لَنَخْرُجَنَّ معهم . فوقع في^(٦) قَابِلَ ، فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفا ، حتى نزلوا ذلك المكان ، وهو وادٍ التَّيْحُ ، فناداهم مَلَكٌ مِنَ الْمَنفِلِ الوادى ، وَأَخْرَجَ مِنْ أَغْلَاهِ : أَنْ مُوتُوا . فماتوا ، حتى إذا هَلَكُوا ، وَبَقِيَ أَجْسَادُهُمْ ، مَرَّ بِهِمْ نَبِيٌّ ، يُقَالُ لَهُ : حِزْقِيلُ^(٧) . فَلَمَّا رَأَاهُمْ وَقَفَ عَلَيْهِمْ ، فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِيهِمْ ، وَيَلْوِي شِدْقِيهِ وَأَصَابِعَهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : تَرِيدُ أَنْ أُرِيكَ كَيْفَ أُحْيِيهِمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَأَمَّا كَانَ تَفَكُّرُهُ أَنَّهُ تَعَجَّبَ^(٨) مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَقِيلَ لَهُ : نَادِ . فَنَادَى : يَا أَيُّهَا الْعِظَامُ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْمَعِي . فَجَعَلَتِ الْعِظَامُ

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٤٦٠/١ مطولا من طريق محمد بن إسحاق .

(٢) في الأصل : « عروة » .

(٣) سقط من : ص .

(٤) سقط من : ص .

(٥) في الأصل ، ح ، ص : « دراوردان » .

(٦) سقط من : ص .

(٧) في التاريخ : « حزقيل » .

(٨) سقط من : ح ، ص .

يطيرُ بعضها إلى بعض، حتى^(١) كانت أجسادًا من عظام، ثم أوحى الله إليه؛ أن ناد: يا أيها العظام، إن الله يأمرُك أن تكُنَّسي^(٢) لحمًا. فاكنت^(٣) لحمًا ودمًا، وثيابها^(٤) التي ماتت^(٥) فيها. ثم قيل له: ناد. فنادى: أيها الأجساد، إن الله يأمرُك أن تقومي. فقاموا. قال أسباط: فرعم منصور، عن مجاهد، أنهم قالوا حين أحيوا: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. فَزَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ أَحْيَاءَ، يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَوْتَى، سَخَنَةَ الْمَوْتِ عَلَى وَجُوهِهِمْ، لَا يَلْبَسُونَ ثَوْبًا إِلَّا عَادَ^(٦) «كَفْنَا دَسْمًا»، حتى ماتوا لآجَالِهِمُ الَّتِي كُتِبَتْ لَهُمْ^(٧). وعن ابن عباس؛ أنهم كانوا أربعة آلاف. وعنه: ثمانية آلاف. وعن أبي صالح: تسعة آلاف. وعن ابن عباس أيضًا: كانوا أربعين ألفًا. وعن سعيد بن عبد العزيز: كانوا من أهل «أذرعَات» . وقال ابن جريج، عن عطاء: هذا مَثَلٌ^(٧). يعنى أنه سبق مثلًا مُبَيَّنًا أَنَّهُ لَنْ يُغْنَى حَدَرٌ مِنْ قَدْرِ. وقول الجمهور أقوى؛ أن هذا وَقَعَ.

وقد روى الإمام أحمد وصاحب «الصحیح»^(٨)، من طريق الزُّهْرِيِّ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله^(٩) بن عبد الله^(٩) بن الحارث

(١) بعده فى ح: «إذا» .

(٢ - ٢) سقط من: ص .

(٣) فى ح: «ونباتها» .

(٤) فى ص: «نجات» .

(٥ - ٥) فى ح: «كفنا وسخا» . وفى م: «رسما» . والدسّم: المظموس المفعجى .

(٦) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١/٤٥٨، ٤٥٩ من طريق أسباط به . وانظر تفسير الطبرى ٢/٥٨٧ .

(٧) التفسير ١/٤٤٠ .

(٨) أحمد فى المسند (١/١٩٤) . البخارى (٥٧٢٩) . مسلم (٢٢١٩) .

(٩ - ٩) سقط من النسخ، والمثبت من مصادر التخریج .

ابن نَوْفَلٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ ، أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ خرجَ إلى الشامِ ، حتى إذا كان بِسُرْعٍ ، لَقِيَهُ أمراءُ الأجنادِ ، أبو عبيدةُ بنُ الجراحِ وأصحابُه ، فأخبروه أنَّ الرِّباءَ وقعَ بالشامِ ، فَذَكَرَ الحديثَ . يعنى فى مُشاوَرَتِه المهاجرين والأنصارَ ، فاختلَفُوا عليه ، فجاءه عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، وكان مُتَعَيِّبًا ببعضِ حاجتِه ، فقال : إنَّ عندى مِنْ هذا عِلْمًا ؛ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « إذا كانَ بأرضٍ وأنتمَ بها ، فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْه ، وإذا سَمِعْتُمْ به بأرضٍ ؛ فلا تَقْدَمُوا عليه » . فحمدَ اللهُ [٢١٤ / ١] عمرُ ثم انصرف .

وقال الإمامُ أحمدُ^(١) : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ وَيزيدُ المَعْنَى^(٢) قالَا : حَدَّثَنَا ابنُ أبى ذئبٍ^(٣) ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن سالمٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ ، أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ^(٤) أَخْبَرَ عمرَ وهو فى الشامِ ، عن النبىِّ ﷺ : « إن هذا السَّقَمَ عُذِّبَ به الأُممُ قَبْلُكُمْ ، فإذا سَمِعْتُمْ به فى أرضٍ ، فلا تَدْخُلُوها ، وإذا وقعَ بأرضٍ وأنتمَ بها ، فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْه » . قال : فَجَعَّ عمرُ من الشامِ . وأخرجاه^(٥) من حديثِ مالكٍ عن الزُّهْرِيِّ ، بِنَحْوِهِ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ^(٦) : ولم يُذَكَرْ لنا مُدَّةُ لُبْثِ جِرْقِيلَ فى بنى إسرائيلَ ، ثم إنَّ اللهَ قَبَضَهُ إليه ، فلمَّا قُبِضَ نَسِيَ بنو إسرائيلَ عَهْدَ اللهِ إليهم ، وَعَظُمَتْ

(١) سقط من : ح ، م .

أحمد فى المسند ١ / ١٩٣ . (إسناده صحيح) .

(٢) فى ح : « المعنى » . وفى م ، ص : « المفتى » .

(٣) فى م : « ذؤيب » . وانظر : تهذيب التهذيب ٩ / ٣٠٣ .

(٤ - ٤) فى ص : « أخبرهم » .

(٥) البخارى (٥٧٣٠ ، ٦٩٧٣) . مسلم (٢٢١٩) .

(٦) تاريخ الطبرى ١ / ٤٦٠ ، ٤٦١ .

فيهم الأحداثُ ، وعبدوا الأوثانَ ، وكان في جملة ما يعبدونه من الأصنام ،
صنم يُقال له : بعل . فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِم إِيَّاسَ بْنَ يَاسِينَ^(١) بنِ فُتِحَاصِ بْنِ الْعِيزَارِ
ابنِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ . قُلْتُ : وقد قَدَّمْنَا قِصَّةَ إِيَّاسَ تَبَعًا لِقِصَّةِ الْخَضِرِ ؛ لأنَّهُمَا
يُفَرِّقَانِ فِي الذُّكْرِ غَالِبًا ، ولأَجْلِ أَنَّهَا بَعْدَ قِصَّةِ مُوسَى فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ ،
فَتَعَجَّلْنَا قِصَّتَهُ لَذَلِكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . قال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ^(٢) ، فيما ذُكِرَ لَهُ عَنْ
وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، قال : ثُمَّ تَنَبَّأَ فِيهِمْ بَعْدَ إِيَّاسَ ، وَصِيَّهُ الْيَسَعُ بْنُ أَخْطُوبَ ، عَلَيْهِ
السَّلَامُ . وهذه :

(١) في ص : « الياسين » .
(٢) تاريخ الطبري ١ / ٤٦٤ .

قِصَّةُ الْيَسَعِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى مَعَ الْأَنْبِيَاءِ، فِي سُورَةِ «الْأَنْعَامِ» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ
وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَحُوطًا وَكَؤُلًا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦].

وقال تَعَالَى فِي سُورَةِ «ص»^(١): ﴿وَأَذْكَرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلًّا
مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨]. قال إِسْحَاقُ^(٢) بَنُ بَشِيرٍ، أَبُو حُدَيْفَةَ: أَبَانَا سَعِيدٌ،
عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كَانَ بَعْدَ إِيَّاسَ، الْيَسَعُ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - فَمَكَثَ
مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ؛ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ، مُسْتَمْسِكًا بِمَنْهَاجِ إِيَّاسَ وَشَرِيعَتِهِ،
حَتَّى قَبِضَهُ اللهُ، عِزًّا وَجَلًّا، إِلَيْهِ، ثُمَّ نَخَلَ فِيهِمُ الْخُلُوفَ^(٣)، وَعَظُمَتْ فِيهِمُ
الْأَحْدَاثُ وَالْخَطَايَا، وَكَثُرَتِ الْجَبَابِرَةُ، وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ، وَكَانَ فِيهِمُ مَلِكٌ جَبَّارٌ^(٤)
عَنِيدٌ طَاغٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ الَّذِي تَكْفَّلَ لَهُ ذُو الْكِفْلِ إِنْ هُوَ تَابَ وَرَاجَعَ، دَخَلَ
الْجَنَّةَ؛ فَسُمِّيَ ذَا الْكِفْلِ. قال مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ^(٥): هُوَ الْيَسَعُ بْنُ أَحْطُوبَ.

وقال الحافظُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ، فِي حَرْفِ الْيَاءِ مِنْ «تَارِيخِهِ»^(٦):
الْيَسَعُ؛ وَهُوَ: الْأَسْبَاطُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ شَوْلَمَ بْنِ أَفْرَائِيمَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ

(١) التفسير ٦٧/٧.

(٢) فِي ص: «ثَنَا».

(٣) الْخُلُوفُ: التَّمْثِيرُ وَالْفَسَادُ.

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ: الْأَصْلِ، ص.

(٥) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٤٦٢/١.

(٦) لَعَلَّهُ مِنْ الْجُزْءِ السَّاقِطِ مِنْ مَخْطُوطِ تَارِيخِ دِمَشْقٍ. وَانظُرْ تَارِيخَ دِمَشْقٍ ١٠٩/١٧ حَاشِيَةٌ ٣،

وَمَخْتَصِرَةَ لَابِنِ مَنْظُورٍ ٣٦/٢٨.

إسحاق بن إبراهيم الخليل. ويُقال: هو ابن عم إلياس النبي، عليهما السلام [٢١٤/١] . ويقال: كان مُسْتَخْفِيًا معه بجبَلِ قَاسِيُونَ من مَلِكِ بَعْلَبَك، ثُمَّ ذَهَبَ معه إليها، فلَمَّا رُفِعَ إِلْيَاسُ خَلَفَهُ الْيَسَعُ في قَوْمِهِ، وَنَبَأَهُ اللَّهُ بَعْدَهُ. ذَكَرَ ذلك عبدُ المنعمِ بنُ إِدْرِيسَ ^(١) بنِ سِنَانٍ، عن أبيه، عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ. قال: وقال غيره: كان الأَسْبَاطُ ^(٢) بِيَانِيَّاسَ. ثم ذَكَرَ ابنُ عَسَاكِرَ قِراءَةَ مَنْ قرَأَ: ﴿الْيَسَعُ﴾، بالتخفيفِ وبالتشديد، وَمَنْ قرَأَ: «الْيَسَعُ» ^(٣)، وهو اسمٌ واحدٌ لنبيٍّ من الأنبياءِ. قلتُ: قد قَدَّمْنَا ^(٤) قِصَّةَ ذِي الكِفْلِ بَعْدَ قِصَّةِ أَيُّوبَ، عليهما السلام؛ لأنه قد قِيلَ: إِنَّهُ ابنُ أَيُّوبَ، فاللَّهُ أعلمُ بالصَّوابِ.

(١ - ١) سقط من: ح، م.

(٢) سقط من: م.

(٣) في الأصل: «اليسع».

(٤) تقدم في ٥١٦/١.

فصل

قال ابن جرير^(١) وغيره: ثم مَرَج أمر بني إسرائيل، وعظمت فيهم الأحداث والخطوب والخطايا، وقتلوا من قتلوا من الأنبياء، وسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكًا جبارين يظلمونهم، ويشفكون دماءهم، وسلط الله عليهم الأعداء من غيرهم أيضًا. وكانوا إذا قاتلوا أحدًا من الأعداء، يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة الزمان، كما تقدم ذكره^(٢)، فكانوا ينصرون بيزكته، وبما جعل الله فيه من السكينة والبيقية، مما ترك آل موسى وآل هارون، فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان، غلبهم عليه^(٣)، وقهروهم على أخذه، فانتزعه من أيديهم، فلما علم بذلك ملك بني إسرائيل في ذلك الزمان، مالت عنقه فمات كمدًا، وبقي بنو إسرائيل كالغنم بلا راع، حتى بعث الله فيهم نبيًا من الأنبياء، يقال له: شمويل. فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكًا ليقاتلوا معه^(٤) الأعداء، فكان من أمرهم ما سنذكره مما قص الله في كتابه.

قال ابن جرير^(٥): فكان بين^(٦) وفاق يوشع بن نون إلى أن بعث الله عز وجل

(١) في ص: «جريح». وانظر تاريخ الطبري ١/٤٦٤ - ٤٦٦. وعرائس المجالس ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) تقدم في صفحة ١٩٧.

(٣) سقط من: م.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) تاريخ الطبري ١/٤٦٥.

(٦) في م، ص: «من».

شمویل بن بلی^(۱) ، أربعمائه سنة وستون سنة . ثم تذكر تفصيلها بمدد الملوك
الذين ملكوا عليهم ، وسمّاهم واحداً واحداً ، تركنا ذكرهم قصداً .

(۱) في الأصل : «مالي» .

قصة شمويل،

وفيهما بدأ أمر داود، عليهما السلام

هو شمويل - ويقال: أشمويل - بنُ بالي بنِ عَلَقَمَةَ بنِ يرخام^(١) بنِ أليهو ابنِ^(٢) تهبو بنِ صوف^(٣) بنِ عَلَقَمَةَ بنِ ماحث^(٤) بنِ عموصا بنِ عزريا. قال مقاتل: هو من ذُرِّيَّة^(٥) هارون. وقال مجاهد: هو أشمويل بنُ هلفاقا. ولم يَزَفَعْ في نَسَبِهِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، فَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٥).

حكى الشدِّي ياسناده، عن ابن عباس، وابن مسعود، وأناس من الصحابة - والثعلبي^(٦) - وغيرهم؛ أنه لما غلبت العمالقة من أرض غزوة وعسقلان على بنى إسرائيل، وقتلوا منهم [٢١٥/١] خلقا كثيرا، وسبوا من أبنائهم جمعا كثيرا، وانقطعت النبوة من سبط لاوي، ولم يبق فيهم إلا امرأة حبلى، فجعلت تدعو الله، عز وجل، أن يزرعها ولدا ذكرا، فولدت غلاما فسمته أشمويل، ومعناه بالعبرانية^(٧) إسماعيل؛ أي سمع الله دعائي، فلما

(١) في الأصل، ح، ص: «حام».

(٢) - (٢) في الأصل: «بهر صون». وفي ح: «بهر صوب». وفي ص: «صوب».

وراجع في هذا الاسم وما سبقه: تاريخ الطبري ١/٤٦٧.

(٣) في الأصل، ص: «ماحب».

(٤) في ح، م، ص: «ورثة».

(٥) التفسير ١/٤٤٣. وانظر عرائس المجالس ٢٣٥.

(٦) تاريخ الطبري ١/٤٦٧، ٤٦٨. وانظر عرائس المجالس ٢٣٣، ٢٣٤.

(٧) في ص: «بالعربية».

تَرَعْرَعُ بَعَثَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَأَسْلَمْتَهُ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ فِيهِ ؛ يَكُونُ عِنْدَهُ لِيَتَعَلَّمَ مِنْ خَيْرِهِ وَعِبَادَتِهِ ، فَكَانَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ ، إِذَا صَوْتٌ يَأْتِيهِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ، فَانْتَبَهَ مَذْعُورًا ، فَظَنَّهُ الشَّيْخُ يَدْعُوهُ ، فَسَأَلَهُ : أَدْعَوْتَنِي ؟ فَكَرِهَ أَنْ يُفْرِعَهُ فَقَالَ : نَعَمْ ، نَمَّ . فَنَامَ . ثُمَّ نَادَاهُ الثَّانِيَةَ ، فَكَذَلِكَ ، ثُمَّ الثَّلَاثَةَ ، فإِذَا جَبْرِيلُ يَدْعُوهُ ، فَجَاءَهُ فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ قَدْ بَعَثَكَ إِلَى قَوْمِكَ ^(١) . فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ^(٢) : ﴿ هَلْ أَلَمْنَا تَرَى إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٦١﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُمُ بَسْطَةً فِي أَوْلِيهِمُ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٢﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٣﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ

(١) تاريخ الطبري ١/٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٢) التفسير ١/٤٤٣ - ٤٤٨ .

يَطْعَنُهُ فَإِنَّهُ مَتَى إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ عُرْفَهُ بِيَدِيهِ فَشَرُّوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالزَّيْنِبُ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٌ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَا ذَا اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤٧﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَا ذَا اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَتْهُ
اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٤٨﴾

[البقرة: ٢٤٦ - ٢٥١].

قال أكثر المفسرين: كان نبي هؤلاء القوم [٢١٥/١] المذكورين في هذه
القصّة، هو شمويل. وقيل: شمعون. وقيل: هما واحد. وقيل: يوشع. وهذا
بعيد؛ لما ذكره الإمام أبو جعفر بن جرير في «تاريخه»^(١)، أن بين موت يوشع
وبعثة شمويل أربعمائة سنة وستين سنة. فالله أعلم.

والمقصود أن هؤلاء القوم لما أنهكتهم الحروب وقهرهم الأعداء، سألوا نبي
الله في ذلك الزمان، وطلبوا منه أن يُنصّب^(٢) لهم ملكا يكونون تحت طاعته؛
ليقاتلوا من ورائه ومعه، وبين يديه، الأعداء، فقال لهم: ﴿هل عسيتم إن
كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل
الله﴾، أي: وأي شيء يمنعنا من القتال ﴿وقد أخرجنا من ديارنا

(١) ٤٦٥/١

(٢) في الأصل: «ينصروا».

وَأَبْنَاءِنَا ﴿١﴾ . يقولون : نحن محروبون موتورون ، فحقيق لنا أن نقاتل عن أبنائنا
 المنهوين ^(١) المستضعفين فيهم ، المأسورين في قبضتهم . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا
 كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ كما
 ذكر ^(٢) في آخر القصة ، أنه لم يجاوز النهر ^(٣) مع الملك ^(٤) إلا القليل ، والباقون
 رجفوا ونكلوا عن القتال : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ
 طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ ، قال الثعلبي ^(٥) : وهو طالوت بن قيس ^(٦) بن أفيال بن
 صارو ^(٧) بن نحورت ^(٨) بن أفيح بن أنيس ^(٩) بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق
 ابن إبراهيم الخليل . قال عكرمة والسددي : كان سقاء . وقال وهب بن منيبه :
 كان دباغا . وقيل غير ذلك . فالله أعلم . ولهذا ﴿ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ
 الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ ﴾ .

وقد ذكروا أن الثبوة كانت في سببط لاوي ، وأن الملك كان في سببط
 يهوذا ، فلما كان هذا من سببط بنيامين ، نفروا منه وطعنوا في إمارته عليهم ،
 وقالوا : نحن أحق بالملك منه . وذكروا أنه فقير لا سعة من المال معه ، فكيف
 يكون مثل هذا ملكا ؟ ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي

(١) في ح ، م : « المنهوين » . والمنهوين : المخوذون قهرا .

(٢) في ص : « ذكروا » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) في عرائس المجالس ٢٣٥ .

(٥) في م : « قيس » .

(٦) في الأصل ، ح ، ص : « صرار » .

(٧) في الأصل : « نحوت » . غير منقوطة . وفي ح : « الحوب » . وفي م : « نحورت » . وفي ص :

« لموب » . والمثبت من عرائس المجالس .

(٨) في الأصل ، ح ، ص : « أريش » .

الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴿١﴾ . قيل : كان الله قد أوحى إلى شمويل ، أن أتى بنى إسرائيل كان طولُه على طولِ هذه العصا ، وإذا حضَرَ عندك يَقُورُ هذا القُرُونِ الذى فيه من دُهْنِ القُدْسِ ، فهو مَلِكُهُمْ . فجعلوا يَدْخُلُونَ وَيَقِيسُونَ أَنْفُسَهُمْ بتلك العصا ، فلم يكن أحدٌ منهم على طولها سوى طالوت ، ولَمَّا حضَرَ عند شمويلَ فار ذلك القرن ، فَدَهَنَهُ مِنْهُ وَعَيَّنَهُ الْمَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وقال لهم : ﴿٢﴾ **إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى عَلَيْكُمْ وَزَادَكُمْ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ** ﴿٣﴾ ؛ قيل : فى أمرِ الحروبِ . وقيل : بل مطلقاً . ﴿٤﴾ **وَالْجِسْمِ** ﴿٥﴾ ؛ قيل : الطولُ . وقيل : الجمالُ . والظاهرُ من السياقِ ، أنه كان أجملَهُمْ وأَعْلَمَهُمْ [٢١٦/١] بعدَ نبيهِمْ عليه السلامُ . ﴿٦﴾ **وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكًا مَن يَشَاءُ** ﴿٧﴾ ، فله الحكمُ ، وله الخلقُ والأمرُ ﴿٨﴾ **وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ** ﴿٩﴾ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ** **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴿١٠﴾ وهذا أيضًا من بَرَكَةِ ولايةِ هذا الرجلِ الصالحِ عليهم ومُيْنَةِ عليهم ؛ أن يَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّابُوتَ الذى كان سَلِبَ مِنْهُمْ ، وَقَهَرَهُمُ الأعداءُ عليه ، وقد كانوا يُنْصَرُونَ على أعدائِهِمْ بِسَبَبِهِ . ﴿١١﴾ **فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴿١٢﴾ ، قيل : طَشَّتْ ^(١) من ذهبٍ كان يُعَسَلُ فِيهِ صُدُورُ الأنبياءِ . وقيل : السَكِينَةُ مِثْلُ الرِّيحِ الخَجُوجِ ^(٢) . وقيل : صُورَتُهَا مِثْلُ الهِرَّةِ ، إِذَا صَرَخَتْ فى حالِ الحربِ ، أَثْبَنَ بنو إسرائيلَ بالنصرِ . ﴿١٣﴾ **وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى**

(١) فى ح ، م ، ص : «طشتت» .

(٢) الخجوج : الشديدة المُرور فى غير استواء . اللسان (خ ج ج) .

وهو أثر عن عليّ رضى الله عنه ، رواه ابن جرير فى تفسيره ٦١١/٢ .

وَأَلْ هَكَوْنَ ﴿ قِيلَ : كَانَ فِيهِ رُضَاضٌ ^(١) الْأَلْوَاخِ وَشَيْءٌ مِنَ الْمَرْزِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ بِاللَّيْلِ . ﴿ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴿ أَيْ ؛ تَأْتِيكُمْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ يَحْمِلُونَهُ وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ عِيَانًا ؛ لِيَكُونَ آيَةً لِلَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَحُجَّةً ^(٢) بَاهِرَةً عَلَى صِدْقِ مَا أَقُولُهُ لَكُمْ ، وَعَلَى صِحَّةِ وِلَايَةِ هَذَا الْمَلِكِ الصَّالِحِ عَلَيْكُمْ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا غَلَبَ الْعَمَالِقَةُ عَلَى هَذَا التَّابُوتِ ، وَكَانَ فِيهِ مَا ذُكِرَ مِنَ السَّكِينَةِ وَالْبَقِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ - وَقِيلَ : كَانَ فِيهِ التُّورَةُ أَيْضًا - فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَضَعُوهُ تَحْتِ صَنْمٍ لَهُمْ بِأَرْضِهِمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا التَّابُوتُ عَلَى رَأْسِ الصَنْمِ فَوْضَعُوهُ تَحْتَهُ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي إِذَا التَّابُوتُ فَوْقَ الصَنْمِ ، فَلَمَّا تَكَوَّرَ هَذَا عِلْمُوا أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَلَدِهِمْ وَجَعَلُوهُ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهِمَ ، فَأَخَذَهُمْ دَاءٌ فِي رِقَابِهِمْ ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ هَذَا جَعَلُوهُ فِي عَجَلَةٍ وَرَبَطُوهَا فِي بَهْرَتَيْنِ وَأَرْسَلُوهُمَا ، فَيَقَالُ : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ سَاقَتُهُمَا حَتَّى جَاءُوا ^(٣) بِهِمَا مَلَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، كَمَا أَخْبَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ بِذَلِكَ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ عَلَى أَيِّ صِفَةٍ جَاءَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ بِأَنْفُسِهِمْ ، كَمَا هُوَ الْمَفْهُومُ ^(٤) مِنَ الْآيَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ قَدْ ذَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَوْ أَكْثَرَهُمْ . ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴿ قَالَ

(١) رُضَاضُ الشَّيْءِ : قُتَاتُهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَحُجَّتُهُ » .

(٣) فِي ص : « جَاوَزُوا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ ، ح ، ص : « الْمَفْهُومُ بِالْجُنُودِ » .

ابن عباس وكثير من المفسرين: هذا النهر هو نهر الأزدن. وهو المسمى بالشرعية، فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا [٢١٦/١ ظ] النهر، عن أمر نبي الله له^(١)، عن أمر الله له، اختبارًا وامتحانًا؛ أن من شرب من هذا النهر اليوم^(٢) فلا يصحبني في هذه الغزوة، ولا يصحبني إلا من لم يطعمه، إلا غرقة في يده. قال الله تعالى: ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾. قال السدّي: كان الجيش ثمانين ألفًا، فشرب منه ستة وسبعون ألفًا، وتبقي معه أربعة آلاف. كذا قال.

وقد روى البخاري في «صحيحه»^(٣)، من حديث إسرائيل وزهير والثوري، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرِ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ - الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا^(٤) مُؤْمِنٌ - بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثِمِائَةَ. وَقَوْلُ السُّدِّيِّ أَنَّ عِدَّةَ الْجَيْشِ كَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفًا،^(٥) فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ أَرْضَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَا تَحْتَمِلُ أَنْ يَجْتَمَعَ فِيهَا جَيْشٌ مُّقَاتِلَةٌ يَتَلَعُونَ ثَمَانِينَ أَلْفًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾، أَي؛ اسْتَقْلُوا أَنْفُسَهُمْ وَاسْتَضَعَفُوهَا عَنِ مُقَاوَمَةِ أَعْدَائِهِمْ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى قَلْتِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِ عَدُوِّهِمْ، ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ

(١) في الأصل: «لهم».

(٢) سقط من: م.

(٣) البخاري (٣٩٥٨). من حديث إسرائيل. و(٣٩٥٧) من حديث زهير. و(٣٩٥٩) من حديث الثوري.

(٤ - ٤) في م: «بضعة عشر وثلثمائة مؤمن».

(٥ - ٥) سقط من: ص.

أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَا مِنْ فَتْمَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾ ؛ (١) يَعْني : ثَبَّتَهُمُ الشُّجْعَانَ مِنْهُمْ وَالْفُرْسَانَ (١) أَهْلَ الْإِيمَانِ
 وَالْإِيمَانِ ، الصَّابِرُونَ عَلَى الْجِلَادِ وَالْجِدَالِ (٢) وَالطَّعَانِ . ﴿٣﴾ وَكَمَا بَرَزُوا
 لِحَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَيْتَ أَقْدَامَكَ
 وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾ طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ يُفْرِغَ عَلَيْهِمُ الصَّبْرَ ؛ أَيْ
 يَغْمُرَهُمْ بِهِ مِنْ فَوْقِهِمْ ، فَتَسْتَقِرُّ (٥) قُلُوبُهُمْ وَلَا تَقْلَقُ ، وَأَنْ يُبَيِّتَ أَقْدَامَهُمْ فِي
 مَجَالِ الْحَرْبِ ، وَمُعْتَرِكِ الْأَبْطَالِ ، وَخَوْمَةِ الْوَعْيِ ، وَالِدَعَاءِ إِلَى النَّزَالِ ، فَسَأَلُوا
 التَّيْبَتَ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ ، وَأَنْ يُنَزَلَ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَائِهِ ، مِنْ
 الْكَافِرِينَ الْجَاهِلِينَ بِآيَاتِهِ وَأَلْوَانِهِ ، فَأَجَابَهُمُ الْعَظِيمُ الْقَدِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكِيمُ
 الْخَبِيرُ إِلَى مَا سَأَلُوا ، وَأَنَّهُمْ مَا إِلَيْهِ فِيهِ رَغَبُوا ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿٦﴾ فَهَزَمُوهُمْ
 بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٧﴾ أَيْ ؛ بِخَوْلِ اللَّهِ لَا بِخَوْلِهِمْ ، وَبِقُوَّةِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ لَا بِقُوَّتِهِمْ
 وَعَدَدِهِمْ ، مَعَ كَثْرَةِ أَعْدَائِهِمْ وَكَمَالِ عَدَدِهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿٨﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ
 اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿١٠﴾ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
 وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴿١١﴾ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى شَجَاعَةِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُ قَتَلَهُ
 قَتْلًا أَذْلًا بِهِ جَنْدَهُ (١٢) وَكَتَرَ جَيْشَهُ ، وَلَا أَعْظَمَ مِنْ غَزْوَةٍ يَقْتُلُ فِيهَا (١٣) مَلِكٌ
 عَدُوَّهُ ، [٢١٧/١] فَيَغْنَمُ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةَ ، وَيَأْسِرُ الْأَبْطَالَ

(١ - ١) فِي ح : « يَعْني ثَبَّتَهُمُ الْفُرْسَانَ مِنْهُمْ وَالْفُرْسَانَ » . وَفِي م : « يَعْني بِهَا الْفُرْسَانَ مِنْهُمْ وَالْفُرْسَانَ » .

(٢) الْجِدَالُ : الْخَاصِمَةُ وَالصَّرَاعُ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ج د ل) .

(٣) فِي ص : « فَتَسْتَقِرُّ » .

(٤ - ٤) فِي ح ، م : « وَكُسِرَ » .

(٥) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ح ، ص .

والشُّجْعَانِ وَالْأَقْرَانَ^(١)، وتعلو كلمة الإيمان على الأوثان، ويُدَالُ لأوليائه اللهُ على أعدائه، ويظهرُ الدِّينَ الحقُّ على الباطلِ وأوليائه. وقد ذكر الشَّدِيُّ فيما يَزُوِيهِ، أَنَّ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ أَصْغَرَ^(٢) أَوْلَادِ أَبِيهِ، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ عَشَرَ ذَكَرًا، كَانَ سَمِيعَ طَالُوتَ مَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُوَ يُحَرِّضُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى قَتْلِ جَالُوتَ وَجُنُودِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ قَتَلَ جَالُوتَ زَوْجَتُهُ بَابَتِي، وَأَشْرَكْتُهُ فِي مُلْكِي. وَكَانَ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَزِي بِالقَدَافَةِ - وَهُوَ المِقْلَاعُ - رَمِيًا عَظِيمًا، فَبَيْنَمَا هُوَ سَائِرٌ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ نَادَاهُ حَجَرٌ، أَنْ تُحَذِنِي فَإِنَّ بِي تَقْتُلُ جَالُوتَ. فَأَخَذَهُ، ثُمَّ حَجَرَ آخَرَ كَذَلِكَ، ثُمَّ آخَرَ كَذَلِكَ، فَأَخَذَ الثَّلَاثَةَ فِي مِخْلَاتِهِ، فَلَمَّا تَوَاجَعَ الصَّفْقَانِ، بَرَزَ جَالُوتُ وَدَعَا إِلَى نَفْسِهِ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ دَاوُدَ، فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ، فَإِنِّي أَكْرَهُ قَتْلَكَ. فَقَالَ: لَكِنِّي أَحِبُّ قَتْلَكَ. وَأَخَذَ تِلْكَ الأَحْجَارَ الثَّلَاثَةَ^(٣) مِنْ مِخْلَاتِهِ^(٤) فَوَضَعَهَا فِي القَدَافَةِ ثُمَّ أَدَارَهَا، فَصَارَتِ الثَّلَاثَةُ حَجْرًا وَاحِدًا، ثُمَّ رَمَى بِهَا جَالُوتَ فَفَلَقَ رَأْسَهُ، وَفَرَّ جَيْشُهُ مُنْهَرِمًا، فَوَفَّى لَهُ طَالُوتُ بِمَا وَعَدَهُ؛ فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ^(٥) وَأَجْرَى حُكْمَهُ فِي مُلْكِهِ^(٦)، وَعَظَّمَ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَحْبَبُوهُ وَمَالُوا إِلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ طَالُوتَ، فَذَكَرُوا أَنَّ طَالُوتَ حَسَدَهُ وَأَرَادَ قَتْلَهُ، وَاحْتَالَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ العُلَمَاءُ يَنْهَوْنَ طَالُوتَ عَنِ قَتْلِ دَاوُدَ، فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَهُمْ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا القَلِيلُ، ثُمَّ حَصَلَ لَهُ تَوْبَةٌ وَنَدَمٌ وَإِقْلَاعٌ عَمَّا سَلَفَ مِنْهُ، وَجَعَلَ يُكْثِرُ مِنَ البُكَاءِ،

(١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) في الأصل: «صغيراً».

(٣ - ٣) زيادة من: ص.

(٤ - ٤) في ح: «وأخرى حلمه في مله».

وَيَخْرُجُ إِلَى الْجَبَانَةِ فَيَبْكِي حَتَّى يَيْلُ الثَّرَى بِدُمُوعِهِ، فَتُودَى ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْجَبَانَةِ: أَنْ يَا طَالُوتَ، قَتَلْتَنَا وَنَحْنُ أَحْيَاءُ، وَأَذَيْتَنَا وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ. فَازْدَادَ لَذَلِكَ بَكَؤُهُ وَخَوْفُهُ، وَاشْتَدَّ وَجَلُّهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنِ عَالِمٍ يَسْأَلُهُ عَنْ أَمْرِهِ، وَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: وَهَلْ أَبْقَيْتَ عَالِمًا؟ حَتَّى دُلَّ عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْعَابِدَاتِ، فَأَخَذَتْهُ فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى قَبْرِ يَوْشَعَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالُوا: فَذَعَتِ اللَّهُ، فَقَامَ يَوْشَعُ مِنْ قَبْرِهِ، فَقَالَ: أَقَامَتِ الْقِيَامَةُ؟ فَقَالَتْ: لَا، وَلَكِنَّ هَذَا طَالُوتُ يَسْأَلُكَ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، يَنْخَلِجُ مِنَ الْمَلِكِ، وَيَذْهَبُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُقْتَلَ. ثُمَّ عَادَ مَيِّتًا. فَتَرَكَ^(١) الْمَلِكُ لِدَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَهَبَ وَمَعَهُ ثَلَاثَةٌ عَشَرَ مِنْ أَوْلَادِهِ، فَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى قُتِلُوا. قَالُوا: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَاكَ اللَّهُ [٢١٧/١] الْمَلِكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾. هَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَارِيخِهِ»^(٢)، مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ بِإِسْنَادِهِ. وَفِي بَعْضِ هَذَا نَظَرٌ وَنَكَارَةٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال محمد بن إسحاق: النبي الذي بُعِثَ فَأَخْبَرَ طَالُوتَ بِتَوْبَتِهِ، هُوَ الْيَسَعُ ابْنُ أَحْطُوبَ. حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضًا^(٣). وَذَكَرَ الثُّغَلَيْبِيُّ^(٤) أَنَّهَا أَتَتْ بِهِ إِلَى قَبْرِ أَشْمُوَيْلَ، فَعَاتَبَتْهُ عَلَى مَا صَنَعَ بَعْدَهُ مِنَ الْأُمُورِ. وَهَذَا أَنْسَبُ. وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا رَأَاهُ فِي النَّوْمِ، لِأَنَّهُ قَامَ مِنَ الْقَبْرِ حَيًّا؛ فَإِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ مُعْجَزَةً لِنَبِيِّ، وَتِلْكَ الْمَرْأَةُ لَمْ

(١) فِي ح: «فَذَهَبَ».

(٢) ٤٧٢/١ - ٤٧٥. مَطْوَلًا.

(٣) فِي تَارِيخِهِ ٤٧٥/١.

(٤) عَرَائِسُ الْمَجَالِسِ ٢٤٣.

تَكُنْ نَبِيَّةً . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . "قال ابن جرير" : وَزَعَمَ أَهْلُ التَّوْرَةِ أَنَّ مُدَّةَ مُلْكِ
طَالُوتَ إِلَى أَنْ قُتِلَ مَعَ أَوْلَادِهِ ، "كَانَتْ أَرْبَعِينَ" سَنَةً . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١ - ١) سقط من : م . وانظر تاريخ الطبري ١/٤٧٥ .

(٢ - ٢) في ح : «أربعين» . وفي م : «أربعون» .

قصة داود عليه السلام

وَمَا كَانَ فِي أَيَّامِهِ وَذِكْرٌ^(١)

فضائله وشمائله ودلائل نبوته وأعلامه

هو داود بن إيشا بن عويد بن باعز^(٢) بن سلمون بن نحشون^(٣) بن عويناذب^(٤) بن إرم بن حصرون بن فارص^(٥) بن يهوذا^(٦) بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل، عبد الله ونبه وخليفته في أرض بيت المقدس.

قال محمد بن إسحاق^(٧) عن بعض أهل العلم، عن وهب بن مئببه: كان داود، عليه السلام، قصيراً أزرق العينين،^(٨) قليل الشعر^(٩)، طاهر القلب نقيه. تقدم أنه لما قتل جالوت، وكان قتله له - فيما ذكر ابن عساکر^(٩) - عند قصر أم حكيم بقرب مزج الصفر. فأحبته بنو إسرائيل ومالوا إليه وإلى ملكه عليهم، فكان من أمر طالوت ما كان، وصار الملك إلى داود، عليه السلام، وجمع الله

(١) في م: «ثم».

(٢) في ح، م، ص: «عابر».

(٣) في ح: «لحسون». وفي ص: «بحشون».

(٤) في ح: «عوسادب». وفي ص: «عوسادب».

(٥) في الأصل: «مارض».

(٦) في الأصل، ح، ص: «يهودا».

وراجع في هذا الاسم وما سبقه: تاريخ الطبري ٤٧٦/١.

(٧) تاريخ الطبري ٤٧٦/١.

(٨ - ٨) سقط من: ح. وفي ص: «حسن الشعر».

(٩) تاريخ مدينة دمشق ٨٠/١٧.

له بين الملك والثبوة؛ بين خَيْرِي^(١) الدنيا والآخرة، وكان الملك يكون في سبب
 والثبوة في سبب^(٢) آخر، فاجتمع في داودَ هذا وهذا، كما قال تعالى^(٣) :
 ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا
 يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ
 وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١]. أى؛ لولا إقامة
 الملوك حكامًا على الناس، لأكلَ قوَى الناسِ ضعيفهم. ولهذا جاء في بعض
 الآثار: «السلطان ظلُّ الله في أرضه»^(٤). وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان:
 إِنَّ اللَّهَ لَيَزْعُجُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزْعُجُ بِالْقُرْآنِ^(٥). وقد ذَكَرَ ابنُ جرير في
 «تاريخه»^(٦): أَنَّ جَالُوتَ لَمَّا بَارَزَ طَالُوتَ، فَقَالَ لَهُ: اخْرُجْ إِلَيَّ أَوْ اخْرُجْ إِلَيْكَ.
 فندب طالوتُ الناسَ، فانتدبَ داودُ، فَقَتَلَ جَالُوتَ. قال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ: فمال
 الناسُ إلى داودَ، حتى لم يكنْ لَطَالُوتَ ذِكْرٌ، وخلقوا طالوتَ وولَّوا عليهم
 داودَ. وقيل: إِنَّ [٢١٨/١] ذلك عن أمرِ شمويلَ، حتى قال بعضهم: إِنَّهُ وُلَّاهُ
 قَبْلَ الْوَقْعَةِ.

قال ابنُ جرير^(٧): والذي عليه الجمهورُ، أنه إنما وُلِّيَ الملكَ^(٨)، بعدَ قَتْلِ

(١) فى ح، م، ص: «خير».

(٢) زيادة من: الأصل.

(٣) التفسير ٤٤٧/١.

(٤) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (١٠١٧، ١٠٢٤). وهو عن أبى بكره عن النبى ﷺ. وقال الألبانى: حديث حسن.

(٥) ذكر السيوطى فى الدر المنثور ١٩٩/٤ نحوه من قول عمر بن الخطاب، وعزاه للخطيب البغدادى. وذكره المصنف فى تفسيره ١٠٩/٥ مرفوعًا.

(٦) ٤٧٨/١.

(٧) فى تاريخه ٤٧٨/١.

(٨) فى ح، م: «ذلك».

جالوت . والله أعلم . ^(١) وروى ابن عساکر ^(٢) ، عن سعيد بن عبد العزيز : أن
قُتِلَ جالوتَ كان عند قصرٍ أم حكيم ، وأن النهرَ الذى هناك هو المذكورُ فى
الآية . فالله أعلم ^(٣) .

وقال تعالى ^(٤) : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنجِيَالِ أُوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ
وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿٥﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَدِيدَتٍ وَقَدِرَ فِي السَّرِيَّةِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦﴾ [سبا : ١٠ ، ١١] .

وقال تعالى ^(٧) : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا
فَتِيلِينَ ﴿٨﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ
شَاكِرُونَ ﴿٩﴾ [الأنبياء : ٧٩ ، ٨٠] . أعانه الله على عملِ الذُّرُوعِ من الحديدِ ؛
ليُحْصِنَ الْمُقَاتِلَةَ مِنَ الأَعْدَاءِ ، وَأَرْشَدَهُ إِلَى صَنْعَتِهَا وَكَيْفِيَّتِهَا ، فقال : ﴿ وَقَدِرَ
فِي السَّرِيَّةِ ﴿١٠﴾ . أى ؛ لَا تُدِيقُ ^(١١) الْمِسْمَارَ فَيَقْلُقُ ^(١٢) ، وَلَا تُغْلِظُهُ فَيَنْفِصِمَ . قاله
مجاهدٌ ، وقناةٌ ، والحكمُ ، وعِكرمةٌ ، وغيرهم ^(١٣) . قال الحسنُ البصرىُّ ،
وقناةٌ ، والأعمشُ : كان اللهُ قد أَلَانَ له الحديدَ حتى كان يُقْتَلُهُ بيده ، لا
يحتاجُ إلى نارٍ ولا بِمُطْرَقَةٍ . قال قناةٌ : فكان أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ الذُّرُوعَ مِنْ زَرَدٍ ^(١٤) ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى تاريخ دمشق ٨٠ / ١٧ .

(٣) التفسير ٤٨٥ / ٦ ، ٤٨٦ .

(٤) التفسير ٣٥٢ / ٥ .

(٥) فى الأصل : « ترق » . وتدق أى لا تجعله دقيقا رقيقا .

(٦) فى الأصل : « فيفلق » . وفى ح : « مبعلق » . وفى م : « فيفلق » . وما أثبتناه هو الموافق للمعنى ، ولما

أورده ابن كثير فى التفسير . ويقلق : يتقلقل ويتحرك ويكون غير ثابت .

(٧) سقط من : ح ، م . وانظر التفسير ٤٨٦ / ٦ .

(٨) الزرد : جلقُ المِفْقَرِ والذُّرْعِ .

وإنما كانت قبل ذلك صفائح. قال ابن شوذب: كان يعمل كل يوم ذرعاً
بيغها بستة آلاف درهم.

وقد ثبت في الحديث الصحيح^(١): «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه،
وإن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده».

وقال تعالى^(٢): ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا
لِلْجِبَالِ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٨﴾ وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿٩﴾ وَشَدَدْنَا
مُلْكَهُمُ وَأَيَّنَّا لَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْكَلِمَاتِ ﴿١٠﴾﴾ [ص: ١٧ - ٢٠]. قال ابن عباس،
ومجاهد: الأيد: القوة في الطاعة. يعني: كان^(٣) ذا قوة في العبادة والعمل
الصالح. قال قتادة: أعطى قوة في العبادة وفقها في الإسلام. قال: وقد ذكر
لنا أنه كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر.

وقد ثبت في «الصحيحين»^(٤)، أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الصلاة
إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود؛ كان ينام نصف
الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفطر إذا
لأقى». وقوله: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا لِلْجِبَالِ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٨﴾ وَالطَّيْرِ
مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿٩﴾﴾، كما قال: ﴿يَجِبَالُ أَوَّابٌ مَعَهُ وَالطَّيْرُ ﴿١٠﴾ أَي؛

(١) سقط من: ح، م.

والحديث أخرجه البخاري (٢٠٧٢) بلفظ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده،
وإن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده».

(٢) التفسير ٤٩/٧ - ٥١.

(٣) سقط من: ح، م.

(٤) في مواضع متعددة، وأقربها إلى لفظ المصنف: البخاري (١١٣١)، ٣٤١٩، ٣٤٢٠. مسلم
(١١٥٩).

سَبَّحِي مَعَهُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ ؛ أَيْ عِنْدَ آخِرِ النَّهَارِ وَأَوَّلِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ وَهَبَهُ مِنَ الصَّوْتِ [٢١٨/١ ظ] الْعَظِيمِ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا ، بَحِيثٌ إِنَّهُ كَانَ إِذَا تَرْتَّمَ بِقِرَاءَةِ كِتَابِهِ ، يَقِفُ الطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ ، يُرْجِعُ بِتَرْجِيْعِهِ وَيُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ ، وَكَذَلِكَ الْجِبَالُ تُجِيبُهُ وَتُسَبِّحُ مَعَهُ كُلَّمَا سَبَّحَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ . وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ قَالَ : أُعْطِيَ دَاوُدُ مِنْ حُسْنِ الصَّوْتِ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَطُّ ؛ حَتَّى إِنْ كَانَ الطَّيْرُ وَالْوَحْشُ لَيَعْكِفُ ^(١) حَوْلَهُ حَتَّى يَمُوتَ عَطَشًا وَجُوعًا ، وَحَتَّى إِنْ الْأَنْهَارَ لَتَقِفُ . وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِيهٍ : كَانَ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا حَجَلَ كَهَيْئَةِ الرَّقْصِ ، وَكَانَ يَقْرَأُ الرَّبُّورَ بِصَوْتٍ لَمْ تَسْمَعْ الْآذَانُ بِمِثْلِهِ ، فَيَعْكِفُ الْجِنَّ وَالْإِنْسُ وَالطَّيْرُ ^(٢) وَالذُّوَابُ عَلَى صَوْتِهِ حَتَّى يَهْلِكَ بَعْضُهَا جُوعًا .

وَقَالَ أَبُو عَوَانَةَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ ^(٣) : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ مَنْصُورِ الطُّوسِيِّ ، سَمِعْتُ صُبَيْحًا ^(٤) أَبَا ثَرَابٍ . « ح » ^(٥) ، قَالَ أَبُو عَوَانَةَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُزَنِّيُّ ^(٦) ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعَدَوِيِّ ، حَدَّثَنَا سَيَّارٌ ^(٧) ، هُوَ ابْنُ حَاتِمٍ ، عَنِ جَعْفَرٍ ، عَنِ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ دَاوُدُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذَا أَخَذَ

(١) فِي ح ، م ، ص : « ينعكف » .

(٢) لَيْسَتْ فِي : ح .

(٣) تَارِيخُ دِمَشْقَ ١٧ / ١٠٠ .

(٤) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

(٥) فِي م : « أَنْبَتْنَا بَرَادَ » . وَ« ح » مَعْنَاهَا تَحْوِيلُ الْإِسْنَادِ .

(٦) فِي ص : « ابْنِ » .

(٧) فِي النِّسْخِ : « الْمَدْنِيِّ » . وَالْمَثْبُوتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ .

(٨) فِي ص : « سَنَانِ » .

(٩) فِي ص : « أَبُو » .

فى قرآة الرُّبُورِ، تَفَتَّقَتِ^(١) العَدَارَى . وهذا غريبٌ . وقال عبدُ الرزاقِ^(٢) ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : سألتُ عطاءً عن القراءةِ على الغناءِ ، فقال : وما بأسٌ بذلك ؟ سمعتُ عُبيدَ بنَ عُمَيْرٍ^(٣) يقول : كان داوُدُ ، عليه السلامُ ، يأخذُ المِغزَفَةَ^(٤) ، فيضربُ بها ، فيقرأُ عليها ، فتزُدُّ عليه صوتُه ؛ يريدُ بذلك أن يتيكئَ ويثيكي .

وقال الإمامُ أحمدُ^(٥) : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن عَزْوَةَ ، عن عائشةَ قالت : سمِعَ رسولُ اللهِ ﷺ صوتَ أبى موسى الأشعريِّ وهو يقرأُ ، فقال : « لَقَدْ أُوتِيَ أبو موسى مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » . وهذا على شرطِ الشيخينِ ، ولم يُخرجاهُ من هذا الوجهِ .

وقال أحمدُ^(٦) : حدَّثنا^(٧) حسنٌ ، حدَّثنا حمادُ^(٨) بنُ سَلَمَةَ ، عن محمدِ بنِ عمرو^(٩) ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « لَقَدْ أُعْطِيَ أبو موسى مِنْ مَزَامِيرِ دَاوُدَ » . على شرطِ مسلمٍ .

وقد رُوينا عن أبى عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ^(١٠) ، أنه قال : لَقَدْ سَمِعْتُ

(١) أي : ظهرت وبرزت ، يقال : أفَتَّقَ القمرُ . إذا برز بين سحابتين سوداوين . « اللسان » (ف ت ق) .

(٢) مصنف عبد الرزاق ٤٨١ / ٢ . ومن طريقه ابن عساكر ١٧ / ١٠١ .

(٣) فى م : « عمر » .

(٤) فى ح : « الفرقة » . وفى م : « العزفة » . وفى ص : « المقرقة » .

(٥) أحمد فى المسند ٦ / ١٦٧ .

(٦) أحمد فى المسند ٢ / ٣٥٤ . قال الهيثمى فى التجمع ٩ / ٣٥٩ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير

محمد بن عمرو وهو حسن الحديث .

(٧ - ٨) فى ص : « حسن بن حماد » .

(٩) فى م : « عمر » .

(١٠) فى ح ، م : « الترمذى » .

الْبُرْطُ^(١) وَالْمِزْمَارَ، فَمَا سَمِعْتُ صَوْتًا أَحْسَنَ مِنْ صَوْتِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ .
 وقد كان مع هذا الصوتِ الرَّخِيمِ، سَرِيعَ الْقِرَاءَةِ لِكِتَابِهِ الرَّبُّورِ، كَمَا قَالَ
 الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٢) : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
 قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « حُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقِرَاءَةُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَائِيهِ
 فَتُسْرَجُ، فَكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسْرَجَ دَائِيَتُهُ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ
 يَدَيْهِ » .

وكذلك رواه البخاري^(٣) مُتَّفَرِّدًا بِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ
 الرَّزَّاقِ بِهِ، [٢١٩/١] وَلَفْظُهُ « حُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقُرْآنَ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَائِيهِ
 فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَائِيَتُهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ » . ثُمَّ
 قَالَ الْبُخَارِيُّ : وَرَوَاهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ^(٤)، عَنْ صَفْوَانَ - هُوَ ابْنُ سُلَيْمٍ^(٥) - عَنْ
 عَطَاءِ بْنِ يَسَّارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . وَقَدْ أَسْتَدَّهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي
 تَرْجُمَةِ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي « تَارِيخِهِ »^(٦) مِنْ طَرِيقِ عَنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ،
 عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، وَمِنْ طَرِيقِ أَبِي عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي بَكْرِ السَّبْرِيِّ، عَنْ
 صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ بِهِ .

والمراءُ بالقرآن ههنا الرَّبُّورُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ^(٧) عَلَيْهِ وَأَوْحَاهُ إِلَيْهِ . وَذَكَرُ

(١) البُرْطُ : العود ؛ من آلات الموسيقى .

(٢) أحمد في المسند ٢ / ٣١٤ . (صحيح) .

(٣) البخاري (٣٤١٧) .

(٤) في ص : « عيينة » .

(٥) في الأصل : « سلم » .

(٦) تاريخ دمشق ١٧ / ٨٩ ، ٩٠ .

(٧) زيادة من : الأصل .

دَوَابِّهِ^(١) أشبه أن يكون محفوظًا؛ فإنه كان ملكًا له أتباع، فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تشرج الدواب، وهذا أمر سريع مع التدبير والترنم والتعنى به على وجه التخشع، صلوات الله وسلامه عليه. وقد قال الله تعالى^(٢): ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. والزبور كتاب مشهور، وذكرنا في «التفسير» الحديث الذي رواه أحمد^(٣) وغيره^(٤)، أنه أنزل في شهر رمضان، وفيه من المواعظ والحكم ما هو مشهور^(٥) معروف لمن نظر فيه.

وقوله تعالى^(٦): ﴿وَسَدَدْنَا مَلَكُومًا وَآيَاتِنَا الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْبُحْرَانِ﴾ [ص: ٢٠]. أي؛ أعطيتاه ملكًا عظيمًا وحكمًا نافذًا. روى ابن جرير وابن أبي حاتم^(٧)، عن ابن عباس، أن رجلين تداخيا إلى داود، عليه السلام، في بقير، ادعى^(٨) أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه، فأنكر المدعى عليه^(٩)، فأرجأ أمرهما إلى الليل، فلما كان الليل، أوحى الله إليه أن يقتل المدعى، فلما أصبح قال له داود: إن الله قد أوحى إلي أن اقتلك، فأنا قاتلك لا محالة، فما خبزك فيما ادعيتك على هذا؟ قال: والله يا نبي الله، إنني لحققت فيما ادعيتك عليه،

(١) في م، ص: «رواية».

(٢) التفسير ٤٢٢/٢.

(٣) في المسند ١٠٧/٤. عن واثلة بن الأسقع، وليس فيه ذكر «الزبور» وكذا في جامع المسانيد للمصنف ٣٤١/١٢. وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٧٥). أما الذي فيه لفظ «الزبور» فهو في الأسماء والصفات للبيهقي ص ٢٣٣، ٢٣٤، من طريق عمران به.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) زيادة من: الأصل.

(٦) التفسير ٥٠/٧، ٥١.

(٧) ابن جرير في تفسيره ١٣٨/٢٣، ١٣٩. الدر المنثور ٢٩٩/٥، ٣٠٠. وعزاه لابن أبي حاتم.

(٨) في الأصل: «ادعاها».

(٩) سقط من: ح.

ولكنني كنت اغتلت أباه قبل هذا فقتلته^(١). فأمر به داود فقتل؛ فعظم أمر داود في بني إسرائيل جدًا، وخضعوا له خضوعًا عظيمًا. قال ابن عباس: فهو قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّنَّا لَهُ الْحِكْمَةَ﴾، أي؛ النبوة. ﴿وَفَصَّلَ لِنَطَابٍ﴾، قال شريح، والشعبي، وقتادة، وأبو عبد الرحمن السلمى، وغيرهم ﴿وَفَصَّلَ لِنَطَابٍ﴾: الشهود والأيمان. يفتنون بذلك البيئته على المدعى، واليمين على من أنكز. وقال مجاهد والسدتي: هو إصابة القضاء وفهمه. وقال مجاهد: هو الفضل في الكلام وفي الحكم. واختاره ابن جرير. وهذا لا ينافي ما روى عن أبي موسى، أنه قول: أما بعد. وقال وهب بن منبه: لما كثر الشر وشهادت الزور في بني إسرائيل، أعطى داود سلسلة [٢١٩/١ ط] لفضل القضاء، فكانت ممدودة من السماء إلى صخرة بيت المقدس، وكانت من ذهب، فإذا تشاجر الرجلان في حق، فأيهما كان مُحققًا نالها، والآخر لا يصل إليها، فلم تزل كذلك حتى أودع رجل رجلًا لؤلؤة، فبحدها منه، وأتخذ عُكَّازًا وأودعها فيه، فلما حضرا عند السلسلة^(٢)، تناولها المدعى، فلما قيل للآخر: خذها بيديك. عمد إلى العكاز، فأعطاه المدعى، وفيه تلك اللؤلؤة، وقال: اللهم إنك تعلم أتى دفعتها إليه. ثم تناول السلسلة فنالها، فأشكال أمرها على بني إسرائيل، ثم رُفعت سريعًا من بينهم^(٣). ذكره بمعناه غير واحد من المفسرين. وقد رواه إسحاق بن بشر، عن إدريس بن سنان^(٤)، عن وهب به بمعناه.

(١) زيادة من: الأصل.

(٢) في ح، م، ص: «الصخرة».

(٣) ذكره الثعلبي في عرائس المجالس، عن الضحاك، عن ابن عباس، بنحوها ص ٢٤٦.

(٤) في الأصل: «يسار».

قال تعالى^(١): ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوًا الْخَصِمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ مِنِّي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَى إِعْجَابِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْمُخَلَّفَةِ لِئِنِّي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقِيلَ مَا هُمْ وَطَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴿٢٥﴾ [ص: ٢١-٢٥]

وقد ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ، هَلْ هُنَا قَصَصًا وَأَخْبَارًا أَكْثَرَهَا إِسْرَائِيلِيَّاتٍ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مَكْدُوبٌ لَا مَحَالَةَ، تَرَكْنَا إِيرَادَهَا فِي كِتَابِنَا قَصْدًا؛ اِكْتِفَاءً وَاقْتِصَارًا عَلَى مُجَرَّدِ تِلَاوَةِ الْقِصَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وقد اختلف الأئمة في سجدة «ص»؛ هل هي من عزائم السجود، أو إنما هي سجدة شكر ليست من عزائم السجود؟ على قولين.

قال البخاري^(١): حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي، عن العوام قال: سألت مجاهدًا عن سجدة «ص»، فقال: سألت ابن عباس: من أين سجدت؟ فقال: أو ما تقرأ: ﴿ وَمِن دُرَيْتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ [الأنعام: ٨٤]، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدَتْ ﴾

(١) التفسير ٥١/٧ - ٥٤.

(٢) البخاري (٣٤٢١).

[الأنعام: ٩٠]، فكان داودُ ممن أمرَ نبيُّكم ﷺ أن يقتديَ به، فسجدَها داودُ عليه السلام؛ فسجدَها رسولُ الله ﷺ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ^(١): حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، هُوَ ابْنُ عَلِيَّةَ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي السُّجُودِ فِي «ص»: لَيْسَتْ مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَسْجُدُ فِيهَا. وَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ [١/٢٢٠]، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ^(٢)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَرْزَةَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وقال النَّسَائِيُّ^(٣): أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ الْمِقْسَمِيُّ^(٤)، حَدَّثَنَا حُجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ دَرَّجٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِي «ص»، وَقَالَ: «سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً، وَنَسَجَدُهَا شُكْرًا». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ^(٥) وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

وقال أبو داودَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ^(٦) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ «ص»، فَلَمَّا بَلَغَ السُّجْدَةَ، نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ آخِرِ

(١) في المسند ١/٣٦٠. (إسناده صحيح).

(٢) البخاري (٣٤٢٢). وأبو داود (١٤٠٩). والتِّرْمِذِيُّ (٥٧٧). والنَّسَائِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١١١٧٠).

(٣) النَّسَائِيُّ (٩٥٦). وَفِي الْكَبِيرِ (١١٤٣٨).

(٤) فِي الْأَصْلِ: «الْمَعْنَى». وَفِي «ص»: «الْمَسْمَى».

(٥) زِيَادَةٌ مِنْ: «م». وَالْمَقْصُودُ بِهِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ عَلِيِّ النَّسَائِيِّ.

(٦) فِي الْأَصْلِ: «عَنْ».

قرأها، فلما بلغ السجدة تَسَرَّنَ^(١) الناسُ للسجود، فقال: «إِنَّمَا هِيَ تَزْبُةٌ نَبِيٍّ، وَلَكِنْ رَأَيْتُكُمْ تَسَرَّنْتُمْ^(٢)». فَتَزَلَّ وَسَجَدَ. تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ^(٣).

وقال الإمام أحمد^(٤): حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ، هُوَ ابْنُ عَمْرٍ، وَأَبُو الصُّدَيْقِ النَّاجِيُّ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَأَى رُؤْيَا، أَنَّهُ يَكْتُبُ «ص»، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى التِّي يَسْجُدُ بِهَا، رَأَى الدَّوَاةَ وَالْقَلَمَ وَكُلَّ شَيْءٍ بِحَضْرَتِهِ انْقَلَبَ سَاجِدًا. قَالَ: فَقَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْجُدُ بِهَا بَعْدُ. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

وروى الترمذی، وابن ماجه^(٥)، من حديث محمد بن يزيد^(٦) بن حنيس^(٧)، عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: قال لي^(٨) ابن جريج: حَدَّثَنِي جَدُّكَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَقَرَأْتُ السَّجْدَةَ فَسَجَدْتُ^(٩)، فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي^(٩)، فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ وَهِيَ سَاجِدَةٌ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي

-
- (١) في ح، م: «تسرف». والتشزن: التأهب والتهيؤ للشئ، والاستعداد له. النهاية (ش ز ن).
 (٢) في ح، م: «تسرفتم».
 (٣) أبو داود (١٤١٠). صحيح (صحيح أبي داود ١٢٥٣).
 (٤) أحمد في المسند ٧٨/٣.
 (٥) الترمذی (٥٧٩). وابن ماجه (١٠٥٣). حسن (صحيح الترمذی ٤٧٣).
 (٦) (٦ - ٦) في الأصل: «بن حبيس». وفي ص: «وحسن».
 (٧) في الأصل، ص: «عبد».
 (٨) سقط من: ح، م.
 (٩) في ح، م: «بسجودي».

عِنْدَكَ دُخْرًا، وَضَع عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَأَقْبَلَهَا مِنِّي كَمَا قَبِلْتَ مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ . قال ابنُ عباسٍ : فرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ فَقَرَأَ السُّجْدَةَ ثُمَّ سَجَدَ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ وَهُوَ سَاجِدٌ كَمَا حَكَى الرَّجُلُ عَن كَلَامِ الشَّجَرَةِ . ثم قال التِّرْمِذِيُّ : غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

وقد ذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ : أَنَّهُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَكَثَ سَاجِدًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا . وقاله مجاهدٌ والحسنُ وغيرُهما^(١) . ووَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ ، لَكِنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ مَتْرُوكُ الرِّوَايَةِ^(٢) .

قال اللهُ تعالى : ﴿ فَفَعَّرْنَا لَهُمُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُمُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَعَابٍ ﴾ [ص : ٢٥] . أَى ؛ وَإِنَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَزُلْفَى ، وَهِيَ الْقُرْبَةُ الَّتِي يَقْرُبُهُ اللَّهُ بِهَا وَيُذْنِبُهُ مِنْ [٢٢٠/١] حَظِيرَةِ قُدْسِهِ بِسَبَبِهَا ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ^(٣) : « الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَن يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يُقْسِطُونَ فِي أَهْلِيهِمْ وَحُكْمِهِمْ وَمَا وُلُوا » .

وقال الإمامُ أحمدُ في « مسنده »^(٤) : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، حَدَّثَنَا فَضِيلٌ ، عَنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ . قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنِّي مَجْلِسُنَا ، إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ

(١) تفسير الطبري ١٤٨/٢٣ - ١٥٠ .

(٢) في ح : « البداية » .

والحديث رواه ابن جرير في تفسيره ١٥٠/٢٣ ، ١٥١ ، وقال السيوطي في الدر المنثور ٣٠٠/٥ : بسند ضعيف .

(٣) في م : « حديث » . والحديث أخرجه مسلم (١٨٢٧) .

(٤) المسند ٢٢/٣ .

إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدُّهُمْ عَذَابًا، إِمَامٌ جَائِزٌ». وهكذا رواه الترمذى^(١) من حديث فضيل بن مرزوق الأعرابي، وقال: لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. وقال ابن أبي حاتم^(٢): حدثنا أبو زُرْعَةَ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد، حدثنا سيار، حدثنا جعفر بن سليمان، سمعتُ مالك بن دينار في قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَنَاقِبٍ﴾ قال: يُقَامُ^(٣) داود، عليه السلام، يومَ القيامة عند ساق العرش، فيقولُ اللهُ: يا داودُ، مَجِدُنِي اليَوْمَ بِذَلِكَ الصَّوْتِ الْحَسَنِ الرَّخِيمِ، الَّذِي كُنْتَ تُمَجِّدُنِي بِهِ^(٤) فِي الدُّنْيَا. فيقولُ: وكيف وقد سلبته؟ فيقولُ: إِنِّي أَرُذُهُ عَلَيْكَ اليَوْمَ. قال: فيرفعُ داودُ بصوتٍ يَسْتَفْرِغُ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَانِ.

قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]. هذا خطابٌ من الله تعالى مع داود، والمراد: ولاةُ الأمورِ وحكامُ الناسِ، وأمرهم بالعدلِ وأتباعِ الحقِّ المنزَّلِ من الله لا ما سواه من الآراءِ والأهواءِ، وتوَعَّدُ مَنْ سَلَكَ غيرَ ذلكِ وحكَمَ بغيرِ ذلكِ، وقد كان داودُ، عليه السلامُ، هو المقتدى به في ذلك الزمانِ، في

(١) الترمذى (١٣٢٩). ضعيف. (ضعيف الترمذى ٢٢٥). وانظر (السلسلة الضعيفة ١١٥٦).

(٢) التفسير ٥٤/٧. وذكره في الدر المنثور ٣٠٥/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) في ح، ص: «مقام». وفي م: «يقوم».

(٤) في ص: «تحمدي».

(٥ - ٥) سقط من: ح، م، ص. وانظر التفسير ٥٤/٧.

العُدْلِ وكثرة العبادة وأنواع القُرْبَاتِ ، حتى إنه كان لا تَمُضِي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار ، إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهاراً ، كما قال تعالى ^(١) : ﴿ اَعْمَلُوا مِثْلَ مَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ ﴾ . قال أبو بكر ابن أبي الدنيا ^(٢) : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَسَّامٍ ، حَدَّثَنَا صَالِحُ الْمُزَنِّي ^(٣) ، عَنْ أَبِي ^(٤) عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ ، عَنْ أَبِي الْجَلْدِ ^(٥) قَالَ : قَرَأْتُ فِي مَسْأَلَةِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ قَالَ : يَا رَبِّ ، كَيْفَ لِي أَنْ أَشْكُرَكَ وَأَنَا لَا أَصِلُ إِلَى شُكْرِكَ إِلَّا بِنِعْمَتِكَ ؟ قَالَ : فَأَتَاهُ الْوَحْيُ : أَنْ يَا دَاوُدَ ، أَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بَكَ مِنَ النَّعْمِ مِنِّي ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ . قَالَ : فَإِنِّي أَرْضَى بِذَلِكَ مِنْكَ .

وقال البيهقي ^(٦) : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، أَنبَأَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ بَالَوَيْهٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْقُرَشِيُّ ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَاحِقٍ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ : [٢٢١/١ و] قَالَ دَاوُدُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا يُنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنَّكَ أَنْتَعَبْتَ الْحَفْظَةَ يَا دَاوُدَ . وَرَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ^(٧) ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ ، عَنِ الثَّوْرِيِّ مِثْلَهُ .

وقال عبد الله بن المبارك في كتاب « الزهد » ^(٨) : أَنبَأَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ

(١) التفسير ٤٨٨/٦ ، ٤٨٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر ص ٧ .

(٣) في م : « المزني » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) في ح : « الجليل » .

(٦) في شعب الإيمان (٤٤١٦) .

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر ص ١٩ .

(٨) الزهد لابن المبارك (٣١٣) .

رجل، عن وهب بن منبه قال: إن في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات؛ ساعة يتأجج فيها ربه، وساعة^(١) يحاسب فيها نفسه، وساعة يُفضي فيها إلى إخوانه الذين يُخبرونه بغيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يُخلى^(٢) بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويحرم؛ فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجمام للقلوب، وحق على العاقل أن يعرف زمانه، ويحفظ لسانه، ويُقبل على شأنه، وحق على العاقل أن لا يظعن إلا في إحدى ثلاث: زاد لمأواه، ومرممة^(٣) لمعيشه، ولذة في غير مُحرم.

وقد رواه أبو بكر ابن أبي الدنيا^(٤)، عن أبي بكر بن أبي حنيفة^(٥)، عن ابن مهدي، عن شفيان عن أبي^(٦) الأغر، عن وهب بن منبه، فذكره. ورواه أيضًا عن علي بن الجعد، عن عمر بن الهيثم الرقاشي، عن أبي الأغر، عن وهب بن منبه، فذكره. وأبو الأغر هذا، هو الذي أتهمه^(٧) ابن المبارك في روايته. قاله ابن عساکر^(٨).

وقال عبد الرزاق^(٩): أنبأنا بشر بن رافع، حدثنا شيخ من أهل صنعاء، يُقال له: أبو عبد الله. قال: سمعتُ وهب بن منبه، فذكر مثله.

(١) سقط من: ص.

(٢) في الأصل: «يخلوا».

(٣) في ص: «مرة». والمرقة: متاع البيت.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت مختصراً حديث رقم (٣١).

(٥) في ص: «حمة».

(٦) في ص: «ابن».

(٧) في الأصل: «اتهمه».

(٨) لعله في الجزء الذي سقط من تاريخ ابن عساکر، راجع تاريخ دمشق ١٠٩/١٧ حاشية ٣.

(٩) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٢١/١١، ٢٢، رقم (١٩٧٩٠).

(١) وقد رَوَى الحافظُ ابنُ عساکرَ^(٢) في ترجمةِ داودَ، عليه السَّلامُ، أشياءَ كثيرةَ مَلِيحَةٍ، منها قولُه: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ، واعلمْ أنك كما تَزْرُعُ كذلك تَحْصُدُ. وَرَوَى بسنَدٍ غريبٍ مرفوعًا، قال داودُ: يا زارعَ السَّيِّئَاتِ، أنتَ تَحْصُدُ شَوْكَهَا وَحَسَكَهَا^(٣). وعن داودَ، عليه السَّلامُ، أَنَّهُ قال^(٤): مَثَلُ الخَطِيبِ الأَحْمَقِ في نادى القومِ، كَمَثَلِ المُعْنَى عندَ رأسِ الميِّتِ. وقال أيضًا: ما أَقْبَحَ الفقرَ بعدَ الغِنَى، وأقْبَحَ من ذلك الضَّلالةُ بعدَ الهدى. وقال: انظُرْ ما تُكْرَهُ أن يُذَكَرَ عنك في نادى القومِ، فلا تَفْعَلْهُ إذا خَلَوْتَ. وقال: لا تَعِدَنَّ أخاك بما لا تُنَجِرُهُ له. فإن ذلك عداوةٌ ما بينك وبينه^(٥).

وقال محمدُ بنُ سعيدٍ^(٥): أنبأنا محمدُ بنُ عُمَرَ الواقِديُّ، حَدَّثَنِي هِشامُ بنُ سعيدٍ، عن عُمَرَ مَوْلَى عُفْرَةَ^(٦)، قال: قالَتْ يَهُودٌ لَمَّا رَأَتْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ: انظُرُوا إلى هذا الذي لا يَشْبَعُ مِنَ الطَّعامِ، ولا واللَّهِ ما له هِمَّةٌ إلا إلى النِّسَاءِ. حَسَدُوهُ لكَثْرَةِ نِسائِهِ، وعائِبُوهُ بِذلك، فقالُوا: لو كان نبيًّا ما رَغِبَ في النِّسَاءِ. وكان أشدَّهُم في ذلك حُيَّيُّ بنُ أَحْطَبَ، فأكَذَّبَهُمُ اللَّهُ، وأخْبَرَهُمُ بِفضلِ اللَّهِ وَسَعَتِهِ على نبيِّهِ، صَلَّى اللَّهُ عليه وسلامُهُ، فقال^(٧): ﴿أَمْرٌ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]. يَعْنِي بالناسِ:

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) لعله في الجزء الذي سقط من تاريخ ابن عساکر، راجع تاريخ دمشق ١٠٩/١٧ حاشية ٣.

(٣) في ص: «وعسكها». والحسك: نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم. اللسان (ح س ك).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٠٣/١٣.

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢٠٢/٨.

(٦) في النسخ: «عفرة». والصحيح ما أثبتناه: عُفْرَةُ؛ بضم المعجمة وسكون الفاء. انظر التقريب ٢/

(٧) في ص: «عليه». وانظر التفسير ٢/٢٩٥، ٢٩٦.

رسول الله ﷺ ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤]. يعنى ما أتى الله سليمان بن داود، كانت له ألف امرأة؛ سبعمائة مهيرة^(١) وثلاثمائة سريّة. وكانت لداود، عليه السلام، مائة امرأة، منهن امرأة أوريا أم سليمان بن داود، التي تزوجها بعد الفتنة، هذا أكثر مما لحمد ﷺ. وقد ذكر الكلبي نحو هذا، وأنه كان لداود، عليه السلام، مائة امرأة، ولسليمان ألف امرأة، منهن ثلاثمائة سريّة.

^(٢) ورؤى الحافظ في «تاريخه»^(٣)، في ترجمة صدقة الدمشقي الذي يزوى عن ابن عباس، من طريق الفرّج^(٤) بن فضالة الحمصي، عن أبي هريرة الحمصي، عن صدقة الدمشقي، أن رجلاً سأل ابن عباس عن الصيام فقال: لأحدثتكَ بحديث كان عندي في التّخت^(٥) مخزونا، إن شئت أنبأتك بصوم داود؛ فإنه كان صواماً قواماً، وكان شجاعاً لا يفر إذا لاقى، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وقال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام صيام داود». وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتاً يلوّن فيها، وكانت له ركعة من الليل ينيكى فيها نفسه، ويئيكى بئكائه كل شيء، ويضطرب بصوته المهوم والمحموم. وإن شئت أنبأتك بصوم ابنه سليمان؛ فإنه كان يصوم من أول الشهر ثلاثة أيام، ومن وسطه ثلاثة أيام، ومن آخره ثلاثة أيام، يشتفح الشهر بصيام ووسطه بصيام ويختمه^(٦)

(١) في م: «مهيرة». والمهيرة: الحوة. اللسان (م ه ر).

(٢) (٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) تاريخ دمشق ٤٧/٢٤.

(٤) (٤ - ٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) في م: «البحث». والتخت: وعاء تُصان فيه الثياب. اللسان (ت خ ت).

« بصيام . وإن شئت أنباتك بصوم ابن العنبراء البتول عيسى ابن مريم ؛ فإنه كان يصوم الدهر ويأكل الشعير وتلبس الشجر ، يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد ، ليس له ولد يموت ولا يتت يخرب ، وكان أينما أذركه الليل « صفتين بين قدميه » وقام يصلي حتى يضيح ، وكان راميا لا يقوته صبيد يريده ، وكان يمرو بمجالس بني إسرائيل فيقضى لهم حوائجهم . وإن شئت أنباتك بصوم أمه مريم بنت عمران ؛ فإنها كانت تصوم يوما وتفطر يومين . وإن شئت أنباتك بصوم النبي العربي الأُمِّي محمد ﷺ ؛ فإنه كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ويقول : « إن ذلك صوم الدهر » .

وقد روى [نحوه] ^(٣) الإمام أحمد ^(٤) ، عن أبي النضر ، عن فرج بن فضالة ، عن أبي هريرة ^(٥) ، عن صدقة ، عن ابن عباس مرفوعا في صوم داود .

(١-١) سقط من: الأصل، ص.

(٢-٢) في الأصل، ص: « صفق يديه ». وصفن الرجل: صفت قدميه ، وكل صاف قدميه قائما فهو صافن . « اللسان » (ص ف ن) .

(٣) زيادة ليستقيم المعنى . وفي م ياض .

(٤) المسند ١/٣١٤ . (ضعيف) .

(٥) كذا في النسخ ، وفي المطبوع من المسند . والصواب أبو هريرة الحمصي ، كما نص على ذلك الحافظ ابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٦/٢٤ . والحافظ ابن حجر في تهجيل المنفعة ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ . وانظر كلام الشيخ أحمد شاکر في تعليقه على الحديث في المسند (٢٨٧٨) .

ذِكْرُ (١) كَمِّيَّةِ حَيَاتِهِ

وَكَيْفِيَّةِ وِفَاتِهِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

قد تقدّم في ذِكْرِ الأحاديثِ الواردةِ في خَلْقِ آدَمَ ، أَنَّ اللّهَ لَمَّا اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ من ظَهْرِهِ ، فرَأَى فِيهِمُ الأنبياءَ ، عليهم السَّلَامُ ، ورَأى فِيهِم رَجُلًا يَزْهَرُ ، فقال : « أَيْ رَبِّ ، مَنْ هَذَا ؟ قال : هَذَا ابْنُكَ داوُدُ ، قال : أَيْ رَبِّ ، كم عُمرُهُ ؟ قال : ستون عامًا . قال : أَيْ رَبِّ ، زدْ في عُمرِهِ . قال : لا ، إلا أن أُرِيدَهُ من عُمرِكَ . وكان عُمرُ آدَمَ أَلْفَ عامٍ ، فزادَهُ أربعين عامًا ، فلَمَّا انقَضَى عُمرُ آدَمَ جاءَهُ مَلَكُ الموتِ ، فقال : بَقِيَ من عُمرِي أربعون سنةً . ونَسِيَ آدَمُ ما كان وَهَبَهُ لوليدِهِ داوُدَ ، فَأَتَمَّها اللّهُ لآدَمَ أَلْفَ سنةٍ ، ولداوُدَ مائةَ سنةٍ » . رواه أحمدُ عن ابنِ عباسٍ (٢) ، والتِّرْمِذِيُّ وصَحَّحَهُ عن أبي هريرةَ ، وابنِ خُزَيْمَةَ ، وابنِ جِبَّانَ ، وقال الحاكمُ : على سَوَاطِئِ مسلمٍ . وقد تقدّم ذِكْرُ طريقِهِ وألفاظِهِ في قصةِ آدَمَ (٣) . قال ابنُ جريرٍ (٤) : وقد زَعَمَ بعضُ (٥) أهلِ الكتابِ أن عُمرَ داوُدَ كان سبعا وسبعين سنةً . قُلْتُ : هذا غَلَطٌ مردودٌ عليهم . قالوا : وكان مدَّةً مُلكِهِ أربعين سنةً . وهذا قد يُقْبَلُ نَقْلُهُ ؛ لأنَّهُ ليس عندنا ما يُنَافِيهِ ولا ما يَقْتَضِيهِ .

(١) سقط من : م .

(٢) تقدم تخريجه في ٢٠٧/١ بنحوه .

(٣) تقدم تخريجه في ٢٠٥/١ - ٢٠٨ .

(٤) في تاريخه ٤٨٥/١ .

(٥) سقط من : الأصل .

وأما وفاته، عليه السلام، فقال الإمام أحمد في « مسنده »^(١): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ^(٢)، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ^(٣) عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ الْمُطَّلِبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: « كَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ فِيهِ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ إِذَا شَرَحَ أُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ »، قَالَ: « فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَعُلِقَتِ الدَّارُ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ تَطَّلِعُ إِلَى الدَّارِ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ: مِنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ وَالدَّارُ مُغْلَقَةٌ؟ وَاللَّهِ لَكُنْتُ ضَحْنٌ^(٤) بِدَاوُدَ. فَجَاءَ دَاوُدُ، فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي لَا أَهَابُ الْمُلُوكَ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي شَيْءٌ. فَقَالَ دَاوُدُ: أَنْتَ وَاللَّهِ^(٥) مَلِكُ الْمَوْتِ، فَمَرَّحَبًا بِأَمْرِ اللَّهِ. فَرَمَلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حَيْثُ قُبِضَتْ رُوحُهُ، حَتَّى فُرِغَ مِنْ شَأْنِهِ، وَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ: أَظَلِّي عَلَى دَاوُدَ. فَأَظَلَّتْ عَلَيْهِ^(٦) الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِمَا الْأَرْضُ، فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ: أَقْبِضِي جَنَاحَا جَنَاحًا^(٧). قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يُرِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ فَعَلَتِ الطَّيْرُ. وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ^(٨)، « وَعَظَبْتُ عَلَيْهِ [١ / ٢٢٢]^(٩) يَوْمَئِذٍ الْمَضْرُحِيَّةُ ». انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ

(١) أحمد في المسند ٤١٩/٢.

(٢) في م: « قبصة ».

(٣) في الأصل، م: « بن ».

(٤) في النسخ: « لفتضحن ».

(٥) في النسخ: « والله إذن ».

(٦ - ٦) في الأصل، ح: « فأظلت عليهم ». وفي م: « فأظلت ».

(٧) سقط من: م.

(٨) في ص: « بيديه ».

(٩ - ٩) في ص: « المضرحية يومئذ ». وفي المسند: « يومئذ المضرحية »؛ بالصاد بدل الضاد، وقد أثبتنا

ما في النسخ « المضرحية »؛ لأنه الموافق لما ذكره ابن كثير بعد ذلك.

قَوِيٌّ؛ رجاله ثِقَاتٌ. ومعنى قوله: «وغلبت عليه يومئذ المضرجية»؛ أى: وغلبت على التظليل عليه (المضرجية، وهى^(١) الصقور الطوال الأجنحة، واجدها مضرجي، قال الجوهري: وهو الصقر الطويل الجناح. وقال السدي عن أبى مالك، عن ابن عباس، قال: مات داود، عليه السلام، فجأة، وكان يُسبِتُ، وكانت الطير تظله. وقال السدي أيضًا عن أبى مالك، وعن سعيد بن جبير، قال: مات داود، عليه السلام، يوم السبت فجأة. وقال إسحاق بن بشر، عن سعيد بن أبى عمرو، عن قتادة، عن الحسن، قال: مات داود، عليه السلام، وهو ابن مائة سنة، ومات يوم الأربعاء فجأة. وقال أبو السكن الهجري: مات إبراهيم الخليل فجأة، وداود فجأة، وابنه سليمان فجأة، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. رواه ابن عساکر^(٢). وزوى عن بعضهم: أن ملك الموت جاءه وهو نازل من مخراجه، فقال له: دغني أنزل أو أضعد. فقال: يا نبي الله، قد نفذت السنون والشهور والآثار والأرزاق. قال: فخر ساجدًا على مرقاة من تلك المراقى، فقبضه وهو ساجد. وقال إسحاق بن بشر: أنبأنا وافر بن سليمان، عن أبى سليمان الفلستيني، عن وهب بن منبه قال: إن الناس حَضَرُوا جنازة داود، عليه السلام، فجلسوا فى الشمس فى يوم صائف. قال: وكان قد شيع جنازته يومئذ أربعون ألف راهب، عليهم البرانس، سوى غيرهم من الناس، ولم يمُت فى بنى إسرائيل - بعد موسى وهارون - أحدٌ كانت بنو إسرائيل أشدَّ جَزَعًا عليه منهم على داود. قال:

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) لم نجده فى تاريخ دمشق، ولعله فى الجزء الساقط منه. وهو فى مختصره ١٤٠/٨.

فآذاهم الحرُّ فنادَوْا سليمانَ ، عليه السلامُ ، أنْ ^(١) يَعْجَلْ عليهم ؛ لما أصابهم من الحرِّ ، فخرج سليمانُ فنادَى الطيرَ فأجابَتْ ، فأمرها فأظَلَّتِ الناسَ . قال : فتراصَّ بعضها إلى بعضٍ من كلِّ وَجْهِ ، حتى استتمَّسَكَتِ الرياحُ ، فكاد الناسُ أنْ يَهْلِكُوا غَمًّا ، فصاحوا إلى سليمانَ ، عليه السلامُ ، من الغَمِّ ، فخرج سليمانُ فنادَى الطيرَ ؛ أنْ أَظِلِّي الناسَ من ناحيةِ الشمسِ ، وتَنَحَّيْ عن ناحيةِ الرِّيحِ . ففعلتُ ، فكان الناسُ في ظِلِّ وتَهَبُّ عليهم الرِّيحُ ، فكان ذلك مِنْ أَوَّلِ ما رَأَوْا من مُلْكِ سليمانَ ^(٢) .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى ^(٣) : حَدَّثَنَا أَبُو هَمَّامٍ الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ ، حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ ابْنُ مُسْلِمٍ ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ ^(٤) حَمَيْدٍ ، عَنِ الْوَضِيِّ بْنِ ^(٥) عَطَاءٍ ، عَنِ نَصْرِ بْنِ عَلْقَمَةَ ، عَنِ جُبَيْرِ بْنِ نَفِيرٍ ^(٦) ، عَنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ قَبَضَ اللَّهُ دَاوُدَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ مَا فُتِنُوا وَلَا بَدَّلُوا ، وَلَقَدْ مَكَتَ أَصْحَابُ رَفِيعَةَ نَظَرًا ، وَالْوَضِيُّ بْنُ عَطَاءٍ كَانَ ضَعِيفًا فِي الْحَدِيثِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١ - ١) في م : « يعمل لهم وقاية » .

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٨ / ١٤٠ - ١٤١ .

(٣) رواه ابن حبان (الإحسان ٦٢٣٦) من طريق أبي يعلى . وإسناده ضعيف .

(٤) في ص : « عن » .

(٥) في الأصل : « الوصير » .

(٦) في الأصل : « لقن » .

قصة سليمان بن داود،

عليهما السلام

قال الحافظ ابن عساكر^(١): هو سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن باعز^(٢) بن سلمون بن نحشون^(٣) بن عميناذب بن إرم بن حصرون^(٤)، بن فارس بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، أبو الربيع، نبي الله، ابن نبي الله.

جاء في بعض الآثار أنه دخل دمشق. قال ابن ماكولا^(٥): فارس؛ بالصاد المهملة. وذكر نسبه قريبا مما ذكره ابن عساكر. قال الله تعالى^(٦): ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ إِنِّي أَخِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]. أى: ورثه في النبوة والملك. وليس المراد: وراثته^(٧) المال؛ لأنه قد كان له بثون غيره، فما كان ليخصص بالمال دونهم. ولأنه قد ثبت في «الصحيح»^(٨) من غير وجه، عن جماعة من الصحابة، أن

(١) فى تاريخ دمشق ٢٢/٢٣٠.

(٢) فى م: «عابر». وفى تاريخ دمشق: «ناعر».

(٣) فى ح: «نحشون». وفى تاريخ دمشق: «بخشون».

(٤) فى تاريخ دمشق: «خضرون».

(٥) فى الإكمال ٧/٥٢.

(٦) التفسير ٦/١٩٢، ١٩٣.

(٧) فى م: «ورثه فى».

(٨) البخارى (٣٠٩٣، ٣٧١٢، ٤٠٣٦، ٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩) من حديث أبى بكر الصديق. ورواه البخارى (٣٠٩٤، ٤٤٠٣)، ومسلم (١٧٥٧) من حديث عمر بن الخطاب.

رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «لَا تُورَثُ، مَا تَرَكَتْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ». وفي لفظٍ^(١): «إِنَّا^(٢) مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ». فَأَخْبِرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تُورَثُ أَمْوَالُهُمْ عَنْهُمْ كَمَا يُورَثُ غَيْرُهُمْ، بَلْ تَكُونُ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً مِنْ بَعْدِهِمْ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْحَاوِيَجِ، لَا يَخْضُونَ بِهَا أَقْرَبَاءَهُمْ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا كَانَتْ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ وَأَحَقَرَ عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا هِيَ عِنْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُمْ وَأَصْطَفَاهُمْ وَفَضَّلَهُمْ. وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عَلِمَتْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾؛ يَعْنِي أَنَّهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَعْرِفُ مَا تَتَخَاطَبُ بِهِ الطُّيُورُ بِلُغَاتِهَا، وَيُعَبِّرُ لِلنَّاسِ عَنْ مَقَاصِدِهَا وَإِرَادَاتِهَا.

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا علي بن حمشاد^(٣)، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ قُتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ قُدَّامَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْأَسْوَانِيُّ - يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - عَنْ^(٤) يَعْقُوبَ الْقُمِّيِّ^(٥)، حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ، قَالَ: مَرَّ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بَعْضُفُورٍ يَدُورُ حَوْلَ عَصْفُورَةٍ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟ قَالُوا: وَمَا يَقُولُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: يَخْطُبُهَا إِلَى نَفْسِهِ، وَيَقُولُ: زَوِّجْنِي أَسْكِنُكَ أَيُّ عُرْفٍ دِمَشْقَ شِثْتِ. قَالَ سُلَيْمَانُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَنَّ عُرْفَ دِمَشْقَ مَبْنِيَّةٌ بِالصَّخْرِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْكُنَهَا أَحَدٌ، وَلَكِنْ كُلُّ

= ورواه مسلم (١٧٦١) من حديث أبي هريرة.

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٦٣/٢، وابن عبد البر في التمهيد ١٧٥/٨. من حديث أبي هريرة.

(٢) في النسخ: «نحن». والمثبت من المسند والتمهيد.

(٣) في ح، م، ص: «حمشاد». وفي تاريخ دمشق: «حمشاد». والمثبت من مصادر ترجمته: السير

٣٩٨/١٥. ومراة الجنان ٣٢٧/٢. وانظر الأنساب ٢/٢٦٢.

(٤) بعد هذا في م، ص: «أبي».

(٥) في م، ص: «العمى».

خاطب كذاب. ^(١) رواه ابنُ عساکر ^(٢) عن أبي القاسمِ زاهرِ بنِ طاهرٍ، عن البيهقيِّ به ^(٣). وكذلك ما عداها من الحيواناتِ وسائرِ صنوفِ المخلوقاتِ؛ والدليلُ على هذا قوله بعدَ هذا من الآياتِ: ﴿ وَأَوْتَيْنَا [١/٢٢٣] مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿٤﴾ أُنًى؛ مِنْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ الْمَلِكُ إِلَيْهِ؛ مِنَ الْعُدَدِ، وَالْآلَاتِ، وَالْجُنُودِ، وَالْجِيُوشِ، وَالْجَمَاعَاتِ، مِنَ الْجِنِّ، وَالْإِنْسِ، وَالطَّيُورِ، وَالْوَحُوشِ، وَالشَّيَاطِينِ السَّارِحَاتِ، وَالْعُلُومِ وَالْفُهُومِ، وَالتَّعْبِيرِ عَنْ ضَمَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ النَّاطِقَاتِ وَالصَّامِتَاتِ. ثم قال: ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُمِينُ ﴿٥﴾، أُنًى؛ مِنْ بَارئِ التَّيْرِيَّاتِ وَخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ^(٦): ﴿ وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُم لَّا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾ فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ [النمل: ١٧ - ١٩]. يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ عِبْدِهِ وَنَبِيِّهِ وَابْنِ نَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ ابْنَ دَاوُدَ، عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَنَّهُ رَكِبَ يَوْمًا فِي جَيْشِهِ جَمِيعَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ؛ ^(٤) فَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يُسِيرُونَ مَعَهُ، وَالطَّيْرُ سَائِرَةٌ مَعَهُ تُظِلُّهُ بِأَجْنَحَتِهَا مِنَ الْحَرِّ وَغَيْرِهِ، وَعَلَىٰ كُلِّ مِنْ هَذِهِ الْجِيُوشِ الثَّلَاثَةِ وَزَعَةٌ ^(٥)؛ أُنًى

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) تاريخ دمشق ٢٢/٢٣٢.

(٣) التفسير ٦/١٩٣، ١٩٤.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) في ح: «ورعة». والوزعة: جمع وزع، وهو الحابس العشكر الموكل بالصفوف، يتقدم الصف فيصلحه، ويقدم ويؤخر. اللسان (وزع).

نُبَاءٌ يَرُدُّونَ أَوْلَاهُ عَلَى آخِرِهِ، فَلَا يَتَقَدَّمُ أَحَدٌ عَنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي يَسِيرُ فِيهِ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَكْتَابُهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُم لَّا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فَأَمَرْتُ، وَحَدَّرْتُ، وَاعْتَدَرْتُ عَنْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودِهِ بِعَدَمِ الشُّعُورِ. وَقَدْ ذَكَرَ وَهْبٌ أَنَّهُ مَرٌّ وَهُوَ عَلَى الْبِسَاطِ بِوَادِ بِالطَّائِفِ، وَأَنَّ هَذِهِ النَّمْلَةَ كَانَ اسْمُهَا «جَرَسٌ»، وَكَانَتْ مِنْ قَبِيلَةٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو الشَّيْصَبَانِ، وَكَانَتْ عَزْجَاءَ، وَكَانَتْ بِقَدْرِ الذُّئْبِ. وَفِي هَذَا كُلِّهِ نَظَرٌ، بَلْ فِي هَذَا السِّيَاقِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي مَوْكِبِهِ رَاكِبًا فِي خُيُولِهِ وَفَرَسَانِهِ، لَا كَمَا زَعَمَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذَاكَ عَلَى الْبِسَاطِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَنْلِ النَّمْلَ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا وَطْءٌ؛ لِأَنَّ الْبِسَاطَ كَانَ عَلَيْهِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْجِيُوشِ وَالْخُيُولِ وَالْجِمَالِ وَالْأَنْعَالِ وَالْحِيَامِ وَالْأَنْعَامِ، وَالطُّيُورِ مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا سُبِّحَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

والمقصود أن سليمان، عليه السلام، فهم ما خاطبت به تلك النملة لأمتيها من الرؤي السديدي والأمر الحميدي، وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والشورر بما أطلعته الله عليه دون غيره، وليس كما يقوله بعض الجهلة، من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان، وتُخاطب [٢٢٣/١] الناس، حتى أخذ عليهم سليمان بن داود العهد وألجمها، فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك، فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون، ولو كان هذا هكذا لم يكن لسليمان في فهم لغاتها مزية على غيره؛ إذ كان الناس كلهم يفهمون ذلك، ولو كان قد أخذ عليها العهد أن لا تتكلم مع غيره، وكان هو يفهمها، لم يكن في هذا

أَيْضًا فَائِدَةٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهَا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ أَي؛ أَلْهَمْنِي
وَأَرشِدْنِي، ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾، فَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ
يُقَيِّضَهُ لِلشُّكْرِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَعَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْمَرْيَةِ عَلَى غَيْرِهِ،
وَأَنْ يُيسِّرَ عَلَيْهِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَأَنْ يَحْشُرَهُ إِذَا تَوَقَّاهُ مَعَ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَقَدْ
اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ. وَالْمَرَادُ بِوَالِدَيْهِ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأُمُّهُ، وَكَانَتْ مِنَ
الْعَابِدَاتِ الصَّالِحَاتِ كَمَا قَالَ سُنَيْدُ بْنُ دَاوُدَ، عَنْ يَوْسَفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
الْمُنْكَدِرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمَانَ بْنِ
دَاوُدَ: يَا بُنَيَّ لَا تُكْثِرِ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ تَدْعُ الْعَبْدَ فَقِيرًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ^(١) عَنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ مَشَايِخِهِ، عَنْهُ بِهِ نَحْوَهُ. ^(٢) وَقَالَ عَبْدُ
الرَّزَّاقِ^(٣)، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَرَجَ
هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَسْتَشْفُونَ، فَرَأَى غَمْلَةً قَائِمَةً رَافِعَةً إِحْدَى قَوَائِمِهَا تَسْتَشْفِي، فَقَالَ
لأَصْحَابِهِ: ارْجِعُوا فَقَدْ شَفِيتُمْ، إِنَّ هَذِهِ الْغَمْلَةَ اسْتَشْفَتْ فَاسْتَجِيبْ لَهَا. قَالَ
ابْنُ عَسَاكِرَ^(٤): وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا وَلَمْ يُذَكَّرْ فِيهِ سُلَيْمَانُ. ثُمَّ سَأَلَهُ^(٥) مِنْ طَرِيقِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَزْزِيزٍ، عَنْ سَلَامَةَ بْنِ رُوحِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ،
حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « خَرَجَ نَبِيُّ
مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالنَّاسِ يَسْتَشْفُونَ اللَّهَ، فَإِذَا هُمْ بِغَمْلَةٍ رَافِعَةٍ بَعْضُ قَوَائِمِهَا إِلَى^(٦)

(١) ابن ماجه (١٣٣٢). (ضعيف ابن ماجه ٢٧٩).

(٢-٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) تاريخ دمشق ٢٢/٢٨٨.

(٤) تاريخ دمشق ٢٢/٢٨٨.

(٥) تاريخ دمشق ٢٢/٢٨٨. والحاكم ١/٣٢٥، ٣٢٦.

السَّمَاءِ فَقَالَ النَّبِيُّ: ازْجِعُوا فَقَدْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ التَّمَلَّةِ». وقال
 الشُّدِّيُّ: أَصَابَ النَّاسَ فَحُطُّ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَمَرَ النَّاسَ
 فَخَرَجُوا، فَإِذَا بِنَمْلَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى رِجْلَيْهَا، بَاسِطَةً يَدَيْهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا
 خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ، وَلَا غِنَاءَ بِنَا عَنْ فَضْلِكَ. قال: فَصَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَطَرَ^(١).

قال تعالى^(٢): ﴿ وَتَقَعْدَ الْأَطْيَرِ فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنْ
 الْفَكَّابِينَ ﴾ (٢١) لَأَعَذِبَنَّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ
 (٢٢) فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ
 يَقِينٍ (٢٣) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ
 (٢٤) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٥) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
 الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿ (٢٦) * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٧)
 أَذْهَبَ بِكَيْحِي هَكَذَا فَالِقَةَ إِيْنِهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا
 الْمَلَأُوْا إِنِّي أَفْقَى إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿ (٢٩) إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ ﴿ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتَوْهُ مُسْلِمِينَ ﴿ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا
 كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةٍ وَأُولُوْا بِأْسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ
 إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
 أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) التفسير ٦/١٩٥ - ٢٠٠.

يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا [١/٢٢٤و] جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيهِ
 اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيَتِكُمْ فَنَحْرُونَ ﴿٢٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِجُنُودِ
 لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٧﴾ [السل: ٢٥ - ٣٧]. يَذْكُرُ
 تعالى ما كان من أمر سليمان والهدد؛ وذلك أن الطيور كان على كل صنف
 منها مُقَدَّمُونَ يَقُومُونَ بما يُطَلَّبُ منهم، وَيَحْضُرُونَ عنده بالتَّوْبَةِ، كما هي عادة
 الجنود مع الملوك، وكانت وظيفة الهدد على ما ذكَّره ابن عباس وغيره ^(١)،
 أنهم كانوا إذا أُعْزِزُوا الماء في القفار، في حال الأسفار، يَجِيءُ فَيَنْظُرُ لَهُمْ هل
 بهذه البقاع من ماء، وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه، أن يَنْظُرَ إلى الماء
 تحت تُحُومِ الأَرْضِ، فإذا دَلَّهْمُ عليه، حَفَرُوا عنه واستَبَطُّوه وأَخْرَجُوهُ،
 واستَعْمَلُوهُ لحاجتهم، فلَمَّا تَطَلَّبه سليمان، عليه السلام، ذات يوم، فَقَدَهُ ولم
 يَجِدْهُ في موضِعِهِ من محلِّ خِدْمَتِهِ ﴿ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهَدَّ هَدًّا أَمْ كَانَ
 مِنَ الْفَكَائِبِينَ ﴾ أي؛ ما له، أمفقود ^(٢) من ههنا، أو قد غاب عن بصري، فلا
 أراه بخضرتي؟ ﴿ لِأَعْدِبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾، تَوَعَّدَهُ بِنَوْعٍ من العذاب
 اختلف المفسرون فيه، والمقصود حاصل على كل تقدير. ﴿ أَوْ لَا أَدْبَحْتَهُ أَوْ
 لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي؛ بحجة تُنْجِيهِ من هذه الوزطة. قال الله تعالى:
 ﴿ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أي؛ فغاب الهدد غيبة ليست بطويلة، ثم قَدِمَ منها
 ﴿ فَقَالَ ﴾ لسليمان: ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ أي؛ اطلعت على ما لم
 تطلع عليه. ﴿ وَحِشْتُكَ مِنْ سَيِّئِ بِنَايَ يَقِينٍ ﴾ أي؛ بخير صادق. ﴿ إِنِّي

(١) انظر تفسير الطبري ١٤٣/١٩، بسياقات مختلفة.

(٢) في م: (مفقود).

وَبَدَتْ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ . يَذْكُرُ ما كان عليه مُلُوكُ سَبَأَ فِي بِلَادِ الْيَمَنِ مِنَ الْمَمْلَكَةِ الْعَظِيمَةِ وَالتَّبَاعَةِ^(١) الْمُتَوَجِّحِينَ ، وَكَانَ الْمَلِكُ قَدْ آلَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْهُمْ ابْنَةَ مَلِكِهِمْ ، لَمْ يُخَلِّفْ غَيْرَهَا ، فَمَلَّكُوهَا عَلَيْهِمْ .

وَذَكَرَ الثُّغَلَيْبِيُّ وَغَيْرُهُ^(٢) ، أَنَّ قَوْمَهَا مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَبِيهَا رُجُلًا ، فَعَمَّ بِهِ الْفَسَادُ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تَخْطُبُهُ فَتَزَوَّجَهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَقَتْهُ خَمْرًا ، ثُمَّ حَزَّتْ رَأْسَهُ وَنَصَبَتْهُ عَلَى بَابِهَا ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَمَلَّكُوهَا عَلَيْهِمْ . وَهِيَ بَلْقَيْسُ بِنْتُ الْبَشْرِخِ^(٣) ، وَهُوَ الْهَذَاذُ . وَقِيلَ : شَرَا حَيْلُ بْنُ ذِي جَدْنِ بْنِ الْبَشْرِخِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ صَيْفِيٍّ بْنِ سَبَأَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ . وَكَانَ أَبُوهَا مِنْ أَكْبَارِ الْمُلُوكِ ، وَكَانَ^(٤) قَدْ تَأَمَّى " أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَيُقَالُ : إِنَّهُ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ مِنَ الْجِنِّ ، اسْمُهَا رَيْحَانَةُ بِنْتُ الشَّكْرِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَاسْمُهَا بَلْعَمَةُ^(٥) ، وَيُقَالُ لَهَا : بَلْقَيْسُ .

وَقَدْ رَوَى الثُّغَلَيْبِيُّ^(٦) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ^(٧) ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ [١ / ٢٢٤ ظ] النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ نَهْيَكٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ

(١) فِي ص : « وَالتَّبَاعَةُ » .

(٢) فِي عَرَائِسِ الْمَجَالِسِ ٢٧٨ ، ٢٧٩ مَطْوَلًا . وَانظُرِ الْكَامِلَ لِابْنِ الْأَثِيرِ ١ / ٢٣٠ - ٢٣٣ .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، ص : « الشَّيْرَح » . وَفِي ح ، م : « السَّيْرَح » . وَالمُثَبَّتُ هُنَا مِنْ عَرَائِسِ الْمَجَالِسِ ، وَكَذَا بَقِيَّةُ الْأَسْمَاءِ التَّالِيَةِ .

(٤) - (٤) فِي م : « بَأَى » .

(٥) فِي النِّسْخِ : « تَلْقَمَةُ » .

(٦) فِي عَرَائِسِ الْمَجَالِسِ ٢٧٨ مَخْتَصِرُ الْإِسْنَادِ .

(٧) فِي ص : « بَشْر » .

قال: « كَانَ أَحَدُ أَبَوَيْ بَلْقَيْسَ جَيِّيًا ». وهذا حديثٌ غريبٌ، وفي سندهِ ضَعْفٌ.

وقال الثَّغَلَيْيُّ^(١): أخبرني أبو عبد الله بن قبحونة، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ جُرُوجَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي اللَّيْثِ، حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَسْلَمٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: ذُكِرَتْ بَلْقَيْسُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: « لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ ». إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ هَذَا هُوَ الْمَكِّيُّ، ضَعِيفٌ.

وقد ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(٢)، مِنْ حَدِيثِ عَوْفٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ فَارَسَ مَلَكَوْا عَلَيْهِمْ ابْنَةَ كِشْرَى، قَالَ: « لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ ». وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ^(٣) مِنْ حَدِيثِ حَمَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أَي: مِمَّا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ تُؤْتَاهُ الْمَلُوكُ ﴿ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ يَعْنِي: سَرِيرٌ تَمْلِكُهَا، كَانَ مُزْخَرَفًا بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ وَاللَّائِلِيِّ وَالذَّهَبِ وَالْحُلِيِّ الْبَاهِرِ. ثُمَّ ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِاللَّهِ وَعِبَادَتَهُمْ الشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَإِضْلَالَ الشَّيْطَانِ لَهُمْ وَصَدَّهُ إِثَابَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ أَي: يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَالظُّوَاهِرَ مِنَ الْحَسُوسَاتِ وَالْمَغْنَوِيَّاتِ ﴿ اللَّهُ لَا

(١) فِي عَرَائِسِ الْمَجَالِسِ ٢٧٩ مَخْتَصَرِ الْإِسْنَادِ، وَفِيهِ: «عَنْ أَبِي بَكْرٍ». وَلَيْسَ «بَكْرَةٌ».

(٢) الْبُخَارِيُّ (٤٤٢٥، ٧٠٩٩).

(٣) التِّرْمِذِيُّ (٢٢٦٢)، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. النَّسَائِيُّ فِي الْكَبْرِيِّ (٥٩٣٧).

إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾ أَى ؛ له العرش العظيم ، الذى لا أعظم منه فى المخلوقات . فعند ذلك بعث معه سليمان ، عليه السلام ، كتابه ، يتضمّن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله ، والإنابة والإذعان إلى الدخول فى الخضوع لمملكه وسلطانه ؛ ولهذا قال لهم : ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ ﴾ أَى ؛ لا تستكبروا عن طاعتي وامثال أوايرى . ﴿ وَأَتُوبِي مُسْلِمِينَ ﴾ أَى ؛ وأقدّموا على ساميعين مطيعين بلا معاودة ولا مُراودة ، فلما جاءها الكتاب مع الطير ، ومن ثم اتّخذ الناس البطائق ، ولكن أين الثرى من الثرى !؟ تلك البطاقة كانت مع طائر سامع مطيع فاهم ، عالم بما يقول ويُقال له ؛ فدكّر غير واحد من المفسرين وغيرهم ^(١) ، أنّ الهدهد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها ، فألقاه إليها وهى فى خلوة لها ، ثم وقفت ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها ، فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها وأولى ^(٢) مشورتها ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْك كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ ثم قرأت عليهم عنوانه أولاً : ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ ﴾ . ثم قرأته : ﴿ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٥﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُوبِي مُسْلِمِينَ ﴾ [٢٢٥/١] ثم شاورتهم فى أمرها وما قد حلّ بها وتأدّبت معهم ، وخاطبتهم وهم يسمعون : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفَتُوبِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ تعنى : ما كنت لأبئ أمراً إلا وأنتم حاضرُونَ : ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَبْنِ شَدِيدٍ ﴾ يعنون : لنا قوة وقدرة على الجلاذ والقتال ومقاومة الأبطال ، فإن أردت منا ذلك ، فإننا عليه من القاديرين ﴿ و ﴾ مع هذا ﴿ الأمر

(١) تفسير الطبرى ١٩/١٥٢ ، تاريخه ١/٤٩٠ ، ٤٩١ . وعرائس المجالس ٢٨٠ .

(٢) فى ح ، م : إلى .

إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿١٠٠﴾ . فَبَدَّلُوا لَهَا السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ ، وَأَخْبَرُوهَا بِمَا عِنْدَهُمْ
 مِنَ الْإِسْطَاعَةِ ، وَفَوَّضُوا إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ ؛ لِتَرَى فِيهِ مَا هُوَ الْأَرْشَادُ لَهَا
 وَلَهُمْ ، فَكَانَ رَأْيُهَا أَمًّا وَأَسَدًّا مِنْ رَأْيِهِمْ ، وَعَلِمَتْ أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْكِتَابِ ، لَا
 يُغَالِبُ وَلَا يُمَانِعُ وَلَا يُخَالَفُ وَلَا يُخَادِعُ . ﴿١٠١﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
 أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٠٢﴾ تَقُولُ بِرَأْيِهَا السَّيِّدُ : إِنَّ
 هَذَا الْمَلِكَ ، لَوْ قَدْ غَلَبَ عَلَى هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ ، لَمْ يَخْلُصِ الْأَمْرُ مِنْ بَيْنِكُمْ إِلَّا إِلَيَّ ،
 وَلَمْ تَكُنِ الْحِدَّةُ الشَّدِيدَةُ وَالسُّطُورَةُ الْبَلِيغَةُ إِلَّا عَلَيَّ . ﴿١٠٣﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ
 فَنَاطِرَةٌ يَمَّ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠٤﴾ أَرَادَتْ أَنْ تُصَانِعَ عَنْ نَفْسِهَا وَأَهْلِ مَمْلَكِيهَا بِهَدِيَّةٍ
 تُرْسِلُهَا ، وَتُخْفِ تَبَعْتُهَا ، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ سَلِيمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ -
 وَالْحَالَةُ هَذِهِ - صَرَفًا وَلَا عَدْلًا ؛ لِأَنَّهُمْ كَافِرُونَ ، وَهُوَ وَجُنُودُهُ عَلَيْهِمْ قَادِرُونَ ،
 وَلِهَذَا ﴿١٠٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سَلِيمَانُ قَالَ أَمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَيْنِي اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا ءَاتَيْتُكُمْ بَلْ
 أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿١٠٦﴾ ، هَذَا وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الْهَدَايَا مُشْتَمِلَةً عَلَى أُمُورٍ
 عَظِيمَةٍ ، كَمَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ . ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِهَا إِلَيْهِ وَوَافِدِهَا الَّذِي قَدِمَ عَلَيْهِ ،
 وَالنَّاسُ حَاضِرُونَ يَسْمَعُونَ . ﴿١٠٧﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا
 وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١٠٨﴾ ، يَقُولُ : أَرْجِعْ بِهَدِيَّتِكَ الَّتِي قَدِمْتَ بِهَا ،
 إِلَى مَنْ قَدَّمَ بِهَا ، فَإِنَّ عِنْدِي مِمَّا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ وَأَسَدَّاهُ إِلَيَّ ؛ مِنْ الْأَمْوَالِ
 وَالتَّخْفِ وَالرُّجَالِ ، مَا هُوَ أضعَافُ هَذَا وَخَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ تَفْرَحُونَ بِهِ ،
 وَتَفْرَحُونَ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِكُمْ بِسَبَبِهِ . ﴿١٠٩﴾ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴿١١٠﴾ أَيْ ؛
 فَلَنُؤْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ دِفَاعَهُمْ وَلَا نِزَالَهُمْ وَلَا مُنَاقَبَتَهُمْ وَلَا قِتَالَهُمْ ،
 وَلَا نُخْرِجُهُمْ مِنْ بِلَدِهِمْ وَحُوزَتِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ وَدَوْلَتِهِمْ أَذِلَّةً ﴿١١١﴾ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١١٢﴾ ،
 عَلَيْهِمُ الصَّغَارُ وَالْعَارُ وَالذَّمَارُ . فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بُدٌّ

من السَّمْعِ والطَّاعَةِ، فبادرُوا إلى إجابته في تلك الساعة، وأقبلوا صُحْبَةَ الْمَلِكَةِ
أجمعين، سامعين مُطِيعِينَ خاضِعِينَ [١/٢٢٥ظ]، فلَمَّا سَمِعَ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ
^(١) وَوُفُودِهِمْ إِلَيْهِ، قَالَ لِمَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِمَّنْ هُوَ مُسَخَّرٌ لَهُ مِنَ الْجَانِّ، مَا قَصَّه اللَّهُ
عنه في القرآن ^(٢): ﴿ قَالَ يَتَأَيَّأُ الْمَلَكُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾
﴿٢٨﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ
﴿٢٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا
رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ
فَأِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَفِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٣٠﴾ قَالَ تَكَرُّوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ
أَن تَهْتَدِيَ أَمَّا تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُمْ
هُوَ وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا
كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ
سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي
وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [النمل: ٣٨ - ٤٤] . لَمَّا طَلَبَ سُلَيْمَانُ
من الجانِّ أَنْ يُحْضِرُوا لَهُ عَرْشَ بَلْقَيْسَ، وَهُوَ سَرِيرٌ مَمْلُوكِيهَا الَّذِي تَجَلَّسَ عَلَيْهِ
وَقَتَّ حُكْمِهَا، قَبْلَ قُدُومِهَا عَلَيْهِ ﴿ قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ
تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾، يَعْنِي: قَبْلَ أَنْ يَنْقَضِيَ مَجْلِسُ حُكْمِكَ، وَكَانَ - فِيمَا
يُقَالُ - مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى قُرْبِ الزَّوَالِ يَتَّصِدِّي لِمَهْمَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا لَهُمْ
مِنَ الْأَشْغَالِ: ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ أَي؛ وَإِنِّي لَدُو قُوَّةٍ عَلَى إِحْضَارِهِ ^(٣)

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) التفسير ٦/٢٠١ - ٢٠٦.

(٣) في م، ص: «إحضاري».

إليك، وأمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك. ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ
الْكِتَابِ ﴾ ، المشهور أنه آصف بن برخيا، وهو ابن خالة سليمان. وقيل: هو
رجلٌ من مؤمنى الجان، كان فيما يُقال يُحفظُ الاسمَ الأعظم. وقيل: رجلٌ من
بنى إسرائيل، من علمائهم. وقيل: إنه سليمان. وهذا غريبٌ جدًا. وضَعَفَهُ
الشَّهْبَلِيُّ بِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ. قال: وقد قيل فيه قولٌ رابع، أنه
جبريل^(١). ﴿ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ، قيل: معناه، قبل أن
تبعث رسولاً إلى أقصى ما ينتهي إليه طرفك من الأرض، ثم يعود إليك.
وقيل: قبل أن يصل إليك أبعد من تراه من الناس. وقيل: قبل أن يكمل طرفك
إذا أدمت النظر به قبل أن تطبق جفنتك. وقيل: قبل أن يزعج إليك طرفك إذا
نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته^(٢). وهذا أقرب ما قيل. ﴿ فَلَمَّا رآهُ
مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾ أى؛ فلما رأى عرش بلقيس مستقرًّا عنده فى هذه المدة
القريبة، من بلاد اليمن إلى بيت المقدس، فى طرفة عين ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ
رَبِّي لَيْسَ لِي عَلَيْهِ شُكْرٌ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [٢٢٦/١] أى؛ هذا من فضل الله على وفضله
على عبده؛ ليختبرهم على الشكر أو خلافه. ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
لِنَفْسِهِ ﴾ أى؛ إنما يعود نفع ذلك عليه. ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾
أى؛ غنى عن شكر الشاكرين، ولا يتضرر بكفر الكافرين. ثم أمر سليمان عليه
السلام أن يعبر حلى هذا العرش ويُنكر لها؛ ليختبر فهمها وعقلها، ولهذا قال:
﴿ نَنْظُرُ أَنهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك

(١) التعريف والإعلام ٢٣٧.

(٢) انظر جميع هذه الأقوال المقدمة فى تفسير الطبرى ١٩/١٦٣، ١٦٤.

قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴿٤١﴾ ، وهذا مِنْ فِطْنَتِهَا وَغَرَارَةِ فَهْمِهَا ؛ لِأَنَّهَا اسْتَبَعَدَتْ أَنْ يَكُونَ
عَزَّشَهَا ؛ لِأَنَّهَا خَلَفَتْهُ وَرَاءَهَا بِأَرْضِ الْيَمَنِ ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا يَقْدِرُ عَلَى
هَذَا الصَّنْعِ الْعَجِيبِ الْغَرِيبِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ سَلِيمَانَ وَقَوْمِهِ :
﴿ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسَابِقِينَ ﴾ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا
كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ أَى ؛ وَمَنْعَهَا عِبَادَةَ الشَّمْسِ الَّتِي كَانَتْ تَسْجُدُ لَهَا هِيَ
وَقَوْمُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، اتِّبَاعًا لِذَيْنِ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ ، لَا لِذَلِيلٍ قَادَهُمْ إِلَى ذَلِكَ
وَلَا خَدَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ سَلِيمَانُ قَدْ أَمَرَ بِنَاءِ صَرْحٍ مِنْ زُجَاجٍ ، وَعَمِلَ فِي
تَمْرِهِ مَاءً ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ سَقْفًا مِنْ زُجَاجٍ ، وَجَعَلَ فِيهِ مِنَ السَّمَكِ وَغَيْرِهَا مِنْ
ذَوَابِّ الْمَاءِ ، وَأَمَرَتْ بِدُخُولِ الصَّرْحِ ، وَسَلِيمَانُ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِهِ فِيهِ ﴿ فَلَمَّا
رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ
رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٤) . وَقَدْ قِيلَ :
إِنْ الْجِنَّ أَرَادُوا أَنْ يُبْشِعُوا مَنْظَرَهَا عِنْدَ سَلِيمَانَ ، وَأَنْ تُبْدِيَ عَنْ سَاقِيهَا لِيَبْزَى مَا
عَلَيْهَا مِنَ الشَّعْرِ فَيَنْقُرَهُ ذَلِكَ مِنْهَا ، وَخَشُوا أَنْ يَبْزَوْجَهَا ؛ لِأَنَّ أُمَّهَا مِنَ الْجَانِّ
فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ مَعَهُ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ حَافِرَهَا كَانَ كَحَافِرِ الدَّابَّةِ (١) . وَهَذَا
ضَعِيفٌ . وَفِي الْأَوَّلِ أَيْضًا نَظْرٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . إِلَّا أَنَّ سَلِيمَانَ قِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ
إِزَالَتَهُ حِينَ عَزَمَ عَلَى تَزْوُجِهَا ، سَأَلَ الْإِنْسَ عَنْ زَوَالِهِ ، فَذَكَرُوا لَهُ الْمَوْسَى ،
فَامْتَنَعَتْ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَأَلَ الْجَانَّ فَصَنَعُوا لَهُ الثُّورَةَ ، وَوَضَعُوا لَهُ الْحَمَّامَ ، فَكَانَ
أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ الْحَمَّامَ ، فَلَمَّا وَجَدَ مَسَّهُ قَالَ : أَوْهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ (٢) ، أَوْهِ أَوْهِ قَبْلَ

(١) تفسير الطبرى ١٩/١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) سقط من ح ، م ، ص .

أَنْ لَا يَنْفَعُ أَوْه . رواه الطَّبْرَانِيُّ مرفوعاً^(١) . وفيه نظرٌ .

وقد ذَكَرَ الثَّعْلَبِيُّ وغيره^(٢) ، أَنَّ سَلِيمَانَ لَمَّا تَزَوَّجَهَا ، أَقْرَهَا عَلَى مَمْلَكَةِ الْيَمَنِ ، وَرَدَّهَا إِلَيْهِ ، وَكَانَ يَزُورُهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً ، فَيَقِيمُ عِنْدَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ يَعُودُ عَلَى الْبِسَاطِ ، وَأَمَرَ الْجَانُّ فَبَنَوْا لَهَا ثَلَاثَةَ قُصُورٍ بِالْيَمَنِ : عُمْدَانَ ، وَسَالِحِينَ ، وَبِنُونَ^(٣) ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ . [٢٢٦/١ ظ] وقد رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ^(٤) ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، عَنْ وَهَبِ بْنِ مُثَنَّبٍ ، أَنَّ سَلِيمَانَ لَمَّا يَتَزَوَّجَهَا ، بَلَ زَوْجَهَا بِمَلِكِ هَمْدَانَ ، وَأَقْرَهَا عَلَى مَلِكِ الْيَمَنِ ، وَسَخَّرَ زَوْجَةَ مَلِكِ^(٥) جِنِّ الْيَمَنِ ، فَبَنَى لَهَا الْقُصُورَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا بِالْيَمَنِ ، وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ وَأَظْهَرُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقال تعالى في سورة «ص»^(١) : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٢٦﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَتُ الْإِيَادُ ﴿٢٧﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ ﴿٢٨﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣١﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٢﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٣﴾ وَالْآخِرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٤﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ لَنَا لَكُمْ عِنْدَنَا

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٧٩ ، ٨/ ٢٠٧ . وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي موسى مرفوعاً ، وقال : وفيه إسماعيل بن عبد الرحمن الأودي ، وهو ضعيف . وأخرجه البخاري في تاريخه الكبير (١١٤٧) . وقال : فيه نظر - إسماعيل بن عبد الرحمن - لا يتابع فيه .

(٢) في عرائس المجالس ٢٨٦ ، وانظر الكامل لابن الأثير ١/ ٢٣٧ .

(٣) في النسخ : «بيتون» . والمثبت من عرائس المجالس .

(٤) عرائس المجالس ٢٨٦ ، وتاريخ الطبري ١/ ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، والكامل ١/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٥) في عرائس المجالس : «أمير» .

(٦) التفسير ٧/ ٥٥ - ٦٤ .

لَرُفْنَى وَحَسَنَ مَتَابٍ ﴿ [ص: ٣٠ - ٤٠] . يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ وَهَبَ لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ^(١) ،
عليهما السَّلامُ ، ثم أَتَى اللهُ عليه تَعَالَى فَقَالَ : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾
أى ؛ رَجَاعٌ مُطِيعٌ لِلَّهِ . ثم ذَكَرَ تَعَالَى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي الْخَيْلِ الصَّافِيَاتِ -
وهى التى تَقِفُ عَلَى ثَلَاثِ وَطَرَفِ حَافِرِ الرَّابِعَةِ - الْجِيَادِ ؛ وهى الْمُضْمَرَةُ
السَّرَاعُ : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾
يَعْنِي الشَّمْسُ . وَقِيلَ : الْخَيْلُ ، عَلَى مَا سَنَدُّكُرُهُ مِنَ الْقَوْلَيْنِ . ﴿ رُدُّوَهَا عَلَيَّ
فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ قِيلَ : مَسَحَ عَرَاقِيهَا وَأَعْنَاقَهَا بِالشَّيْوْفِ .
وَقِيلَ : مَسَحَ عَنْهَا الْعَرَقَ لَمَّا أَجْرَاهَا وَسَابَقَ بَيْنَهَا وَيَنْ يَدَيْهِ ، عَلَى الْقَوْلِ الْآخِرِ .
وَالَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ السَّلَفِ الْأَوَّلُ ؛ فَقَالُوا : اسْتَعْلَ بَعْرُضِ تِلْكَ الْخَيْوَلِ حَتَّى خَرَجَ
وَقْتُ الْعَصْرِ وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ . رُويَ هَذَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَغَيْرِهِ ^(٢) .
وَالَّذِي يُقَطَّعُ بِهِ ، أَنَّهُ لَمْ يَثْرِكِ الصَّلَاةَ عَمْدًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ :
إِنَّهُ كَانَ سَائِعًا فِي شَرِيعَتِهِمْ تَأْخِيرُ الصَّلَاةِ لِأَجْلِ أَسْبَابِ الْجِهَادِ ، وَعَرُضُ الْخَيْلِ
مِنْ ذَلِكَ . وَقَدْ ادَّعَى طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي تَأْخِيرِ النَّبِيِّ ﷺ ، صَلَاةَ الْعَصْرِ يَوْمَ
الْخَنْدَقِ ، أَنَّ هَذَا كَانَ مَشْرُوعًا إِذْ ذَاكَ ، حَتَّى نُسِخَ بِصَلَاةِ الْخَوْفِ . قَالَه
الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ . وَقَالَ مَكْحُولٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ : بَلْ هُوَ مُحْكَمٌ مُحْكَمٌ إِلَى الْيَوْمِ ، أَنَّهُ
يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا لِعُدْرِ الْقِتَالِ الشَّدِيدِ . كَمَا ذَكَرْنَا تَقْرِيرَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ «النِّسَاءِ»
عِنْدَ صَلَاةِ الْخَوْفِ ^(٣) . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ تَأْخِيرُ النَّبِيِّ ﷺ صَلَاةَ الْعَصْرِ
يَوْمَ الْخَنْدَقِ نِسْيَانًا . وَعَلَى هَذَا فَيُحْمَلُ فِعْلُ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَلَى هَذَا .

(١) سقط من : ح .

(٢) انظر تفسير الطبرى ١٥٥/٢٣ ، والدر المنثور ٣٠٩/٥ . وتفسير القرطبي ١٩٦/١٦ .

(٣) التفسير ٣٥٣/٢ .

والله أعلم . وأما من قال : الضمير في قوله : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ ﴾ [٢٢٧/١] تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿ عَائِدَةٌ عَلَى الْخَيْلِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَفْتَهُ وَقْتُ صَلَاةٍ ، وَإِنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ يعنى : مَسَحَ الْعَرَقَ عَنْ عَرَاقِيهَا وَأَعْنَاقِهَا . فهذا القول اختاره ابن جرير ^(١) ، وزواؤه الوالبي عن ابن عباس في مسح العرق ^(٢) . ووجه هذا القول ابن جرير ؛ بأنه ما كان ليعذب الحيوان بالعرقبة ، ويهلك مالا بلا سبب ولا ذنب لها . وهذا الذى قاله فيه نظر ؛ لأنه قد يكون هذا سائغا في ملتيمهم . وقد ذهب بعض علمائنا إلى أنه إذا خاف المسلمون أن يظفر الكفار على شئ من الحيوانات ، من أغنام ونحوها ^(٣) ؛ جاز ذبحها وإهلاكها ؛ لئلا يتقووا بها ، وعليه حميل صنيع جعفر بن أبى طالب يوم عقر فرسه بموته . وقد قيل : إنها كانت خيلا عظيمة ؛ قيل : كانت عشرة آلاف فرس . وقيل : كانت عشرين ألف فرس ^(٤) . وقيل : كان فيها عشرون فرسا من ذوات الأجنحة ^(٥) .

وقد روى أبو داود في « سننه » ^(٦) : حدثنا محمد بن عوف ^(٧) ، حدثنا سعيد بن أبى مریم ، أنبأنا يحيى بن أيوب ، حدثنى عمارة بن عزيّة ^(٨) ، أن

(١) تفسير الطبرى ٢٣/١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) تفسير الطبرى ٢٣/١٥٦ ، والتفسير ٧/٥٧ .

(٣) فى ص : « ذبحوها » .

(٤) عزاه فى الدر المنثور ٥/٣٠٩ للفرىابى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم . وانظر التفسير ٧/٥٦ .

(٥) انظر تفسير الطبرى ٢٣/١٥٤ .

(٦) أبو داود (٤٩٣٢) . (صحيح أبى داود ٤٢١٣) .

(٧) فى ح : « عرف » .

(٨) فى ح ، م : « عزيّة » .

محمد بن إبراهيم حَدَّثَهُ عَنْ^(١) أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، مِنْ عَزْوَةَ تَبُوكَ - أَوْ خَيْبَرَ - وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ ، فَهَبَّتِ الرِّيحُ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ ، عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعِبَ^(٢) ، فَقَالَتْ : « مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ ! » فَقَالَتْ : بَنَاتِي . وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ ، فَقَالَتْ : « مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ ؟ » قَالَتْ : فَرَسٌ . قَالَ : « وَمَا الَّذِي عَلَيْهِ هَذَا ؟ » . قَالَتْ : جَنَاحَانِ . قَالَ : « فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ ؟ » قَالَتْ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ ! قَالَتْ : فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ ﷺ .

وقال بعضُ العلماءِ : لَمَّا تَرَكَ الخَيْلَ لِلَّهِ ، عَرَّضَهُ اللَّهُ عَنْهَا بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهَا مِنْهَا ، وَهُوَ الرِّيحُ الَّتِي كَانَ غَدُوُّهَا شَهْرًا وَرَوَّاحُهَا شَهْرًا ، كَمَا سَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَيْهَا ، كَمَا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ^(٣) : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلَالٍ ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَأَبِي الدُّهْمَاءِ ، وَكَانَا يُكْثِرَانِ السَّفَرَ نَحْوَ البَيْتِ ، قَالَا : أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ ، فَقَالَ البَدَوِيُّ : أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَالَ : « إِنَّكَ لَا تَدْعُ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ » .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ . ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ المفسرين ، ههنا ، آثارًا كثيرةً عن جماعةٍ من السلفِ ، وأكثرُها أو [١ / ٢٢٧ ظ] كلها مُتَلَقَّاةٌ مِنَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، وَفِي كَثِيرٍ مِنْهَا نَكَارَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَقَدْ

(١) بعد هذا في م ، ص : « محمد بن » .

(٢) في م : « تلعب » .

(٣) في المسند ٥ / ٧٨ ، ٧٩ .

نَبَّهْنَا عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا «التفسير»^(١)، وَاقْتَصَرْنَا هَهُنَا عَلَى مَجْرَدِ التَّلَاوَةِ .
 وَمُضْمُونُ مَا ذَكَرُوهُ ، أَنَّ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، غَابَ عَنْ سَرِيرِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ عَادَ
 إِلَيْهِ ، وَلَمَّا عَادَ أَمَرَ بِبِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَبَنَاهُ بِنَاءً مُحْكَمًا ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ جُدِّدَ ، وَأَنَّ أَوَّلَ
 مَنْ جَعَلَهُ مَسْجِدًا ، إِسْرَائِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢) ، كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِ أَبِي ذَرٍّ :
 قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلُ ؟ قَالَ : « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ » . قُلْتُ : ثُمَّ
 أَيُّ ؟ قَالَ : « مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ » . قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : « أَرْبَعُونَ سَنَةً »^(٣) .
 وَمَعْلُومٌ أَنَّ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي بَنَى الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَبَيْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا
 السَّلَامُ ، أَرْبَعُونَ سَنَةً ، دَعَا أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ سَوَّالُهُ الْمَلِكُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ
 مِنْ بَعْدِهِ ، بَعْدَ إِكْمَالِهِ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ
 مَاجَةَ ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ ، وَابْنُ حِبَّانَ ، وَالْحَاكِمُ^(٤) ، بِأَسَانِيدِهِمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَيْرُوزَ
 الدَّيْلَمِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو^(٥) بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ
 سُلَيْمَانَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، خِجْلًا لَثَلَاثًا ، فَأَعْطَاهُ اثْنَتَيْنِ ، وَنَحْنُ
 نَرُوجُو أَنْ تَكُونَ لَنَا الثَّالِثَةُ ؛ سَأَلَهُ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ ، فَأَعْطَاهُ إِثَاءً ، وَسَأَلَهُ مُلْكًا لَا
 يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، فَأَعْطَاهُ إِثَاءً ، وَسَأَلَهُ أَيُّمَا رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لَا يُرِيدُ إِلَّا

(١) التفسير ٥٧/٧ - ٦١ .

(٢) تقدم في ٤٥٣/١ ، ٤٥٤ .

(٣) البخارى (٣٣٦٦ ، ٣٤٢٥) . مسلم (٥٢٠) .

(٤-٤) سقط من : الأصل .

(٥) المسند ١٧٦/٢ . النسائي (٦٩٢) وفى الكبرى (٧٧٢) . ابن ماجه (١٤٠٨) . ابن خزيمة

(١٣٣٤) . الإحسان (١٦٣٣) . الحاكم ٣٠/١ . وقال : هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة ، وقد

احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ، ولا أعلم له علة .

(٦) فى الأصل : « عمر » .

الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ خَرَجَ مِنْ حَظِيَّتِهِ مِثْلَ يَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، فَتَحَنُّنُ نَزْجُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَعْطَانَا إِيَّاهَا . فَأَمَّا الْحُكْمُ الَّذِي يُوَافِقُ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَقَدْ أَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِيهِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانٌ وَكَلَّاءُ أَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿ [الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩] . وَقَدْ ذَكَرَ شُرَيْحُ الْقَاضِي ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ (١) ، أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ كَانَ لَهُمْ كَرَمٌ ، فَتَفَشَّتْ فِيهِ غَنَمُ قَوْمٍ آخَرِينَ أَى رَعَتْهُ بِاللَّيْلِ فَأَكَلَتْ شَجَرَهُ بِالْكَلْبِيِّ ، فَتَحَاكَمُوا (٢) إِلَى دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَحَكَمَ لِأَصْحَابِ الْكَرَمِ بِقِيَمَتِهِ ، فَلَمَّا خَرَجُوا عَلَى سُلَيْمَانَ قَالَ : بِمِ حَكَمَ لَكُمْ نَبِيُّ اللَّهِ ؟ فَقَالُوا : بِكَذَا وَكَذَا . فَقَالَ : أَمَا لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمَّا حَكَمْتُ إِلَّا بِتَسْلِيمِ الْغَنَمِ إِلَى أَصْحَابِ الْكَرَمِ ، فَيَسْتَعْمِلُونَهَا نِتَاجًا وَدَرًّا حَتَّى يُضْلِحَ أَصْحَابُ الْغَنَمِ كَرَمَ أَوْلَئِكَ وَيَرْدُوهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَسْأَلُوا غَنَمَهُمْ . فَبَلَغَ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ذَلِكَ فَحَكَمَ بِهِ .

(٣) وَقَرِيبٌ (٣) مِنْ هَذَا مَا ثَبَّتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» (٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّنَادِ ، عَنْ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا ، إِذْ عَدَا الذُّبُّ فَأَخَذَ ابْنَهُمَا فَنَتَّازَعَتَا فِي الْآخِرِ ، فَقَالَتْ [١] / ٢٢٨] الْكُبْرَى : إِئْمَا ذَهَبَ بَائِنِكَ . وَقَالَتِ الصُّغْرَى : إِئْمَا ذَهَبَ بَائِنِكَ . فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ فَحَكَمَ بِهِ لِلْكُبْرَى ، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَقَالَ : ائْتُونِي

(١) التفسير ٣٤٩/٥ ، ٣٥٠ . وانظر تفسير الطبري ١٧ / ٥٠ - ٥٤ .

(٢) فِي ح : « فَتَحَاكَمُوا » .

(٣-٣) فِي ح : « وَقَدْ ثَبِتَ » .

(٤) الْبِخَارِيُّ (٣٤٢٧ ، ٦٧٦٩) وَفِيهِ زِيَادَةٌ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتَ بِالسَّكِينِ إِلَّا يَوْمَعُدَّ ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمَدِيَّةَ . مُسْلِمٌ (١٧٢٠) .

بالسُّكِينِ أَشَقُّهُ نِصْفَيْنِ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا نِصْفُهُ . فَقَالَتِ الصُّغْرَى : لَا تَفْعَلْ ،
 يَزُحْمَكَ اللَّهُ ، هُوَ ابْتَهَا . فَقَضَى بِهِ لَهَا . وَلَعَلَّ كُلاًّ مِنْ الْحُكْمَيْنِ كَانَ سَائِعًا فِي
 شَرِيعَتِهِمْ ، وَلَكِنْ مَا قَالَهُ سَلِيمَانُ أَرْجَحُ ، وَلِهَذَا أَتَيْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ بِمَا أَلْهَمَهُ إِثَابَهُ ،
 " وَمَدَحَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَاهُ " فَقَالَ : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ
 الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ
 لِتُخَفِّيَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَاسْتَلِمْنَا الرِّيحَ
 عَاصِفَةً ﴾ أَيْ ؛ وَسَخَّرْنَا لِسَلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِي إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي
 بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَفُوضُ لَهُ
 وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٠ - ٨٢] . وَقَالَ
 تَعَالَى فِي سُورَةِ « ص » : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُفَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾
 وَالشَّيْطَانِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخِرِينَ مُفْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ
 أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَقَابٍ ﴾ . لَمَّا تَرَكَ الْخَيْلَ ابْتِغَاءً
 وَجْهَ اللَّهِ ، عَوَّضَهُ اللَّهُ مِنْهَا الرِّيحَ ، الَّتِي هِيَ أَسْرَعُ سَيْرًا ، وَأَقْوَى وَأَعْظَمُ ، وَلَا
 كُفْلَةَ عَلَيْهِ لَهَا . ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُفَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ أَيْ ؛ حَيْثُ أَرَادَ مِنْ أَى
 الْبِلَادِ . كَانَ لَهُ بِسَاطٌ مُرَكَّبٌ مِنْ أَحْشَابٍ ، بِحَيْثُ إِنَّهُ يَسْتَعِجُ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ
 إِلَيْهِ ؛ مِنَ الدُّورِ الْمَبْنِيَّةِ ، وَالْقُصُورِ ، وَالخِيَامِ ، وَالْأَمْتَعَةِ ، وَالخَيْولِ ، وَالجِمَالِ ،
 وَالْأَنْثَقَالِ ، وَالرِّجَالِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالطَّيُورِ ، فَإِذَا
 أَرَادَ سَفَرًا أَوْ مُسْتَنْزَهَا ، أَوْ قِتَالَ مَلِكٍ أَوْ أَعْدَائِهِ مِنْ أَى بِلَادِ اللَّهِ شَاءَ ، فَإِذَا حَمَلَ
 هَذِهِ الْأُمُورَ الْمَذْكُورَةَ عَلَى الْبِسَاطِ ، أَمَرَ الرِّيحَ فَدَخَلَتْ تَحْتَهُ فَرَفَعَتْهُ ، فَإِذَا اسْتَقَلَّ

بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَرَ الرِّيحَ فَسَارَتْ بِهِ ، فَإِنْ أَرَادَ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ أَمَرَ
 الْعَاصِفَةَ فَحَمَلَتْهُ أَسْرَعَ مَا يَكُونُ ، فَوَضَعَتْهُ فِي أَىِّ مَكَانٍ شَاءَ ، بَحِيثٌ إِنَّهُ كَانَ
 يَزْوَجُلُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَتَعَدُّو بِهِ الرِّيحَ فَتَضَعُهُ بِإِضْطِحَارٍ ، مَسِيرَةَ
 شَهْرٍ فَيُقِيمُ هُنَاكَ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، ثُمَّ يَزُوخُ مِنْ آخِرِهِ ، فَتَرُدُّهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ،
 كَمَا قَالَ تَعَالَى ^(١) : ﴿ وَاسْتَلِمَنَّ الرِّيحَ غُدُوَهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُمْ
 عَيْنَ الْقِطْرِ وَمَنْ أَلْجِنَ مَنْ يَعْمَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ
 أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٧﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ
 وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
 الشَّاكِرُونَ ﴿ [سأ: ١٢ ، ١٣] . قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ^(٢) : [١/٢٢٨ظ] كَانَ يَغْدُو
 مِنْ دِمَشْقَ فَيَنْزِلُ بِإِضْطِحَارٍ فَيَتَعَدَّى بِهَا ، وَيَذْهَبُ رَاحًا مِنْهَا فَيَبِيْتُ بِكَائِلٍ ،
 وَيَبِيْتُ دِمَشْقَ وَيَبِيْتُ إِضْطِحَارَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَيَبِيْتُ إِضْطِحَارَ وَكَائِلَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ .
 قُلْتُ : قَدْ ذَكَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ عَلَى الْعُمَرَانَ وَالْبُلْدَانَ ، أَنَّ إِضْطِحَارَ بَنَتْهَا الْجَانُّ
 لِسُلَيْمَانَ ، وَكَانَ فِيهَا قَرَارٌ مُمْلَكَةِ التُّرُكِ قَدِيمًا ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهَا مِنْ بُلْدَانِ شَتَّى ؛
 كَتَدْمُرَ ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَبَابِ جَبْيُونٍ ^(٣) ، وَبَابِ الْبَرِيدِ ، اللَّذَيْنِ بِدِمَشْقَ ، عَلَى
 أَحَدِ الْأَقْوَالِ . وَأَمَّا الْقِطْرُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمَجَاهِدٌ ، وَعِكْرِمَةُ ، وَقَتَادَةُ ، وَغَيْرُ
 وَاحِدٍ : هُوَ التُّحَاسُ . قَالَ قَتَادَةُ : وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ ؛ أَنْبَعَهَا اللَّهُ لَهُ . قَالَ
 الشَّدْدِيُّ : ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَقَطْ ، أَخَذَ مِنْهَا جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْبِنَايَاتِ وَغَيْرِهَا ^(٤) .

(١) التفسير ٤٨٦/٦ - ٤٨٩ .

(٢) تفسير الطبري ٦٩/٢٢ مختصرًا .

(٣) في ح ، م ، ص : « جبرون » .

(٤) انظر الأقوال المتقدمة في تفسير الطبري ٦٩/٢٢ ، الدر المنثور ٥/٢٢٧ ، ٢٢٨ .

وقوله: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ أى؛ وسخر الله له من الجن عملاً يعملون له ما يشاء، لا يفتنون ولا يخزجون عن طاعته، ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ونكل به. ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْ تَحْرِيْبٍ ﴾ وهى الأماكن الحسننة وضدور المجالس. ﴿ وَتَمَثِيلَ ﴾ وهى الصور فى الجدران، وكان هذا سائناً فى شريعتهم ومثلتهم. ﴿ وَحِفَانِ كَالْجَوَابِ ﴾، قال ابن عباس: الجفنة كالجوبة من الأرض. وعنه: كالحياض. وكذا قال مجاهد، والحسن، وقنادة، والضحاك، وغيرهم^(١). وعلى هذه الرواية يكون الجواب: جمع جابية؛ وهى الحوض الذى يجبى فيه الماء، كما قال الأعشى^(٢):

نقى الذم عن آل الخلق جفنة كجابية السبيح^(٤) العراقي تفهق^(٥)

وأما القدور الراسيات، فقال عكرمة: أثافيتها منها. يعنى أنهن ثوابت لا يزولن عن أماكنهن. وهكذا قال مجاهد وغير واحد. ولما كان هذا بصدد إطعام الطعام، والإحسان إلى الخلق من إنس وجان، قال تعالى: ﴿ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَالشَّيْطَانِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرِ ﴾^(٣٧) وآخرين مقرنين فى الأصفاد ﴿ [ص: ٣٧، ٣٨]. يعنى أن منهم من قد سخره فى البناء، ومنهم من يأمره بالعوص فى الماء؛ لاستخراج ما هنالك من

(١) تفسير الطبرى ٢٢/٧١، ٧٢.

(٢) سقط من: الأصل. وانظر ديوانه ٢٢٥.

(٣ - ٣) فى ح، م، ص: «تروح على آل». والمثبت من الديوان.

(٤) فى النسخ: «الشيخ». والمثبت من الديوان.

(٥) فى ح: «مفهق». وفى م، ص: «يفهق».

الجواهرِ واللآلئِ، وغيرِ ذلك مما لا يوجدُ إلا هُنالكَ . وقوله : ﴿ وَآخِرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ أى ؛ قد عَصَوْا ؛ فَقَبِلُوا مُقَرَّبِينَ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ ، وهى القيودُ . هذا كله من جملة ما هَيَأَ اللَّهُ وَسَخَّرَ له من الأشياءِ التى هى من تمامِ الملِكِ الذى لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، ولم يكنُ أيضًا لَمَنْ كانَ قَبْلَهُ .

✓ وقد قال البخارى^(١) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، [٢٢٩/١] عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ ، قال : « إِنَّ عَفْرِيَّتًا مِنَ الْجِنِّ تَقَلَّتْ ^(٢) الْبَارِحَةَ ؛ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي ؛ فَأَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْهُ ، فَأَخَذَتْهُ ، فَأَرَدَتْ أَنْ أَرْبُطَهُ إِلَى سَارِيَةِ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ؛ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلكُمْ ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سَلِيمَانَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ [ص : ٣٥] . فَرَدَدْتُهُ خَاسِمًا . وكذا رواه مسلم ، والنسائى ، من حديثِ شُعْبَةَ ^(٣) .

وقال مسلم^(٤) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ ، عن معاوية بن صالح ، حدثنى ربيعة بن يزيد ، عن أبى إدريس الخولانى ، عن أبى الدرداء قال : قام رسولُ الله ﷺ ، يُصَلِّي ، فَسَمِعَنَاهُ يَقُولُ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ » ثلاثًا ، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ . قال : « إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ ، إِبْلِيسَ ، جَاءَ بِشِهَابٍ

(١) البخارى (٣٤٢٣) .

(٢) بعد هذا فى ح ، م ، ص : « على » .

(٣) مسلم (٥٤١) . والنسائى فى الكبرى (١١٤٤٠) .

(٤) مسلم (٥٤٢) .

مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِهِ ، فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قُلْتُ :
 أَلْعَنُكَ بِلُغَةِ اللَّهِ الثَّامَةِ . فَلَمْ يَسْتَأْخِزْ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ ، وَاللَّهِ ،
 لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِيْنَا سُلَيْمَانَ لِأَصْبَحَ مُوثِقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلِذَانِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . وَكَذَا رَوَاهُ
 النَّسَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ بِهِ ^(١) .

وقال أحمد ^(٢) : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، حَدَّثَنَا مَسْرُورٌ ^(٣) بِنُ مَعْبُدٍ ، ثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ
 صَاحِبٌ ^(٤) سُلَيْمَانَ قَالَ : رَأَيْتُ عَطَاءَ بْنَ زَيْدِ اللَّيْثِيِّ قَائِمًا يُصَلِّي ^(٥) ، فَذَهَبْتُ
 أَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَدَّنِي ، ثُمَّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 قَامَ فَصَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ وَهُوَ خَلْفَهُ ، فَقَرَأَ فَالْتَبَسَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ
 صَلَاتِهِ قَالَ : « لَوْ رَأَيْتُمُونِي وَإِلَيْسَ ، فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي ، فَمَارِلْتُ أَخْتَفُهُ حَتَّى
 وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَابِهِ بَيْنَ أَصْبَعَيْ هَاتَيْنِ - الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا - وَلَوْلَا دَعْوَةُ أَخِي
 سُلَيْمَانَ ، لِأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، يَتَلَاعَبُ بِهِ صَبِيَانُ
 الْمَدِينَةِ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبِيلَةِ أَحَدٌ فَلْيَفْعَلْ » . رَوَى
 أَبُو دَاوُدَ مِنْهُ : « فَمَنْ اسْتَطَاعَ » إِلَى آخِرِهِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي سُرَيْجٍ ^(٦) ، عَنْ
 أَبِي أَحْمَدَ الرَّزَيْنِيِّ ^(٧) بِهِ ^(٨) .

(١) النسائي (١٢١٤) .

(٢) في المسند ٨٢/٣ .

(٣) في م : مرة . وفي ص : ميسرة .

(٤) في ح ، م ، ص : حاجب . والمثبت من المسند . وفي أبي داود : « صاحب » . وانظر ١٤٩/١
 حاشية ٩ .

(٥) بعد هذه اللفظة في المسند « معتمًا بعمامة سوداء مرخ طرفها من خلف مصفر للحية » .

(٦) سقط من : ح ، م ، ص .

(٧) سقط من : ح ، م ، ص . والحديث عند أبي داود ، الجزء الأخير منه (٦٩٩) .

(٨) في الأصل : « الدينوري » .

وقد ذَكَرَ غيرُ واحدٍ من السَّلَفِ ، أَنَّهُ كَانَتْ لِسُلَيْمَانَ مِنَ النِّسَاءِ أَلْفُ امْرَأَةٍ ؛
سَبْعُمِائَةٍ بِمُهَوْرٍ ، وَثَلَاثُمِائَةٍ سَرَارِيٍّ . وَقِيلَ بِالْعَكْسِ : ثَلَاثُمِائَةُ حَرَائِرٍ وَسَبْعُمِائَةُ مِنَ
الْإِمَاءِ ^(١) .

وقد كان يُطَبِّقُ مِنَ التَّمَتُّعِ بِالنِّسَاءِ أَمْرًا عَظِيمًا جَدًّا .

قال البخاري ^(٢) : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ ، حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،
عَنْ أَبِي الزُّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، [٢٢٩/١ ظ] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ :
« قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ : لِأَطْوَفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً ، تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ
فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمْ يَقُلْ ، فَلَمْ
تَحْمِلْ شَيْئًا ، إِلَّا وَاحِدًا سَاقِطًا أَحَدُ شِقْمَيْهِ » . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . وَقَالَ شُعَيْبٌ وَابْنُ أَبِي الزُّنَادِ : « تِسْعِينَ » . وَهُوَ أَصَحُّ . تَفَرَّدَ بِهِ
الْبُخَارِيُّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

وقال أبو يعقوب ^(٣) : حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ ، حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، أَنبَأَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ ، عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ :
لَأَطْوَفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ ، كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ تَلِدُ غُلَامًا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ . وَلَمْ يَقُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَطَافَ بِتِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ ، فَلَمْ تَلِدْ
مِنْهُنَّ امْرَأَةً ، إِلَّا امْرَأَةً وَكَدَّتْ نِصْفَ إِنْسَانٍ » . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ قَالَ :

(١) تاريخ الطبري ٤٨٧/١ بإسناده إلى محمد بن كعب القرظي . وعرائس المجالس ٢٦١ . والكامل لابن
الأثير ٢٣٠/١ .

(٢) البخاري (٣٤٢٤) .

(٣) لم نجده في مسند أبي يعقوب .

إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَوْلَدَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ. إسناده على شرط « الصحيح »، ولم يُخْرِجْوه مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وقال الإمام أحمد^(١): حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، ثنا هشام، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال سليمان بن داود: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، تَلِدُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ولم يَسْتَسْنِ؛ فما وَلَدَتْ إِلَّا وَاحِدَةً مِنْهُنَّ بِشِقِّ إِنْسَانٍ. قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ اسْتَسْنَى لَوْلَدَ لَهُ مِائَةُ غُلَامٍ، كُلُّهُمْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ». تفرَّد به أحمد أيضًا.

وقال الإمام أحمد^(٢): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، ثنا مَعْمَرٌ، عن ابن طائوس، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ، تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قال: «وَنَسِيَ أَنْ يَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَأَطَافَ بِهِنَّ». قال: «فَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ امْرَأَةً، إِلَّا وَاحِدَةً نِصْفَ إِنْسَانٍ». فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَمْ يَخْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لِجَانِبَيْهِ». وهكذا أخرجاه في «الصحيحين» من حديث عبد الرَّزَّاقِ به مثله^(٣).

وقال إسحاق بن بشر^(٤): أَنبَأَنَا مُقَاتِلٌ، عن أبي الزناد، وابن أبي الزناد عن أبيه، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة: أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ كَانَ لَهُ أَرْبَعُمِائَةِ امْرَأَةٍ وَسِتْمِائَةِ سُرِّيَّةٍ، فَقَالَ يَوْمًا: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى أَلْفِ امْرَأَةٍ، فَتَحْمِلُ كُلُّ

(١) في المسند ٢/٢٢٩. (إسناده صحيح).

(٢) المسند ٢/٢٧٥. (إسناده صحيح).

(٣) البخاري (٥٢٤٢). مسلم (١٦٥٤).

(٤) ومن طريق إسحاق بن بشر، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/٢٥٨.

واحدةٍ مِنْهُنَّ بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . ولم يَسْتَسْنِ ، فطافَ عَلَيْهِنَّ فلم
تَحْمِلْ واحدةً مِنْهُنَّ إِلَّا امرأةً وَاحِدَةً مِنْهُنَّ جَاءَتْ [١/٢٣٠] بِشِقِّ إِنْسَانٍ . فقال
النبي ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ اسْتَسْنَيْتَنِي فَقَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . لَوُلِدَ لَهُ مَا
قَالَ ، فُزْسَانٌ ، وَلَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ » . وهذا إسنادٌ ضعيفٌ ؛ لحالِ
إسحاقَ بنِ بِشْرِ ، فإنه مُنْكَرُ الحديثِ ، ولا سيِّما وقد خالفَ الرواياتِ الصُّحاحَ .
وقد كان له ، عليه السلامُ ، مِنْ أُمُورِ الْمَلِكِ ، واتِّساعِ الدَّوْلَةِ ، وكثرةِ الجُنُودِ
وتنوعِها ، ما لم يَكُنْ لأحدٍ قَبْلَهُ ، ولا يُعْطِيهِ اللَّهُ أَحَدًا بعده ، كما قال :
﴿ وَأُوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ١٦] . وقال : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا
يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الرَّهَابُ ﴾ . وقد أعطاه اللهُ ذلكَ بنصِّ الصَّادِقِ
المُضْطَوِّقِ . ولما ذَكَرَ تعالى ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ ، وَأَسَدَّاهُ مِنَ النُّعْمِ الْكَامِلَةِ الْعَظِيمَةِ
إِلَيْهِ ، قال : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . أى ؛ أَعْطِ مَنْ شِئْتَ
واحْرِمْ مَنْ شِئْتَ ، فلا حسابَ عَلَيْكَ ، أى تَصَرَّفْ فِي الْمَالِ كَيْفَ شِئْتَ ؛ فَإِنَّ
اللَّهَ قد سَوَّغَ لَكَ كُلَّ ما تَفَعَّلَهُ مِنْ ذَلِكَ ، ولا يُحَاسِبُكَ عَلَى ذَلِكَ ، وهذا شأنُ
النبيِّ الْمَلِكِ ، بخلافِ العبدِ الرَّسُولِ ؛ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ لا يُعْطَى أَحَدًا ، ولا يَمْنَعُ
أَحَدًا ، إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لَهُ فِي ذَلِكَ .

وقد خُيِّرَ نَبِيُّنا مُحَمَّدٌ ، صَلَّواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ ؛
فاختارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا^(١) . وفي بعضِ الرواياتِ^(٢) : أَنَّهُ اسْتَشَارَ جَبْرِيلَ فِي
ذَلِكَ ، فَأشارَ إِلَيْهِ أَنْ تَوَاضَعَ . فاختارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا ، صَلَّواتُ اللَّهِ

(١) في المسند ٢/٢٣١ . (إسناده صحيح) .

(٢) الطبراني في المعجم الكبير (١٣٣٠٩) .

وسلامه عليه . وقد جعلَ اللهُ الخِلافةَ والمُلْكَ مِن بَعْدِهِ فِي أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
فَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِّنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ^(١) . فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ .

وَمَا ذَكَرَ تَعَالَى مَا وَهَبَهُ لِنَبِيِّهِ سَلِيمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا ، نَبِيَّةً
عَلَى مَا أَعَدَّهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالْأَجْرِ الْجَمِيلِ ، وَالْقُرْبَى الَّتِي تُقَرِّبُهُ
إِلَيْهِ ، وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ وَالْإِكْرَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْمَعَادِ وَالْحِسَابِ ، حَيْثُ قَالَ
تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لَظُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّكَابٍ ﴾ .

(١) البخارى (٣١١٦ ، ٧٣١١ ، ٣٦٤٠ ، ٣٦٤١ ، ٧٤٥٩ ، ٧٤٦٠) . مسلم (١٠٣٧ ، ١٩٢٠ ،
١٩٢١) .

ذِكْرُ (١) وَفَاتِهِ وَمُدَّةِ مُلْكِهِ وَحَيَاتِهِ

قال الله تبارك وتعالى (١): ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّكُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤]. رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَغَيْرُهُمَا (٢)، مِنْ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ الشَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « كَانَ سُلَيْمَانُ نَبِيَّ اللَّهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذَا صَلَّى رَأَى شَجْرَةً نَابِتَةً بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ لَهَا: مَا اسْمُكَ؟ فَتَقُولُ: كَذَا. فَيَقُولُ [١/٢٣٠ ظ]: لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ فَإِنْ كَانَتْ لِعَرْسٍ، عُرْسَتْ، وَإِنْ كَانَتْ لِدَوَاءٍ، كُتِبَتْ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّي ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ رَأَى شَجْرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكَ؟ قَالَتْ: الْخَرْبُوبُ. قَالَ: لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ قَالَتْ: لِخِرَابٍ هَذَا الْبَيْتِ. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: اللَّهُمَّ عَمَّ عَلَى الْجِنِّ مَوْتِي؛ حَتَّى تَعْلَمَ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنِّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ. فَتَحْتَهَا عَصَا، فَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا حَوْلًا وَالْجِنُّ تَعْمَلُ، فَأَكَلَتْهَا الْأَرْضُ، فَتَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنِّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا حَوْلًا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ». قَالَ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُهَا كَذَلِكَ. قَالَ: فَشَكَرَتِ الْجِنُّ لِلْأَرْضِ، فَكَانَتْ تَأْتِيهَا بِالْمَاءِ. لَفَّظَ ابْنُ جَرِيرٍ. وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ فِي حَدِيثِهِ نَكَارَةً. وَقَدْ رَوَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ، مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ بْنِ كَهَيْلٍ،

(١) سقط من: م، ص.

(٢) التفسير ٤٨٩/٦ - ٤٩١.

(٣) تفسير الطبري ٧٤/٢٢. عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣٠/٥ لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن

مردويه.

عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس موقوفاً^(١)، وهو أشبهه بالصواب. والله أعلم. وقال الشدئي في خبر ذكره^(٢) عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة: كان سليمان، عليه السلام، يتجرّد^(٣) في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، يُدخِلُ طعامه وشرابه، فأدخله في المرة^(٤) التي تُوفى فيها، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يُصْبِحُ فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة، فيأتيها فيسألها: ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا. فإن كانت لغرس غرسها، وإن كانت نبتت دواء، قالت: نبتت دواءً لكذا وكذا. فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يُقال لها: الخروبة. فسألها: ما اسمك؟ فقالت: أنا الخروبة. فقال: ولأى شيء نبتت؟ فقالت: نبتت لخراب هذا المسجد. قال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حي، أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس. فنزعها وغرسها في حائط له، ثم دخل الحراب، فقام يصلي مُتَكَيِّمًا على عصاه، فمات ولم تعلم به الشياطين، وهم في ذلك يعملون له، يخافون أن يخرج فيعاقبهم، وكانت الشياطين تجتمع حول الحراب، وكان الحراب له كوى بين يديه وخلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع، يقول: ألسن جليداً^(٥) إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر، فدخل شيطاناً من أولئك فمروا - ولم يكن

(١) تاريخ دمشق ٢٢/٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/٧٥. وتاريخه ١/٥٠٢، ٥٠٣.

(٣) في الأصل: «يتحرر». وفي ح: «يتحرز».

(٤) في الأصل: «المدّة».

(٥) الجلد والجليد: القوى.

شَيْطَانٌ يَنْظُرُ إِلَى سُلَيْمَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ فِي الْمِحْرَابِ إِلَّا اخْتَرَقَ - وَلَمْ
 يَسْمَعْ صَوْتَ سُلَيْمَانَ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَسْمَعْ، ثُمَّ رَجَعَ فَوَقَعَ فِي الْبَيْتِ وَلَمْ
 يَخْتَرِقْ، وَنَظَرَ إِلَى سُلَيْمَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ سَقَطَ مَيْتًا، فَخَرَجَ فَأَخْبَرَ النَّاسَ
 أَنَّ سُلَيْمَانَ قَدْ مَاتَ، فَفَتَحُوا عَنْهُ فَأَخْرَجُوهُ، وَوَجَدُوا مِسْنَأَتَهُ - وَهِيَ الْعَصَا
 بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ [١/٢٣١ و٢] - قَدْ أَكَلَتْهَا الْأَرْضُ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مُنْذُ كَمَ مَاتَ،
 فَوَضَعُوا الْأَرْضَ عَلَى الْعَصَا، فَأَكَلَتْ مِنْهَا يَوْمًا وَلَيْلَةً. ثُمَّ حَسَبُوا عَلَى ذَلِكَ
 النَّحْوِ، فَوَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ مِنْذُ سَنَةٍ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: (فَمَكَّنُوا يَدَّابُونَ لَهُ
 مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ حَوْلًا كَامِلًا). فَأَيَّقَنَ النَّاسُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْجِنَّ كَانُوا يَكْذِبُونَ،
 وَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا الْغَيْبَ لَعَلِمُوا بِمَوْتِ سُلَيْمَانَ، وَلَمْ يَلْبَثُوا فِي الْعَذَابِ سَنَةً يَعْمَلُونَ
 لَهُ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا دَلَّكُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ
 تَأْكُلُ مِسْنَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَوَّ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي
 الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ يَقُولُ: تَبَيَّنَ أَمْرُهُم لِلنَّاسِ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَ لَهُمْ. ثُمَّ إِنَّ
 الشَّيَاطِينَ قَالُوا لِلْأَرْضِ: لَوْ كُنْتِ تَأْكُلِينَ الطَّعَامَ لِأَتِينَاكِ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ، وَلَوْ
 كُنْتِ تَشْرَبِينَ الشَّرَابَ سَقِينَاكِ أَطْيَبَ الشَّرَابِ، وَلَكِنَّا سَنَنْقُلُ إِلَيْكَ الْمَاءَ وَالطُّيْنَ.
 قَالَ: فَهَمْ يَنْقُلُونَ إِلَيْهَا ذَلِكَ حَيْثُ كَانَتْ، قَالَ: أَلَمْ تَرَى إِلَى الطُّيْنِ الَّذِي يَكُونُ
 فِي جَوْفِ الْخَشَبِ، فَهُوَ مَا تَأْتِيهَا بِهِ الشَّيَاطِينُ شُكْرًا لَهَا. وَهَذَا فِيهِ مِنْ
 الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي لَا تُصَدَّقُ وَلَا تُكْذَّبُ.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ « الْقَدْرِ » ^(١): حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا
 قَبِيصَةُ حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ خَيْثَمَةَ، قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ،

(١) وَمِنْ طَرِيقِهِ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٩٥/٢٢.

عليهما السلام، لملك الموت: إذا أردت أن تقبض رُوحِي فأعلمني. قال: ما أنا بأعلمُ بذلك منك؛ إنما هي كُتِبَتْ تُلقَى إلي، فيها تسمية من يموت.

وقال أصبغ بن الفرج، وعبدُ الله بن وهب^(١)، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: قال سليمان لملك الموت: إذا أمرت بي فأعلمني. فأتاه فقال: يا سليمان، قد أمرت بك، قد بقيت لك سُوَيْعَةٌ. فدعا الشياطين فَبَتُوا عليه صرُخًا من قوارير، ليس له باب، فقام يُصلي فاتكأ على عصاه. قال: فدخَلَ عليه ملكُ الموت، فقبضَ رُوحه وهو مُتَوَكِّيٌّ على عصاه. ولم يصنع ذلك فرارًا من ملك الموت. قال: والجنُّ تعملُ بينَ يديه وينظرون إليه، يحسبون أنه حي. قال: فبعث الله دابةً الأرض، يعنى إلى منسأته، فأكلتها حتى إذا أكلت جوفَ العَصَا ضَعُفَتْ وثقلَ عليها فخر، فلما رأت الجنُّ ذلك، انفضوا وذهبوا. قال: فذلك قوله: ﴿ مَا دَهَمَ عَلَى مَوْتِي إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾. قال أصبغ: وبلغني عن غيره، أنها مكثت سنةً تأكل في منسأته حتى خر. وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم^(٢). والله أعلم.

قال إسحاق بن بشر^(٣)، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري وغيره: إن سليمان، عليه السلام، عاش [٢٣١/١ ظ] ثنتين وخمسين سنة، وكان ملكه أربعين سنة. وقال إسحاق^(٣): أنبأنا أبو رزقي، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن

(١) تفسير الطبري ٢٢/٧٥، ٧٦ من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه. وعزاه في الدر المنثور ٥/

٢٣٠ لابن أبي حاتم عن ابن زيد بنحوه.

(٢) منهم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، انظر الدر المنثور ٥/٢٣١.

(٣) تاريخ دمشق ٢٢/٢٩٩.

مُلْكُهُ كَانَ عَشْرِينَ سَنَةً . فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : فَكَانَ جَمِيعُ عُمَرِ سَلِيمَانَ
ابْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، نَيْفًا وَخَمْسِينَ سَنَةً . وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنْ مُلْكِهِ ، ابْتَدَأَ
بِنَاءَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِيمَا ذُكِرَ ^(١) . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ رُحْبَعُمُ ^(٢) ، مُدَّةَ سَبْعِ عَشْرَةَ
سَنَةً فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ . قَالَ : ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بَعْدَهُ مَمْلَكَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٣) .

(١) تاريخ الطبري ١/٥٠٣ .

(٢) في الأصل : « زختم » . وفي ح ، ص : « رخميم » . وفي م : « رحبعام » . والمثبت من تاريخ
الطبري .

(٣) تاريخ الطبري ١/٥١٧ .

«بَابُ ذِكْرِ جَمَاعَةِ مِنْ أَنْبِيَاءِ»

بنی اسرائیل بعد داود و سلیمان

وقبل زكريا ويحيى، عليهم السلام

فمنهم شعيا^(٢) بن أمصيا. قال محمد بن إسحاق^(٣): وكان قبل زكريا ويحيى، وهو ممن بشر بعيسى ومحمد، عليهما السلام، وكان في زمانه ملك اسمه صديقة^(٤) على بنى إسرائيل ببلاد بيت المقدس، وكان سامعا مطيعا لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه من المصالح، وكانت الأحداث قد عظمت في بنى إسرائيل، فمرض الملك وخرجت في رجليه قرحة، وقصد بيت المقدس ملك بايل في ذلك الزمان، وهو سنحاريب، قال ابن إسحاق: في ستمائة ألف راية. وفرغ الناس فرحا عظيما شديدا، وقال الملك للنبي شعيا: ماذا أوحى الله إليك في أمر سنحاريب وجنوده؟ فقال: لم يوح إلي فيهم شيئا بعد. ثم نزل عليه الوحي بالأمر للملك صديقة، بأن يوصي ويشتخلف على ملكه من يشاء؛ فإنه قد اقترب أجله، فلما أخبره بذلك أقبل الملك على القبلة، فصلى وسبح

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) في ص: (شعيب).

(٣) تاريخ الطبري ١/٥٣٢ - ٥٣٥.

(٤) في م: (حزقيا).

وَدَعَا وَبَكَى ، فَقَالَ وَهُوَ يَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِقَلْبٍ مُخْلِصٍ
 وَتَوَكُّلٍ وَصَبْرٍ : اللَّهُمَّ رَبَّ الْأَرْبَابِ وَاللَّهُ الْآلِهَةِ ، يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ ، يَا مَنْ لَا
 تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ، اذْكُرْنِي بِعِلْمِي ، وَفِعْلِي ، وَحَسَنِ قَضَائِي عَلَى بَنِي
 إِسْرَائِيلَ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ كَانَ مِنْكَ ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي ، سِرِّي وَإِعْلَانِي
 لَكَ . قَالَ : فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَرَحِمَهُ ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى شُعْيَا أَنْ يُبَشِّرَهُ بِأَنَّهُ قَدْ
 رَجِمَ بُكَاءَهُ ، وَقَدْ أَخْرَجَ فِي أَجَلِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَأُنْجَاهُ مِنْ عَذْوِهِ
 سِنْحَارِيْبَ . فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ ذَهَبَ عَنْهُ الْوَجَعُ ، وَانْقَطَعَ عَنْهُ الشَّرُّ وَالْحُزْنُ ،
 وَخَرَّ سَاجِدًا ، وَقَالَ فِي سُجُودِهِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ الَّذِي تُقْطِئُ الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ ،
 وَتَنْزِعُهُ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ،
 أَنْتَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَأَنْتَ تَرْحَمُ وَتَسْتَجِيبُ دَعْوَةَ الْمُضْطَرِّينَ .
 فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى شُعْيَا أَنْ يَأْمُرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مَاءَ التَّيْنِ ، فَيَجْعَلَهُ [١١ /
 ٢٣٢] عَلَى قُرْحَتِهِ ، فَيَشْفَى وَيُضْبِحَ قَدْ بَرِيَ . فَفَعَلَ ذَلِكَ فَشَفِيَ ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ
 عَلَى جَيْشِ سِنْحَارِيْبِ الْمَوْتِ ، فَأَضْبَحُوا وَقَدْ هَلَكُوا كُلُّهُمْ سِوَى سِنْحَارِيْبِ
 وَخَمْسِيَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، مِنْهُمْ بُخْتُ نَصْرَ ، فَأَرْسَلَ مَلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِجَاءَ بِهِمْ ،
 فَجَعَلَهُمْ فِي الْأَغْلَالِ ، وَطَافَ بِهِمْ فِي الْبِلَادِ عَلَى وَجْهِ التَّنْكِيلِ بِهِمْ وَالْإِهَانَةِ
 لَهُمْ سَبْعِينَ يَوْمًا ، وَيُطْعَمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ رَغِيفَيْنِ مِنْ شَعِيرٍ ، ثُمَّ
 أَوْدَعَهُمُ السُّجْنَ ، وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى شُعْيَا أَنْ يَأْمُرَ الْمَلِكَ بِإِرْسَالِهِمْ إِلَى
 بِلَادِهِمْ ، لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ مَا قَدْ حَلَّ بِهِمْ ، فَلَمَّا رَجَعُوا جَمَعَ سِنْحَارِيْبُ قَوْمَهُ

وأخبرهم بما قد كان من أمرهم ، فقال له السحرة والكهنة : إنا أخبرناك عن شأن ربهم وأنبيائهم فلم تطعنا ، وهى أمة لا يستطيعها أحد من ربهم . فكان أمر سنحاريب مما خوفهم الله به . ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين . قال ابن إسحاق^(١) : ثم لما مات صديقة ملك بنى إسرائيل ، مرج أمرهم واختلطت أحداثهم ، وكثر شرهم ، فأوحى الله تعالى إلى شعيا ، فقام فيهم فوعظهم وذكّرهم ، وأخبرهم عن الله بما هو أهله ، وأنذرهم بأسه وعقابه إن خالفوه وكذبوه ، فلما فرغ من مقالته عدوا عليه وطلبوه ليقتلوه ، فهرب منهم ، فمر بشجرة فانفلقت له ، فدخل فيها ، وأذركه الشيطان فأخذ يهدبه ثوبه فأبرزها ، فلما رأوا ذلك جاءوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة ، فنشروها ونشروه معها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(١) تاريخ الطبرى ١/٥٣٦ ، ٥٣٧ .

ومنها أزميا بن حلقيا

من سبط لاوى بن يعقوب

وقد قيل : إنه الخضر . رواه الضحاك عن ابن عباس^(١) . وهو غريب وليس بصحيح . قال ابن عساكر^(٢) : جاء فى بعض الآثار ، أنه وقف على دم يعقوب ابن زكريا وهو يقور بدمشق ، فقال : أيها الدم ، فتنت الناس فاسكن . فسكن ورسب حتى غاب . وقال أبو بكر ابن أبى الدنيا : حدثنى علي بن أبى مرجم ، عن أحمد بن حباب ، عن عبد الله بن عبد الرحمن . قال : قال أزميا : أى رب ، أى عبادك أحب إليك ؟ قال : أكثرهم لى ذكرا الذين يشتغلون بذكرى عن ذكر الخلاق ، الذين لا تفرض لهم وساوس الغناء^(٣) ، ولا يحدثون أنفسهم بالبقاء ، الذين إذا عرض لهم عيش الدنيا قلوه ، وإذا زوى عنهم سرؤوا بذلك . أولئك أنحلهم محببى وأعطيتهم فوق غاياتهم .

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ١/٣٦٥ ، ٣٦٦ ، عن وهب بن منبه .

(٢) تاريخ دمشق ٨/٢٨ .

(٣) فى الأصل : « المعاء » . وفى م : « الفناء » . والمثبت موافق لما فى تاريخ دمشق .

ذِكْرٌ ^(١) خَرَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ

وقوله تعالى ^(٢): ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكَتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا ۝٢﴾ [٢٣٢/١] ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ وَفَضَّلْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلَمَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُم أَكْثَرًا نَفِيرًا ۝٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلُوا تَنبِيرًا ۝٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿

[الإسراء: ٢ - ٨]. وقال وهب بن مُتَيْبٍ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُقَالُ لَهُ: أَرْمِيَا، حِينَ ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِي، أَنْ قُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمِكَ، فَأُخْبِرْهُمْ أَنَّ لَهُمْ قُلُوبًا وَلَا يَفْقَهُونَ، وَأَعْيُنًا وَلَا يُبْصِرُونَ، وَأَذَانًا وَلَا يَسْمَعُونَ، وَإِنِّي تَذَكَّرْتُ صَلَاحَ آبَائِهِمْ، فَعَطَفَنِي ذَلِكَ عَلَىٰ أَبْنَائِهِمْ، فَسَلُّهُمْ: كَيْفَ وَجَدُوا غَيْبَ طَاعَتِي؟ وَهَلْ سَعِدَ أَحَدٌ مِّنْ عَصَانِي بِمَعْصِيَتِي؟ وَهَلْ شَقِيَ أَحَدٌ مِّنْ أَطَاعَتِي بِطَاعَتِي؟ إِنَّ الدُّوَابَّ تَذَكَّرُ أَوْطَانَهَا فَتَنْزِعُ إِلَيْهَا، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ تَزَكُّوا الْأَمْرَ الَّذِي أَكْرَمْتُ عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ، وَالتَّمَسُّوا الْكِرَامَةَ مِنْ غَيْرِ

(١) سقط من: م.

(٢) التفسير ٤٢/٥ - ٤٥.

وجيها، أما أخبارهم فأنكروا حتى، وأما قراؤهم فعبدوا غيري، وأما نسأكهم فلم يتتبعوا بما علموا، وأما ولأثم فكذبوا علي وعلى رُسلي، خزنوا المكر في قلوبهم، وعودوا الكذب ألسنتهم. ^(١) وإني أقسم بجلالي وعزتي، لأهيجن عليهم جيولا لا يفقهون ألسنتهم ^(٢)، ولا يعرفون وجوههم، ولا يزحمون بكاءهم، ولأبعثن فيهم ملكا جبارا قاسيا، له عساكر كقطع السحاب، ومواكب كأمثل العجاج ^(٣)، كأن خفقان رايته طيران الشور، وكأن حمل فرسانه كثر العقبان، يُعيدون العمران خرابا، ويتركون القرى وحشة، فيا ويل إيلياء وسكانها، كيف أذلهم للقتل، وأسلط عليهم السباء ^(٤)، وأعيد بعد لجب ^(٥) الأعراس صراخا، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب، وبعد شرافات القصور مساكن السباع، وبعد ضوء الشرج وهج العجاج، وبالعرذ الذل، وبالنعمة العبودية، وأبدلن نساءهم بعد الطيب الثراب، وبالمشي على الزرابي ^(٦) الحبب ^(٧). ولأجعلن أجسادهم زبلا للأرض، وعظامهم ^(٨) ضاحية للشمس، ولأدوسنهم بالوان العذاب، ثم لأمرن السماء فلتكونن طبقا من حديد، والأرض سبيكة من نحاس، فإن أمطرت، لم تُثبت الأرض، وإن أنبت شيئا في خلال ذلك، فبرحمتي للبهائم، ثم أحبسهُ في زمان الزرع، وأرسلهُ في زمان الحصاد [١/٢٣٣]، فإن زرعوها في خلال ذلك شيئا، سلطت عليه الآفة،

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) في ح، م: «العجاج».

(٣) السباء: الأشر.

(٤) في الأصل: «صخب». وفي ح: «لب». واللجب: ارتفاع الأصوات.

(٥) والزرابي: كل ما بسط وانكئ عليه.

(٦) الحبيب: العذو.

(٧) في ح، م: «عظامهن».

فإن خلص منه شيء نزعته منه البركة ، فإن دعوني لم أجهم ، وإن سألوا لم أعطيهم ، وإن بكوا لم أرحمهم ، وإن تصرعوا صرفت وجهي عنهم . رواه ابن عساکر بهذا اللفظ^(١) .

وقال إسحاق بن بشر^(٢) : أنبأنا إدريس ، عن وهب بن مئببه قال : إن الله تعالى لما بعث أرميا إلى بنى إسرائيل ، وذلك حين عظمت الأحداث فيهم ؛ فعملوا بالمعاصي وقتلوا الأنبياء ، طمع بخت نصرت فيهم ، وقذف الله في قلبه ، وحدت نفسه بالمسير إليهم ؛ لما أراد الله أن ينتقم به منهم ، فأوحى الله إلى أرميا ؛ أتى مهلك بنى إسرائيل ، ومثقتهم منهم ، فقم على صخرة بيت المقدس ؛ يأتيك أمرى ووحىي . فقام أرميا فشق ثيابه ، وجعل الرماد على رأسه ، وخر ساجدا ، وقال : يارب ، وددت أمي لم تلدني حين جعلتني آخر أنبياء بنى إسرائيل ، فيكون خراب بيت المقدس ، ويوازي بنى إسرائيل من أجلي . فقيل له : ارفع رأسك . فرفع رأسه فبكي ، ثم قال : يا رب ، من تسلط عليهم ؟ قال : عبدة الثيران ؛ لا يخافون عقابي ، ولا يزوجون ثوابي ، قم يا أرميا فاستمع وحيي ، أخبرك خبرك وخبر بنى إسرائيل ؛ من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن أصورك في رجم أمك ، قدشتك ، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ نباتك ، ومن قبل أن تبلغ^(٣) الأشد اخترتك ، ولأمر عظيم اجبتيتك ، فقم مع الملك ، تسدده وترشده . فكان مع الملك يرشده ويأتيه

(١) في تاريخ دمشق ٢٩/٨ ، ٣٠ .

(٢) أخرجه من طريقه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٣٤/٨ - ٤١ . ومن طريقه أيضا ابن الجوزي في المنتظم ٤٠١/١ - ٤٠٦ مختصرا عن هذا .

(٣) بعده في الأصل : «الحلم» .

الْوَحَى مِنَ اللَّهِ، حَتَّى عَظُمَتِ الْأَحْدَاثُ، وَنَسُوا مَا نَجَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِمْ
 سِنْحَارِيبَ وَجُنُودِهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أَرْمِيَا؛ قُمْ فَاقْضُصْ عَلَيْهِمْ مَا آمُرُكَ بِهِ،
 وَذَكِّرْهُمْ نِعْمَتِي عَلَيْهِمْ، وَعَرِّفْهُمْ أَحْدَاثَهُمْ. فَقَالَ أَرْمِيَا: يَا رَبِّ، إِنِّي ضَعِيفٌ
 إِنْ لَمْ تُقَوِّنِي، عَاجِزٌ إِنْ لَمْ تُبَلِّغْنِي، مُخْطِئٌ إِنْ لَمْ تُسَدِّدْنِي، مَخْذُولٌ إِنْ لَمْ
 تَنْصُرْنِي، ذَلِيلٌ إِنْ لَمْ تُعِزَّنِي. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: أَوْ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا
 تَصُدُّرُ عَنِ مَشِيئَتِي، وَأَنَّ «الْخَلْقَ» (١) الْأَمَرَ كُلَّهُ لِي، وَأَنَّ الْقُلُوبَ وَالْأَلْسِنَةَ كُلَّهَا
 بِيَدِي، فَأَقْلُبُهَا كَيْفَ شِئْتُ فَتَطِيعُنِي (٢)، فَأَنَا اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ شَيْءٌ مِثْلِي، قَامَتِ
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ بِكَلِمَتِي، وَأَنَّهُ لَا يَخْلُصُ التَّوْحِيدُ وَلَمْ تَيَّمِّ الْقُدْرَةُ
 إِلَّا لِي، وَلَا يَعْلَمُ مَا عِنْدِي غَيْرِي، وَأَنَا الَّذِي كَلَّمْتُ الْبَحَارَ فَفَهِمَتْ قَوْلِي،
 وَأَمَرْتُهَا فَفَعَلَتْ أَمْرِي، وَحَدَدْتُ عَلَيْهَا حُدُودًا، فَلَا تَعْدُو حُدِّي، وَتَأْتِي بِأَمْوَاجٍ
 كَالْجِبَالِ، فَإِذَا بَلَغَتْ حُدِّي أَلْبَسْتُهَا مَذَلَّةً لَطَاعَتِي، وَخَوْفًا، وَاعْتِرَافًا لِأَمْرِي،
 وَإِنِّي مَعَكَ، وَلَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ شَيْءٌ مَعِي، وَإِنِّي بَعَثْتُكَ إِلَى خَلْقِي [٢٣٣/١ ط]
 عَظِيمٍ مِنْ خَلْقِي؛ لِئُبَلِّغَهُمْ رِسَالَاتِي، فَتَسْتَوْجِبَ لَذَلِكَ (٣) «أَجْرًا» مِنْ اتِّبَاعِكَ،
 وَلَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا (٤) وَإِنْ تَقَصَّرَ عَنْهَا، تَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ وِزْرًا مِنْ
 تَرَكَّتْهُ فِي عِمَايَةِ، وَلَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا (٥)، أَنْطَلِقُ إِلَى قَوْمِكَ، فَقُمْ
 فِيهِمْ، وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ ذَكَرَكُمْ بِصَلَاحِ آبَائِكُمْ؛ فَلِذَلِكَ اسْتَبَقَاكُمْ يَا مَعْشَرَ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) سقط من: ص.

(٣) في ح: «كذلك».

(٤ - ٤) في ح: «منى أنفك».

(٥ - ٥) سقط من: م، ص.

أبناء الأنبياء، كيف وجد آباؤكم مَعْبَةً طاعتي، وكيف وجدتم مَعْبَةً معصيتي؟ وهل وجدوا أحدًا عصاني فَسَعِدَ بمعصيتي؟ وهل عَلِمُوا أحدًا أطاعني فَشَقِيَ بطاعتي؟ إِنَّ الدَّوَابَّ إِذَا ذَكَرَتْ أوطانها الصالحة نَزَعَتْ إليها، وَإِنَّ هؤُلاءِ القومَ رَتَعُوا فِي مُرُوجِ الهَلَكَةِ، وَتَرَكَوا الأَمْرَ الَّذِي بِهِ أَكْرَمْتُ آبَاءَهُمْ، وَابْتَغَوْا الكِرَامَةَ مِن غيرِ وجهها. أَمَّا أَحْبَابُهُمْ وَرُهْبَانُهُمْ، فَاتَّخَذُوا عِبَادِي^(١) حَوْلًا يَتَعَبَّدُونَهِمْ، وَيَحْكُمُونَ فِيهِمْ بِغيرِ كتابي، حَتَّى أَجْهَلُوهُمْ أَمْرِي وَأَنْسَوَهُمْ ذِكْرِي وَسُنَّتِي، وَغَزَوْهُمْ^(٢) عَنِّي، فَدَانَ لَهُمْ عِبَادِي بِالطَّاعَةِ، الَّتِي لَا تَنْبَغِي^(٣) إِلَّا لِي^(٣)، فَهَم يُطِيعُونَهُمْ فِي معصيتي. وَأَمَّا مَلُوكُهُمْ وَأَمْرَأَتُهُمْ، فَبَطَرُوا نِعْمَتِي، وَأَمِنُوا مَكْرِي، وَغَزَوْهُمْ الدُّنْيَا، حَتَّى نَبَذُوا كِتَابِي، وَنَسُوا عَهْدِي، فَهَم يُحَرِّفُونَ كِتَابِي، وَيُفْتَرُونَ عَلَيَّ رُسُلِي؛ جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَيَّ وَغِرَّةً بِي. فَسَبْحَانَ جَلَالِي وَعُلُوِّ مَكَانِي، وَعَظَمَةِ شَأْنِي، هَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِي شَرِيكٌ فِي مُلْكِي! وَهَلْ يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يُطَاعَ فِي معصيتي! وَهَلْ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْلُقَ عِبَادًا أَجْعَلُهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِي! أَوْ آذَنَ لِأَحَدٍ بِالطَّاعَةِ لِأَحَدٍ! وَهِيَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِي! وَأَمَّا قُرَاؤُهُمْ وَفَقَهَاؤُهُمْ، فَيَذَرُسُونَ مَا يَتَخَيَّرُونَ، فَيَتَقَادُونَ لِلْمَلُوكِ، فَيَتَابِعُونَهُمْ^(٤) عَلَى الْبِدْعِ الَّتِي يَتَّبِعُونَ فِي دِينِي، وَيُطِيعُونَهُمْ فِي معصيتي، وَيُوفُونَ لَهُم بِالْعُهُودِ النَّاقِضَةِ لِعَهْدِي، فَهَم جَهَلَةٌ بَمَا يَعْلَمُونَ، لَا يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا عَلِمُوا مِن كِتَابِي. وَأَمَّا

(١) فِي الأَصْلِ: «عِبَادَتِي».

(٢) فِي الأَصْلِ: «وَعَزَوْهُمْ». وَفِي ح، م: «وَعَزَوْهُمْ».

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: ح.

(٤) فِي ص: «يَتَابِعُونَهُمْ».

أولاد النبين، فمفهورون ومفتونون؛ يحوضون مع الخائضين، يتمنون مثل
نصرى آباءهم، والكرامة التى أكرمتهم بها، ويزعمون أنه لا أحد أولى بذلك
منهم، بغير صديق منهم، ولا تفكر، ولا يذكرون كيف كان صبر آبايهم،
وكيف كان جهدهم فى أمرى، حتى^(١) اغتر المعتزون، وكيف بذلوا أنفسهم
ودماءهم، فصبروا وصدقوا، حتى عز أمرى، وظهر دينى، فتأيت هؤلاء
القوم،^(٢) لعلهم يشتخيون^(٣) منى ويزعجون، فتطولت عليهم وصفححت عنهم،
فأكثرت ومددت لهم فى العمر، وأغذرت لهم^(٤) لعلهم يذكرون، وكل ذلك
أعطيت عليهم السماء، وأتيت لهم الأرض، وألبسهم العافية، وأظهرهم على
العدو، ولا يزادون إلا طغيانا وبغدا منى، فحتى متى هذا! أبى يستخرون! أم
بى يتمرسون^(٥)! أم إيتى يخادعون! أم على [١/٢٣٤] يجترئون! فإنى أقسم
بعرى، لأتيحن لهم^(٦) فتنة يتخير فيها الحليم^(٧)، ويضل فيها رأى ذوى الرأى،
وحكمة الحكيم، ثم لأسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا، ألبسه الهيئة، وأنزع من
قلبه الرأفة والرحمة، وآليت أن يتبعه عدد وسواد مثل الليل المظلم، له فيه
عساكر مثل قطع السحاب، ومواكب مثل العجاج، وكأن حفيف رايته طيران
الأسور، وحمل فؤانه كسرب العقبان، يعيدون العمران خرابا، والقرى
وحشا، ويعيئون فى الأرض فسادا، ويبتزون ما علوا تبييرا، قاسية قلوبهم؛ لا

(١) فى ح، م: «حين».

(٢ - ٣) فى ص: «يستخفون».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى م: «يتحشون». وفى ص: «بتمرسون».

(٥) فى م: «عليهم».

(٦) فى م: «الحكيم».

يَكْتَرُونَ، وَلَا يَرْقُونَ^(١)، وَلَا يُبْصِرُونَ، وَلَا يَسْمَعُونَ، يَجُولُونَ
 فِي الْأَسْوَاقِ بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفَعَةٍ مِثْلَ زَيْبِرِ الْأَسَدِ، تَقْشَعِرُ مِنْ هَيْبَتِهَا الْجُلُودُ،
 وَتَطْيِشُ مِنْ سَمْعِهَا الْأَحْلَامَ، بِالْأَسِنَّةِ لَا يَفْقَهُونَهَا، وَوُجُوهُ ظَاهِرِهَا عَلَيْهَا الْمُنْكَرُ لَا
 يَعْرِفُونَهَا. فَوَعَزَّتِي لِأَعْطَلَنَّ يُتَوَنَّهُمْ مِنْ كُتَيْبِي^(٢) وَقُدْسِي، وَالْأَخْلِيئِينَ مَجَالِسَتَهُمْ
 مِنْ حَدِيثِهَا وَدُرُوسِهَا، وَالْأَوْحَشْنَ مَسَاجِدَهُمْ مِنْ عُمَارِهَا وَزُؤَارِهَا، الَّذِينَ كَانُوا
 يَتَزَيَّتُونَ بِعِمَارَتِهَا لَعَيْرِي، وَيَتَهَجَّدُونَ فِيهَا وَيَتَعَبَّدُونَ لِكَسْبِ الدُّنْيَا بِالدِّينِ،
 وَيَتَفَقَّهُونَ فِيهَا لَعَيْرِ الدِّينِ، وَيَتَعَلَّمُونَ فِيهَا لَعَيْرِ الْعَمَلِ. لِأَبْدَلَنَّ مَلُوكَهَا بِالْعَزِّ
 الذَّلِّ، وَبِالْأَمْنِ الْخَوْفَ، وَبِالْغِنَى الْفَقْرَ، وَبِالنُّعْمَةِ الْجُوعَ، وَبِطُولِ الْعَافِيَةِ وَالرَّخَاءِ
 أَلْوَانَ الْبَلَاءِ، وَبِإِبْتِاسِ الدِّيَاجِ وَالْحَرِيرِ مَدَارِعَ الْوَيْرِ وَالْعَبَاءِ، وَبِالْأَزْوَاجِ الطَّيِّبَةِ
 وَالْأَذْهَانِ جِيْفَ الْقَتْلَى، وَبِإِبْتِاسِ التَّيْجَانِ أَطْوَاقَ الْحَدِيدِ وَالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالَ. ثُمَّ
 لِأَعِيدَنَّ فِيهِمْ بَعْدَ الْقُصُورِ الْوَاسِعَةِ وَالْحُصُونِ الْحَصِينَةِ الْخَرَابَ، وَبَعْدَ الْبُرُوجِ
 الْمَشِيدَةِ مَسَاكِنَ السُّبَاعِ، وَبَعْدَ صَهِيلِ الْخَيْلِ عَوَاءَ الدُّنَابِ، وَبَعْدَ ضَوْءِ السَّرَاجِ
 دُخَانَ الْحَرِيقِ، وَبَعْدَ الْأَنْسِ الْوَحْشَةَ وَالْقَفَّارَ. ثُمَّ لِأَبْدَلَنَّ نِسَاءَهَا بِالْأَشُورَةِ
 الْأَغْلَالَ، وَبِقَلَائِدِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ سَلَاسِلَ الْحَدِيدِ، وَبِأَلْوَانِ الطَّيِّبِ وَالْأَذْهَانِ
 النَّقَّعِ وَالْعُبَارَ، وَبِالْمَشْيِ عَلَى الزَّرَابِيِّ عُبُورَ الْأَسْوَاقِ وَالْأَنْهَارِ وَالْحَبَّابِ إِلَى اللَّيْلِ فِي
 بَطُونِ الْأَسْوَاقِ، وَبِالْخُدُورِ وَالشُّتُورِ الْحُسُورَ عَنِ الْوُجُوهِ وَالشُّوقِ وَالْإِسْفَارَ،
 وَالْأَرْوَاحِ السَّمُومَ، ثُمَّ لِأَدُوسَنَّهْمُ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، حَتَّى لَوْ كَانَ الْكَائِنُ مِنْهُمْ فِي
 حَالَتِي، لَوَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ. إِنِّي إِنَّمَا أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمَنِي، وَإِنَّمَا أُهَيِّئُ مَنْ هَانَ عَلَيْهِ
 أَمْرِي. ثُمَّ لِأَمْرَنَّ السَّمَاءَ خِلَالَ ذَلِكَ؛ فَلَتَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ طَبَقًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَا أَمْرَنَّ

(١) فِي الْأَصْلِ: «يَرْمُونَ». وَفِي م: «يَرْقُونَ».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «كُنْفِي».

الأرض، فَلَتَكُونَنَّ سَبِيكَةً مِنْ نُحَاسٍ، فلا سماءَ تُمَطِّرُ ولا أرضَ تُنْبِتُ، فإن
 أمطرتُ [١/٢٣٤ط] خلالَ ذلكَ شيئاً، سَلَطْتُ عَلَيْهِ ^(١) الآفةَ، فإن خَلَصَ مِنْهُ
 شَيْءٌ نَزَعْتُ مِنْهُ الْبِرْكَهَ، وإن دَعَوْنِي لَمْ أُجِبْهُمْ، وإن سَأَلُونِي لَمْ أُعْطِهِمْ، وإن
 بَكَوْا لَمْ أُرْحَمِهِمْ، وإن تَضَرَّعُوا إِلَيَّ، صَرَفْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ. وإن قالوا: اللَّهُمَّ
 أَنْتَ الَّذِي ابْتَدَأْتَنَا وَأَبَاؤَنَا مِنْ قَبْلِنَا بِرَحْمَتِكَ وَكَرَامَتِكَ، وَذَلِكَ بِأَنَّكَ اخْتَرْتَنَا
 لِنَفْسِكَ، وَجَعَلْتَ فِيْنَا نُبُوتَكَ وَكِتَابَكَ وَمَسَاجِدَكَ، ثُمَّ مَكَّنْتَ لَنَا فِي الْبِلَادِ،
 وَاسْتَخْلَفْتَنَا فِيهَا، وَرَزَيْتَنَا ^(٢) وَأَبَاؤَنَا مِنْ قَبْلِنَا بِنِعْمَتِكَ صِغَارًا، وَحَفِظْتَنَا وَإِيَّاهُمْ
 بِرَحْمَتِكَ كِبَارًا، فَأَنْتَ أَوْفَى الْمُتَعَمِّينَ، ^(٣) فَلَا تُغَيِّرُ ^(٤) وَإِنْ غَيَّرْنَا، وَلَا تُبَدِّلُ وَإِنْ
 بَدَّلْنَا، ^(٥) وَأَنْ تُنِيمَ فَضْلَكَ وَمَنَّاكَ وَطَوْلَكَ وَإِحْسَانَكَ ^(٦). فإن قالوا ذلك، قلتُ
 لهم: إني أَبْئِدِي عِبَادِي بِرَحْمَتِي وَنِعْمَتِي، فإن قَبِلُوا أَمَّمْتُ، وإن اسْتَرَادُوا
 زِدْتُ، وإن شَكَرُوا ضَاعَفْتُ، وإن بَدَّلُوا ^(٧) غَيَّرْتُ، وإذا غَيَّرُوا غَضِبْتُ، وإذا
 غَضِبْتُ عَذَّبْتُ، وليس يَقُومُ شَيْءٌ لِعَظِيبي. قال كَعْبٌ: فقال أرميا: بِرَحْمَتِكَ
 أَصْبَحْتُ أَتَكَلَّمُ ^(٨) بَيْنَ يَدَيْكَ، وَهَلْ يَنْبَغِي ذَلِكَ لِي، وَأَنَا أَذِلُّ وَأَضْعَفُ مِنْ أَنْ
 يَنْبَغِي لِي أَنْ أَتَكَلَّمُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَكِنْ بِرَحْمَتِكَ أَبْقَيْتَنِي لِهَذَا الْيَوْمِ، وليس أَحَدٌ
 أَحَقُّ أَنْ يَخَافَ هَذَا الْعَذَابَ وَهَذَا الْوَعِيدَ مِنِّي، بما رَضِيَتْ بِهِ مِنِّي طَوَّلًا،
 وَالْإِقَامَةَ فِي دَارِ الْخَاطِئِينَ وَهُمْ يَغْضُوبُونَكَ حَوْلِي بِغَيْرِ نَكِيرٍ ^(٩) وَلَا تَغْيِيرٍ مِنِّي، فإن

(١) في ح، م: «عليهم».

(٢) في الأصل: «ورزيتنا».

(٣ - ٣) سقط من: ح، م، ص.

(٤ - ٤) في الأصل، ح، والتاريخ: «وأن تتم نعمته وفضله ومثله وطوله وإحسانه». وفي ص: «وأن
 يتم نعمته وفضله وطوله وإحسانه».

(٥) في ح: «غيرلوا». وفي م، ص: «غيروا».

(٦) في النسخ: «أتعلم». والمثبت من مختصر تاريخ دمشق ٢٤٣/٤.

(٧) في ح، م: «نكر».

تُعَذِّبُنِي فِذَنْبِي ، وَإِنْ تَرَوْحَمْنِي فَذَلِكَ ظَنِّي بِكَ . ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ ، سُبْحَانَكَ
 وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ ، أَتَهْلِكُ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَمَا حَوْلَهَا ، وَهِيَ
 مَسَاكُنُ أَنْبِيَائِكَ ، وَمَنْزِلُ وَحْيِكَ ؟ يَا رَبِّ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكْتَ رَبَّنَا
 وَتَعَالَيْتَ لِحُجْرِبِ هَذَا الْمَسْجِدِ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ ، وَمِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي رُفِعَتْ
 لِذِكْرِكَ ؟ يَا رَبِّ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ لِمَقْتِكَ ^(١) هَذِهِ
 الْأُمَّةَ وَعَذَابِكَ إِيَّاهُمْ وَهُمْ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ ، وَأُمَّةَ مُوسَى نَبِيِّكَ ، وَقَوْمِ
 دَاوُدَ صَفِيِّكَ ، يَا رَبِّ ، أَيُّ الْقَرْيَةِ تَأْمَنُ عُقُوبَتَكَ ^(٢) «بَعْدَ أُورُشَلِيمَ ؟» وَأَيُّ الْعِبَادِ
 يَأْمَنُونَ سَطْوَتَكَ بَعْدَ وَلَدِ خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ ، وَأُمَّةِ نَبِيِّكَ مُوسَى ، وَقَوْمِ خَلِيفَتِكَ
 دَاوُدَ ؟ تُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَبْدَةَ النِّيرَانِ ! قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا أَرْمِيَا ، مَنْ عَصَانِي فَلَا
 يَسْتَنْكِرُ نِقْمَتِي ^(٣) ؛ فَإِنِّي أَكْرَمْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَلَى طَاعَتِي ، وَلَوْ أَنَّهُمْ عَصَوْنِي
 لَأَنْزَلْتُهُمْ دَارَ الْعَاصِيْنَ ، إِلَّا أَنْ أَتَدَارَكَهُمْ بِرَحْمَتِي . قَالَ أَرْمِيَا : يَا رَبِّ ، اتَّخَذْتَ
 إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَحَفِظْتَنَا بِهِ ، وَمُوسَى قَرِيبًا ، فَنَسَأَلُكَ أَنْ تَحْفَظَنَا وَلَا
 تَتَخَطَّفَنَا ، وَلَا تُسَلِّطَ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا أَرْمِيَا ، إِنِّي قَدَسْتُكَ فِي
 بَطْنِ أُمَّكَ ، وَأَخْرَجْتُكَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ ، فَلَوْ أَنَّ قَوْمَكَ حَفِظُوا الْبَيْتَامَى وَالْأَرَامِلَ
 وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ، لَكُنْتُ ^(٤) الدَّاعِمَ لَهُمْ ، وَكَانُوا [٢٣٥/١] عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ
 جَنَّةٍ نَاعِمٍ شَجَرُهَا ، طَاهِرٍ مَأْوَاهَا ، وَلَا يَغُورُ مَأْوَاهَا ، وَلَا تَبُورُ ثِمَارُهَا وَلَا تَنْقَطِعُ ،

(١) فِي ح ، م ، ص : « لِمَقْتِكَ » .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : م . وَفِي الْأَصْلِ : « بَعْدِ رُشَلِيمَ » . وَفِي ح : « بَعْدَ رُشَلِيمَ » . وَفِي ص : « وَسَلِمَ » .
 وَالتَّصْحِيحُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ .

(٣) فِي ص : « نَعْمَتِي » .

(٤) فِي م : « لَمَكُنْتُ » .

ولكن سَأَشْكُوا إِلَيْكَ بنى إسرائيل؛ إني كنتُ لهم بمنزلة الرّاعي^(١) الشفيع، أُجْنِبُهُمْ كُلَّ قَحْطٍ وَكُلَّ عَسْرَةٍ^(٢)، وَأَتَّبِعُ بِهِمُ الخِصْبَ، حتى صاروا كِبَاشًا يَنْطَحُ بعضها بعضًا، فَيَا وَيْلَهُمْ ثُمَّ يَا وَيْلَهُمْ، إِنَّمَا أَكْرِمُ مَنْ أَكْرَمَنِي، وَأُهِينُ مَنْ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرِي، إِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَ هَؤُلَاءِ القَوْمِ مِنَ القُرُونِ يَسْتَحْفُونَ بِمَعْصِيَتِي، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمِ يَتَّبِعُونَ بِمَعْصِيَتِي تَبَوُّعًا؛ فَيُظْهِرُونَهَا فِي المَسَاجِدِ وَالأَشْوَاقِ، وَعَلَى رُؤُوسِ الجِبَالِ، وَظِلَالِ الأشْجَارِ، حتى عَجَّتِ السَّمَاءُ إِلَيَّ مِنْهُمْ، وَعَجَّتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ، وَنَفَرَتْ مِنْهَا الوُحُوشُ بِأَطْرَافِ الأَرْضِ وَأَقَاصِيهَا، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ لَا يَنْتَهُونَ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا عَلِمُوا مِنَ الكِتَابِ. قال: فَلَمَّا بَلَغَهُمْ أَرْبَعِينَ رِسَالَةً رَبِّهِمْ، وَسَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الوَعِيدِ وَالعَذَابِ، عَصَوْهُ وَكَذَّبُوهُ وَاتَّهَمُوهُ، وَقَالُوا: كَذَّبَتْ وَعَظَّمَتْ عَلَى اللَّهِ الفِرْيَةُ، فَتَزَعُمُ أَنَّ اللَّهَ مُعْطَلٌ أَرْضَهُ وَمَسَاجِدَهُ مِنَ كِتَابِهِ وَعِبَادَتِهِ^(٣) وَتَوْحِيدِهِ، فَمَنْ يَعْبُدُهُ حِينَ لَا يَتَّقَى لَهُ فِي الأَرْضِ عَابِدٌ وَلَا مَسْجِدٌ وَلَا كِتَابٌ؟ لَقَدْ أَعْظَمْتَ الفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ، وَاعْتَرَاكَ الجِنُّونَ. فَأَخَذُوهُ وَقَيَّدُوهُ وَسَجَّنُوهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بُحْتُ نَصْرًا، فَأَقْبَلَ يَسِيرٌ بِجُنُودِهِ حَتَّى نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ حَاصَرَهُمْ، فَكَانَ كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٤): ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥]. قال: فَلَمَّا طَالَ بِهِمُ الحَصْرُ، نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَفَتَحُوا الأَبْوَابَ، وَتَخَلَّلُوا الأَرِيقَةَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾. وَحَكَمَ فِيهِمُ الحُكْمَ الجَاهِلِيَّةَ وَبَطَّشَ

(١) فى م، ص: «الداعى».

(٢) فى الأصل، والتاريخ: «غرة».

(٣) فى الأصل: «وعبادته».

(٤) التفسير ٤٤/٥.

الجبارين، فقتل منهم الثلث، وسبى الثلث، وترك الرُمى والشيوخ والعجائز، ثم وطفهم بالخليل، وهدم بيت المقدس، وساق الصبيان، وأوقف النساء في الأسواق مُحسرات، وقتل المُقاتلة، وخرَّب الحصون، وهدم المساجد، وحرَّق التوراة، وسأل عن دانيال، الذي كان كتب له الكتاب، فوجدَه قد مات، وأخرج أهل بيته الكتاب إليه، وكان فيهم دانيال بن حزقيال الأصغر، وميشائيل، وعزرائيل، وميخائيل، فأمضى لهم ذلك الكتاب، وكان دانيال بن حزقيال خَلقًا من دانيال الأكبر، ودخل بُحث نصرَ بجنوده بيت المقدس، ووطئ الشام كلها، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم، فلما فرغ منها، انصرف راجعًا، وحمل الأموال التي كانت بها، وساق السبايا، فبلغ معه عِدَّة صبيانهم من أبناء الأُخبار والملوك، تسعين^(١) ألف غلام، وقذف الكُناسات في بيت المقدس [٢٣٥/١ ظ]، ودبَّح فيه الخنازير، وكان الغلمان سبعة آلاف غلام من بيت داود، وأخذ عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين، وثمانية آلاف من سبط إيشا بن يعقوب، وأربعة عشر ألفا من سبط زبالون وفتالى ابني يعقوب، وأربعة عشر ألفا من سبط دان بن يعقوب،^(٢) وثمانية آلاف من سبط يستاخز بن يعقوب^(٣)، وألفين من سبط رايلون^(٤) بن يعقوب، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوي، واثنتي عشر ألفا من سائر بنى إسرائيل، وانطلق حتى قديم أرض بايل.

(١) كذا في النسخ، وفي تاريخ الطبري ٥٥٣/١: «سبعين ألف». ومجموع الغلمان المذكورين في أثر كعب: «ثمانون ألفا».

(٢ - ٣) سقط من: ح.

(٣) في م: «زبالون». وفي التاريخ: «رالون».

قال إسحاق بن بشر: قال وهب بن مئبّه: فلما فعل ما فعل، قيل له: كان لهم صاحب يُخدّزهم ما أصابهم، ويصِفك وخبرك لهم، ويخبرهم أنك تقتل مقاتلتهم، وتشبي ذراريهم، وتهدم مساجدهم، وتحرق كنائسهم، فكذبوه، واتهموه، وضربوه، وقيدوه وحبسوه. فأمر بخت نصّر، فأخرج أرميا من السجن، فقال له: أكنت تُخدّز هؤلاء القوم ما أصابهم؟ قال: نعم. قال: فإنني علمت ذلك. قال: أرسلني الله إليهم فكذبوني. قال: كذبوك وضربوك وسجنوك؟ قال: نعم. قال: بسّ القوم قوم كذبوا نبيهم، وكذبوا رسالة ربهم، فهل لك أن تلحق بي، فأكرمك وأوسيك، وإن أخببت أن تُقيم في بلادك، فقد أمنتك. قال له أرميا: إنني لم أزل في أمان الله منذ كنت، لم أخرج منه ساعة قط، ولو أن بني إسرائيل لم يخرجوا منه، لم يخافوك ولا غيرك، ولم يكن لك عليهم سلطان. فلما سمع بخت نصّر هذا القول منه، تركه، فأقام أرميا مكانه بأرض إيلياء. وهذا سياق غريب، وفيه حكّم ومواعظ وأشياء مليحة، وفيه من جهة التعريب غرابة.

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي^(١): كان بخت نصّر أضفهندا^(٢) يما بين الأهواز إلى الروم؛ للملك على^(٣) الفرس وهو لهراسب، وكان قد بنى مدينة بلخ التي تلقب بـ «الحنساء»^(٤)، وقاتل التوك، وأجأهم إلى أضيقي الأماكن،

(١) تاريخ الطبري ١/٥٣٨، ٥٣٩.

(٢) الأصفهند: الأمير. وهي فارسية. وهي في تاريخ الطبري - كما جاءت بالمعجم - «أصبهند»، بالياء.

(٣) في ح: «جاء».

(٤) كذا في النسخ. وفي تاريخ الطبري: «الحسناء».

وَبَعَثَ بُحْتُ نَصْرَ لِقِتَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالشَّامِ ، فَلَمَّا قَدِمَ الشَّامَ صَالِحَهُ أَهْلُ دِمَشْقَ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الَّذِي بَعَثَ بُحْتُ نَصْرَ ، إِنَّمَا هُوَ بِهِمُنْ مَلِكُ الْفَرَسِ بَعْدَ بَشْتَأَسَبِ بْنِ لِهْرَأَسَبِ ؛ وَذَلِكَ لِتَعَدُّى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى رُؤْسِهِ إِلَيْهِمْ . وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ ^(١) ، عَنْ يُونَسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ ، عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ بِلَالٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّ بُحْتُ نَصْرَ لَمَّا قَدِمَ دِمَشْقَ ، وَجَدَ بِهَا دَمًا يُعْلَى عَلَى كِتَابٍ - يَعْنِي الْقِمَامَةَ - فَسَأَلَهُمْ : مَا هَذَا الدَّمُ ؟ فَقَالُوا : أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذَا ، وَكُلَّمَا ظَهَرَ عَلَيْهِ الْكِبَا ظَهَرَ . قَالَ : فَقَتَلَ عَلَى ذَلِكَ سَبْعِينَ [١/٢٣٦] أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ ، فَسَكَنَ . وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ الْحَافِظِ ابْنِ عَسَاكِرٍ ^(٢) مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا دَمُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ ؛ لِأَنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بَعْدَ بُحْتُ نَصْرَ بَمُدَّةٍ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا دَمُ نَبِيِّ مُتَقَدِّمٍ ، أَوْ دَمُ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ ، أَوْ لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِمَّنْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ . قَالَ هِشَامُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : ثُمَّ قَدِمَ بُحْتُ نَصْرَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَصَالِحَهُ مَلِكُهَا ، وَكَانَ مِنْ آلِ دَاوُدَ ، وَصَانَعَهُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَخَذَ مِنْهُ بُحْتُ نَصْرَ رَهَائِنَ وَرَجَعَ ، فَلَمَّا بَلَغَ طَبْرِيَّةَ بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَارُوا عَلَى مَلِكِهِمْ فَقَتَلُوهُ لِأَجْلِ أَنَّهُ صَالِحَهُ ، فَضَرَبَ رِقَابَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الرَّهَائِنِ وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ ، فَأَخَذَ الْمَدِينَةَ عَنُودَ ، وَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ . قَالَ : وَبَلَّغْنَا أَنَّهُ وَجَدَ فِي السُّجْنِ أَرْمِيَا النَّبِيَّ ، فَأَخْرَجَهُ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ إِثَابَهُ ، وَتَحْذِيرَهُ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَكَذَّبُوهُ وَسَجَّنُوهُ ، فَقَالَ بُحْتُ نَصْرَ : بِمَسِّ الْقَوْمِ قَوْمٌ عَصَوْا رَسُولَ

(١) فِي تَفْسِيرِهِ ٢٩/١٥ ، ٣٠ .

(٢) تَقَدَّمَ ص ٣٦٠ .

اللَّهُ . وَخَلَّى سَبِيلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . واجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ بَقِيَ مِنْ ضُعَفَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،
فَقَالُوا : إِنَّا قَدْ أَسَأْنَا وَظَلَمْنَا ، وَنَحْنُ نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مِمَّا صَنَعْنَا ، فَادْعُ
اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَنَا . فدعا رَبَّهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ غَيْرُ فَاعِلٍ ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ
فَلْيُقِيمُوا مَعَكُمْ بِهَذِهِ الْبَلَدَةَ . فَأَخْبَرَهُمْ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، فَقَالُوا : كَيْفَ نُقِيمُ
بِهَذِهِ الْبَلَدَةَ وَقَدْ خَرِبَتْ ، وَعَظِيبُ اللَّهِ عَلَى أَهْلِهَا ! فَأَبَوْا أَنْ يُقِيمُوا . قال ابنُ
الْكَلْبِيِّ : وَمِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ تَفَرَّقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْبِلَادِ ، فَنَزَلَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
الْحِجَازَ ، وَطَائِفَةٌ يَثْرِبَ ، وَطَائِفَةٌ وادِي الْقَرْيَ ، وَذَهَبَتْ شِرْذِمَةٌ مِنْهُمْ إِلَى مِصْرَ ،
فَكَتَبَ بُحْتُ نَصَرَ إِلَى مَلِكِهَا ، يَطْلُبُ مِنْهُ مَنْ شَرَدَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَتَى عَلَيْهِ ،
فَرَكِبَ فِي جَيْشِهِ ، فَقَاتَلَهُ وَقَهَرَهُ وَعَلَبَهُ ، وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ ، ثُمَّ رَكِبَ إِلَى بِلَادِ
الْمَغْرِبِ ، حَتَّى بَلَغَ أَقْصَى تِلْكَ التَّاجِيَةِ . قال : ثُمَّ انْصَرَفَ بِسَبْيِ كَثِيرٍ مِنْ أَرْضِ
الْمَغْرِبِ ، وَمِصْرَ ، وَأَهْلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَأَرْضِ فَلَسْطِينَ ، وَالْأَزْدُونَ ، وَفِي السَّنَةِ
دَانِيَالُ . قلتُ : وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ دَانِيَالُ بْنُ حِزْقِيلَ الْأَصْغَرِ لَا الْأَكْبَرِ ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ
وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ ^(١) ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) تقدم ص ٣٦٣ حاشية (٢) .

ذَكَرُ^(١) شَيْءٍ مِنْ خَيْرِ

دَانِيَالٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال ابنُ أبي الدنيا: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الشَّيْبَانِيُّ، قَالَ: إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُهُ مِنْ شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ، فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْهُ، عَنِ الْأَجْلَحِ الْكِنْدِيِّ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهَدَيْلِ قَالَ: ضَرَبَ^(٢) بُحْتُ نَصْرَ أَسَدَيْنِ، فَأَلْقَاهُمَا فِي جُبِّ وَجَاءَ دَانِيَالٌ فَأَلْقَاهُ [٢٣٦/١ ظ] عَلَيْهِمَا، فَلَمْ يَهَيِّجَاهُ^(٣) فَمَكَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَهَى مَا يَشْتَهَى الْآدَمِيُّونَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أَرْمِيَا وَهُوَ بِالشَّامِ: أَنْ أَعِدْ طَعَامًا وَشَرَابًا لِدَانِيَالٍ. فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَنَا بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَدَانِيَالُ بِأَرْضِ بَابِلَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ أَعِدْ مَا أَمْرَنَاكَ بِهِ، فَإِنَّا سَنُرْسِلُ مَنْ يَحْمِلُكَ وَيَحْمِلُ مَا أَعَدَدْتَ. فَفَعَلَ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَنْ حَمَلَهُ وَحَمَلَ مَا أَعَدَّ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِ الْجُبِّ فَقَالَ: دَانِيَالُ، دَانِيَالُ. فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟^(٤) قَالَ: أَنَا أَرْمِيَا. فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ؟ فَقَالَ: أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ. قَالَ: وَقَدْ ذَكَرَنِي رَبِّي؟^(٥) قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ دَانِيَالُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَنْسَى مَنْ ذَكَرَهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي^(٥) لَا يُخَيِّبُ^(٥) مَنْ رَجَاهُ،

(١) سقط من: م.

(٢) أى جعلهما مولعين بأكل اللحم، فلا يكادان يصبران عنه.

(٣) فى الأصل: «يصحياه».

(٤ - ٤) سقط من: ح.

(٥ - ٥) فى م: «يجيب».

والحمد لله الذى من وثق به لم يكله إلى غيره، والحمد لله الذى يعجزى بالإحسان إحساناً، والحمد لله الذى يعجزى بالصبر نجاةً، والحمد لله الذى هو يكشف ضررنا بعد كثرنا، والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تسوء ظنونا بأعمالنا، والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عتاً.

وقال يونس بن بكير، عن ^(١) محمد بن إسحاق عن أبي خلدة خالد بن دينار، حدثنا أبو العالية قال: لما افتتحنا تُسْتَرَّ وَجَدْنَا فِي مَالِ بَيْتِ الْهُزْمَانِ سِرِيًّا، عَلَيْهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مُصْحَفٌ، فَأَخَذْنَا الْمَصْحَفَ، فَحَمَلْنَاهُ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، فَدَعَا لَهُ كَفْبًا فَنَسَخَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَأَنَا أَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَرَأَهُ، قَرَأْتُهُ مِثْلَ مَا أَقْرَأُ الْقُرْآنَ هَذَا. فَقُلْتُ لِأَبِي الْعَالِيَةِ: مَا كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: سِيرُكُمْ وَأُمُورُكُمْ وَلِحُونَ كَلَامِكُمْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدُ. قُلْتُ: فَمَا صَنَعْتُمْ بِالرَّجُلِ؟ قَالَ: حَفَرْنَا بِالنَّهَارِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبْرًا مُتَفَرِّقَةً، فَلَمَّا كَانَ بِاللَّيْلِ دَفَنَاهُ، وَسَوَّيْنَا الْقُبُورَ كُلَّهَا؛ لِتَعْمِيهِ عَلَى النَّاسِ فَلَا يُبْشِرُونَهُ. قُلْتُ: فَمَا يَزُجُونَ مِنْهُ؟ قَالَ: كَانَتِ السَّمَاءُ إِذَا حُبِسَتْ عَنْهُمْ، بَرَزُوا بِسَرِيرِهِ، فَيَمْطَرُونَ. قُلْتُ: مَنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ الرَّجُلَ؟ قَالَ: رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: دَانِيَالُ. قُلْتُ: مِنْذُكُمْ وَجَدْتُمُوهُ قَدْ مَاتَ؟ قَالَ: مِنْذُ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ. قُلْتُ: مَا تَعَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا شَعْرَاتٌ مِنْ قَفَاهُ؛ إِنَّ لِحُومَ الْأَنْبِيَاءِ لَا تُبْلِيهَا الْأَرْضُ وَلَا تَأْكُلُهَا السَّبَاعُ. وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى أَبِي الْعَالِيَةِ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَ تَارِيخُ وَفَاتِهِ مُحْفُوظًا مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، فَلَيْسَ بِنَبِيِّ، بَلْ هُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ؛ لِأَنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ

(١) فى ص: «بن».

ﷺ نبي، بنص الحديث الذي في البخاري^(١)، والفترة التي كانت بينهما أربع مائة سنة،^(٢) وقيل: ستمائة^(٣). وقيل: ستمائة وعشرون سنة. وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة، وهو قريب من وقت دانيال، إن كان [٢٣٧/١] كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر؛ فإنه قد يكون رجلاً آخر؛ إما من الأنبياء أو الصالحين، ولكن قويت الظنون أنه دانيال؛ لأن دانيال كان قد أخذَه ملكُ الفُرس، فأقام عنده مسجوناً، كما تقدّم. وقد روى بإسناد صحيح إلى أبي العالية، أن طول أنفه شبر. وعن أنس بن مالك، بإسناد جيد، أن طول أنفه ذراع. فيحتمل على هذا أن يكون رجلاً من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد. والله أعلم.

وقد قال أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب «أحكام القبور»^(٤): «حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله بن أبي بريدة بن^(٥) أبي موسى الأشعري، حدثنا أبو محمد القاسم بن عبد الله، عن أبي الأشعث الأحمري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن دانيال دغا ربه، عز وجل، أن تدفنه أمه محمد». فلما افتتح أبو موسى الأشعري ثنتر، وجدته في تابوت، تضرب^(٥) عزوفه ووريده، وقد كان رسول الله ﷺ قال: «من دل على دانيال، فبشروه بالجنة». فكان الذي دل عليه رجل يقال له: حوقوص، فكتب أبو موسى إلى عمر بخبره،

(١) البخاري (٣٤٤٢).

(٢ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٣) في الأصل: «الفتور».

(٤) في الأصل: «عن».

(٥) في الأصل، ص: «فضرب». وتضرب: تبيض.

فكتب إليه عمر، أن اذنيه، وابعث إلى حُرْقُوصٍ؛ فإن النبي ﷺ بشره بالجنة .
وهذا مرسل من هذا الوجه، وفي كونه محفوظاً نظراً . والله أعلم .

ثم قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو بلال، حدثنا قاسم بن عبد الله، عن
عَنْبَسَةَ بنِ سَعِيدٍ - وكان عَالِماً - قال: وَجَدَ أَبُو مُوسَى مع دَانِيَالٍ مُصْحَفًا،
وَجَزْءٌ فِيهَا وَدَكٌ^(١) وَدَرَاهِمٌ، وَخَاتَمَةٌ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، فَكَتَبَ
إِلَيْهِ عُمَرُ: أَمَّا الْمَصْحَفُ فَابْعَثْ بِهِ إِلَيْنَا، وَأَمَّا الْوَدَكُ فَابْعَثْ إِلَيْنَا مِنْهُ، وَمُرٌّ مَن
قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَشْتَشْفُونَ^(٢) بِهِ، وَأَقْسِمُ الدَّرَاهِمَ بَيْنَهُمْ، وَأَمَّا الْخَاتَمُ فَقَدْ
نَقَلْنَاكَهُ . وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ وَجْهِ، أَنَّ أَبَا مُوسَى لَمَّا وَجَدَهُ، وَذَكَرُوا لَهُ
أَنَّهُ دَانِيَالٌ، انْتَرَمَهُ وَعَانَقَهُ وَقَبَّلَهُ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ يَذْكُرُ لَهُ أَمْرَهُ، وَأَنَّهُ وَجَدَ عِنْدَهُ
مَالًا مَوْضوعًا، قَرِيبًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَكَانَ مَنْ جَاءَ اقْتَرَضَ مِنْهَا، فَإِنْ
رَدَّهَا، وَإِلَّا مَرَضَ^(٣)، وَأَنَّ عِنْدَهُ رُبْعَةٌ^(٤)، فَأَمَرَ عُمَرُ بِأَنْ يُغَسَّلَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ،
وَيُكَفَّنَ وَيُدْفَنَ، وَيُحْفَى قَبْرُهُ، فَلَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ، وَأَمَرَ بِالْمَالِ أَنْ يُرَدَّ إِلَى بَيْتِ
الْمَالِ، وَبِالرُّبْعَةِ فَتُحْمَلُ إِلَيْهِ، وَتَقْلَهُ خَاتَمَةٌ . وَرَوَى عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّهُ أَمَرَ أَرْبَعَةَ
مِنَ الْأَسْرَاءِ فَسَكَّرُوا^(٥) نَهْرًا، وَحَفَرُوا فِي وَسْطِهِ قَبْرًا، فَدَفَنَتْ فِيهِ، ثُمَّ قَدَّمَ الْأَرْبَعَةَ
الْأَسْرَاءِ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَلَمْ يَعْلَمْ مَوْضِعَ قَبْرِهِ غَيْرُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ [٢٣٧/١ ظ] .

(١) الْوَدَكُ: الدُّسَمُ .

(٢) فِي ص: «يَسْتَسْقُونَ» .

(٣) فِي الْأَصْلِ، ص: «بِرْص» .

(٤) الرُّبْعَةُ: جَوْزَةُ الْعَطَارِ، وَالْجَوْزَةُ: سُلَيْلَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ مَغْشَاةٌ أَدْمًا تَكُونُ مَعَ الْعَطَارِينَ .

(٥) فِي الْأَصْلِ: «سَكَّرَا» . وَسَكَّرُوا النَّهْرَ: سَدُّوهُ .

وقال ابن أبي الدنيا : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو
ابنِ الشَّرِيحِ ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزَّنَادِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
رَأَيْتُ فِي يَدِ أَبِي^(١) بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ خَاتِمًا ، نَقَشَ فِيهِ أَصْدَانِ
بَيْنَهُمَا رَجُلٌ ، يَلْحَسَانِ ذَلِكَ الرَّجُلَ ، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ : هَذَا خَاتَمُ ذَلِكَ الرَّجُلِ
الْمَيِّتِ ، الَّذِي زَعَمَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَلَدَةِ أَنَّهُ دَانِيَالُ ، أَخَذَهُ أَبُو مُوسَى يَوْمَ دَفَنِهِ . قَالَ
أَبُو بُرْدَةَ : فَسَأَلَ أَبُو مُوسَى عِلْمَاءَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ عَنْ نَقْشِ ذَلِكَ الْخَاتَمِ ، فَقَالُوا : إِنَّ
الْمَلِكَ الَّذِي كَانَ دَانِيَالُ فِي سُلْطَانِهِ ، جَاءَهُ الْمُنْجُمُونَ وَأَصْحَابُ الْعِلْمِ ، فَقَالُوا
لَهُ : إِنَّهُ يُوَلَدُ لَيْلَةً كَذَا وَكَذَا غَلَامٌ يَعُورُ^(٢) مُلْكَكَ وَيُفْسِدُهُ . فَقَالَ الْمَلِكُ : وَاللَّهِ لَا
يَبْقَى تِلْكَ اللَّيْلَةُ غَلَامٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ . إِلَّا أَنَّهُمْ أَخَذُوا دَانِيَالَ ، فَأَلْقَوْهُ فِي أَجْمَةِ الْأَسَدِ ،
فَبَاتَ الْأَسَدُ وَلَبِوثُهُ يَلْحَسَانِهِ ، وَلَمْ يَضُرَّاهُ ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ فَوَجَدَتْهُمَا يَلْحَسَانِهِ ،
فَتَنَجَّاهُ اللَّهُ بِذَلِكَ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ . قَالَ أَبُو بُرْدَةَ : قَالَ أَبُو مُوسَى : قَالَ عِلْمَاءُ
تِلْكَ الْقَرْيَةِ : فَتَقَشَّ دَانِيَالُ صُورَتَهُ وَصُورَةَ الْأَسَدَيْنِ يَلْحَسَانِهِ فِي فَصِّ خَاتَمِهِ ؛
لِقَلِّ يَنْسَى نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ . إِسْنَادٌ حَسَنٌ .

(١) فِي ح ، م : «ابن» .

(٢) فِي ص : «يعور» . وَعَارُ يَعُورُ : أَتَلَفَ .

«وهذا ذِكْرُ» عمارة

بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ خَرَابِهَا ، واجتماع

بنى إسرائيل بعد تفرُّقهم في بقاع الأرض

قال الله تعالى في كتابه المبين ، وهو أَصْدَقُ القائلين ^(١) : ﴿ أَوْ كَأَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُعْبَهُ هَذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] . قال هشام ابن الكلبي : ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَرْمِيَا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِيمَا بَلَغَنِي - أَنِّي عَامِرُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهَا ، فَأَنْزَلَهَا . فَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَهَا وَهِيَ خَرَابٌ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَنْزِلَ هَذِهِ الْبَلْدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ عَامِرُهَا ، فَمَتَى يَغْمُرُهَا ، وَمَتَى يُحْيِيهَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ وَمَعَهُ حِمَارُهُ وَسَلَّةٌ مِنْ طَعَامٍ ، فَمَكَثَ فِي نَوْمِهِ سَبْعِينَ سَنَةً

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) التفسير ١/٤٦٤ ، ٤٦٥ .

حتى هَلَكَ بُحْتُ نَصْرَ، والمَلِكُ الذي فوقه وهو لهراسبُ، وكان مُلْكُهُ مائة وعشرين سنةً، وقام بعده وَلَدُهُ بشتاسبُ بنُ لهراسبِ، وكان موثُ بُحْتُ نَصْرَ في دولته، فَبَلَغَهُ عن بلادِ الشَّامِ أَنَّهَا خَرَابٌ، وَأَنَّ السَّبَاعَ قد كَثُرَتْ في أَرْضِ فِلَسْطِينِ، فلم يَتَّقَ بها من الإِنْسِ أَحَدٌ، فنادى في أَرْضِ بَابِلَ، في بنى إِسْرَائِيلَ [١/٢٣٨و]، أَنَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الشَّامِ، فَلْيَرْجِعْ، ومَلِكٌ عليهم رَجُلًا من آلِ داودَ، وأَمَرَهُ أَنْ يَعْمُرَ بَيْتَ المَقْدِسِ، وَيَبْنِيَ مَسْجِدَهَا، فَرَجَعُوا فَعَمَرُوهَا، وَفَتَحَ اللهُ لأرْمِيَا عَيْنَيْهِ، فَتَنَظَرَ إِلَى المَدِينَةِ، كيف تُبْنَى وكيف تُعْمَرُ، وَمَكَثَ في نوميهِ ذَلِكَ حتى تَمَّتْ له مِائَةٌ سَنَةٍ، ثم بَعَثَهُ اللهُ، وهو لا يَظُنُّ أَنَّهُ نَامَ أَكْثَرَ من سَاعَةٍ، وقد عَهَدَ المَدِينَةَ خَرَابًا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا عَامِرَةً آهِلَةً قال: أَعْلَمُ أَنَّ اللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. قال: فَأَقَامَ بنو إِسْرَائِيلَ بها، وَرَدَّ اللهُ عليهم أَمْرَهُمْ^(١)، فَمَكَّنُوها كذلك حتى غَلَبَتْ عليهم الرومُ في زَمَنِ ملوكِ الطَّوائِفِ، ثُمَّ لم يَكُنْ لهم جَماعَةٌ ولا سُلْطانٌ، يَغْنَى بَعْدَ ظُهُورِ النِّصَارِيِّ عليهم. هكذا حكاةُ ابنِ جريرِ في «تاريخه» عنه^(٢). ^(٣) وذكر ابنُ جريرِ^(٤)، أَنَّ لهراسبَ كان مَلِكًا عادِلًا سائِسًا لِمَمْلَكَتِهِ، قد دَانَتْ له العبادُ والبلاذُ، والمملوكُ والقَوَاذِ^(٥) وَأَنَّهُ كان ذا رَأْيٍ جَيِّدٍ في عِمارةِ الأَمْصارِ والأَنْهارِ والمعاقِلِ، ثُمَّ لَمَّا ضَعُفَ عن تَدبيرِ المَمْلَكَةِ، بَعَدَ

(١) في ح: «أمره».

(٢) في تاريخه ١/٥٣٩، ٥٤٠.

(٣ - ٣) سقط من: ح.

(٤) في تاريخه ١/٥٤٠، ٥٤١.

مائة سنة وَيُفِي، نَزَلَ عَنِ الْمَلِكِ لَوْلَيْدِهِ بَشْتَا سَبْ، فَكَانَ فِي زَمَانِهِ ظَهُورُ دِينِ
 الْمَجُوسِيَّةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ اسْمُهُ زَرَادُشْتُ، كَانَ قَدْ صَحِبَ أَرْمِيَا، عَلَيْهِ
 السَّلَامُ، فَأَغْضَبَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِ أَرْمِيَا، فَبَرِصَ زَرَادُشْتُ، فَذَهَبَ فَلَحِقَ بِأَرْضِ
 أَدْرِيَجَانَ، وَصَحِبَ بَشْتَا سَبْ فَلَقَّنَهُ دِينَ الْمَجُوسِيَّةِ الَّذِي اخْتَرَعَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ،
 لَعَنَهُ اللَّهُ، فَقِيلَ لَهُ مِنْهُ بَشْتَا سَبْ، وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَقَهَرَهُمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا
 كَثِيرًا مِنْ آبَاءِهِمْ. ثُمَّ كَانَ بَعْدَ بَشْتَا سَبْ، يَهْمُنُ بْنُ بَشْتَا سَبْ، وَهُوَ مِنْ
 مُلُوكِ الْفُرْسِ الْمَشْهُورِينَ وَالْأَبْطَالِ الْمَذْكُورِينَ، وَقَدْ نَابَ بُحْثُ نَصْرٍ لِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَعُمِّرَ دَهْرًا طَوِيلًا، فَبَحَّحَهُ اللَّهُ.

والمقصود أن هذا الذي ذكره ابن جرير، من أن هذا المارء على هذه القرية،
 هو أرميا، عليه السلام، قاله ^(١) وَهَبُ بْنُ مُنْبِيهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُيَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ،
 وَغَيْرُهُمَا ^(٢)، وَهُوَ قَوِيٌّ مِنْ حَيْثُ السِّيَاقُ الْمُتَقَدِّمُ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ، وَعَبْدِ
 اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيَّ، وَسَلِيمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ،
 وَغَيْرِهِمْ ^(٣) أَنَّهُ عَزِيْرٌ. وَهَذَا أَشْهُرُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) في م: «قال».

(٢) تفسير الطبري ٢٩/٣. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٣٣ لابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهما.

(٣) تفسير الطبري ٢٨/٣. والدر المنثور ١/٣٣١، ٣٣٢.

وهذه قصة العزير

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر^(١): هو عَزَيْرُ بْنُ حَيَّوَةَ^(٢)، ويُقال: ابنُ سوريق بنِ عرنا^(٣) بنِ أيوب بنِ درثنا^(٤) بنِ عري بنِ تقي بنِ السبوع^(٥) بنِ فنحاص بنِ العازر بنِ هارون بنِ عمران. ويُقال: عَزَيْرُ بْنُ شَرُوخَا^(٦). جاء في بعض الآثار^(٧)، أنَّ قَبْرَهُ بِدِمَشْقَ. ثُمَّ ساق [٢٣٨/١] من طريق أبي القاسم البَغَوِيِّ، عن داود بن عمرو، عن جَبَّانَ^(٨) بنِ عليّ، عن محمد بنِ كُرَيْبٍ، عن أبيه^(٩)، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا: «لَا أُذْرِي أَلَمَنَ يُتَّبَعُ أُمَّ لَأَ، وَلَا أُذْرِي أَكَّانَ عَزَيْرٌ نَبِيًّا أَمْ لَا؟». ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ مُؤَمَّلِ بْنِ الْحَسَنِ^(١٠)، عن محمد بنِ إِسْحَاقَ السُّجْزِيِّ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن ابنِ أَبِي ذُئْبٍ^(١١)، عن سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ، عن أبي هُرَيْرَةَ مرفوعًا نحوه. ثُمَّ رَوَى مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ

(١) تاريخ دمشق ٦٠١/١١، ٦٠٢ مخطوط.

(٢) في النسخ: «جروة». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٣) في ص، م: «عديا».

(٤) في ح، م: «درزنا».

(٥) في النسخ: «أسبوع». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٦) في الأصل: «سردخا». وفي ح، م، ص: «سروخا». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٧) أخرجه ابن عساكر بسنده في تاريخ دمشق ٣٢٣/٢ - ٣٢٥.

(٨) كذا بالنسخ وهو الصواب، وفي تاريخ دمشق المخطوط: «جبار». وانظر تهذيب الكمال ٥/

٣٣٩ - ٣٤١.

(٩) كذا بالنسخ، وهو الصواب. وفي تاريخ دمشق المخطوط: «ابنه». وانظر تهذيب الكمال ٢٦/

٣٣٦، ٣٣٧.

(١٠) في تاريخ دمشق: «الحسين». وهو خطأ. وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/٢١.

(١١) في م: «ذؤيب».

بِشْرِ، وهو متروك، عن جُوَيْرٍ وَمُقَاتِلِ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عَزْرِيًّا كَانَ يَمُنُّ سَبَاهُ بُحْتٌ نَصْرٌ وَهُوَ غَلَامٌ حَدَّثَ، فَلَمَّا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَعْطَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَحْفَظَ وَلَا أَعْلَمَ بِالتَّوْرَةِ مِنْهُ. قَالَ: وَكَانَ يُذَكِّرُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ، حَتَّى مَحَا اللَّهُ اسْمَهُ مِنْ ذَلِكَ، حِينَ سَأَلَ رَبَّهُ عَنِ الْقَدْرِ. وَهَذَا ضَعِيفٌ وَمُنْقَطِعٌ وَمُنْكَرٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال إسحاق بن بشر^(١)، عن سعيد بن^(٢) أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن عبد الله بن سلام: إنَّ عَزْرِيًّا هُوَ الْعَبْدُ الَّذِي أَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ.

وقال إسحاق بن بشر^(٣): أَنبَأَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنِ قَتَادَةَ، عَنِ كَعْبِ، وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنِ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، وَمُقَاتِلِ، وَجُوَيْرِ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الشُّدِّيَّ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ مُجَاهِدِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَإِدْرِيسَ، عَنِ جَدِّهِ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهِ. قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرِ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حَدَّثُونِي عَنْ حَدِيثِ عَزْرِيٍّ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالُوا بِإِسْنَادِهِمْ: إِنَّ عَزْرِيًّا كَانَ عَبْدًا صَالِحًا حَكِيمًا، خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى صَيْعَةٍ لَهُ يَتَعَاهَدُهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ انْتَهَى إِلَى خَرِبَةٍ حِينَ قَامَتِ الظُّهَيْرَةُ وَأَصَابَهُ الْحَرُّ، وَدَخَلَ الْخَرِبَةَ وَهُوَ عَلَى جِمَارِهِ، فَنَزَلَ عَنْ جِمَارِهِ وَمَعَهُ سَلَّةٌ فِيهَا تَيْنٌ، وَسَلَّةٌ فِيهَا عِنَبٌ، فَتَنَزَلَ فِي ظِلِّ تِلْكَ الْخَرِبَةِ وَأَخْرَجَ قَصْعَةً مَعَهُ، فَاعْتَصَرَ مِنَ الْعِنَبِ الَّذِي

(١) تاريخ دمشق ٦٠٣/١١ مخطوط.

(٢) في م: (عن).

(٣) تاريخ دمشق ٦٠٣/١١ - ٦٠٥ مخطوط.

كان معه فى القَصْصَةِ، ثم أخرجُ خُبْرًا يابسًا معه، فألقاه فى تلك القَصْصَةِ فى العَصِيرِ؛ لِيَبْتَلَّ لِيَأْكُلَهُ، ثم اسْتَلْقَى على قَفَاهُ وَأَسْنَدَ رِجْلَيْهِ إِلَى الحَائِطِ، فَتَنَظَّرَ سَفَفَ تِلْكَ البُيُوتِ، وَرَأَى مَا فِيهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَقَدْ بادَ أَهْلُهَا، وَرَأَى عِظَامًا بِالْيَتَّى فَقَالَ: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، فَلَمْ يَشْكُ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِيهَا، وَلَكِنْ قَالَهَا تَعَجُّبًا، فَبَعَثَ اللَّهُ مَلَكَ المَوْتِ فَقَبِضَ رُوحَهُ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ، فَلَمَّا أَتَتْ عَلَيْهِ مِائَةُ عَامٍ، وَكَانَتْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ فِي بنى إِسْرَائِيلَ أُمُورٌ وَأَحْدَاثٌ. قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَى عَزْرِيْرٍ مَلَكًا، فَحَلَقَ قَلْبَهُ لِيَعْقِلَ بِهِ^(١)، وَعَيْنَيْهِ لِيَنْظُرَ بِهِمَا؛ فَيَعْقِلَ كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ المَوْتَى، ثُمَّ رَكَّبَ خَلْقَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ، ثُمَّ كَسَا عِظَامَهُ [٢٣٩/١] اللَّحْمَ وَالشُّعْرَ وَالجِلْدَ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، كُلُّ ذَلِكَ وَهُوَ يَرَى وَيَعْقِلُ، فَاسْتَوَى جَالِسًا، فَقَالَ لَهُ المَلَكُ: ﴿كَمْ لَيْتٌ﴾، قَالَ: ﴿لَيْتٌ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾. وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ^(٢) نَامٌ فِي^(٣) صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ الظُّهْرِ، وَبُعِثَ فِي آخِرِ النَّهَارِ وَالشَّمْسُ لَمْ تَغِبْ، فَقَالَ: أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، وَلَمْ يَتِّمْ لِي يَوْمٌ. فَقَالَ لَهُ المَلَكُ: ﴿بَلْ لَيْتٌ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَيَّ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾. يَعْنِي الطَّعَامَ؛ الخُبْرَ الْيَابِسَ، وَشَرَابَهُ؛ العَصِيرَ الَّذِي كَانَ اعْتَصَرَ فِي القَصْصَةِ^(٤)، فَإِذَا هُمَا عَلَى حَالِهِمَا لَمْ يَتَغَيَّرِ العَصِيرُ، وَالخُبْرُ يَابِسٌ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾. يَعْنِي لَمْ يَتَغَيَّرْ، وَكَذَلِكَ التِّيْنُ وَالعَنْبُ غَضٌّ لَمْ يَتَغَيَّرْ

(١) فى ح، م: «قلبه».

(٢ - ٣) فى ح، م: «لبت».

(٣) وفى التاريخ: «القصيعة».

عن شيءٍ من حالهما، فكأنه أنكر في قلبه، فقال له الملك: أنكرت ما قلت لك؟ انظر إلى حمارك. فنظر، فإذا^(١) حماره قد بليت عظامه وصارت نخرة، فنادى الملك عظام الحمار فأجابت، وأقبلت من كل ناحية، حتى ركبته الملك وعزير ينظر إليه، ثم ألبسها العروق والعصب، ثم كساها اللحم، ثم أنبت عليها الجلد والشعر، ثم نفع فيه الملك، فقام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه إلى السماء، ناهقاً ينظر القيامة قد قامت، فذلك قوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩]. يعنى، انظر إلى عظام حمارك، كيف تركب بعضها بعضاً فى أوصالها، حتى إذا صارت عظاماً مصوراً حماراً بلا لحم، ثم انظر كيف نكسوها لحماً، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من إحياء الموتى وغيره. قال: فركب حماره حتى أتى محلته، فأنكره الناس، وأنكر^(٢) الناس، وأنكر منازلهم^(٣)، فانطلق على وهم منه، حتى أتى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة، قد أتى عليها مائة وعشرون سنة، كانت أمة لهم، فخرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة، كانت عرقته وعقلته، فلما أصابها الكبر، أصابها الزمانة، فقال لها عزير: يا هذه، أهذا منزل عزير؟ قالت: نعم، هذا منزل عزير فبكث وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً، وقد نسيه

(١) فى ح، م: «إلى».

(٢ - ٣) فى ح، م: «الناس وأنكر منزله». وفى ص: «منزله». وفى تاريخ دمشق: «الناس منازل».

الثَّاسُ . قال : فَإِنِّي أَنَا عُزَيْرٌ ، كانَ اللهُ أَمَاتَنِي مِائَةَ سَنَةٍ ثُمَّ بَعَثَنِي . قالَتْ :
 سُبْحَانَ اللهِ ! فَإِنَّ عُزَيْرًا قَدْ فَقَدْنَاهُ مِنْذُ مِائَةِ سَنَةٍ ، فلمَ نَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرِ . قال :
 فَإِنِّي أَنَا عُزَيْرٌ . قالَتْ : فَإِنَّ عُزَيْرًا رَجُلٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ، يَدْعُو لِلْمَرِيضِ
 وَلصاحبِ البَلَاءِ بالعافيةِ والشِّفاءِ ، فاذعُ اللهُ أن يَزِدُّ عَلَيَّ بَصْرِي حتَّى أَرَكَ ،
 فَإِنَّ كُنْتَ عُزَيْرًا عَرَفْتُكَ . قال : فدعا رَبَّهُ وَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَي عَيْنَيْهَا فَصَحَّتَا [٨ /
 ٢٣٩ظ] ، وأخَذَ بِيَدِهَا وقال : قَوْمِي يَا ذنِ اللهِ . فأطَلَقَ اللهُ رِجْلَيْهَا ، فقامت
 صَحيحةً كما نَشِطَتْ مِنْ عِقَالٍ ، فَتَنظَرَتْ فقالت : أشْهَدُ أَنَّكَ عُزَيْرٌ ، وانطلقت
 إلى مَحَلَّةِ بنى إِسْرَائِيلَ ، وهم في أُنْدِيَّتِهِمْ ومجاليسِهِمْ ، وابنٌ لِعُزَيْرٍ شَيْخٌ ابنُ مِائَةِ
 سَنَةٍ وثمانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، وبنو بَنِيهِ شُيوخٌ في المَجْلِسِ ، فنادَتْهُم فقالت : هذا عُزَيْرٌ
 قد جاءكم . فَكَذَّبُوهَا ، فقالت : أَنَا فِلاَنَةُ مولاَتِكُمْ ، دَعَا لِي رَبُّهُ ، فَرَدُّ عَلَيَّ
 بَصْرِي ، وَأَطَلَقَ رِجْلَيَّ ، وَرَعَمَ أَنَّ اللهُ أَمَاتَهُ مِائَةَ سَنَةٍ ، ثُمَّ بَعَثَهُ . قال : فَتَهَضَّ
 النَّاسُ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ، فَتَنظَرُوا إِلَيْهِ ، فقال ابْنُهُ : كانت لأبِي شامَةٌ سَوْداءُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ .
 فَكَشَفَ عَنْ كَتِفَيْهِ فَإِذا هُوَ عُزَيْرٌ ، فقالت بنو إِسْرَائِيلَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِينا أَحَدٌ
 حَفِظَ التَّوْرَةَ فِيمَا حَدَّثْنَا ، غَيْرَ عُزَيْرٍ ، وقد حَرَقَ بُحْتُ نَصْرَ التَّوْرَةَ ، ولم يَبْقَ
 مِنْها شَيْءٌ ، إِلَّا ما حَفِظَتِ الرِّجَالُ ، فَاكْتُبْها لَنَا . وكان أَبُوهُ سَروخًا قد دَفَنَ
 التَّوْرَةَ أَيامَ بُحْتِ نَصْرَ ، في مَوْضِعٍ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ غَيْرَ عُزَيْرٍ ، فَاطَّلَقَ بِهِمْ إلى
 ذَلِكَ المَوْضِعِ ، فَحَفَرَهُ فاسْتَخْرَجَ التَّوْرَةَ ، وكان قد عَفِنَ الوَرَقُ ، وَدَرَسَ
 الكِتَابُ . قال : وَجَلَسَ في ظِلِّ شَجَرَةٍ وَبنو إِسْرَائِيلَ حَوْلَهُ ، فَجَدَّدَ لَهُمُ التَّوْرَةَ ،

وَنَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ سِهَابَانِ ، حَتَّى دَخَلَ جَوْفَهُ ، فَتَذَكَّرَ التَّوْرَةَ ، فَجَدَّدَهَا لِبْنِي إِسْرَائِيلَ . فَمِنْ ثَمَّ قَالَتِ الْيَهُودُ : عَزَّيْزُ ابْنِ اللَّهِ - جَلَّ اللَّهُ وَعَزَّ - لِلَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ الشُّهَاتَيْنِ وَتَجْدِيدِهِ التَّوْرَةَ ، وَقِيَامِهِ بِأَمْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ جَدَّدَ لَهُمُ التَّوْرَةَ بِأَرْضِ السَّوَادِ بِدَيْرِ حِرْقِيلَ . وَالْقَرْيَةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا يُقَالُ لَهَا : سَايْرَابَادُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَتَجَمَّلكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ ﴾ . يَعْنِي لِبْنِي إِسْرَائِيلَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ مَعَ بَنِيهِ وَهُمْ شَبُوحٌ وَهُوَ شَابٌ ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَبَعَثَهُ اللَّهُ شَابًّا ، كَهَيْئَةِ يَوْمِ مَاتَ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : بُعِثَ بَعْدَ بُخْتِ نَصْرَ . وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ .

وقد أنشد أبو حاتم السجستاني^(١) في معنى ما قاله ابن عباس :

وَأَسْوَدُ رَأْسِ شَابٍ مِنْ قَبْلِهِ ابْنُهُ	وَمِنْ قَبْلِهِ ابْنُ ابْنِهِ فَهُوَ أَكْبَرُ
يَرَى ابْنَ ^(٢) ابْنِهِ شَيْخًا يَدِبُ عَلَى عَصَا	وَلِحَيْثُ سَوْدَاءُ وَالرَّأْسُ أَشْقَرُ
وَمَا لِابْنِهِ حَيْلٌ وَلَا فَضْلُ قُوَّةٍ	يَقُومُ كَمَا يَمْشِي الصَّبِيُّ فَيَعْتَرُ
يُعَدُّ ابْنَهُ فِي النَّاسِ تِسْعِينَ حِجَّةً	وَعَشْرِينَ لَا يَجْرِي وَلَا يَتَّبَحْثُ
وَعُمُرُ أَبِيهِ أَرْبَعُونَ أَمْرًا	وَلابن ابْنِهِ تِسْعُونَ فِي النَّاسِ عُجْرُ
[٢٤٠/١] فَمَا هُوَ فِي الْمَقُولِ إِنْ كُنْتَ دَارِيًا	وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَبِالْجَهْلِ تُعَدُّ

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٠٥/١١ ، ٦٠٦ . مخطوط ، من قول أبي حاتم .

(٢) سقط من : النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

فصل

المشهور أن عُزَيْرًا نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّهُ كَانَ فِيمَا بَيْنَ دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ، وَبَيْنَ زَكْرِيَا وَيَحْيَى، وَأَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَبْقَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ يَحْفَظُ التَّوْرَةَ، أَلْهَمَهُ اللَّهُ حِفْظَهَا، فَسَرَدَهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَمَا قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ^(١): «أَمَرَ اللَّهُ مَلَكًا فَنَزَلَ بِمَعْرِفَةٍ مِنْ نَوْرِ، فَقَدَفَهَا فِي فِي^(٢) عُزَيْرٍ، فَتَسَخَّ التَّوْرَةَ حَرْفًا بِحَرْفٍ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا.

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ^(٣)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. لِمَ قَالُوا ذَلِكَ؟ فَذَكَرَ لَهُ ابْنُ سَلَامٍ مَا كَانَ مِنْ كَتْبِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ التَّوْرَةَ مِنْ حِفْظِهِ، وَقَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: لَمْ يَسْتَطِعْ مُوسَى أَنْ يَأْتِينَا بِالتَّوْرَةِ إِلَّا فِي كِتَابٍ، وَإِنَّ عُزَيْرًا قَدْ جَاءَنَا بِهَا مِنْ غَيْرِ كِتَابٍ. فَرَمَاهُ طَوَائِفُ مِنْهُمْ، وَقَالُوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ.

ولهذا يقول كثير من العلماء: إن تواتر التوراة انقطع في زمن العزير. وهذا متوجه جدًا إذا كان العزير غير نبي، كما قاله عطاء بن أبي رباح، والحسن البصري فيما رواه إسحاق بن بشر^(٤)، عن مقاتل بن سليمان، عن عطاء، وعن

(١) تاريخ دمشق ٦٠٦/١١ مخطوط.

(٢) سقط من: م. و «في» هنا بمعنى: «م».

(٣) تاريخ دمشق ٦٠٦/١١ - ٦٠٨ مخطوط. مطولاً، وأورد ابن كثير هنا قطعة منه مختصرة جدًا بالمعنى.

(٤) تاريخ دمشق ٦١٤/٦ مخطوط.

عثمان بن عطاء الخراساني ، عن أبيه ، ومقاتل ، عن عطاء بن أبي رباح ^(١) قال :
 كان في الفترة تسعة أشياء : بُحْتُ نَصْرَ ، وَجَنَّةُ صُنْعَاءَ ، وَجَنَّةُ سَبَأَ ، وَأَصْحَابُ
 الْأَخْدُودِ ، وَأَمْرُ حَاصُورَا ، وَأَصْحَابُ الْكَهْفِ ، وَأَصْحَابُ الْفِيلِ ، وَمَدِينَةُ
 أَنْطَاكِيَّةَ ، وَأَمْرُ تَبَعِ .

وقال إسحاق بن بشر ^(٢) : أُنْبَأْنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : كَانَ
 أَمْرُ عُزَيْرٍ وَبُحْتُ نَصْرَ فِي الْفَتْرَةِ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي « الصَّحِيحِ » ^(٣) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 ﷺ ، قَالَ : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِنِّ مَرْيَمَ لَأَنَا ، إِنَّهُ لَيْسَ بِنْتِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ » . وَقَالَ
 وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ ^(٤) : كَانَ فِيمَا بَيْنَ سَلِيمَانَ وَعِيسَى ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

وقد رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ ^(٥) ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، أَنَّ
 عُزَيْرًا كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، وَأَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَأْذُنْ لَهُ - يَعْنِي
 لِمَا كَانَ مِنْ سُؤَالِهِ عَنِ الْقَدْرِ - وَأَنَّهُ انْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ : مِائَةٌ مَوْتَةٌ أَهْوَنُ مِنْ ذُلِّ
 سَاعَةٍ . ^(٦) وَفِي مَعْنَى قَوْلِ عُزَيْرٍ : مِائَةٌ مَوْتَةٌ أَهْوَنُ مِنْ ذُلِّ سَاعَةٍ . قَوْلُ بَعْضِ
 الشُّعْرَاءِ :

قَدْ يَضْبِرُ الْحُرُّ عَلَى السَّيْفِ وَيَأْتِفُ الصُّبْرُ عَلَى الْحَيْفِ
 وَيُؤْثِرُ الْمَوْتَ عَلَى حَالَةٍ يَعِجِزُ فِيهَا عَنْ قِرَى الضُّيْفِ ^(٧)

(١) في الأصل : « رواج » .

(٢) تاريخ دمشق ١١/٦١٤ ، ٦١٥ مخطوط .

(٣) تقدم ص ٣٧٧ بمعناه .

(٤) تاريخ دمشق ١١/٦١٥ مخطوط .

(٥) المصدر السابق ١١/٦١٤ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

فَأَمَّا مَا رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ وَغَيْرُهُ ^(١) ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَتَوْفِ الْبِكَالِيِّ ،
 وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، وَغَيْرِهِمْ ، مِنْ أَنَّهُ سَأَلَ عَنِ الْقَدْرِ ، فَمَجَى اسْمُهُ مِنْ ذِكْرِ
 الْأَنْبِيَاءِ . فَهُوَ مُنْكَرٌ ، وَفِي صَحِيحِهِ نَظَرٌ ، وَكَأَنَّهُ مَأْخُودٌ عَنِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ . وَقَدْ
 رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ ^(٢) وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ^(٣) ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سَلِيمَانَ ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ
 الْجَوْنِيِّ ^(٤) ، عَنْ تَوْفِ [٢٤٠/١] الْبِكَالِيِّ قَالَ : قَالَ عَزْرِيْزٌ فِيمَا يُنَاجِي رَبَّهُ : يَا
 رَبِّ ، تَخْلُقُ خَلْقًا ، فَتُضِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ . فَقِيلَ لَهُ : أَعْرِضْ عَنِ
 هَذَا . فَعَادَ ، فَقِيلَ لَهُ : لَتُعْرِضَنَّ عَنِ هَذَا ، أَوْ لَأَمْحُونَ اسْمَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنِّي
 لَا أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ ، وَهَمْ يُسْأَلُونَ . وَهَذَا ^(٥) يَقْتَضِي وَقُوعَ مَا تُؤَعَّدُ عَلَيْهِ لَوْ
 عَادَ ، ^(٦) فَمَا عَادَ ^(٧) ، فَمَا مَجَى اسْمُهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ رَوَى الْجَمَاعَةُ سِوَى الثَّوْمِيْدِيِّ ^(٨) ، مِنْ حَدِيثِ يُوسُفَ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ
 الزُّهْرِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ وَأَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ شُعَيْبٌ ^(٩) ، عَنْ
 أَبِي الزُّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَزَلَ نَبِيٌّ

(١) المصدر السابق ٦١١/١١ - ٦١٣ .

(٢) ومن طريقه رواه ابن عساكر، في تاريخ دمشق ٦١٢/١١ مخطوط .

(٣) في الأصل : (سعد) .

(٤) في الأصل : (الجوي) .

(٥) بعده في الأصل ، ح ، م : (لا) .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) البخارى (٣٣٠٩) . مسلم (٢٢٤١) . أبو داود (٥٢٦٦) . النسائي (٤٣٦٩) . ابن ماجه

(٣٢٢٥) .

(٨) تاريخ دمشق ٦١٣/١١ مخطوط .

مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَحْتِ شَجَرَةٍ، فَلَدَعَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ، فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا^(١)، ثُمَّ أَمَرَ
بِهَا، فَأُخْرِقَتْ بِالنَّارِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: فَهَلَّا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ. فَرَوَى إِسْحَاقُ بْنُ
يُشَيْرٍ^(٢)، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ^(٣) مُجَاهِدٍ، عَنِ أَبِيهِ، أَنَّهُ غَزَيْرٌ.
وَكَذَا رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ^(٤)، أَنَّهُ غَزَيْرٌ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) فِي الْأَصْلِ: «لِحْمِهَا».

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «عَنْ».

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٦٠٩/١١ - ٦١١ مَطْوَلًا.

قِصَّةُ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ،

عليهما السَّلَامُ

قال الله تعالى في كتابه العزيز^(١) : ﴿ كَهَيِّصَ ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ② إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِيئِي وَرِيئٌ مِنْ آلٍ يَعْقُوبُ ⑥ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑦ بِنُزُكْرًا ⑧ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ⑨ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ⑩ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ⑪ أَجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَاتُكَ أَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ⑫ فَفَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ⑬ يَبِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ⑭ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ⑮ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ⑯ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ⑰ ﴾ [مريم: ١ - ١٥].

وقال تعالى^(١) : ﴿ وَكَفَلْنَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ

(١) التفسير ٥/٢٠٥ - ٢١٣.

(٢) التفسير ٢/٢٨ - ٣١.

عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُومُ أَنِّي لَأَكْفُؤُكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
يَعْتَبِرْ حِسَابِ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً
طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ
اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ [١/٢٤١و] مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ
قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرَمًا وَادَّكُرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَخِّجْ بِالْعَشِيِّ
وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ [آل عمران: ٣٧ - ٤١] .

وقال تعالى في سورة «الأنبياء»^(١) : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا
تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى
وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا
رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠] . وقال تعالى^(٢) :
﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ [الأنعام: ٨٥] . قال
الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في كتابه «التاريخ»^(٣) المشهور الحافل : زَكَرِيَّا بْنُ
حَنَّا^(٤) ، ويُقال : زَكَرِيَّا بْنُ دَانَ ، ويقال : زَكَرِيَّا بْنُ أُدَيْنِ^(٥) بْنِ مُسْلِمِ بْنِ صَدُوقِ

(١) التفسير ٣٦٤/٥ ، ٣٦٥ .

(٢) التفسير ٣/٢٩٠ .

(٣) تاريخ دمشق ٤٨/١٩ .

(٤) في النسخ : «برخيا» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥) في النسخ : «لدن» . والمثبت من تاريخ دمشق .

ابن محمّان^(١) بن داود بن سليمان بن مسلم بن^(٢) صديقة بن برحية^(٣) بن^(٤) ملقاطية^(٥) بن ناحور^(٦) بن سلوم^(٧) بن بهفانيا^(٨) بن حاش بن^(٩) أني^(١٠) بن خنعم^(١١) بن سليمان بن داود، أبو يحيى النّبِيّ، عليه السّلام، من بني إسرائيل، دَخَلَ البَيْتَةَ من أَعْمَالِ دِمَشقَ في طَلَبِ ابْنِهِ يَحْيَى . وقيل: إِنَّهُ كان بِدِمَشقَ حينَ قُتِلَ ابْنُهُ يَحْيَى . واللّهُ أَعْلَمُ . وقد قيل غير ذلك في نَسَبِهِ . ويُقالُ فيه: زَكَرِيَاءُ؛ بالمدِّ وبالْقَصْرِ . ويُقالُ: زَكَرِيّ، أَيْضًا .

والمقصودُ أَنَّ اللّهُ تَعَالَى أَمَرَ رَسولَهُ ﷺ أَنْ يَقُصَّ على النَّاسِ حَبَرَ زَكَرِيَّا، عليه السّلام، وما كان من أمرِهِ حينَ وَهَبَهُ اللّهُ وَلَدًا على الكِبَرِ، وكانتِ امرأَتُهُ عاقِرًا في حالِ شَبِيئَتِها، وقد أَسْتَثَّ أَيْضًا؛ حتى لا يَتَيَأَسَ أَحَدٌ من فَضْلِ اللّهِ ورحمَتِهِ، ولا يَقْنَطَ من فَضْلِهِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ، فقال تَعَالَى: ﴿ ذِكْرٌ رَحِمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ . قال قتادةُ عندَ تفسيرِها^(١٢): إِنَّ اللّهُ يَعْلَمُ القَلْبَ النّقيّ، وَيَسْمَعُ الصّوتَ الخَفِيّ . وقال بعضُ

(١) في الأصل: «خشبان». وفي ح، م: «حشبان». وفي ص: «حشبان». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٢ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٣) في الأصل: «مرحية». وفي م: «برخيا». وفي ص: «برخية».

(٤) في تاريخ دمشق: «من».

(٥) في الأصل: «تلفاطية». وفي ح، م: «بلعاطة». وفي ص: «بلفاطة». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٦) وفي ح: «ياحور». وفي تاريخ دمشق: «ماجور». وانظر تاريخ الطبري ٥٩٠/٢.

(٧) في النسخ: «شلوم». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٨) في النسخ: «بهفاشاط». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٩ - ١٠) سقط من النسخ، وأثبتناه من تاريخ دمشق.

(١٠) في ح، م: «أينا من». وفي ص: «أيتا».

(١١) في الأصل، ح، ص: «رخيمع». وفي م: «رحبعام». والمثبت من تاريخ دمشق.

(١٢) تفسير الطبري ٤٥/١٦. الدر المنثور ٢٥٩/٤.

السَّلَفِ^(١) : قام من الليل فنادى رَبَّهُ مُنَادَاةً أَسْرَهَا عَمَّنْ كان حاضِرًا عنده ؛
 مُخافتَةً ، فقال : يا رَبِّ ، يا رَبِّ ، يا رَبِّ . فقال اللهُ : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ .
 ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ أَي ؛ ضَعُفَ وَخَارَ مِنَ الْكِبَرِ . ﴿ وَأَشْتَعَلَ
 الرَّأْسُ سَكِينًا ﴾ استعارَةً مِنْ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي الْحَطَبِ ، أَيْ غَلَبَ عَلَى سَوَادِ
 الشَّعْرِ شَيْبُهُ^(٢) ، كما قال ابنُ دُرَيْدٍ فِي مَقْصُورَتِهِ^(٣) :

إِذَا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنُهُ^(٤) طُرَّةٌ صُبِحَ تَحْتِ أَذْيَالِ الدُّجَى
 وَأَشْتَعَلَ الْمُبْيِضُ فِي مُسَوِّدِهِ مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جَزْلِ^(٥) الْغَضَا

[٢٤١/١ ظ]

وَأَصْرَ رَوْضُ^(٦) اللَّهْوِ^(٧) يَيْسًا ذَاوِيًا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كان مَجَاجَ الثَّرَى
 يَذُكُرُ أَنَّ الضَّعْفَ قد اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ باطِنًا وَظَاهِرًا ، وَهَكَذَا قال زَكَرِيَّا عَلَيْهِ
 السَّلَامُ : ﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ سَكِينًا ﴾ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَمْ
 أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أَي ؛ ما عَوَّذْتَنِي فِيمَا أَسْأَلُكَ فِيهِ إِلَّا الإِجَابَةَ .
 وَكان الباعِثُ له على هذه المسأَلَةِ ، أَنَّهُ لَمَّا كَفَلَ مَرْيَمَ بنتَ عِمْرَانَ بنِ مائِثَانَ ،

(١) التفسير ٢٠٦/٥ ، بمعناه .

(٢) في ص : « بما فيه » .

(٣) تخميس مقصورة ابن دريد ٣١ - ٣٣ ، ٣٧ . والمقصورة من الشعر : ما كانت قافيته مختومة بألف مقصورة .

(٤) في الأصل : « كونه » .

(٥) في الأصل ، ح ، م : « جمر » . وفي ص : « جدد » . والمثبت من تخميس المقصورة .

(٦) في الأصل ، ح ، م : « عود » .

(٧) في ص : « اللبس » .

وكان كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا مِخْرَابَهَا، وَجَدَ عِنْدَهَا فَاكِهَةً فِي غَيْرِ أَوَانِهَا وَلَا فِي أَوَانِهَا، وَهَذِهِ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، فَعَلِمَ أَنَّ الرَّازِقَ لِلشَّيْءِ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَزُوْقَهُ وَلَدًا، وَإِنْ كَانَ قَدْ طَعَنَ فِي سِنِّهِ ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . وقوله: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ . قيل: المرادُ بِالْمَوَالِيَ الْعَصَبِيَّةُ، وَكَأَنَّهُ خَافَ مِنْ تَضَرُّفِهِمْ بَعْدَهُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا لَا يُوَافِقُ شَرْعَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ، فَسَأَلَ وَجُودَ وَلَدٍ مِنْ صُلْبِهِ، يَكُونُ بَرًّا تَقِيًّا مَرْضِيًّا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ﴾ أَى؛ مِنْ عِنْدِكَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ﴿ وَإِنَّا بَرِئُنَا ﴾ أَى؛ فِي الثَّبُوتِ وَالْحُكْمِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. ﴿ وَبَرِّثْ مِنْ آئَالٍ يَعْقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ يَعْنِي كَمَا كَانَ أَبَاؤُهُ وَأَسْلَافُهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ أَنْبِيَاءَ^(١)، فَاجْعَلْهُ مِثْلَهُمْ فِي الْكِرَامَةِ الَّتِي أَكْرَمْتَهُمْ بِهَا مِنَ الثَّبُوتِ وَالْوَحْيِ. وَليْسَ المرادُ هَلْهنا وَرِاثَةَ المَالِ، كَمَا زَعَمَ ذَلِكَ مَنْ زَعَمَهُ مِنَ الشَّيْخَةِ، وَوَأَفْقَهُمُ ابْنُ جَرِيرٍ هَلْهنا، وَحَكَاهُ^(٢) عَنِ أَبِي^(٣) صَالِحٍ مِنْ^(٤) السَّلَفِ؛ لَوْجُوه: أَحَدُهَا، مَا قَدَّمْنَا^(٥) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ ﴾ [النمل: ١٦] أَى؛ فِي الثَّبُوتِ وَالْمَلِكِ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ^(٦)، الْمَرْوِيُّ فِي

(١) فِي الْأَصْلِ: «أَبْنَاء».

(٢) فِي تَفْسِيرِهِ ٤٧/١٦، ٤٨.

(٣) فِي ح: «ابن».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «بن».

(٥) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ ص ٣٢٤.

(٦) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ ص ٣٢٤. وَهُوَ كَذَلِكَ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ ٤/١، ٦، ٩، ١٠، ٤٧، ٤٩، ٦٠،

٢٠٨. الترمذى (١٦١٠). أبى داود (٢٩٧٦، ٢٩٧٧). النسائى (٤١٥٩).

«الصَّحَاح» و«المسانيد» و«السنن» وغيرها، مِنْ طُرُقٍ عَن جَمَاعَةٍ مِّن الصَّحَابَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُورَثُ، مَا تَرَكَنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ». فِهَذَا نَصٌّ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُورَثُ، وَلِهَذَا مَنَعَ الصَّدِيقُ أَنْ يُصْرِفَ مَا كَانَ يَخْتَصُّ بِهِ فِي حَيَاتِهِ إِلَى أَحَدٍ مِّنْ وُرَاثِهِ، الَّذِينَ لَوْلَا هَذَا النَّصُّ لَصَرِفَ إِلَيْهِمْ^(١)، وَهُمْ: ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ، وَأَزْوَاجُهُ التُّسْعُ، وَعَمَّتُهُ الْعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَاجْتَنَحَ عَلَيْهِمُ الصَّدِيقُ فِي مَنَعِهِ إِيَّاهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَقَدْ وَافَقَهُ عَلَى رِوَايَتِهِ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَآخَرُونَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. الثَّانِي، [٢/١٤٢] أَنَّ التِّرْمِذِيَّ رَوَاهُ بِلَفْظِ يَتَّمُّ سَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ^(٢) لَا نُورَثُ» وَصَحَّحَهُ. الثَّلَاثُ، أَنَّ الدُّنْيَا كَانَتْ أَحَقَّرَ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَنْ يَكْنِزُوا لَهَا، أَوْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهَا، أَوْ يُهَيِّمَهُمْ أَمْرُهَا، حَتَّى يَسْأَلُوا الْأَوْلَادَ لِيَحُوزُواهَا بَعْدَهُمْ؛ فَإِنَّ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَنَازِلِهِمْ فِي الزَّهَادَةِ، لَا يَهْتَمُّ بِهَذَا الْمَقْدَارِ أَنْ يَسْأَلَ وَلَدًا يَكُونُ وَاثِنًا لَهُ فِيهَا. الرَّابِعُ، أَنَّ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ نَجَارًا يَعْمَلُ بِيَدِهِ، وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِهَا، كَمَا كَانَ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَأْكُلُ^(٣) مِنْ كَسْبِ يَدِهِ، وَالغَالِبُ - وَلَا سِيَّمًا مَنْ مِثْلُ حَالِ الْأَنْبِيَاءِ - أَنَّهُ لَا يُجَاهِدُ نَفْسَهُ فِي الْعَمَلِ إِجْهَادًا يَسْتَفْضِلُ مِنْهُ مَا لَا يَكُونُ ذَخِيرَةً لَهُ يَخْلُقُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ بَيِّنٌ وَاضِحٌ لِكُلِّ مَنْ تَأَمَّلَهُ بِتَدَبُّرٍ وَتَفَهُيمٍ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) فِي ص: «عَلَيْهِمْ».

(٢) ٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ: ح.

(٣) فِي الْأَصْلِ، ص: «يَعْمَلُ».

قال الإمام أحمد^(١): حَدَّثَنَا يَزِيدُ - يَعْنِي ابْنَ هَارُونَ - أَبَانَا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ زَكَرِيَّا نَجَارًا». وهكذا رواه مسلم، وابن ماجه من غير وجه عن حماد ابن سلمة به^(٢). قوله: ﴿يَنْزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَمِينٌ لَمْ يَجْعَلْ لَمْ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾. وهذا مفسر بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾، فلما بُشِّرَ بالولد وتحقق البشارة، شرع يستعلم - على وجه التعجب - وجود الولد، والحالة هذه، له: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ أي؛ كيف يوجد ولد من شيخ كبير، قيل: كان عمره إذ ذاك سبعا وسبعين سنة. والأشبه، والله أعلم، أنه كان أسن من ذلك. ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ يعنى، وكانت امرأتى فى حال شيبته عاقرا لا تلد. والله أعلم. كما قال الخليل: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَآ بُشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤]، وقالت سارة: ﴿يَتَوَلَّيْءُ أَيْدِيَّ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣]. وهكذا أُجِيبَ زكريَّا، عليه السلام؛ قال له الملك الذى يوحى إليه بأمر ربه: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ﴾ أي؛ هذا سهل يسير عليه. ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ أي؛ قدرته أوجدتك بعد أن لم تكن شيئا مذكورا، أفلا يوجد منك

(١) المسند ٢/٢٩٦. (إسناده صحيح).

(٢) مسلم (٢٣٧٩). وابن ماجه (٢١٥٠).

وَلَدًا وَإِنْ كُنْتَ شَيْخًا كَبِيرًا!؟ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُمُ وَوَهَبْنَا لَهُمُ [١] ٢٤٢ظ] يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُمُ زَوْجَهُۥ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿ [الأنبياء: ٩٠] ومعنى إصلاح زواجه، أنها كانت لا تحيض فحاضت. وقيل: كان في لسانها شيء؛ أي بداءة^(١). ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي؛ علامة على وقت تعلق مني المرأة بهذا الولد المبشر به. ﴿قَالَ آيَتُكَ إِلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ يقول: علامة ذلك أن يعتريك سكوت، لا تتطرق معه ثلاثة أيام إلا زمزما، وأنت في ذلك سوي الخلق، صحيح المزاج، معتدل البنية. وأمر بكثرة الذكر في هذه الحال بالقلب، واستحضار ذلك بفؤاده بالعشي والإبكار، فلما بشر بهذه البشارة، خرج مسرورا بها على قومه من محرابه. ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، والوحي ههنا هو الأمر الخفي؛ إما بكتابة، كما قاله مجاهد، والشدي، أو إشارة، كما قاله مجاهد - أيضا - وهب، وقتادة^(٢). قال مجاهد، وعكرمة، وهب، والشدي، وقتادة: اغتيل لسانه من غير مرض^(٣). وقال ابن زبيد^(٤): كان يقرأ ويسبح، ولكن لا يستطيع كلام أحيد. وقوله: ﴿يَدْعِي خَدَّ الْكِتَابِ يَقُوۥٔ وَعَايِنَهُ الْحَكَمَ صَبِيًّا﴾، يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ وُجُودِ الْوَلَدِ^(٥) وَفَقَّ الْبِشَارَةَ الْإِلَهِيَّةَ لِأَيِّهِ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ

(١) في الأصل، ص: «بذاء». وفي ح: «بذاءة». والبذاء والبذاءة: الفحش. والبذاءة: شوء الحال وراثثة الهيئة.

(٢) تفسير الطبري ١٦/٥٣، ٥٤.

(٣) التفسير ٥/٢١٠.

(٤) تفسير الطبري ١٦/٥٤. التفسير ٥/٢١٠.

(٥) - ٥) سقط من: ح.

اللَّهُ عَلَّمَهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَهُوَ صَغِيرٌ فِي حَالِ صِبَاهٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 الْمُبَارَكِ^(١): قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الصُّبْيَانُ لِيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا: اذْهَبْ بِنَا نَلْعَبُ. فَقَالَ:
 مَا لَلْعَبِ خُلِقْنَا. قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. وَأَمَّا قَوْلُهُ:
 ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ فَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ^(٢)، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ،
 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَا أَذْرِي مَا الْحَنَانُ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ،
 وَعِكْرِمَةَ، وَقَتَادَةَ، وَالصُّحَاكِ^(٣): ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾ أَيْ؛ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
 رَحِمْنَا بِهَا زَكَرِيَّا، فَوَهَبْنَا لَهُ هَذَا الْوَلَدَ. وَعَنْ عِكْرِمَةَ: ﴿وَحَنَانًا﴾ أَيْ؛
 مَحَبَّةً عَلَيْهِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ صِفَةً لِتَحْنِنِ يَحْيَى عَلَى النَّاسِ، وَلَا سِيَّمَا
 عَلَى أَبِيهِ، وَهُوَ مَحَبُّهُمَا وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِمَا، وَبِرَّهُ بِهِمَا. وَأَمَّا الزَّكَاةُ فَهُوَ طَهَارَةٌ
 الْقَلْبِ^(٤) وَسَلَامَتُهُ مِنَ النَّقَائِصِ^(٥) وَالرَّذَائِلِ. وَالتَّقْوَى طَاعَةُ اللَّهِ؛ بِامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ،
 وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ بِرُّهُ بِوَالِدَيْهِ وَطَاعَتَهُ لِهَمَا أَمْرًا وَنَهْيًا، وَتَرْكَ غُفُوقِهِمَا
 قَوْلًا وَفِعْلًا، فَقَالَ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾. ثُمَّ قَالَ:
 ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، هَذِهِ الْأَوْقَاتُ الثَّلَاثَةُ
 أَشَدُّ مَا تَكُونُ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ فِي كُلِّ مِنْهَا، مِنْ عَالَمٍ إِلَى عَالَمٍ آخَرَ
 [٢٤٣/١]، فَيَفْقِدُ الْأَوَّلَ بَعْدَ مَا كَانَ أَلْفَهُ وَعَرَفَهُ، وَيَصِيرُ إِلَى الْآخِرِ، وَلَا
 يَدْرِي مَا بَيْنَ يَدَيْهِ؛ وَلِهَذَا يَسْتَهْلُ صَارِيحًا إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ الْأَحْشَاءِ وَفَارَقَ لَيْتَهَا
 وَضَمَّهَا، وَيَنْتَقِلُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ، لِيُكَابِدَ هُمُومَهَا وَعُغُومَهَا، وَكَذَلِكَ إِذَا فَارَقَ

(١) تفسير الطبري ٥٥/١٦. التفسير ٢١٠/٥.

(٢) تفسير الطبري ٥٠٦/١٦. التفسير ٢١١/٥.

(٣) تفسير الطبري ٥٥/١٦، ٥٦. التفسير ٢١١/٥.

(٤) في ح، م، ص: «الخلق».

(٥) في ح: «القابض».

هذه الدار، وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار، وصار بعد الدور والقصور، إلى عرصة الأموات سكان القبور، وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم البعث والنشور، فمن مشرور ومحبور، ومن مخزون ومثبور، وما بين مجبور ومكسور، وفريق في الجنة وفريق في السعير. ولقد أحسن بعض الشعراء حيث قال:

وَلَدُنْكَ أُمَّكَ بَاكِتًا مُسْتَضْرِحًا وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُورًا
فَاخْرُصْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ إِذَا بَكَوْا فِي يَوْمِ مَوْتِكَ ضَاحِكًا مَسْرُورًا

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما تكون على ابن آدم، سلم الله^(١) على يحيى فى كل موطن منها، فقال: ﴿ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾. وقال سعيد بن أبى عروبته، عن قتادة، أن الحسن قال^(٢):
إِنَّ يَحْيَى، وَعِيسَى التَّقِيًّا فَقَالَ لَهُ عِيسَى: اسْتَغْفِرْ لِي، أَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي. فَقَالَ لَهُ
الْآخَرُ: اسْتَغْفِرْ لِي، أَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي. فَقَالَ لَهُ عِيسَى: أَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي؛ سَلِّمْتُ
عَلَى نَفْسِي، وَسَلِّمْ اللَّهُ عَلَيْكَ. فَعَرَفَ وَاللَّهُ فَضْلَهَا^(٣). وأما قوله فى الآية
الْآخَرَى: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾، فقيل: المراد بالحصور،
الذى لا يأتى النساء. وقيل غير ذلك. وهو أشبه؛ لقوله: ﴿ هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾.

(١) سقط من: الأصل.

(٢) تفسير الطبرى ٥٩/١٦. والتفسير ٢١٣/٥.

(٣) فى م: «فضلها».

وقد قال الإمام أحمد^(١) : حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، أَنبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ ،
 عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ
 مِنْ وَلَدِ آدَمَ إِلَّا وَقَدْ أَخْطَأَ ، أَوْ هَمَّ بِخَطِيئَةٍ ، لَيْسَ يَحْيَىٰ بِنَ زَكَرِيَّا ، وَمَا يَنْبَغِي
 لِأَحَدٍ أَنْ ^(٢) يَقُولَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى » . عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ بِنُ جُدْعَانَ تَكَلَّمَ
 فِيهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَيْمَّةِ ، وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ ^(٣) ،
 وَالذَّارِقُطْنِيُّ ^(٤) ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَاصِمِ الْعَبَّادَانِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ ،
 بِهِ مُطَوَّلًا ثُمَّ ^(٥) قَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ : وَلَيْسَ عَلِيُّ شَرِّطَنَا .

وقال ابن وهب^(٦) : حَدَّثَنِي ابْنُ لَهَيْعَةَ ، عَنْ عَقِيلٍ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ :
 خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ يَوْمًا وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَضَلَ الْأَنْبِيَاءَ ، فَقَالَ
 قَائِلٌ : مُوسَىٰ كَلِمَةُ اللَّهِ . وَقَالَ قَائِلٌ : عِيسَىٰ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ^(٧) . وَقَائِلٌ يَقُولُ :
 إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ . ^(٨) فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ^(٩) ^(١٠) وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ^(١١) [٢٤٣/١ ظ] ذَلِكَ ،
 فَقَالَ : « أَيَّنَ الشَّهِيدُ ، أَيَّنَ ^(١١) الشَّهِيدُ يَلْبَسُ الْوَبْرَ ، وَيَأْكُلُ الشَّجَرَ ، مَخَافَةَ

(١) أحمد في المسند ٢٥٤/١ . (إسناده صحيح) .

(٢) سقط من : الأصل ، ح ، م .

(٣) في ص : « جرير » .

(٤) أخرجهما ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩٠/١٨ ، ٩١ مخطوط . من طريق ابن خزيمة والدارقطني

به .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) المصدر السابق ٩١/١٨ .

(٧) في الأصل : « وكليمه » .

(٨ - ٩) تكملة من تاريخ دمشق ليتضح المعنى .

(١٠ - ١٠) سقط من : ح ، م .

(١١) في ح : « ابن » .

الذُّنْبِ^(١) « قال ابنُ وَهْبٍ : يُرِيدُ يَحْتَى بِنَ زَكَرِيَّا .

وقد رواه محمدُ بنُ إسحاق^(٢) ، وهو مُدَلِّسٌ ، عن يَحْتَى بنِ سعيدِ الأنصاريِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، حدَّثني ابنُ العاصِ : أنه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْتَى بنِ زَكَرِيَّا » . فهذا من روايةِ ابنِ إسحاقَ ، وهو من المدلسين ، وقد عَنَعَنَ ههنا . ثم^(٣) قد رواه^(٤) عبدُ الرزاق^(٤) ، عن مَعْمَرٍ ، عن قتادةَ عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ مُرسَلًا . ثم رأيتُ ابنَ عساکرَ ساقه من طريقِ أبي أسامة^(٥) ، عن يَحْتَى بنِ سعيدِ الأنصاريِّ به .

ثمَّ قد رواه ابنُ عساکرَ^(٦) من طريقِ إبراهيمِ بنِ يعقوبَ الجوزجانيِّ ، خطيبِ دِمَشقَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ الأصبهانيِّ ، حدَّثنا أبو خالدِ الأحمَرُ ، عن يَحْتَى بنِ سعيدِ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو ، قال : ما أَحَدٌ إِلَّا يَلْقَى اللَّهَ بِذَنْبٍ ، إِلَّا يَحْتَى بنَ زَكَرِيَّا . ثُمَّ تَلَا . ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ، ثم رَفَعَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : ما كان معه إِلَّا مِثْلُ هَذَا ، ثم ذُبِحَ ذَبْحًا . وهذا موقوفٌ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ^(٧) ، وَكَوْنُهُ مَوْقُوفًا أَصَحُّ مِنْ رَفْعِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَأُورِدَهُ ابنُ عساکرَ مِنْ طَرِيقٍ^(٨) ، عن مَعْمَرٍ^(٨) ، من ذلك ما أُورِدَهُ من حديثِ إسحاقِ بنِ

(١) في الأصل : « الذيب » .

(٢) تاريخ دمشق مخطوط ٨٢ / ١٨ .

(٣ - ٣) في ح ، م : « قال » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٦ / ٢ .

(٥) في ح : « أمانة » . والحديث أخرجه ابن عساکر ، في تاريخ دمشق ٩٤ / ١٨ مخطوط .

(٦) المصدر السابق .

(٧) سقط من : ح .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ح .

بِشْرِ^(١)، وهو ضعيفٌ، عن عثمان بن ساج^(٢)، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن مُعَاذٍ، عن النبي ﷺ بِنَحْوِهِ.

وَرُوِيَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ^(٣)، وَغَيْرِهِ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نُعَيْمٍ^(٤)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا ابْنِي خَالَاتِي وَيَحْيَى، وَعِيسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ».

وقال أبو نُعَيْمٍ الحافظُ الأصبهانيُّ^(٥): حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَوْسُفَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ سَمِعْتُ أَبَا سَلِيمَانَ يَقُولُ: خَرَجَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا يَتَمَاشِيَانِ، فَصَدَمَ يَحْيَى امْرَأَةً، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: يَا بِنَّ خَالَاتِي، لَقَدْ أَصَبْتَ الْيَوْمَ خَطِيئَةً، مَا أَظُنُّ أَنْ يُغْفَرَ لَكَ أَبَدًا. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا بِنَّ خَالَاتِي؟ قَالَ: امْرَأَةٌ صَدَمْتُهَا. قَالَ: وَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ بِهَا. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! بَدْتُكَ^(٦) مَعِي، فَأَيْنَ رُوحُكَ؟ قَالَ: مُعَلَّقٌ بِالْعَرْشِ، وَلَوْ أَنَّ قَلْبِي اطْمَأَنَّ إِلَى جِبْرِيلَ، لَطَنَنْتُ أَنْتِي مَا عَرَفْتُ اللَّهَ طَرَفَةَ عَيْنٍ. فِيهِ غَرَابَةٌ، وَهُوَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ. وَقَالَ إِسْرَائِيلُ^(٧) عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ خَيْمَةَ قَالَ: كَانَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ابْنِي خَالَاتِي، وَكَانَ عِيسَى يَلْبَسُ الصُّوفَ،

(١) المصدر السابق.

(٢) في الأصل، ص: (ساج). وفي م: (سباح). وانظر تهذيب الكمال ٤٦٧/١٩.

(٣) تاريخ دمشق ٩٢/١٨ مخطوط. (صحيح الجامع الصغير ٣١٧٦).

(٤) في م: (نعيم).

(٥) حلية الأولياء ٩/٢٦٨، ٢٦٩.

(٦) في ح: (قدمك).

(٧) تاريخ دمشق ٩٦/١٨ مخطوط.

وكان يَحْيَى يَلْبَسُ الْوَبْرَ ، ولم يَكُنْ لواحدٍ منهما دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ ، ولا عَبْدٌ ولا أُمَّةٌ ، ولا ما يَأْوِيَانِ إِلَيْهِ ، أَيْنَمَا جِئْتُمَا [٢٤٤/١] اللَّيْلُ أَوْيَا ، فَلَمَّا أَرَادَا أَنْ يَتَمَرَّقَا ، قال له يَحْيَى : أَوْصِنِي . قال : لا تَغْضَبْ . قال : لا أَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ أَعْضَبَ . قال : فلا تَقْتَنِ مَالًا . قال : أَمَّا هذه فَعَسَى .

وقد اختلفت الرواية عن وَهَبِ بْنِ مُنْبِهِ ، هل مات زكريّا عليه السّلام موتًا ، أو قُتِلَ قَتْلًا ؟ عَلَى رَوَايَتَيْنِ ؛ فَرَوَى عَبْدُ الْمَنَعِمِ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ سِنَانٍ ، عن أبيه ، عن وَهَبِ بْنِ مُنْبِهِ ، أنه قال : هَرَبَ مِنْ قَوْمِهِ ، فَدَخَلَ شَجْرَةً فَجَاءُوا فَوَضَعُوا الْمِشَارَ عَلَيْهَا ^(١) ، فَلَمَّا وَصَلَ الْمِشَارُ إِلَى أَضْلَاعِهِ أَنْ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : لَئِنْ لَمْ يَسْكُنْ أَيْنُكَ ، لِأَقْلِبَنَّ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا . فَسَكَنَ أَيْنُهُ حَتَّى قُطِعَ بِائْتَتَيْنِ ^(٢) . وَقَدْ رَوَى هَذَا فِي حَدِيثٍ مَوْفُوعٍ ، سُورِدُهُ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَرَوَى إِسْحَاقُ بْنُ بِشِيرٍ ^(٣) ، عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ سِنَانٍ ، عَنْ وَهَبٍ أَنَّهُ قَالَ : الَّذِي انْصَدَعَتْ لَهُ الشَّجْرَةُ هُوَ أَشْعِيَا ، فَأَمَّا زَكْرِيَّا فَمَاتَ مَوْتًا . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقال الإمام أحمد ^(٤) : حَدَّثَنَا عَقَّانُ ، ثنا أَبُو خَلْفٍ مَوْسَى بْنُ خَلْفٍ ، وكان يُعَدُّ مِنَ الْبَدَلَاءِ ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ ، عن زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ ، عن جَدِّهِ تَمْطُورٍ ، عن الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكْرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَأَنْ يَأْمُرَ بِنِسْئِ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ،

(١) في م : «عليهما» .

(٢) تاريخ دمشق ١٩/٥٤ ، ٥٥ .

(٣) تاريخ دمشق ١٩/٥٦ .

(٤) أحمد في المسند ٤/١٣٠ . كما أخرجه ابن حبان من طريق يحيى بن أبي كثير به . الإحسان

(٦٢٣٣) . (إسناده صحيح) .

وَكَأَدَ أَنْ يُنْطِئَ ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِخَمْسِ
 كَلِمَاتٍ ، أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَتَأْمُرَ بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ؛ فَإِنَّمَا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ ،
 وَإِنَّمَا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ . فَقَالَ : يَا أُخِي ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذِّبَ أَوْ يُخَسِّفَ
 بِي . قَالَ : فَجَمَعَ يَحْيَى بِنَى إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ ،
 فَقَعَدَ عَلَى الشَّرَفِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَمَرَنِي
 بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ ؛ أَوْلَهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ
 لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ مَنْ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقِ
 أَوْ ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيُّكُمْ يَسْرُهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ
 كَذَلِكَ ، وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ، فَأَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأْمُرُكُمْ
 بِالصَّلَاةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ قِبَلَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا
 تَلْتَفِتُوا . وَأْمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكِ فِي
 عِصَابَةٍ ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ ، ^(١) وَإِنَّ حُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ
 رِيحِ الْمِسْكِ ^(٢) . وَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوُّ ،
 فَشَدُّوا يَدَهُ إِلَى عُنْقِهِ ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنْقَهُ ، فَقَالَ : هَلْ لَكُمْ أَنْ أَقْتَدِيَ نَفْسِي
 مِنْكُمْ ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَ نَفْسَهُ . وَأْمُرُكُمْ
 بِذِكْرِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ [١ / ٤٤٤ ط] ، كَثِيرًا ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ
 الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي إِثْرِهِ ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا ، فَتَحَصَّنَ فِيهِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا
 يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ : « وَأَنَا أْمُرُكُمْ بِخَمْسٍ ، اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ ؛ بِالْجَمَاعَةِ ، وَالسَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ ،

(١ - ١) سقط من : ح .

وَالْهَجْرَةَ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ فَيَدَّ شَيْئًا، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُنَائِ جَهَنَّمَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: «وَأَنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، اذْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ، بِمَا سَمَّاهُمُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، الْمُسْلِمِينَ^(١) الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ».

وهكذا رواه أبو يعلى^(٢) عن هذبة^(٣) بن خالد، عن أبان بن يزيد، عن يحيى بن أبي كثير^(٤) به.

وكذلك رواه الترمذي^(٥) من حديث أبي داود الطيالسي، وموسى بن إسماعيل، كلاهما عن أبان بن يزيد العطار به. ورواه ابن ماجه^(٦) عن هشام ابن عمار، عن محمد بن شعيب بن^(٧) سائبور، عن معاوية بن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، عن أبي^(٨) سلام، عن الحارث الأشعري به. ورواه الحاكم^(٩) من طريق مزوان بن محمد الطاطري، عن معاوية بن سلام، عن أخيه به.^(١٠) ثم قال: تفرّد به^(١١) مزوان الطاطري، عن معاوية بن سلام. قلت^(١١): وليس كما

(١) سقط من: ص.

(٢) مسند أبي يعلى (١٥٧١). (إسناده صحيح).

(٣) في الأصل: «هرمه».

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) الترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤). (صحيح الترمذي ٢٢٩٨).

(٦) لم يعزه في التحفة (٣٢٧٤) إلى ابن ماجه.

(٧) في الأصل: «عن».

(٨) في ص: «زيد بن».

(٩) في المستدرک ١١٨/١ مختصراً.

(١٠ - ١٠) سقط من: ص.

(١١) القائل ابن كثير.

قال . وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ^(١) ، عن محمد بن عبدة ، عن أبي توبة الربيع بن نافع ^(٢) ، عن معاوية بن سلام ، عن أبي سلام ، عن الحارث الأشعري ، فذكر نحوه ، فسقط ذكر زيد بن سلام من هذه الرواية . ثم روى الحافظ ابن عساكر ^(٣) ، من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازي ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : ذكر لنا عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فيما سمعوا من علماء بني إسرائيل ، أن يحيى بن زكريا أُرْسِلَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ . وَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ . وقد ذكروا ^(٤) أن يحيى ، عليه السلام ، كان كثير الانفراد من الناس ، إنما كان يأتي إلى البراري ، ويأكل من ورق الأشجار ، ويرد ماء الأنهار ، ويتغذى بالجراد في بعض الأحيان ، ويقول : مَنْ أَنْعَمَ مِنْكَ يَا يَحْيَى . وَرَوَى ابن عساكر ^(٥) ، أن أبويه حرجا في طلبه ، فوجداه عند بحيرة الأردن ، فلما اجتمعا به ، أبكاهما بكاء شديدا ؛ لما هو فيه من العبادة والخوف من الله ، عز وجل . وقال ابن وهب ^(٦) ، عن مالك ، عن حميد بن قيس ، عن مجاهد ، قال : كان طعام يحيى بن زكريا العشب ، وإن كان ليبيكي من خشية الله ، حتى لو كان القار على عينيه لخرقه ^(٧) . وقال محمد بن يحيى الذهلي ^(٨) : حدثنا أبو صالح ، حدثنا

(١) المعجم الكبير (٣٤٣٠) .

(٢) في ح : « بافع » . وفي م : « يافع » .

(٣) تاريخ دمشق ١٨/٨٩ ، ٩٠ . مخطوط .

(٤) المصدر السابق ١٨/٩٥ .

(٥) تاريخ دمشق ١٩/٥٤ مطولا .

(٦) تاريخ دمشق ١٨/٩٦ مخطوط .

(٧) في الأصل : « لخرقه » . وفي ح ، م ، ص : « لخرقه » . والمثبت من التاريخ .

(٨) المصدر السابق ١٨/٩٥ ، ٩٦ .

اللَيْثُ ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، قَالَ [١٠٤٥/٢] : جَلَسْتُ يَوْمًا إِلَى أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ وَهُوَ يَقْضُ ، فَقَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ كَانَ أَطْيَبَ النَّاسِ طَعَامًا ؟ فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ قَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِ قَالَ : إِنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ، كَانَ أَطْيَبَ النَّاسِ طَعَامًا ؛ إِتْمَا كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الْوَحْشِ ؛ كَرَاهَةً أَنْ يُخَالِطَ النَّاسَ فِي مَعَايِشِهِمْ . وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ ^(١) ، عَنْ وَهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ ، قَالَ : فَقَدَ زَكَرِيَّا إِبْنَهُ يَحْيَى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَخَرَجَ يَلْتَمِسُهُ فِي الْبَرِّيَّةِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ احْتَفَرَ قَبْرًا ، وَأَقَامَ فِيهِ يَتَبَكَّى عَلَى نَفْسِهِ ، فَقَالَ : يَا بَنِيَّ ، أَنَا أَطْلُبُكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَأَنْتَ فِي قَبْرِ قَدْ احْتَفَرْتَهُ ، قَائِمٌ تَبْكِي فِيهِ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَتِ ، أَلَسْتَ أَنْتَ أَخْبَرْتَنِي أَنَّ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مَفَازَةٌ ^(٢) ، لَا تُقَطَّعُ إِلَّا بِدُمُوعِ الْبَكَائِينَ ؟ فَقَالَ لَهُ : ابْكِي يَا بَنِيَّ . فَبَكَيَا جَمِيعًا . وَهَكَذَا حَكَاهُ وَهَبُ بْنُ مُنْبِيهِ ، وَمَجَاهِدٌ بَنَحْوِهِ ^(٣) . وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ ^(٤) عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ لِلذِّمَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ ، فَكَذَا يَتَّبِعُونَ لِلصُّدُوقِ أَنْ لَا يَنَامُوا ؛ لِأَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ نَعِيمِ الْحَبِيبَةِ لِلَّهِ ، عِزٌّ وَجَلٌّ . ثُمَّ قَالَ : كَمْ بَيْنَ النَّعِيمَيْنِ وَكَمْ بَيْنَهُمَا . وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ ، حَتَّى أَثَّرَ الْبُكَاءُ فِي خَدَّيْهِ مِنْ كَثْرَةِ دُمُوعِهِ ^(٥) .

(١) المصدر السابق ٩٧/١٨ .

(٢) في ح : « مقام » .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق ٩٦/١٨ .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق المخطوط ٩٧/١٨ بمعناه ، بسنده إلى مجاهد .

« بيان سب قتل يحيى ،

عليه السلام »

وذكروا في قتله أسبابا كثيرة؛ من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق، كان يريد أن يتزوج ببعض محاربه، أو من لا يحل له تزويجها، فنهاه يحيى، عليه السلام، عن ذلك، فبقي في نفسه منه، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها، استوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها فبعثت إليه من قتله، وجاء برأسه ودمه في طست إلى عندها، فيقال: إنها هلكت من فورها وساعتها. وقيل: بل أحبته امرأة ذلك الملك وراسلته، فأتى عليها، فلما يمست منه، تحملت في أن استوهبته من الملك، فتمنع عليها الملك، ثم أجابها إلى ذلك، فبعثت^(١) من قتله وأحضرت إليها رأسه ودمه في طست.

وقد ورد مغناه في حديث، رواه إسحاق بن بشر في كتابه «المبتدأ»^(٢) حيث قال: أنبأنا^(٣) يعقوب الكوفي، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به رأى زكريا في السماء، فسلم عليه وقال له: «يا أبا يحيى، أخبرني عن قتلك؛ كيف كان؟ ولم تقتلك بنو

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) في م: «بعث».

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٥/١٩، ٥٦، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٤) بعده في الأصل: «أبو». وبعده في ص: «ابن».

إسرائيل؟». قال: يا محمد، أُخْبِرَكَ أَنَّ يَحْيَى كَانَ خَيْرَ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَكَانَ أَجْمَلَهُمْ وَأَصْبَحَهُمْ وَجْهًا، وَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ وَكَانَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّسَاءِ، فَهَوِيَّتُهُ^(١) امْرَأَةٌ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتْ بَيْعِيَّةً، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ، وَعَصَمَهُ اللَّهُ، وَامْتَنَعَ يَحْيَى وَأَتَى عَلَيْهَا، وَأَجْمَعَتْ عَلَى قَتْلِ يَحْيَى، وَلَهُمْ عِيدٌ يَجْتَمِعُونَ فِي كُلِّ عَامٍ، وَكَانَتْ سِنَّةُ الْمَلِكِ أَنْ [٢٤٥/١ ظ] يُوعِدَ وَلَا يُخْلِفَ وَلَا يَكْذِبُ. قَالَ: فَخَرَجَ الْمَلِكُ إِلَى الْعِيدِ فَقَامَتِ امْرَأَتُهُ فَشَيعَتْهُ، وَكَانَ بِهَا مُعْجَبًا، وَلَمْ تُكُنْ تَفْعَلُهُ فِيمَا مَضَى، فَلَمَّا أَنْ شَيعَتْهُ قَالَ الْمَلِكُ: سَلِينِي، فَمَا سَأَلْتِنِي شَيْئًا إِلَّا أَعْطَيْتُكَ. قَالَتْ: أُرِيدُ دَمَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا. قَالَ لَهَا: سَلِينِي غَيْرَهُ. قَالَتْ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: هُوَ لَكَ. قَالَ: فَبِعْتَتْ جَلَاوِزَتَهَا^(٢) إِلَى يَحْيَى، وَهُوَ فِي مِخْرَابِهِ يُصَلِّي، وَأَنَا إِلَى جَانِبِهِ أُصَلِّي. قَالَ: فَذَبِحَ فِي طَسِبٍ وَحُمِلَ رَأْسُهُ وَدَمُهُ إِلَيْهَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَا بَلَغَ مِنْ صَبْرِكَ؟». قَالَ: مَا انْفَقْتُ مِنْ صَلَاتِي. قَالَ: فَلَمَّا حُمِلَ رَأْسُهُ إِلَيْهَا فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَلَمَّا أَمْسَوْا^(٣)، حَسَفَ اللَّهُ بِالْمَلِكِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَحَشَمِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: قَدْ غَضِبَ إِلَهُ زَكَرِيَّا لَزَكَرِيَّا، فَتَعَالَوْا حَتَّى نَعْضَبَ مَلِكِنَا، فَتَقْتُلَ زَكَرِيَّا. قَالَ: فَخَرَجُوا فِي طَلَبِي لِيَقْتُلُونِي، وَجَاءَنِي التَّذِيرُ فَهَرَبْتُ مِنْهُمْ، وَابْلِيسُ أَمَامَهُمْ يَدُلُّهُمْ عَلَيَّ، فَلَمَّا أَنْ تَخَوَّفْتُ أَنْ لَا أُعْجِزَهُمْ، عَرَضْتُ لِي شَجْرَةً، فَنَادَتْنِي وَقَالَتْ: إِلَيَّ، إِلَيَّ. وَأَنْصَدَعْتُ لِي، فَدَخَلْتُ فِيهَا. قَالَ: وَجَاءَ ابْلِيسُ حَتَّى أَخَذَ بِطَرْفِ رِدَائِي، وَالتَّامَّتِ الشَّجْرَةُ، وَبَقِيَ طَرْفُ رِدَائِي

(١) فِي م: «فَهْوِيَّتُهُ».

(٢) جَلَاوِزَتَهَا: جَمْعُ جَلَوَازٍ وَهُوَ الشَّرْطِيُّ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «اسْتَوَى».

خارجًا من الشجرة، وجاءت بنو إسرائيل، فقال إبليس: أَمَا رَأَيْتُمُوهُ دَخَلَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ؟ هَذَا طَرْفُ رِدَائِهِ، دَخَلَهَا بِسِحْرِهِ. فَقَالُوا: نَحْرِقُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ. فقال إبليس: سُقُّوهُ بِالْمِنْشَارِ شَقًّا. قال: فَسُقِّقْتُ مَعَ الشَّجَرَةِ بِالْمِنْشَارِ. فقال له النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ وَجَدْتَ لَهُ مَسًّا أَوْ وَجَعًا؟». قال: لا، إِنَّمَا وَجَدْتُ ذَلِكَ الشَّجَرَةَ، جَعَلَ اللَّهُ رُوحِي فِيهَا. هذا سياقٌ (١) غريبٌ (٢)، وحديثٌ عجيبٌ، ورفعه مُتَكَرِّرٌ، وفيه ما يُتَكَرَّرُ على كُلِّ حَالٍ، ولم تَرَ في شيءٍ من أحاديثِ الإِسْرَاءِ ذِكْرًا لَزَكَرِيَّا، عليه السَّلَامُ، إِلَّا في هذا الحديثِ، وَإِنَّمَا الْمُحْفَظُ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ «الصَّحِيحِ»، في حديثِ الإِسْرَاءِ: «فَمَرَزْتُ بَابَتِي الْخَالَةَ؛ يَحْيَى وَعِيسَى». وهما ابنا الخالَةِ على قَوْلِ الْجُمْهُورِ، كما هو ظاهرُ الحديثِ؛ فَإِنَّ أُمَّ يَحْيَى أَشْيَاعُ بِنْتُ عِمْرَانَ، أُحْتُ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ. وقيل: بل أَشْيَاعُ، وهى امرأةُ زَكَرِيَّا أُمُّ يَحْيَى، هى أُحْتُ حَنَّةُ امرأةِ عِمْرَانَ أُمُّ مَرْيَمَ، فيكونُ يَحْيَى ابنَ خالَةِ مَرْيَمَ. فاللهُ أعلمُ.

ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي مَقْتَلِ يَحْيَى بنِ زَكَرِيَّا، هل كان في المسجدِ الأَقْصَى، أم بغيره؟ عَلَى قَوْلَيْنِ؛ فقال الثَّورِيُّ (٣)، عن الأَعْمَشِ، عن شِمْرِ بنِ عَطِيَّةَ، قال: قُتِلَ عَلَى الصُّخْرَةِ الَّتِي بِيَتِّبِ المَقْدِسِ، سَبْعُونَ نَبِيًّا، منهم يَحْيَى بنُ زَكَرِيَّا، عليه السَّلَامُ. وقال أبو عبيد القاسمِ بنُ سَلَامٍ (٤): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بنُ صَالِحٍ، عن اللَّيْثِ، عن يَحْيَى بنِ سَعِيدٍ، عن سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ، قال: قَدِمَ

(١) في ص: «إسناد».

(٢) بعده في م: «جدا».

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٠٥/١٨ مخطوط، من طريق سفيان به.

(٤) في ح: «ابن».

(٥) المصدر السابق من طريق أبي عبيد به.

بُخْتُ [٢٤٦/١] نَصَرَ دِمَشْقَ، فَإِذَا هُوَ بِدَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا يَغْلِي، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ، فَقَتَلَ عَلَى دَمِهِ سَبْعِينَ أَلْفًا، فَسَكَنَ. وَهَذَا إِسْتِنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى سَعِيدِ ابْنِ الْمَسَيْبِ، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّهُ قُتِلَ بِدِمَشْقَ، وَأَنَّ قِصَّةَ بُخْتِ نَصَرَ كَانَتْ بَعْدَ الْمَسِيحِ، كَمَا قَالَ عَطَاءٌ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَرَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(١)، مِنْ طَرِيقِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَاقِدٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا حِينَ أَرَادُوا بِنَاءَ مَسْجِدِ دِمَشْقَ، أُخْرِجَ مِنْ تَحْتِ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْقِبْلَةِ، الَّذِي يَلِي الْحِرَابَ، ثُمَّ يَلِي الشُّرُوقَ، فَكَانَتْ الْبَشْرَةُ وَالشُّعْرُ عَلَى حَالِهِ، لَمْ يَتَغَيَّرْ. وَفِي رِوَايَةٍ: كَأَنَّمَا قُتِلَ السَّاعَةَ. وَذَكَرَ فِي بِنَاءِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ^(٢)، أَنَّهُ جُعِلَ تَحْتَ الْعَمُودِ الْمَعْرُوفِ بِعَمُودِ الشَّكَايِكَةِ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

^(٣) وَقَدْ رَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٤) فِي «الْمُسْتَقْصَى فِي فَضَائِلِ الْأَقْصَى»^(٥) مِنْ طَرِيقِ الْعَبَّاسِ بْنِ صُبْحِجٍ، عَنْ مَزْوَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ قُسَيْمِ بْنِ مَوْلَى مَعَاوِيَةَ، قَالَ: كَانَ مَلِكُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ - يَغْنَى دِمَشْقَ - هَدَادًا^(٦)

(١) تاريخ دمشق ٢/٢٤١.

(٢) تاريخ دمشق ٢/٢٤٢.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) هو: القاسم بن علي بن هبة الله، أبو محمد ابن عساكر، بهاء الدين. محدث مؤرخ، ولد في جمادى الأولى ٥٢٧هـ، وخلف أباه - أبا القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، مصنف تاريخ دمشق - في إسماع الحديث بالجامع الأموي ودار الحديث النورية، ودخل مصر، وتوفي بدمشق في ٨ صفر ٦٠٠هـ. انظر معجم المؤلفين ٨/١٠٦. وقد تقدم في ١/٤٤.

(٥) وأخرج هذا الأثر مطولا، ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/١٠١ - ١٠٣ مخطوط، من طريق مروان به.

(٦) في م: «قاسم». وانظر ترجمته في تاريخ دمشق ١٤/٤٢١ مخطوط.

(١) ابن هداد، وكان قد زوّج (٢) ابنه بابنة أخيه (٣) أريّل، ملكة صيدا. قلت (٤):
وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق، وهو الصاعغة العتيقة. قال:
وكان قد حلف بطلاقها ثلاثا، ثم إنه أراد مراجعتها، فاستفتى يحيى بن
زكريّا، فقال: لا تحلّ لك حتى تنكح زوجا غيرك. فحقدت عليه، وسألت
من الملك رأس يحيى بن زكريّا، وذلك بإشارة أمها، فأبى عليها، ثم أجابها
إلى ذلك، وبعت إليه، وهو قائم يصلي بمسجد جيرون، من أتاه برأسه في
صينية، فجعل الرأس يقول: لا تحلّ له، لا تحلّ له حتى تنكح زوجا غيره.
فأخذت المرأة الطبق، فحملته على رأسها وأتت به أمها، وهو يقول كذلك،
فلما تمثلت بين يدي أمها، خسيف بها إلى قدميها، ثم إلى حقويها، وجعلت
أمها تولول، والجوارى يضرخن ويلطمن وجوههن، ثم خسيف بها إلى
منكبيها، فأمرت أمها السيف أن يضرب عنقها لتسلي برأسها، ففعل،
فلفظت الأرض جثتها عند ذلك، ووقعوا في الدلّ والفناء، ولم يزل دم يحيى
يفور، حتى قديم بخت نصر فقتل عليه خمسة وسبعين ألفا. قال سعيد بن عبد
العزير: وهى دم كل نبي. ولم يزل يفور، حتى وقف عنده أرميا، عليه
السلام، فقال: أيها الدم، أفنيت بنى إسرائيل، فاسكن يا ذن اللّه. فسكن،
فوقع السيف، وهرب من هرب من أهل دمشق إلى بيت المقدس، فتبعهم
إليها، فقتل خلقا كثيرا لا يحصون كثرة، وسبا منهم، ثم رجع عنهم (١).

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) فى م: «زوجه».

(٣) بعده فى تاريخ دمشق: «تحت أخيه».

(٤) سقط من: م.

قِصَّة عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ،

عليه من الله أفضل الصلاة والسلام

قال الله تعالى في سورة «آل عمران»، التي أنزل صدورها، وهو ثلاث وثمانون آية منها، في الرُّدِّ على النَّصَارَى، عليهم لعائنُ الله، الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا، تعالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ غُلُوبًا كَبِيرًا، وكان قد قَدِيمٌ وَقَدْ نَجْرَانٌ مِنْهُمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلُوا يَذْكُرُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ، مِنَ التَّثْلِيثِ فِي الْأَقَانِيمِ، وَيَدْعُونَ - بِرُغْمِهِمْ - أَنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ؛ وَهَمِ الذَّاتُ الْمُقَدَّسَةُ، وَعِيسَى، وَمَرْيَمُ، عَلَى اخْتِلَافٍ فِرْقِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، صَدْرَ هَذِهِ السُّورَةِ، يَتَبَيَّنُ فِيهَا أَنَّ عِيسَى عَبْدٌ مِنَ عِبَادِ اللهِ، خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ فِي الرَّحِمِ، كَمَا صَوَّرَ غَيْرَهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي، «كَمَا خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبِي، وَلَا أُمَّ» وَقَالَ لَهُ: كُنْ. فَكَانَ، وَيَتَبَيَّنُ تَعَالَى أَضَلَّ مِيلَادٍ أُمِّهِ مَرْيَمَ، وَكَيْفَ كَانَ مِنْ أَمْرِهَا، وَكَيْفَ حَمَلَتْ بِوَلَدِهَا عِيسَى، وَكَذَلِكَ بَسَطَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ «مَرْيَمَ»، كَمَا سَتَكَلِّمُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ بِعَوْنِ اللهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ وَهَدَايَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ^(١): ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ إِذْ قَالَتْ أُمَّرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

(١-١) سقط من: الأصل.

(٢) التفسير ٢٦/٢ - ٢٩.

أَلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِن لَّدَكَ كَالْأُنثَىٰ وَلَئِن سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران : ٣٣ - ٣٧] .

يذكرُ تعالى أَنَّهُ اصطفى آدمَ، عليه السَّلامُ، والخَلَصَ من ذُرِّيَّتِهِ، المُتَّبِعِينَ [١/٢٤٦ظ] شَرَعَهُ، المُلازِمِينَ طَاعَتَهُ، ثم خَصَّصَ فقال: ﴿وَأَلِّبْ لَهُمُ مَا نَشَاءُ﴾ ، فَدَخَلَ فِيهِم بنو إِسْمَاعِيلَ وبنو إِسْحَاقَ . ثم ذَكَرَ فَضْلَ هَذَا الْبَيْتِ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ ، وَهُم آلُ عِمْرَانَ ، وَالمُرَادُ بِعِمْرَانَ هَذَا ، وَالذُّ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ^(١) : وَهُوَ عِمْرَانُ بْنُ بَاشِمَ ^(٢) بْنِ أُمُونَ بْنِ مَنْشَا ^(٣) بْنِ حَزْقِيَا بْنِ أَحْزِيقَ ^(٤) بْنِ مَوْثَمَ ^(٥) بْنِ عَزَارِيَا ^(٦) بْنِ أَمْصِيَا بْنِ يَأُوشَ بْنِ أَحْزِيهَوَ ^(٧) بْنِ يَارَمَ ^(٨) ابْنِ يَهْفَاشَاطَ ^(٩) بْنِ أَيَشَ ^(١٠) بْنِ أَبَانَ ^(١١) بْنِ رَجَبَامَ ^(١٢) بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ .

- (١) تاريخ الطبرى ١/٥٨٥، ٥٨٦ .
- (٢) فى تاريخ الطبرى : «ياشهم» .
- (٣) فى ح ، م ، ص : «ميشا» .
- (٤) فى الأصل ، م ، ح : «أحريق» .
- (٥) فى ح : «مرثم» . وفى ص : «موشم» . وفى تاريخ الطبرى : «يوثام» .
- (٦) فى م ، ص : «عزازيا» . وفى تاريخ الطبرى : «عزريا» .
- (٧) فى الأصل ، ح ، م : «أحزيهيو» .
- (٨) فى ح ، م : «يازم» . وفى ص : «بازم» .
- (٩) فى تاريخ الطبرى : «يهشافاظ» .
- (١٠) فى تاريخ الطبرى : «أسا» .
- (١١) فى م : «أيان» . وفى تاريخ الطبرى : «أيا» .
- (١٢) فى الأصل ، ح ، ص : «رجيعم» . وفى تاريخ الطبرى : «رجيعم» .

وقال أبو القاسم ابنُ عساكر^(١) : مريمُ بنتُ عمرانَ بنِ مَاتَانَ^(٢) بنِ العيازِر^(٣) ابنِ اليودِ بنِ أجبَن^(٤) بنِ صادوقَ بنِ عيازورَ^(٥) بنِ الياقيمِ بنِ أيودَ بنِ زربائيلَ بنِ شالتانَ^(٦) بنِ يوحنيا بنِ برستيا^(٧) بنِ أمونَ بنِ ميسا بنِ حزقييلَ^(٨) بنِ أجازَ بنِ يوثامَ^(٩) بنِ عزريا بنِ بورامَ بنِ بوسافاطَ^(١٠) بنِ أسا^(١١) بنِ أيبا^(١٢) بنِ رحيعمَ^(١٣) ابنِ سليمانَ بنِ داودَ ، عليه السلامُ . وفيه مُخالفةٌ لما ذَكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ ، ولا خِلافَ أنَّها مِن سُلالةِ داودَ ، عليه السلامُ ، وكان أبوها عمرانُ صاحبَ صلاةِ بنى إسرائيلَ فى زمانه ، وكانت أمُّها ، وهى حَنَّةُ بنتُ فاقودَ بنِ قبيلِ ، مِن العابداتِ ، وكان زكراً نبيُّ ذلك الزمانِ ، زوجَ أُختِ مريمَ أشياعَ ، فى قولِ الجمهورِ ، وقيل : زوجَ خالتها أشياعَ . فاللهُ أعلمُ . وقد ذَكَرَ محمدُ بنُ إسحاقَ وغيره^(١٤) ، أنَّ أمَّ مريمَ كانت لا تحبُّ ، فرأَتْ يوماً طائراً يرقُ^(١٥) فرَوَّحاً له ،

(١) تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٤٣.

(٢) فى النسخ : «ماتان» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٣) فى م ، ص : «العازر» . والمثبت كما فى مختصر تاريخ دمشق ٦٩/٢٦ .

(٤) فى الأصل : «أخبز» . وفى ح : «أخير» . وفى م ، ص : «أختر» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥) فى الأصل : «عيازور» . وفى ح : «عيازور» . وفى م : «عيازوز» . وفى ص : «عيازور» . والمثبت

من تاريخ دمشق .

(٦) فى الأصل : «شاليل» . وفى ح : «شالتال» . وفى م ، ص : «شالتال» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٧) فى الأصل ، ح : «برشيا» . وفى م : «برشا» . وفى ص : «برشا» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٨) فى الأصل ، ص : «حزقيا» . وفى ح ، م : «حزقا» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٩) فى النسخ : «موثام» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(١٠) فى الأصل ، م ، ص : «يوشافاط» .

(١١) فى ح : «أشا» . وفى م ، ص : «أيشا» .

(١٢) فى الأصل : «أينا» . وفى ح ، م : «أيبا» . وفى ص : «أسبا» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(١٣) فى م : «رحيعام» .

(١٤) انظر تفسير الطبرى ٢٣٥/٣ .

(١٥) يرق : أى يطعمه فى فيه .

فَأَشْتَهَى الْوَلَدَ فَتَدَرَّتْ لِلَّهِ إِنْ حَمَلَتْ لَتَجْعَلَنَّ وَلَدَهَا مُحَرَّرًا؛ أَى حَيْسًا فِي خِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالُوا: فَحَاضَتْ مِنْ قَوْرِيهَا، فَلَمَّا طَهَّرَتْ وَأَقْعَمَهَا بَغْلَهَا، فَحَمَلَتْ بِمَرْيَمَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ وَقُرِئَ بِضَمِّ التَّاءِ ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ أَى؛ فِي خِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانُوا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَنْذِرُونَ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ خُدَامًا مِنْ أَوْلَادِهِمْ. وَقَوْلُهَا: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ اسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى تَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ يَوْمَ يُوَلَّدُ، وَكَمَا ثَبَّتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) عَنْ أَنَسٍ، فِي ذَهَابِهِ بِأَخِيهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَنَّكَ أَخَاهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ. وَجَاءَ فِي حَدِيثِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ مَرْفُوعًا: «كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيْقَتِهِ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَيُسَمَّى وَيُحَلَّقُ رَأْسُهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَهْلُ الشُّنَنِ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ^(٢)، وَجَاءَ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ: وَ«يُدْمَى» بَدَلُ: «وَيُسَمَّى». وَصَحَّحَهُ بَعْضُهُمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَوْلُهَا: ﴿ وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ قَدْ اسْتَجِيبَ لَهَا فِي هَذَا، كَمَا تُقْبَلُ مِنْهَا نَذْرُهَا؛ فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٣): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ [١/٢٤٧و]: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا الشَّيْطَانُ يَمْسُهُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ

(١) البخارى (٥٤٧٠). مسلم (٢١٤٤).

(٢) فى المسند ١٢/٥، ١٧، ٢٢. أبى داود (٢٨٣٧، ٢٨٣٨). الترمذى (١٥٢٢). النسائى

(٤٢٣١). ابن ماجه (٣١٦٥). (صحيح أبى داود ٢٤٦٢، ٢٤٦٣).

(٣) فى المسند ٢/٢٧٤. (إسناده صحيح).

الزُّزَاقِي^(١) . ورواه ابنُ جرير^(٢) عن أحمدَ بنِ الفَرَجِ ،^(٣) عن بَقِيَّةَ^(٤) ، عن الزُّبَيْدِيِّ ،
 عن الزُّهْرِيِّ ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ ،^(٥) بَنَحْوِهِ .
 وقال أحمدُ^(٥) أَيضًا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ^(٦) ،
 عن عَجْلَانَ مَوْلَى الْمُشَمِّعِلِّ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ ،^(٤) قال : « كُلُّ
 مَوْلُودٍ مِنْ بَنِي آدَمَ يَمْسُهُ الشَّيْطَانُ بِأَصْبَعِهِ ، إِلَّا مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ ، وَابْنَهَا عِيسَى » .
 تَقَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . ورواه مسلمٌ^(٧) ، عن أبي الطَّاهِرِ ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن
 عَمْرِو^(٨) بنِ الحَارِثِ ، عن أبي يُونَسَ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ ، بَنَحْوِهِ .
 وقال أحمدُ^(٩) : حَدَّثَنَا هَيْثَمُ^(١٠) ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ ، عن العَلَاءِ ،
 عن أبيه ، عن أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قال : « كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ يَلْكُزُهُ
 الشَّيْطَانُ بِحِضْنَيْهِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ وَابْنِهَا ، أَلَمْ تَرِ إِلَى الصَّبِيِّ حِينَ يَسْقُطُ
 كَيْفَ يَضْرُخُ ؟ » . قالوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قال : « فَذَلِكَ حِينَ يَلْكُزُهُ الشَّيْطَانُ
 بِحِضْنَيْهِ » . وهذا على شرطِ مسلمٍ ، ولم يُخْرِجْهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

ورواه قَيْسٌ^(١٢) ، عن الأَعْمَشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : قال

(١) البخارى (٤٥٤٨) . مسلم (٢٣٦٦) .

(٢) فى تفسيره ٢٤٠ / ٣ .

(٣ - ٣) سقط من : ح . وبعده فى ح ، م : « عبد الله بن » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) المسند ٢ / ٢٨٨ . (إسناده صحيح) .

(٦) فى م : « ذؤيب » .

(٧) مسلم (٢٣٦٦) .

(٨) فى م : « عمر » .

(٩) المسند ٢ / ٣٦٨ .

(١٠) فى الأصل ، ح ، م : « هشيم » . وفى ص : « هشام » . وانظر تهذيب الكمال ٧ / ٧٤ .

(١١) فى الأصل : « عن » .

(١٢) تفسير الطبرى ٣ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

رسول الله ﷺ: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَقَدْ عَصَرَهُ الشَّيْطَانُ عَصْرَةً أَوْ عَصْرَتَيْنِ ؛ إِلَّا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَرْيَمَ » . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَلَئِنِّي أُعِيدُهَا بِلَيْكِ وَدُرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ . وكذا رواه محمد بن إسحاق ^(١) ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، بأصل الحديث .

وقال الإمام أحمد ^(٢) : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، حَدَّثَنَا الْمُعْبِرَةُ ، هُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٣) الْحِزَامِيُّ ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ ، عَنْ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ حِينَ يُوَلَّدُ ، إِلَّا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ » . وهذا على شرط « الصَّحِيحِينَ » ، ولم يُخْرِجَاهُ مِنْ هَذَا الرَّوْجِ . وقوله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ ^(٤) أَنَّ أُمَّهَا حِينَ وَضَعَتْهَا ، لَفَّتْهَا فِي خُرُوقِهَا ، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَسَلَّمَتْهَا إِلَى الْعِبَادِ الَّذِينَ هُمْ مُقِيمُونَ بِهِ ، وَكَانَتْ ابْنَةَ إِمَامِهِمْ وَصَاحِبِ صَلَاتِهِمْ ^(٥) ، فَتَنَازَعُوا فِيهَا . وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا إِذَا سَلَّمَتْهَا إِلَيْهِمْ بَعْدَ رِضَاعِهَا وَكَفَالَةِ مِثْلِهَا فِي صِبْغِهَا ، ثُمَّ لَمَّا دَفَعَتْهَا إِلَيْهِمْ ، تَنَازَعُوا [٢٤٧/١ ط] فِي أَيْهِمْ يَكْفُلُهَا ، وَكَانَ زَكَرِيَّا نَبِيَّهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، قَدْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَبِدَّ بِهَا ذُنُوبَهُمْ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ زَوْجَتَهُ أُخْتُهَا أَوْ خَالَتُهَا ، عَلَى الْقَوْلَيْنِ ، فَشَاحُوهُ فِي ذَلِكَ ، وَطَلَبُوا أَنْ يَقْتَرِعَ مَعَهُمْ ،

(١) تفسير الطبري ٢٣٩/٣ .

(٢) المسند ٥٢٣/٢ .

(٣) في ح ، م : « الله » . وانظر تهذيب الكمال ٣٨٧/٢٨ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤٣/٣ . تفسير القرطبي ٦٧/٤ . الدر المنثور ١٩/٢ .

(٥ - ٥) سقط من : ح .

فَسَاعَدْتَهُ الْمَقَادِيرُ، فَخَرَجَتْ قُرْعَتُهُ غَالِيَةً لَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَالَةَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أَي؛ بِسَبَبِ غَلْبِهِ لَهُمْ فِي الْقُرْعَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، قَالُوا: وَذَلِكَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ أَلْقَى قَلَمَهُ مَعْرُوفًا بِهِ، ثُمَّ حَمَلُوهَا وَوَضَعُوهَا فِي مَوْضِعٍ، وَأَمَرُوا غُلَامًا لَمْ يَتَلَعِ الْحِنْتَ، فَأَخْرَجَ وَاحِدًا مِنْهَا، فَظَهَرَ قَلَمُ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَطَلَبُوا أَنْ يَقْتَرِعُوا مَرَّةً ثَانِيَةً، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَأَن يُلْقُوا أَقْلَامَهُمْ فِي النَّهْرِ، فَأَيُّهُمْ جَرَى قَلَمُهُ^(١) عَلَى خِلَافِ جِرْيَةِ الْمَاءِ فَهُوَ الْغَالِبُ، فَفَعَلُوا، فَكَانَ قَلَمُ زَكَرِيَّا هُوَ الَّذِي جَرَى عَلَى خِلَافِ جِرْيَةِ الْمَاءِ، وَسَارَتْ أَقْلَامُهُمْ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَقْتَرِعُوا ثَالِثَةً فَأَيُّهُمْ جَرَى قَلَمُهُ^(٢) مَعَ الْمَاءِ^(٣)، وَتَكُونُ بَيِّنَةُ الْأَقْلَامِ قَدْ انْعَكَسَ سَيْرُهَا صُعْدًا؛ فَهُوَ الْغَالِبُ، فَفَعَلُوا، فَكَانَ زَكَرِيَّا هُوَ الْغَالِبُ لَهُمْ، فَكَفَّلَهَا إِذْ كَانَ أَحَقَّ بِهَا شَرَعًا وَقَدَرًا؛ لَوْجُوهُ عَدِيدَةٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمِرِيمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ^(٤): اتَّخَذَ لَهَا زَكَرِيَّا مَكَانًا شَرِيفًا مِنَ الْمَسْجِدِ، لَا يَدْخُلُهُ سِوَاهَا^(٤)، فَكَانَتْ تَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ، وَتَقُومُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهَا مِنْ سِدَانَةِ الْبَيْتِ إِذَا جَاءَتْ نَوْبُهَا، وَتَقُومُ بِالْعِبَادَةِ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا، حَتَّى صَارَتْ يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِعِبَادَتِهَا فِي بَنِي

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) سقط من: ح.

(٣) تفسير القرطبي ٤/ ٧١. الدر المنثور ١٨/ ٢.

(٤) في م: «سواها».

إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة، والصفات الشريفة، حتى إنه كان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها، يجد عندها رزقا غريبا في غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فيسألها: ﴿أَنْ لَكَ هَذَا﴾ فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي؛ رزق رزقيهِ الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. فعند ذلك وهنالك، طمع زكريا في وجود ولد من صلبه، وإن كان قد أسن وكبر. ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، قال بعضهم^(١): قال: يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه، هب لي ولدا، وإن كان في غير أوانه. فكان من خبره وقضيته، ما قدمنا ذكره في قصته.

قال الله تعالى^(٢): ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِمُ [١/٢٤٨] إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ يَمْرِمُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٢﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ

(١) تفسير الطبري ٢/٢٤٨، القرطبي ٤/٧١. الدر المنثور ٢/٢٠، ٢١. وعزه لإسحاق بن بشر.

(٢) التفسير ٢/٣٢ - ٣٦.

جِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنْيَ أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْزَيْتُ الْأَكْثَمَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْقِنَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْتَبِئْتُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ [آل عمران: ٤٢ - ٥١].

يذكرُ تعالى أن الملائكة بشرت مزيمَ باصطفاءِ الله لها، من بين سائر نساءِ عالمي زمانها، بأن اختارها لإيجادِ ولدٍ منها، من غيرِ أب، وبُشرت بأن يكون نبيًا شريفًا ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ أي؛ في صغره، يَدْعُوهم إلى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شريكَ له، وكذلك في حالِ كُهولِهِ، فذلَّ على أَنَّهُ يَتَلَعُّ الكُهولةَ، ويدعو إلى الله فيها، وأمرت بكثرة العبادَةِ والقنوتِ والسُّجودِ والرُّكوعِ؛ لتكونَ أهلاً لهذه الكرامة، ولتقومَ بِشكرِ هذه النعمة، فيقال: إنَّها كانت تقومُ في الصلاةِ حتى تَفْطُرَتْ قَدَمَاهَا، رَضِيَ اللَّهُ عنها ورجمها، ورجم أمها وأباها. فقولُ الملائكة: ﴿ يَمُرُّمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ أي؛ اختارك واجتباك. ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ أي؛ من الأخلاقِ الرذيلةِ، وأعطاك الصفاتِ الجميلةَ.

﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ المرادُ عالمي زمانها، كقولهِ لموسى: ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ ﴾، وكقولهِ عن بني إسرائيل: ﴿ وَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الدخان: ٣٢]. ومعلومُ أنَّ إبراهيمَ، عليه السلام، أفضلُ من موسى، وأنَّ محمدًا ﷺ، أفضلُ

من طُرُقِ عديدة، عن هشامِ بنِ عُروَةَ^(١)، عن أبيه، عن عبدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ، رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ».

وقال الإمامُ أحمدُ^(٢): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بِأَرْبَعٍ؛ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ».

ورواه الترمذِيُّ، عن أبي بكرِ بنِ زُجَيْجٍ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ به، وَصَحَّحَهُ^(٣).

ورواه ابنُ مَرْدَوَيْهِ^(٤)، من طريقِ عبدِ اللهِ بنِ أبي جعفرِ الرَّازِيِّ^(٥)، وابنِ عساکرٍ^(٦)، من طريقِ تميمِ بنِ زيادٍ^(٧)، كلاهما عن أبي جعفرِ الرَّازِيِّ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ».

وقال الإمامُ أحمدُ^(٨): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «خَيْرُ نِسَاءِ

(١) في الأصل: «عن».

(٢) المسند ٣/١٣٥.

(٣) الترمذى (٣٨٧٨). (صحيح الترمذى ٣٠٥٣).

(٤) في الأصل: «سردق به». والحديث ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/٢ وعزاه لابن مردويه.

(٥) سقط من: ص.

(٦) تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٨.

(٧) فى الأصل: «زيادة».

(٨) المسند ٢/٢٧٥. (إسناده صحيح).

رَكِبَنَّ الإِبِلَ ، صَالِحِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ ، أَخْتَاهُ عَلَى وُلْدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَزْعَاهُ لِرُؤُجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ . قال أبو هريرة : ولم تزكَبْ مريمَ بغيرًا قط . وقد رواه مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» ^(١) ، عن محمدِ بْنِ رَافِعٍ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ ، كلاهما عن عبدِ الرزَّاقِ به ^(٢) .

وقال أحمدُ ^(٣) : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ ، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خَيْرُ نِسَاءِ رَكِبَنَّ [٢٤٩/١] الإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ ، أَخْتَاهُ عَلَى وُلْدٍ فِي صِغَرِهِ ، وَأَزْفَاهُ بِرُؤُجٍ عَلَى قَلْبِهِ ذَاتِ يَدِهِ » قال أبو هريرة : وَقَدْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّ «ابنةَ عِمْرَانَ» لم تزكَبِ الإِبِلَ . تَفَرَّدَ بِهِ ، وهو عَلَى شَرْطِ «الصَّحِيحِ» ^(٤) . ولهذا الحديثِ طَرُقُ أُخْرَى ^(٥) عن أبي هريرة .

وقال أبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ ^(٦) : حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي الفُرَاتِ ، عَنِ عِلْبَاءِ بْنِ أَحْمَرَ ، عنِ عِكْرِمَةَ ، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال :

(١) مسلم (٢٥٢٧) .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) روى أحمد في مسنده الجزء الموقوف من الحديث ، وسقط المرفوع من المسند ؛ فقد قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٧١ - بعدما أورد الحديث مرفوعه وموقوفه - : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجال أحمد رجال الصحيح . كما عراه الحافظ ابن حجر إلى أحمد في الفتح ٦/ ٤٧٤ . وقال محقق المسند المعتلى ٧/ ٤٢٤ : وهو مذكور على التمام في جامع المسانيد لابن كثير الورقة ١٥٥ ب/ .

(٤ - ٤) في مسند أحمد : «ابنة الخطاب» . وانظر : مجمع الزوائد ٤/ ٢٧١ ، الفتح ٦/ ٤٧٤ .

(٥) في ص : «الصحيحين» .

(٦) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة : المسند ٢/ ٥٠٢ . وابن أبي عاصم في السنة (١٥٣٣) . ومن طريق الأعرج عن أبي هريرة : البخاري (٥٣٦٥) . مسلم (٢٥٢٧) . المسند ٢/ ٢٩٣ ، ٤٤٩ . ومن طريق ابن طاووس عن أبيه : البخاري (٥٣٦٥) . مسلم (٢٥٢٧) . ومن طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة : ابن أبي عاصم في السنة (١٥٣٢ ، ١٥٣١) .

(٧) مسند أبي يعلى (٢٧٢٢) . (إسناده صحيح) .

حَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي الْأَرْضِ أَرْبَعٌ حُطُوطٌ، فَقَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا هَذَا؟»
 قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ:
 خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَقَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْثَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةُ بِنْتُ
 مُزَاجِمِ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ». وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ ^(١) مِنْ طُرُقٍ عَنِ دَاوُدَ بْنِ ^(٢) أَبِي
 الْفُرَاتِ ^(٣).

وقد رواه ابنُ عساکر ^(٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ سَلِيمَانَ بْنِ
 الْأَشْعَثِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَاتِمِ الْعَسْكَرِيِّ، حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مِهْرَانَ بْنِ حَمْدَانَ،
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دِينَارٍ، عَنِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ
 اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْهُنَّ أَرْبَعُ سَيِّدَاتٍ، نِسَاءُ الْعَالَمِينَ؛
 قَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَأَسِيَّةُ بِنْتُ مُزَاجِمِ، وَمَرْثَمُ بِنْتُ
 عِمْرَانَ».

وقال أبو القاسم البغوي ^(٥): حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةٍ ^(٦)، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ
 اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ، عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ ^(٧) أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ
 لِقَاطِمَةَ: أَرَأَيْتِ حِينَ أَكْبَيْتِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَيْتِ، ثُمَّ ضَحِكْتِ؟

(١) النسائي في الكبرى (٨٣٦٤).

(٢) سقط من: م.

(٣) في النسخ: «هند». وما أثبتناه هو الصواب. انظر مصدر التخريج. وتهذيب الكمال ٤٣٧/٨.
 وتحفة الأشراف ١٥٢/٥.

(٤) تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٨.

(٥) ومن طريقه ابن عساکر في تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٩.

(٦) في الأصل، ح، م: «منبه». وانظر تهذيب الكمال ١١٥/٣١.

(٧) في الأصل: «على بن».

قالت: أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا فَبَكَيْتُ ، ثُمَّ أُكْبِتُ عَلَيْهِ ، فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَسْرَعُ أَهْلِهِ لِحُوقًا بِهِ ، وَأَنِّي سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ ، فَضَحِكْتُ . وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي «الصَّحِيحِ»^(١) . وَهَذَا إِسْنَادٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَفِيهِ أَنَّهُمَا^(٢) أَفْضَلُ الْأَرْبَعِ الْمَذْكُورَاتِ .

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد^(٣) ، حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ يَزِيدَ ، هُوَ ابْنُ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نُعْمٍ^(٤) ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ » . إِسْنَادٌ حَسَنٌ ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ^(٥) ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ ، وَقَدْ رَوَى نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(٦) ، وَلَكِنْ فِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ .

والمقصود أن هذا يدلُّ على أن مريم وفاطمة أفضل هذه الأربع ، ثمَّ يَحْتَمِلُ الاستثناء [٢٤٩/١] أن تكون مريم أفضل من فاطمة ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى

(١) صحيح مسلم (٢٤٥٠) من طريق عروة بن الزبير ومسروق ، كلاهما عن عائشة .

(٢) في الأصل ، ص : «أنها» .

(٣) في المسند ٨٠/٣ .

(٤) في الأصل ، ح ، م : «نعيم» . وفي ص : «يعمر» . وانظر تهذيب الكمال ٤٥٧/١٧ .

(٥) أي إسناد أحمد ، فقد أخرج الترمذي حديثًا في مناقب الحسن والحسين رقم (٣٧٦٨) من طريق

جرير بن عبد الله ، عن يزيد بن أبي زياد به ، وقال عقبه : هذا حديث حسن صحيح .

وقال صاحب تحفة الأحوذى ٣٣٩/٤ - عقب قول الترمذي : هذا حديث حسن صحيح - : وأخرجه

أحمد .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠١/٩ : قلت : رواه الترمذي غير ذكر فاطمة ومريم . ثم قال : رواه

أحمد وأبو يعلى ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٦) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠١/٩ من حديث علي بن أبي طالب ، وقال : رواه الطبراني ،

وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف .

السَّوَاءِ فِي الْفَضِيلَةِ؛ لَكُنْ وَرَدَ حَدِيثٌ، إِنْ صَحَّ عَيَّنَ الْاِحْتِمَالَ الْأَوَّلَ، فَقَالَ
 الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ^(١) : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ^(٢) بْنُ الْفَرَّاءِ، وَأَبُو غَالِبٍ،
 وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ، ابْنَا^(٣) الْبَتَّاءِ، قَالُوا: أَبَانَا أَبُو^(٤) جَعْفَرِ بْنِ الْمُسْلِمَةِ، أَبَانَا أَبُو طَاهِرِ
 الْمُخَلَّصِ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلِيمَانَ، حَدَّثَنَا الرَّبِيعِيُّ، هُوَ ابْنُ بَكَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
 ابْنُ الْحَسَنِ^(٥)، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ كُرَيْبٍ،
 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَرْيَمُ بِنْتُ
 عِمْرَانَ، ثُمَّ فَاطِمَةُ، ثُمَّ خَدِيجَةُ، ثُمَّ أَسِيَّةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ». فَإِنْ كَانَ هَذَا اللَّفْظُ
 مَحْفُوظًا بِ «ثُمَّ» الَّتِي لِلتَّرْتِيبِ، فَهُوَ مُبَيِّنٌ لِأَحَدِ الْاِحْتِمَالَيْنِ اللَّذَيْنِ دَلَّ عَلَيْهِمَا
 الْاِسْتِنَاءُ، وَيُقَدِّمُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي وَرَدَتْ بِوَاوِ الْعَطْفِ، الَّتِي لَا
 تَقْتَضِي التَّرْتِيبَ وَلَا تَنْفِيهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ^(١)، عَنْ دَاوُدَ الْجَعْفَرِيُّ، عَنْ عَبْدِ
 الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ الدَّرَاوَزْدِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ
 عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا، فَذَكَرَهُ بِوَاوِ الْعَطْفِ لَا بِ «ثُمَّ» التَّرْتِيبِيَّةِ، فَخَالَفَهُ إِسْنَادًا وَمَثَلًا.
 فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ
 قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ

(١) تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٤.

(٢) في م: «الحسن».

(٣) في الأصل: «أنا».

(٤) في الأصل: «ابن».

(٥) في الأصل: «الحسين».

(٦) ومن طريقه رواه ابن عساكر، في تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٤.

يَكْمُلُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ثَلَاثٌ ؛ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَأَسِيَّةُ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ
بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » .
وهكذا الحديث الذي رواه الجماعة ، إلا أبا داود^(١) ، من طريق ، عن شُعْبَةَ ،
عن عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، عن مُرَّةَ الهمداني ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال
رسول الله ﷺ : « كَمَلُ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةَ
فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى
سَائِرِ الطَّعَامِ » . فإنه حديث صحيح كما ترى ، اتفق الشيخان على إخراجِهِ ،
ولفظه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم وآسيّة ، ولعل المراد بذلك ، في
زمانهما ، فإن كلاً منهما كفلت نبياً في حال صغره ، فآسيّة كفلت موسى
الكليم ، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله ، فلا ينفى كمال غيرهما في هذه
الأمة ، كخديجة وفاطمة ؛ فخديجة خدمت رسول الله ﷺ ، قبل البعثة
خمس عشرة سنة ، وبعدها أزيد من عشر سنين ، وكانت [٢٥٠/١] له وزير
صديق بنفسها ومالها ، رضى الله عنها وأرضاها ، وأما فاطمة بنت رسول الله
ﷺ ، فإنها خصت بمزيد فضيلة على أخواتها ؛ لأنها أصيبت برسول الله
ﷺ ، وبقية أخواتها متن في حياة النبي ﷺ ، وأما عائشة ؛ فإنها كانت أحب
أزواج رسول الله ﷺ ، إليه ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، ولا يعرف في سائر
النساء في هذه الأمة ، بل ولا في غيرها ، أعلم منها ولا أفهم ، وقد غار الله لها
حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فأنزل براءتها من فوق سبع سماوات ، وقد

(١) البخارى (٣٤١١ ، ٣٤٣٣ ، ٣٧٦٩ ، ٥٤١٨) . مسلم (٢٤٣١) . الترمذى (١٨٣٤) . النسائى
فى الكبرى (٨٣٥٣ ، ٨٣٥٦) . ابن ماجه (٣٢٨٠) . المسند ٤/٣٩٤ ، ٤٠٩ .

عُمِّرَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَرِيبًا مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً ، تُبْلَغُ عَنْهُ الْقُرْآنَ وَالشُّنَّةَ ،
وَتُقْتَى الْمُسْلِمِينَ ، وَتُصَلِّحُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ ، وَهِيَ أَشْرَفُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، حَتَّى
خَدِجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ أُمِّ الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ ، فِي قَوْلِ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ السَّابِقِينَ ،
وَاللَّاحِقِينَ ، وَالْأَحْسَنُ الْوَقْفُ فِيهِمَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ قَوْلَهُ
ﷺ : « وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » يَحْتَمِلُ
أَنْ يَكُونَ عَامًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَذْكُورَاتِ وَغَيْرِهِنَّ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا بِالنِّسْبَةِ
إِلَى مَا عدا الْمَذْكُورَاتِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

والمقصودُ ههنا ، ذِكْرُ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ ، عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَإِنَّ اللَّهَ
طَهَّرَهَا وَاصْطَفَاهَا عَلَى نِسَاءِ^(١) عَالَمِي زَمَانِهَا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَفْضِيلُهَا عَلَى
النِّسَاءِ مُطْلَقًا ، كَمَا قَدَّمْنَا . وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ^(٢) أَنَّهَا تَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ
ﷺ ، فِي الْجَنَّةِ ، هِيَ وَأَسِيَّةُ بِنْتُ مُزَاجِمٍ . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي « التَّفْسِيرِ »^(٣) عَنْ
بَعْضِ السَّلَفِ ، أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ ، وَاسْتَأْنَسَ بِقَوْلِهِ : ﴿ تَنَبَّتِ وَأَبْكَارًا ﴾ [التَّحْرِيمِ :
٥] قَالَ : فَالْيَيْبُ آسِيَّةُ ، وَمِنْ الْأَبْكَارِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ . وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي آخِرِ
سُورَةِ « التَّحْرِيمِ »^(٤) . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قال الطبراني^(٥) : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَاجِيَةَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ
الْعَوْفِيُّ^(٦) ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا عَمِّي الْحُسَيْنُ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ نُفَيْعٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ

(١) سقط من : الأصل .

(٢) وهو الحديث الآتي من رواية الطبراني وغيره .

(٣) التفسير ١٩٣/٨ .

(٤) التفسير ٢٠٠/٨ .

(٥) في المعجم الكبير (٢/٥٤٨٥) .

(٦) في الأصل : « الصوفي » .

مُجَنَّدَةٌ^(١) هو العَوْفِيُّ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَّجَنِي فِي الْجَنَّةِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وامْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، وَأُخْتَ مُوسَى».

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى^(٢): حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَزْمَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الثَّوْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْعَرَتِ أَنَّ اللَّهَ زَوَّجَنِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ وَأَسِيَةَ بِنْتَ مُزَاجِمٍ، وَكَلْتَمَ^(٤) أُخْتَ مُوسَى» [٢٥٠/١]. رواه أبو جَعْفَرٍ الْعُقَيْلِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الثَّوْرِ بِهِ^(٥)، وزاد: فقلتُ: هَنِيئًا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ الْعُقَيْلِيُّ: وَليْسَ بِمَحْفُوظٍ.

وقال الزُّبَيْرِيُّ^(٦) بْنُ بَكَّارٍ^(٧): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ يَعْلَى بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ابْنِ أَبِي زَوَّادٍ^(٨)، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَلَى خَدِيجَةَ وَهِيَ فِي مَرَضِهَا الَّذِي تُوفِّيَتْ فِيهِ، فَقَالَ لَهَا: «بِالْكَرَاهَةِ مِئِي مَا أَرَى مِنْكَ يَا خَدِيجَةُ، وَقَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ فِي الْكَرَاهَةِ خَيْرًا كَثِيرًا، أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ زَوَّجَنِي مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وَكَلْتَمَ أُخْتَ مُوسَى، وَأَسِيَةَ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ؟» قَالَتْ:

(١) فِي الْأَصْلِ: «حِبَارَةٌ».

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي يَعْلَى بِهِ، فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ، الْجُزْءِ الْمَطْبُوعِ مِنْ تَرَاجِمِ النِّسَاءِ ص ٣٨٤. وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٨٠٠٦) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ النَّوْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِهِ. وَفِيهِ عَبْدُ النَّوْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ كَذَابٌ. انظُرِ الْمَعْنَى فِي الضَّعْفَاءِ ٥٨٠/١. وَالضَّعْفَاءُ وَالتَّرْوَكِيُّ ١٥٥/٢. وَضَعَّفَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي التَّفْسِيرِ ١٩٣/٨.

(٣) فِي ح، م: «ابْن».

(٤) فِي الضَّعْفَاءِ الْكَبِيرِ ٤٥٩/٤: «كَلْتَمَ» بَدَلَ «كَلْتَمَ».

(٥) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ.

(٦) فِي الْأَصْلِ: «الْبَزِيد».

(٧) وَمِنْ طَرِيقِهِ أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ، فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ، الْجُزْءِ الْمَطْبُوعِ مِنْ تَرَاجِمِ النِّسَاءِ ص ٣٨٤، ٣٨٥.

(٨) فِي م: «دَاوُد».

وقد فعلَ اللهُ بِكَ ذلكَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «نعم». قالت: بالرِّفَاءِ والبِتِينِ .
ورَوَى ابنُ عساکرَ^(١)، من حديثِ محمدِ بنِ زكريَّا الغلابيِّ^(٢)، حَدَّثَنَا
العباسُ بنُ بَكَّارٍ، حَدَّثَنَا أبو بكرٍ الهُدَلِيُّ^(٣)، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ
رسولَ اللهِ ﷺ، دَخَلَ على خَدِيجَةَ، وهى فى المَوْتِ، فقال: «يا خَدِيجَةُ،
إِذَا لَقِيتِ ضَرَائِرِكَ فَأَقْرِئِيهِنَّ مِنِّى السَّلَامَ». قالت: يا رسولَ اللهِ، وهل تَزَوَّجْتَ
قَبْلِي؟ قال: «لا، وَلَكِنَّ اللهَ زَوَّجَنِي مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ بِنْتِ مُزَاجِمٍ،
وَكَلْتُمُ أُخْتِ مُوسَى» .

ورَوَى ابنُ عساکرَ^(٤)، من طريقِ سُؤَيْدِ بنِ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا محمدُ بنُ صالحِ
ابنِ عُمَرَ، عن الضُّحَّاكِ ومُجَاهِدٍ، عن ابنِ عمرَ قال: نزل جِبْرِيلُ إلى رسولِ اللهِ
ﷺ، بما أُرْسِلَ به، وجلس يُحَدِّثُ رسولَ اللهِ ﷺ، إِذْ مَرَّتْ خَدِيجَةُ، فقال
جبريلُ: مَنْ هَذِهِ يا محمدُ؟ قال: «هَذِهِ صِدِّيقَةُ أُمَّتِي». قال جبريلُ: معى
إليها رسالةٌ مِنَ الرَّبِّ، عزَّ وجلَّ، يُقَرِّئُهَا السَّلَامَ، وَيُبَشِّرُهَا بِبَيْتٍ فى الجَنَّةِ مِنَ
قَصَبٍ، يُعِيدُ مِنَ اللَّهَبِ، لا نَصَبَ فيه ولا صَحْبَ . قالت: اللهُ السَّلَامُ، ومنه
السَّلَامُ، والسَّلَامُ عليكما ورحمةُ اللهِ، وبَرَكَاتُهُ على رسولِ اللهِ، ما ذلكَ البيتُ
الذى مِنَ قَصَبٍ؟ قال: «لَوْلَوْهَ جَوْفَاءُ بَيْنَ بَيْتِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَبَيْتِ آسِيَةَ
بِنْتِ مُزَاجِمٍ، وَهُمَا مِنْ أَزْوَاجِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَأَضَلُّ السَّلَامِ على خَدِيجَةَ مِنَ
اللهِ، وبِشَارَتِهَا بِبَيْتٍ فى الجَنَّةِ، مِنَ قَصَبٍ، لا صَحْبَ فيه ولا نَصَبَ^(٥)، فى

(١) المصدر السابق ص ٣٨٤ .

(٢) فى الأصل: «الغلابي» .

(٣) فى م: «الهزلى» .

(٤) المصدر السابق ص ٣٨٣ .

(٥) فى ح، م: «وصب» .

«الصَّحِيحُ»^(١) . ولكنَّ هذا السياقُ بهذه الزياداتِ ، غريبٌ جدًّا . وَكُلُّ هذه الأحاديثِ ، في أسانيدِها نظَرٌ .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ^(٢) ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي زُرْعَةَ الدَّمَشَقِيِّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ، عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَهُ عَنِ الصَّخْرَةِ ؛ يَعْنِي صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَقَالَ : الصَّخْرَةُ عَلَى نَخْلَةٍ ، وَالتَّخْلَةُ عَلَى نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ، وَتَحْتَ التَّخْلَةِ مَرْيَمُ [٢٥١/١] بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَأَسِيَّةُ بِنْتُ مُزَاجِمٍ ، يُنْظِمَانِ^(٣) سُموطَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ . ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ^(٤) ، عَنْ ثَعْلَبَةَ ابْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ مَشْعُودِ بْنِ^(٥) عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ، عَنْ عُجْبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، بِمِثْلِهِ . وَهَذَا مُنْكَرٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، بَلْ هُوَ مَوْضُوعٌ .

ثُمَّ^(٦) قَدْ رَوَاهُ أَبُو زُرْعَةَ^(٧) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ ، عَنْ مُعَاوِيَةَ ، عَنْ مَشْعُودِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ ابْنِ عَائِدٍ ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ كَعْبًا عَنْ صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَذَكَرَهُ . قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٨) : وَكَوْنُهُ مِنْ كَلَامِ كَعْبِ الْأَخْبَارِ ،

(١) البخارى (٣٨٢٠ ، ٧٤٩٧) ، مسلم (٢٤٣٢) . كلاهما من حديث أبى هريرة .

(٢) تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

(٣) فى ح : « يتنمطان » .

(٤) فى م : « عن » .

(٥) فى الأصل : « عباس » .

وأخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ص ٣٨٥ .

(٦) فى م : « عن » .

(٧) سقط من : م .

(٨) المصدر السابق .

(٩) المصدر السابق .

أَشْبَهُ . قُلْتُ : وَكَلَامُ كَعْبِ الْأَخْبَارِ هَذَا ، إِنَّمَا تَلَقَّاهُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، الَّتِي مِنْهَا
مَا هُوَ مَكْذُوبٌ مُفْتَعَلٌّ ، وَضَعَهُ بَعْضُ زَنَادِقَتِهِمْ أَوْ جُهَّالِهِمْ ، وَهَذَا مِنْهُ . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

ذِكْرٌ (١) مِيلَادِ الْعَبْدِ الرَّسُولِ

عيسى ابن مريمَ البتُولِ

قال الله تعالى (١): ﴿وَأذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا (١٦) فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِهِ وَلِنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكَلِمًا وَأَشْرَىٰ وَقَرَىٰ عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَتَأَخَذُ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ

(١) سقط من : م .

(٢) التفسير ٥/٢١٣ - ٢٢٦ .

اللَّهُ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
 وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ
 مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ
 إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِلَى اللَّهِ رُجُوعُ كُلِّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا
 صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴿٣٧﴾ [٢٥١/١ ط] فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٨﴾ [مریم: ١٦ - ٣٧].

ذَكَرَ تَعَالَى هَذِهِ الْقِصَّةَ بَعْدَ قِصَّةِ زَكَرِيَّا، الَّتِي هِيَ كَالْمَقْدِمَةِ لَهَا وَالتَّوْطِئَةِ
 قَبْلَهَا، كَمَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ «آلِ عِمْرَانَ»، قَرَنَ بَيْنَهُمَا فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ، وَكَمَا
 قَالَ فِي سُورَةِ «الْأَنْبِيَاءِ»^(١): ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا
 وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ
 زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا
 وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرَجْحًا فَفَفَخْنَا فِيهَا مِنْ
 رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ [الأنبياء: ٨٩ - ٩١].

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَرْيَمَ، لَمَّا جَعَلْنَاهَا أُمًّا مُحَرَّرَةً، تَخْدِمُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، وَأَنَّهُ
 كَفَّلَهَا زَوْجُ أُخْتِهَا أَوْ خَالَتِهَا، نَبِيٌّ ذَلِكَ الزَّمَانِ، زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ
 اتَّخَذَ لَهَا مِخْرَابًا، وَهُوَ الْمَكَانُ الشَّرِيفُ مِنَ الْمَسْجِدِ، لَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا
 سِوَاهُ، وَأَنَّهَا لَمَّا بَلَغَتْ اجْتِهَادَ فِي الْعِبَادَةِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ نَظِيرُهَا

(١) التفسير ٣٦٤/٥، ٣٦٥.

فِي قُنُونِ الْعِبَادَاتِ ، وَظَهَرَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْوَالِ مَا غَبَطَهَا بِهِ زَكِيًّا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
 وَأَنَّهَا خَاطَبَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِالْبِشَارَةِ لَهَا بِاصْطِفَاءِ اللَّهِ لَهَا ، وَبِأَنَّهُ سَيَهَبُ لَهَا وَلَدًا
 زَكِيًّا ، يَكُونُ نَبِيًّا كَرِيمًا طَاهِرًا مُكْرَمًا ، مُؤَيَّدًا بِالْمُعْجَزَاتِ ، فَتَعَجَّبَتْ مِنْ وُجُودِ
 وَلَدٍ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ ؛ لِأَنَّهَا لَا زَوْجَ لَهَا ، وَلَا هِيَ يَمُنُّ تَنْزُوجُ ، فَأُخْبِرَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِأَنَّ
 اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ ، إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ : كُنْ . فَيَكُونُ ؛ فَاسْتَكَاثَتْ
 لَذَلِكَ وَأَنَابَتْ ، وَسَلَّمَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَعَلِمَتْ أَنَّ هَذَا فِيهِ مِخْنَةٌ عَظِيمَةٌ لَهَا ؛ فَإِنَّ
 النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا بِسَبَبِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى
 ظَاهِرِ الْحَالِ ، مِنْ غَيْرِ تَدَبُّيرٍ وَلَا تَعْقُلٍ ، وَكَانَتْ إِثْمًا تَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ فِي زَمَنِ
 حَيْضِهَا ، أَوْ لِلْحَاجَةِ ضَرُورِيَّةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا ؛ مِنْ اسْتِيقَاءِ مَاءٍ أَوْ تَحْصِيلِ غِذَاءٍ ، فَبَيْنَمَا
 هِيَ يَوْمًا قَدْ خَرَجَتْ لِبَعْضِ شُغُوبِهَا وَ ﴿ أَنْبَدَتْ ﴾ أَى ؛ انْفَرَدَتْ وَخَذَهَا
 شَرِقَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا الرُّوحَ الْأَمِينَ ، جِبْرِيلَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ
 ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ
 كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ . قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ ^(١) : عَلِمَتْ أَنَّ التَّقِيَّ ذُو نُهْيَةٍ . وَهَذَا يُؤَدُّ قَوْلَ
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ فَاسِقٌ مَشْهُورٌ بِالْفِسْقِ ، اسْمُهُ تَقِيٌّ ، فَإِنَّ
 هَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ بَلَا دَلِيلٍ ، وَهُوَ مِنْ أَشْخَفِ الْأَقْوَالِ . ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
 رَبِّكِ ﴾ أَى ؛ خَاطَبَتْهَا الْمَلَكُ قَائِلًا : إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ، أَمْ لَسْتُ بِبَشِيرٍ ،
 وَلَكِنِّي مَلَكٌ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿ لِأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ أَى ؛ وَلَدًا زَكِيًّا .
 ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ أَى ؛ كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ، أَوْ يُوجَدُ لِي وَلَدٌ ،

(١) كذا في النسخ . وفي التفسير ٢١٤/٥ نسب ابن كثير القول إلى أبي وائل . وكذا القرطبي ١١ /
 ٩١ نسبة إلى أبي وائل أيضًا . وذكره البخاري معلقا من قول أبي وائل . وانظر الفتح ٤٧٦/٦ ،

﴿ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴾ أى ؛ ولست ذات زَوْجٍ [٢٥٢/١] ، وما أنا ممن يفعل الفاحشة . ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ﴾ أى ؛ فأجابها الملك عن تعجبها من وجود ولي منها ، والحالة هذه قائلاً : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾ أى ؛ وَعَدَ أَنَّهُ سَيَخْلُقُ مِنْكَ غُلَامًا وَلَسْتَ بِذَاتِ بَغْلٍ ، وَلَا تَكُونِينَ مِنْ يَتِيمِينَ . ﴿ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ﴾ أى ؛ وهذا سهل عليه ، ويسير لَدَيْهِ ، فَإِنَّهُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ . وقوله : ﴿ وَلَنَجْعَلَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ أى ؛ وَلَنَجْعَلَ خَلْقَهُ ، والحالة هذه ، دليلًا على كمالِ قُدْرَتِنَا عَلَىٰ أَنْوَاعِ الْخَلْقِ ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أَنْثَىٰ ، وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أَنْثَىٰ ، وَخَلَقَ عِيسَىٰ مِنْ أَنْثَىٰ بِلَا ذَكَرٍ ، وَخَلَقَ بَقِيَّةَ الْخَلْقِ مِنْ ذَكَرٍ وَأَنْثَىٰ . وقوله : ﴿ وَرَحْمَةً مِنَّا ﴾ أى ؛ نَرْحَمُ بِهِ الْعِبَادَ ، بِأَن يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ فِي صِغَرِهِ وَكِبَرِهِ ، فِي طُفُولِيهِ وَكُهُولِيهِ ، بِأَن يُفْرِدُوا اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَيُنْزَهُوهُ عَنِ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ ، وَالشُّرَكَاءِ وَالتُّظْرَاءِ ، وَالْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ . وقوله : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ تَمَامِ كَلَامِ جِبْرِيلَ مَعَهَا ، يَعْنِي أَنَّ هَذَا أَمْرٌ قَدْ قَضَاهُ اللَّهُ وَحَتَمَهُ وَقَدَّرَهُ وَقَوَّرَهُ . وهذا معنى قول محمد بن إسحاق ، واختاره ابن جرير^(١) ، وَلَمْ يَخْلِكِ سِوَاهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ كِنَايَةً^(٢) عَنِ نَفْخِ جِبْرِيلَ فِيهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] . فَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ^(٣) ، أَنَّ جِبْرِيلَ نَفَخَ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا ، فَتَرَلَّتِ النَّفْحَةَ إِلَى

(١) تفسير الطبرى ٦٢/١٦ .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) تفسير الطبرى ٦٢/١٦ .

فَرَجَّهَا، فَحَمَلَتْ مِنْ قَوْزِهَا، كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ عِنْدَ جَمَاعٍ بَعْلِهَا. وَمَنْ قَالَ أَنَّهُ نَفَخَ فِي فَمِهَا، أَوْ أَنَّ الذِّي كَانَ يُخَاطِبُهَا هُوَ الرُّوحُ الَّذِي وَلَجَ فِيهَا مِنْ فَمِهَا، فَقَوْلُهُ خِلَافٌ مَا يُفْهَمُ مِنْ سِيَاقَاتِ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي مَحَالِّهَا مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ هَذَا السِّيَاقَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الذِّي أُزِيلَ إِلَيْهَا، مَلَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُوَ جَبْرِيْلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا نَفَخَ فِيهَا، وَلَمْ يُوَاجِهِ الْمَلَكُ الْفَرْجَ، بَلْ نَفَخَ فِي جَنِيْبِهَا فَتَزَلَّتِ التَّفْخَةُ إِلَى فَرْجِهَا، فَانْسَلَكَتْ فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ التَّفْخَةَ وَلَجَتْ فِيهِ، لَا فِي فَمِهَا، كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي^(١) ابْنِ كَعْبٍ، وَلَا فِي صَدْرِهَا، كَمَا رَوَاهُ الشُّدِّيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ^(٢)، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ أَيُّ؛ فَحَمَلَتْ وَلَدَهَا، ﴿فَأَنْبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَرْيَمَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ، لَمَّا حَمَلَتْ ضَاقَتْ بِهِ ذُرْعًا، وَعَلِمَتْ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ سَيَكُونُ مِنْهُمْ كَلَامٌ فِي حَقِّهَا، فَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، مِنْهُمْ وَهَبُ بْنُ مُنْبِيهِ^(٣)، أَنَّهَا لَمَّا ظَهَرَتْ [٢٥٢/١] عَلَيْهَا مَخَايِلُ الْحَمْلِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ فَطِنَ لِذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ عُبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُقَالُ لَهُ: يَوْسُفُ ابْنُ يَعْقُوبَ النَّجَّارُ. وَكَانَ ابْنُ خَالِهَا، فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ عَجَبًا شَدِيدًا، وَذَلِكَ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ دِيَانَتِهَا، وَنَزَاهَتِهَا وَعِبَادَتِهَا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرَاهَا حُبْلَى وَلَيْسَ لَهَا زَوْجٌ، فَعَرَّضَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْكَلَامِ، فَقَالَ: يَا مَرْيَمُ، هَلْ يَكُونُ زَرْعٌ مِنْ غَيْرِ بَذْرِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَمَنْ خَلَقَ الزَّرْعَ الْأَوَّلَ؟ ثُمَّ قَالَ: فَهَلْ يَكُونُ شَجَرٌ

(١) فِي الْأَصْلِ: «مُحَمَّدٌ». وَانظُرْ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ ٣٦/٦، ٦٨/١٦ حَيْثُ سَاقَهُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي. وَالدَّرُ الْمَشُورُ ٢٦٧/٤، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ص ٣٦٨.
(٢) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٥٩٩/١. وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ص ٣٦٣.
(٣) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٥٩٤/١، ٥٩٥ مَطْوُولًا. وَتَفْسِيرُهُ ٦٤/١٦، ٦٥.

من غير ماءٍ ولا مطرٍ؟! قالت: نعم، فمن خَلَقَ الشَّجَرَ الأوَّلَ؟! ثُمَّ قال: فهل يكونُ ولدٌ من غيرِ ذَكَرٍ؟! قالت: نعم، إِنَّ اللّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى. قال لها: فأخبريني خَبْرَكَ. فقالت: إِنَّ اللّهَ بَشَّرَنِي ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [٤٥، ٤٦]. وَيُرْوَى مِثْلَ هَذَا عَنْ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١)، أَنَّهُ سَأَلَهَا فَأَجَابَتْهُ بِمِثْلِ هَذَا. وَاللّهُ أَعْلَمُ.

وَذَكَرَ الشُّدِّي بِإِسْنَادِهِ عَنِ الصَّحَابَةِ، أَنَّ مَرْيَمَ دَخَلَتْ يَوْمًا عَلَى أُخْتِهَا، فَقَالَتْ لَهَا أُخْتُهَا: أَشَعَرْتِ أَنِّي حُبْلَى؟ فَقَالَتْ مَرْيَمُ: وَسَعَرْتِ أَيْضًا أَنِّي حُبْلَى؟ فَاغْتَنَفَتْهَا، وَقَالَتْ لَهَا أُمُّ يَحْيَى: إِنِّي أَرَى مَا فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِي مَا فِي بَطْنِكَ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٣٩]. وَمَعْنَى السُّجُودِ هَلْهِنًا، الْخُضُوعُ وَالتَّعْظِيمُ، كَالسُّجُودِ عِنْدَ الْمَوَاجَهَةِ لِلسَّلَامِ، كَمَا كَانَ فِي شَرْعِ مَنْ قَبْلَنَا، وَكَمَا أَمَرَ اللّهُ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ. وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ^(٢): قَالَ مَالِكٌ: بَلَغَنِي أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، ابْنَا خَالَةٍ، وَكَانَ حَمَلُهُمَا جَمِيعًا مَعًا، فَبَلَغَنِي أَنَّ أُمَّ يَحْيَى قَالَتْ لِمَرْيَمَ: لِي أَنِّي أَرَى مَا فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِي مَا فِي بَطْنِكَ. قَالَ مَالِكٌ: أَرَى ذَلِكَ لِتَفْضِيلِ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ اللّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ يَحْيَى الْمَوْتَى وَيُثْرِي الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٣). وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ^(٤)، قَالَ: قَالَتْ مَرْيَمُ: كُنْتُ إِذَا خَلَوْتُ حَدَّثَنِي وَكَلَّمَنِي، وَإِذَا كُنْتُ

(١) تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٥٩.

(٢) في م: (أبو).

(٣) التفسير ٢١٦/٥.

(٤) التفسير ٢١٥/٥. وتاريخ دمشق ٢٩/١٤ مخطوط.

بَيْنَ النَّاسِ سَبَّحَ فِي بَطْنِي . ثُمَّ الظَّاهِرُ ، أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، كَمَا تَحْمِلُ
النِّسَاءُ وَيَضْمَنُ لِمَقَاتِ حَمْلِهِنَّ وَوَضِعِهِنَّ ، إِذْ لَوْ كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ لَذِكِرَ . وَعَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ ، أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : مَا هُوَ إِلَّا
أَنْ حَمَلَتْ بِهِ فَوْضَعْتَهُ ^(١) . قَالَ بَعْضُهُمْ ^(٢) : حَمَلَتْ بِهِ تِسْعَ سَاعَاتٍ . وَاسْتَأْتَسُوا
لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ ^(٣) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ
إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ . وَالصَّحِيحُ ، أَنَّ تَغْقِيبَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ ؛ كَقَوْلِهِ ^(٤) :
﴿ فَتَصِيحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [الحج : ٦٣] ، وَكَقَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً
فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا [١/
٢٥٣] ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] .
وَمَعْلُومٌ أَنَّ بَيْنَ كُلِّ خَالِيْنٍ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ ^(٥) .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ^(٥) : ثُمَّ شَاعَ أَمْرُهَا ، وَاسْتَهْرَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهَا
حَامِلٌ ، فَمَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِ يَثِيبٍ مَا دَخَلَ عَلَى آلِ زَكَرِيَّا . قَالَ : وَاتَّهَمَهَا بَعْضُ
الرُّنَادِقَةِ يَوْسُفَ ، الَّذِي كَانَ يَتَعَبَّدُ مَعَهَا فِي الْمَسْجِدِ ، وَتَوَارَتْ عَنْهُمْ مَرْيَمُ ،
وَاعْتَزَلَتْهُمْ وَانْتَبَدَّتْ مَكَانًا قَصِيًّا . وَقَوْلُهُ : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ
النَّخْلَةِ ﴾ أَي ؛ فَأَلْجَأَهَا وَاضْطَرَّهَا الطَّلُقُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ، وَهُوَ - بِنَصِّ
الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ ، عَنْ أَنَسِ مَرْفُوعًا ^(٦) ، وَابْنِ عَبَّاسٍ

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٦٦/٤ ، والتفسير ٢١٦/٥ .

(٢) هو الحسن ، كما ذكره في الدر المنثور ٢٦٦/٤ . وعزاه لابن عساكر .

(٣) في ح ، م : « لقوله » .

(٤) البخاري (٣٢٠٨ ، ٦٥٩٤ ، ٧٤٥٤) . مسلم (٢٦٤٣) .

(٥) التفسير ٢١٧/٥ .

(٦) النسائي (٤٤٩) . وانظر (ضعيف النسائي ١٤) .

بِإِسْنَادٍ صَحِيحِهِ، عَنْ سَدَادِ بْنِ أَوْسٍ مَرْفُوعًا^(١) أَيْضًا - بَيْتِ لَحْمٍ، الَّذِي بَنَى عَلَيْهِ بَعْضُ مَلُوكِ الرُّومِ فِيمَا بَعْدَ - عَلَى مَا سَنَدُكُرُّهُ - هَذَا الْبِنَاءَ الْمُشَاهِدَ الْهَائِلَ .
﴿ قَالَتْ يَلْتَنِنِي مِنْ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًا ﴾ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَمَتُّي الْمَوْتِ عِنْدَ الْفِتَنِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا عَلِمَتْ أَنَّ النَّاسَ يَتَّهِمُونَهَا^(٢) وَلَا يُصَدِّقُونَهَا، بَلْ يُكَذِّبُونَهَا حِينَ تَأْتِيهِمْ بَغْلَامٌ عَلَى يَدَيْهَا، مَعَ أَنَّهَا قَدْ كَانَتْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْعَابِدَاتِ النَّاسِكَاتِ، الْمَجَاوِرَاتِ فِي الْمَسْجِدِ، الْمُتَقَطِّعَاتِ إِلَيْهِ، الْمُتَعَكِّفَاتِ فِيهِ، وَمِنْ بَيْتِ التَّبَوُّةِ وَالذِّيَانَةِ، فَحَمَلَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْهَمِّ، مَا تَمَتَّتْ أَنْ لَوْ كَانَتْ مَاتَتْ قَبْلَ هَذَا الْحَالِ، أَوْ كَانَتْ ﴿ نَسِيًا مَنَسِيًا ﴾ أَى؛ لَمْ تُخَلَقْ بِالْكُلَيْبَةِ .
وقوله: (فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا)، وَقُرِئَ: ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ عَلَى الْخَفْضِ، وَفِي الْمُضْمَرِ قَوْلَانِ؛ أَحَدُهُمَا، أَنَّهُ جَبْرِيلُ . قَالَه الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ . قَالَ: وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عِيسَى إِلَّا بِخُضْرَةِ الْقَوْمِ^(٣) . وَهَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَالشَّدِيدِيُّ، وَقَتَادَةُ^(٤) . وَقَالَ مَجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَسَعِيدُ ابْنِ جُبَيْرٍ، فِي رِوَايَةٍ: هُوَ ابْنُهَا عِيسَى . وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٥) . وَقَوْلُهُ: ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ قِيلَ: التَّنْهَرُ . وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ^(٦) . وَجَاءَ فِيهِ حَدِيثٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ^(٧)، لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٨)، وَهُوَ

(١) فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ٢/٣٥٥ - ٣٥٧ .

(٢) فِي ح: «يَنْهَوْنَهَا» .

(٣) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٦/٦٨ . وَالتَّفْسِيرُ ٥/٢١٨ .

(٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٦/٦٧، ٦٨ . وَالتَّفْسِيرُ ٥/٢١٨ . وَلَمْ يَذْكَرِ الطَّبْرِيُّ قَوْلَ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ .

(٥) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٦/٦٨ . وَالتَّفْسِيرُ ٥/٢١٨ .

(٦) انظُرْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ١١/٩٤ .

(٧) الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ (٣/١٣٣٠) . وَلَفْظُهُ: «إِنَّ السَّرِيَّ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾، نَهْرٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لِتَشْرَبَ مِنْهُ» . قَالَ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ٧/٥٥: فِيهِ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَابِلِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ .

(٨) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٦/٧١ .

الصَّحِيحُ . وعن الحسن ، والرَّبيعِ بنِ أَنَسٍ ، وابنِ أَسْلَمَ ، وغيرِهِم ^(١) ، أَنَّهُ ابْنُهَا .
 وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ ؛ لِقَوْلِهِ : ﴿ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا
 جَنِيًّا ﴾ ، فَذَكَرَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِي
 عَيْنًا ﴾ . ثُمَّ قِيلَ : كَانَ جِدْعُ النَّخْلَةِ يَابَسًا . وَقِيلَ : كَانَتْ نَخْلَةٌ مُثْمِرَةً . فَاللَّهُ
 أَعْلَمُ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا كَانَتْ نَخْلَةً ، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُثْمِرَةً إِذْ ذَاكَ ؛ لِأَنَّ مِيلَادَهُ
 كَانَ فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ ، وَلَيْسَ ذَاكَ وَقْتٌ ثَمَرٍ ، وَقَدْ يُفْهَمُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ،
 عَلَى سَبِيلِ الْاِمْتِنَانِ [٢٥٣/١ ظ] : ﴿ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ . قَالَ عَمْرُو بْنُ
 مَيْمُونٍ ^(٢) : لَيْسَ شَيْءٌ خَيْرًا لِلنَّفْسَاءِ مِنَ الثَّمَرِ ^(٣) وَالرُّطْبِ . ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(٤) : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ ، حَدَّثَنَا
 مَسْرُورُ بْنُ سَعِيدِ التَّمِيمِيِّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرِو الْأَوْزَاعِيِّ ^(٥) عَنْ عُرْوَةَ
 ابْنِ رُوَيْمٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَكْرَمُوا
 عَمَّتِكُمُ النَّخْلَةَ ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الطُّيْنِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ آدَمُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ
 الشَّجَرِ يُلْقَحُ غَيْرَهَا » . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَطْعَمُوا نِسَاءَكُمْ الْوَلَدَ الرُّطْبَ ،
 فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطْبٌ ، فَتَمْرٌ ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَجْرَةٍ
 نَزَلَتْ تَحْتَهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ » . وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى فِي « مُسْنَدِهِ » ^(٦) ، عَنْ

(١) تفسير الطبري ٧٠/١٦ ، ٧١ . والتفسير ٢١٩/٥ .

(٢) تفسير الطبري ٧٢/١٦ . وتاريخ دمشق ، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٦٣ . والتفسير ٥/٥٠٩ .

(٣) في الأصل : « الثمر » .

(٤) ومن طريق شيبان ، أخرجه ابن عساكر في المصدر السابق ص ٣٦٠ .

(٥) في ح : « الأنصاري » . وفي م : « الأنصاري » .

(٦) مسند أبي يعلى (٤٥٥) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٩/٥ : فيه مسرور بن سعيد التميمي ، وهو ضعيف .

شَيْبَانَ بْنِ فَرْوَخَ، عَنْ مَسْرُوقِ بْنِ سَعِيدٍ. وَفِي رِوَايَةٍ: مَسْرُورِ بْنِ سَعِيدٍ. وَالصَّحِيحُ: مَسْرُورُ بْنُ سَعِيدِ التَّمِيمِيِّ، أُوْرَدَ لَهُ ابْنُ عَدِيٍّ هَذَا الْحَدِيثَ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَهُوَ مُتَّكِرُ الْحَدِيثِ، "وَلَمْ أَسْمَعْ بِذِكْرِهِ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ". وَقَالَ ابْنُ جِبَانَ^(١): يَزْوِي عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ الْمُنَاكِرِ الْكَثِيرَةَ الَّتِي لَا يَجُوزُ الْاِحْتِجَاجُ بِمَنْ يَزْوِيهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾. وَهَذَا مِنْ تَمَامِ كَلَامِ الَّذِي نَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا. قَالَ: ﴿فَكُلِّي وَأَشْرِي وَقَرِي عَيْتًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أَي: فَإِنْ رَأَيْتِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ﴿فَقُولِي﴾ لَهُ، أَي: يَلْسَانِ الْحَالِ وَالإِشَارَةِ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أَي: صَمْتًا. وَكَانَ مِنْ صَوْمِهِمْ فِي شَرِيعَتِهِمْ، تَرُكُ الْكَلَامِ وَالطَّعَامِ. قَالَه قَتَادَةُ وَالشَّيْخُ، وَابْنُ أَسَلَمٍ^(٢). وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ فَأَمَّا فِي شَرِيعَتِنَا، فَيُكْرَهُ لِلصَّائِمِ صَمْتُ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَنْمِرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ٧٦ يَتَأَخَتَ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾، ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ، مِمَّنْ يَنْتَقِلُ عَنِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَنَّهُمْ لَمَّا افْتَقَدُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، ذَهَبُوا فِي طَلِبِهَا، فَمَرُّوا عَلَى مَحَلِّتِهَا وَالْأَنْوَارِ حَوْلَهَا، فَلَمَّا وَاجَهُوْهَا وَجَدُوا مَعَهَا وَلَدَهَا، فَقَالُوا لَهَا: ﴿يَنْمِرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أَي: أَمْرًا عَظِيمًا مُتَّكِرًا. وَفِي هَذَا الَّذِي قَالُوهُ نَظْرٌ، مَعَ أَنَّهُ كَلَامٌ يَنْقُضُ أَوَّلَهُ آخِرَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ ظَاهِرَ سِيَاقِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا حَمَلَتْ

(١ - ١) سقط من: ص. والحديث أخرجه ابن عدى، في الكامل ٦/٢٤٢٤، ٢٤٢٥.

(٢) في كتاب المجرحين ٣/٤٤.

(٣) تفسير الطبري ١٦/٧٤، ٧٥، ٧٦. والتفسير ٥/٢٢٠.

بِنَفْسِهَا ، وَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا وَهِيَ تَحْمِلُهُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(١) : وَذَلِكَ بَعْدَ مَا تَعَالَتْ ^(٢)
 مِنْ نَفَاسِهَا بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .

والمقصود أنهم لما رأوها تحمِلُ معها ولدها ﴿ قَالَوَا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ
 شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ ، والفريضة هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعالي والمقال . [١٦ /
 ٢٥٤] . ثُمَّ قَالُوا لَهَا : ﴿ يَتَأَخَتِ هَرُونَ ﴾ ﴿ قِيلَ : شَبَّهُوهَا بِعَابِدٍ مِنْ عِبَادِ
 زَمَانِهِمْ ، كَانَتْ تُسَامِيهِ فِي الْعِبَادَةِ ، وَكَانَ اسْمُهُ هَارُونَ ^(٣) . وَقِيلَ : شَبَّهُوهَا
 بِرَجُلٍ فَاجِرٍ فِي زَمَانِهِمْ ، اسْمُهُ هَارُونَ . قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ^(٤) . وَقِيلَ : أَرَادُوا
 بِهَارُونَ أَخَا مُوسَى ، شَبَّهُوهَا بِهِ فِي الْعِبَادَةِ ^(٥) . وَأَخْطَأَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ
 فِي زَعْمِهِ أَنَّهَا أُخْتُ مُوسَى وَهَارُونَ نَسَبًا ^(٦) ؛ فَإِنَّ بَيْنَهُمَا مِنَ الدَّهْرِ الطَّوِيلَةِ ، مَا
 لَا يَخْفَى عَلَى أُذُنِي مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَرُدُّهُ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ الْفَظِيعِ ، وَكَأَنَّهُ
 غَرَّهَ أَنَّ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ مَرْيَمَ أُخْتِ مُوسَى وَهَارُونَ ، ضَرَبَتْ بِالذَّفِّ يَوْمَ نَجَّى اللَّهُ
 مُوسَى وَقَوْمَهُ ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ ، فَاعْتَقَدَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ هَذِهِ ، وَهَذَا فِي غَايَةِ
 الْبُطْلَانِ وَالْمُخَالَفَةِ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ^(٧) مَعَ نَصِّ الْقُرْآنِ ^(٨) كَمَا قَرَّرْنَاهُ فِي
 «التفسير» ^(٩) مُطَوَّلًا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ ^(١٠) . وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ ^(١١) الدَّالُّ

(١) تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع ، من تراجم النساء ص ٣٦٤ . والدر المنثور ٤ / ٢٧٠ .

(٢) في م : «تعلت» . وفي ص : «يغالب» . وتعالَتْ : خرجت من نفاسها وطهرت .

(٣) تفسير الطبري ١٦ / ٧٧ . والتفسير ٥ / ٢٢١ .

(٤) التفسير ٥ / ٢٢١ . والدر المنثور ٤ / ٢٧٠ . وعزاه كلاهما لابن أبي حاتم .

(٥) تفسير الطبري ١٦ / ٧٨ . والدر المنثور ٤ / ٢٧٠ . وعزاه لابن أبي حاتم .

(٦) التفسير ٥ / ٢٢١ .

(٧) تقدم ص ١٢١ حاشية (٢) .

(٨ - ٩) سقط من : الأصل .

(٩) ٥ / ٢٢١ .

(١٠) هو المذكور بعد ، عن أحمد وغيره .

على أنه قد كان لها أتح اسمه هارون، وليس في ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها، ما يدل على أنها ليس لها أتح سواها. والله أعلم.

قال الإمام أحمد^(١): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ سَمِعْتُ أَبِي يَذْكُرُهُ عَنْ «سِمَاكِ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وائِلٍ، عَنِ الْمُغِيرَةَ^(٢) بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِلَى نَجْرَانَ، فَقَالُوا: أَرَأَيْتَ مَا تَقْرَأُونَ: ﴿يَتَأَخَتَ هَرُونَ﴾ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بَكْذَا وَكَذَا. قَالَ: فَزَجَعْتُ فذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَا أَحْبَبْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ». وكذا رواه مسلم، والنسائي، والترمذي^(٣)، من حديث عبد الله بن إدريس، وقال الترمذي: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِهِ. وفي رواية: «أَلَا أَحْبَبْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَسْمَاءِ صَالِحِيهِمْ وَأَنْبِيَائِهِمْ». وذكر قتادة وغيره^(٤) أنهم كانوا يُكْتَبُونَ مِنَ التَّسْمِيَةِ بِهَارُونَ، حتى قيل: إِنَّهُ حَصَرَ بَعْضَ جَنَائِزِهِمْ بِشَرِّ كَثِيرٍ مِنْهُمْ، مِمَّنْ يُسَمَّى بِهَارُونَ، أَرْبَعُونَ أَلْفًا. فالله أعلم.

والمقصود أنهم قالوا: ﴿يَتَأَخَتَ هَرُونَ﴾. ودل الحديث على أنها قد كان لها أتح نسبي^(٥) اسمه هارون، وكان مشهورًا بالدين والصلاح والخير؛ ولهذا قالوا: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ أي؛ لست من بيت هذا شيمتهم ولا سجيبتهم؛ لا أخوك ولا أمك ولا أبوك، فاتهموها

(١) المسند ٤/٢٥٢.

(٢) (٢ - ٢) في الأصل: «سماك بن علقمة بن المغيرة».

(٣) مسلم (٢١٣٥). النسائي (١١٣١٥). الترمذي (٣١٥٥). وانظر ما تقدم ص ١٢١.

(٤) تفسير الطبري ٧٧/١٦. والتفسير ٥/٢٢٢.

(٥) في الأصل: «نبي».

بِالْفَاحِشَةِ الْعُظْمَى، وَرَمَوْهَا بِالذَّاهِيَةِ الدُّهْيَاءِ، فَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَارِيخِهِ»^(١)
أَنَّهُمْ اتَّهَمُوا بِهَا زَكَرِيَّا، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، فَفَرَّ مِنْهُمْ، فَلَحِقُوهُ وَقَدْ انْشَقَّتْ لَهُ
الشَّجَرَةُ، فَدَخَلَهَا، وَأَمْسَكَ إِبْلِيسُ بِطَرْفِ رِدَائِهِ فَنَشَرُوهُ فِيهَا، كَمَا قَدَّمْنَا^(٢).
وَمِنَ الْمُنَافِقِينَ مَنْ اتَّهَمَهَا بِابْنِ خَالِهَا يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ النَّجَّارِ، فَلَمَّا ضَاقَ
الْحَالُ، وَانْحَصَرَ [٢٥٤/١ ظ] الْمَجَالُ وَامْتَنَعَ^(٣) الْمَقَالُ، عَظُمَ التَّوَكُّلُ عَلَى ذِي
الْجَلَالِ، وَلَمْ يَتَّقِ إِلَّا الْإِخْلَاصَ وَالِاتِّكَالَ ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴿ أَى؛ خَاطِبُوهُ
وَكَلِّمُوهُ؛ فَإِنَّ جَوَابَكُمْ عَلَيْهِ، وَمَا تَبْتُغُونَ مِنَ الْكَلَامِ لَدَيْهِ. فَعِنْدَهَا قَالَ^(٤) مَنْ
كَانَ مِنْهُمْ جَبَّارًا شَقِيًّا: ﴿ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿ أَى؛
كَيْفَ تُحِيلِنَنَا فِي الْجَوَابِ عَلَى صَبِيٍّ صَغِيرٍ لَا يَعْقِلُ الْخِطَابَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
رَضِيْعٌ فِي مَهْدِهِ، وَلَا يُبَيِّنُ بَيْنَ مَحْضٍ^(٥) وَزَيْدٍ، وَمَا هَذَا مِنْكَ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ
التَّهْكُمِ بِنَا وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَالتَّنْقِصِ لَنَا وَالِازْدِرَاءِ؛ إِذْ لَا تَرُدِّينَ عَلَيْنَا قَوْلًا نُطَقِيًّا،
بَلْ تُحِيلِينَ فِي الْجَوَابِ عَلَى مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، فَعِنْدَهَا ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ
ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿. هَذَا أَوَّلُ كَلَامِ تَفَوُّةٍ بِه عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَكَانَ أَوَّلُ
مَا تَكَلَّمَ بِه أَنْ ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴿ اعْتَرَفَ لِرَبِّهِ تَعَالَى بِالْعُبُودِيَّةِ، وَأَنَّ اللَّهَ
رَبُّهُ، فَتَرَى جَنَابَ اللَّهِ عَنِ قَوْلِ الظَّالِمِينَ، فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، بَلْ هُوَ عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ وَابْنُ أُمَّتِهِ، ثُمَّ بَرَأَ أُمَّهَ بِمَا نَسَبَهَا إِلَيْهِ الْجَاهِلُونَ، وَقَدَّفُوهَا بِه وَرَمَوْهَا

(١) تاريخ الطبرى ١/٦٠٠، ٦٠١.

(٢) انظر ما تقدم ص ٤٠٦.

(٣) فى الأصل: «واتسع».

(٤) فى م: «قالوا».

(٥) فى الأصل: «محض المحض». والمحض: اللبن الخالص الذى لم يخالطه ماء.

بِسَبِيهِ ، بقوله : ﴿ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ . فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعْطِي النَّبِيَّةَ مَنْ
هو كما زَعَمُوا ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَقَبِحَهُمْ ، كما قال تعالى ^(١) : ﴿ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ
عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٦] ، وذلك أَنَّ طائفةً من اليهود في ذلك
الزَّمانِ ، قالوا : إِنَّهَا حَمَلَتْ به مِن زَنِيِّ فِي زَمَنِ الْحَيْضِ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ . فَبَرَّأَهَا اللَّهُ
مِنَ ذَلِكَ ، وَأَخْبَرَ عَنْهَا أَنَّهَا صِدِّيقَةٌ ، وَاتَّخَذَ وَلَدَهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا ، أَحَدَ أَوْلَى الْعَزْمِ
الْخَمْسَةِ الْكِبَارِ ، ولهذا قال : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ وذلك أَنَّهُ
حَيْثُ كَانَ ، دَعَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهٗ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَنَزَّهَ جَنَابَهُ عَنِ النَّقْصِ
وَالْعَيْبِ ؛ مِنْ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ . ﴿ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ وهذه وَظِيفَةُ الْعَبِيدِ فِي الْقِيَامِ بِحَقِّ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ؛
بِالصَّلَاةِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلِيقَةِ بِالزَّكَاةِ ، وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى طَهَارَةِ النَّفْسِ مِنَ
الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ ، وَتَطْهِيرِ الْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ ، بِالْعَطِيَّةِ لِلْمَحَاوِجِ ، عَلَى اخْتِلَافِ
الْأَصْنَافِ ، وَقَرَى الْأَصْيَافِ ، وَالنَّفَقَاتِ عَلَى الزُّوجَاتِ ، وَالْأَرْقَاءِ ، وَالقَرَابَاتِ ،
وَسَائِرِ وُجُوهِ الطَّاعَاتِ ، وَأَنْوَاعِ القُرْبَاتِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أَي ؛ وَجَعَلَنِي بَرًّا بِوَالِدَتِي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَأَكَّدَ حَقُّهَا عَلَيْهِ ،
لِتَمَحُّضِ جِهَتِهَا ، إِذْ لَا وَالِدَ لَهُ سِوَاهَا ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلِيقَةَ وَبَرَّأَهَا ،
وَأَعْطَى كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا . ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [٢٥٥/١] أَي ؛
لَسْتُ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا يَضْدُرُّ مِنِّي قَوْلٌ وَلَا فِعْلٌ يُنَافِي أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ .
﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ، وهذه الْمَوَاطِنُ
الثَّلَاثَةُ الَّتِي تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي قِصَّةِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، ثُمَّ لَمَّا
ذَكَرَ تَعَالَى قِصَّتَهُ عَلَى الْجَلِيلَةِ ، وَبَيَّنَّ أَمْرَهُ وَوَضَّحَهُ وَشَرَّحَهُ ، قَالَ : ﴿ ذَلِكَ

(١) التفسير ٣٩٩/٢ .

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٢٥﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ
 وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٦﴾ كما قال تعالى بعد ذِكْرِ
 قِصَّتِهِ، وما كان من أمره في آلِ عِمْرَانَ: ﴿ ذَلِكِ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ
 وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ
 قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ
 وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا
 لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿ [آل عمران: ٥٨ - ٦٣] . ولهذا لما قَدِمَ وَقَدْ
 نَجْرَانُ، وكانوا سِتِّينَ رَاكِبًا، يَزِجُ أَمْزُهُمْ إِلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ مِنْهُمْ، وَيُؤْوِلُ أَمْرُ
 الْجَمِيعِ إِلَى ثَلَاثَةِ، هُمْ أَشْرَافُهُمْ وَسَادَاتُهُمْ، وَهُمْ؛ الْعَاقِبُ، وَالسَّيِّدُ، وَأَبُو حَارِثَةَ
 ابْنُ عُلْقَمَةَ، فَجَعَلُوا يُنَاطِرُونَ فِي أَمْرِ الْمَسِيحِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ صَدْرَ سُورَةِ «آلِ
 عِمْرَانَ» فِي ذَلِكَ، وَبَيَّنَّ أَمْرَ الْمَسِيحِ، وَابْتِدَاءَ خَلْقِهِ وَخَلْقِ أُمِّهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَمْرَ
 رَسُولِهِ بِأَنْ يُبَاهِلَهُمْ إِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ وَيَتَّبِعُوهُ ^(١)، فَلَمَّا رَأَوْا عَيْنَيْهَا، وَأُذُنَيْهَا،
 نَكَلُوا وَنَكَصُوا، وَامْتَنَعُوا عَنِ الْمُبَاهَلَةِ، وَعَدَلُوا إِلَى الْمُسَالَمَةِ وَالْمُوَادَعَةِ، وَقَالَ
 قَائِلُهُمْ، وَهُوَ الْعَاقِبُ عَبْدُ الْمَسِيحِ: يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى، لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا
 لَنَبِيِّ مُرْسَلٍ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَضْلِ مِنْ خَيْرِ صَاحِبِكُمْ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَا لَاعَنَ
 قَوْمٌ نَبِيًّا قَطُّ، فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ، وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ، وَإِنَّهَا لِلْإِسْتِصْالِ مِنْكُمْ إِنْ
 فَعَلْتُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ آبَيْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ

(١) فِي ح: «وَيَتَّبِعُوهُ».

في صاحبكم، فوادِعُوا الرَّجُلَ وَاَنْصَرِفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ . فَطَلَبُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَضْرِبَ عَلَيْهِمْ جَزِيَّةً، وَأَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ رَجُلًا أَمِينًا، فَبَعَثَ مَعَهُمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ «آلِ عِمْرَانَ» (١)، وَسَيَأْتِي بِسَطْرُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَبِهِ التَّقَى .

والمقصود، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا (٢) بَيَّنَّ أَمْرَ الْمَسِيحِ، قَالَ لِرَسُولِهِ: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يَغْنَى مِنْ أَنَّهُ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ مِنْ امْرَأَةٍ [٢٥٥/١] مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أَي؛ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَكْرَهُهُ (٣) وَلَا يَوْرُدُهُ، (٤) بَلْ هُوَ الْقَدِيرُ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ. ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ . هُوَ مِنْ تَمَامِ كَلَامِ عِيسَى لَهُمْ فِي الْمَهْدِ، أَحْبَبَهُمْ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ وَرَبُّهُمْ وَالْهَهُ وَالْهَهُمْ، وَأَنَّ هَذَا هُوَ الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أَي؛ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ فِيهِ، فَمِنْ قَائِلٍ مِنَ الْيَهُودِ: إِنَّهُ وَلَدٌ زَنْيَةٌ. وَاسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَقَابَلَهُمْ آخَرُونَ فِي الْكُفْرِ، فَقَالُوا: هُوَ اللَّهُ. وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ ابْنُ اللَّهِ. وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ:

(١) التفسير ٣٨/٢ - ٤٥ .

(٢) سقط من: ح، م .

(٣) في ح، م: «يكرهه» .

(٤) سقط من: الأصل .

هو عبدُ الله ورسولُه، وابنُ أمِّته، وكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مريمَ، وروحُ منه . وهؤلاء هم النَّاجون المُنابِئون، المُوَيَّدون المُنصُورون، ومَن خالفهم في شَيْءٍ من هذه القُيُود، فهم الكافِرُونَ الظَّالِمُونَ الضَّالُّون الجاهِلُونَ، وقد تَوَعَّدَهم العليُّ العَظيمُ الحَكِيمُ العَليمُ، بقولِه: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

قال البخاريُّ^(١): حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ، أَنبَأَنَا الْوَلِيدُ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِيٍّ، حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ ». قال الوليدُ: فحدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ، عن عُمَيْرٍ، عن جُنَادَةَ، وَزَادَ: « مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيُّهَا سَاءَ »^(٢). وقد رواه مسلمٌ^(٣) عن داودَ بنِ رُشَيْدٍ، عن الوليدِ، عن ابنِ^(٤) جابرٍ^(٥) به، ومن طريقِ أُخْرَى عن الْأَوْزَاعِيِّ^(٦)

بِهِ .

(١) البخاري (٣٤٣٥) .

(٢) انظر الفتح ٦/٤٧٥ .

(٣) مسلم (٢٨) .

(٤) سقط من : م .

(٥) سقط من : الأصل .

بَابُ بَيَانِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى

مَنْزَرَةٌ عَنِ الْوَالِدِ

قال تعالى في آخر هذه السورة^(١): ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ ﴾ [مریم: ۸۸، ۸۹]. أى؛ شيئًا عظيمًا، ومُتَكَبِّرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا. ﴿ نَكَادُ السَّمَوَاتِ يَنْقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنشُقُّ الْأَرْضُ وَنَخِرُّ لِلْجِبَالِ هَدًّا ۗ ﴾ ﴿ ٩١ ۗ ﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿ ٩١ ۗ ﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿ ٩٢ ۗ ﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿ ٩٣ ۗ ﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿ ٩٤ ۗ ﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿ ٩٥ ۗ ﴾ [مریم: ۹۰-۹۵]. فَيَبِينُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْبَغِي لَهُ الْوَلَدُ؛ لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، خَاضِعٌ ذَلِيلٌ لَدَيْهِ، وَجَمِيعُ سُكَّانِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عِبِيدُهُ، وَهُوَ رَبُّهُمْ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَا رَبٌّ سِوَاهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ ٧٧ ۗ ﴾: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ سُبْحَانَهُ ۗ [٢٥٦/١] وَتَعَلَّى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿ ١٥٥ ۗ ﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ ١٥٦ ۗ ﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿ ١٥٧ ۗ ﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿ [الأنعام: ١٠٠-١٠٣]. فَيَبِينُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ

(١) التفسير ٥/ ٢٦١.

(٢) التفسير ٥/ ٢٦١، ٢٦٢.

(٣) التفسير ٣/ ٣٠٠-٣٠٥.

شَيْءٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وُلْدٌ، وَالْوَلَدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ شَيْعَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ! وَاللَّهُ تَعَالَى لَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا عَدِيلَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، فَلَا يَكُونُ لَهُ وُلْدٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى^(١): ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

فَتَقَرَّرَ أَنَّهُ «الْأَحَدُ» الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ ﴿الصَّمَدُ﴾ وَهُوَ السَّيِّدُ الَّذِي كَمَّلَ فِي عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ. ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أَي؛ لَمْ يُوْجَدْ مِنْهُ وُلْدٌ. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أَي؛ وَلَمْ يَتَوْلَدْ عَنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أَي؛ وَلَيْسَ لَهُ عِدْلٌ وَلَا مُكَافِئٌ وَلَا مُسَاوٍ، فَقَطَعَ النَّظِيرَ الْمُدَانِيَّ وَالْأَعْلَى وَالْمُسَاوِيَّ؛ فَانْتَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ وُلْدٌ، إِذْ لَا يَكُونُ الْوَلَدُ إِلَّا مُتَوْلِدًا بَيْنَ شَيْعَيْنِ مُتَعَادِلَيْنِ أَوْ مُتَقَارِبَيْنِ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلوًّا كَبِيرًا.

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ^(٢): ﴿يَتَّهَلَّ الْكِتَابُ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۗ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۗ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۗ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۗ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ ۗ وَيَسْتَكْبِرْ ۗ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ فَيَرْفَعُهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا ۗ وَسْتَكَبَرُوا

(١) التفسير ٨/ ٥٣٨ - ٥٤٨.

(٢) التفسير ٢/ ٤٣٠ - ٤٣٣.

فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿

[النساء: ١٧١ - ١٧٣]. يَنْهَى تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ وَمَنْ شَابَهُمْ، عَنِ الْغُلُوِّ وَالإِطْرَاءِ فِي الدِّينِ، وَهُوَ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ؛ فَالنَّصَارَى - لَعَنَهُمُ اللَّهُ - غَلَوْا وَأَطْرَوْا الْمَسِيحَ حَتَّى جَاوَزُوا الْحَدَّ، فَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقِدُوا أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَابْنُ أُمَّتِهِ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا، فَبَعَثَ اللَّهُ الْمَلَكَ جِبْرِيْلَ إِلَيْهَا، فَتَفَخَّ فِيهَا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ نَفْحَةً حَمَلَتْ مِنْهَا بَوْلِدَهَا عَيْسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالَّذِي اتَّصَلَ بِهَا مِنَ الْمَلِكِ هِيَ الرُّوحُ الْمَضَافَةُ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةً تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا يُقَالُ: بَيْتُ اللَّهِ، وَنَاقَةُ اللَّهِ، وَعَبْدُ اللَّهِ. وَكَذَا: رُوحُ اللَّهِ، أُضِيفَتْ إِلَيْهِ تَشْرِيفًا لَهَا وَتَكْرِيمًا، وَسُمِّيَ عَيْسَى بِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَبِي، وَهِيَ الْكَلِمَةُ أَيْضًا الَّتِي [٢٥٦/١ ط] عَنْهَا خُلِقَ، وَبَسَّبَهَا وَجَدَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ^(١): ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. وَقَالَ تَعَالَى ^(٢): ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهٍ فَنَدِينُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٦، ١١٧]. وَقَالَ تَعَالَى ^(٣): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]. فَأُخْبِرَ تَعَالَى أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، عَلَيْهِمُ لَعَائِنُ اللَّهِ، كُلٌّ مِنْ

(١) التفسير ٤٠/٢.

(٢) التفسير ٢٣٠/١ - ٢٣٢.

(٣) التفسير ٧٦/٤، ٧٧.

الفريقين ادعوا على الله شططا، وزعموا ان له ولدا، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه، ولا فيما اتفقوه، إلا مجرد القول ومثابته من سبهم إلى هذه المقالة الضالة، تشابهت قلوبهم، وذلك أن الفلاسفة - عليهم لعنة الله - زعموا أن العقل الأول صدر عن واجب الوجود، الذي يعبرون عنه بعلة العليل، والمبدأ الأول، وأنه صدر عن العقل الأول عقل ثان، ونفس فلك، ثم صدر عن الثاني كذلك، حتى تناهت العقول إلى عشرة، والثفوس إلى تسعة، والأفلاك إلى تسعة^(١)، باغتيارات فاسدة ذكرها، واختيارات باردة أوردوها، وليشط الكلام معهم، وبيان جهلهم وقلة عقلهم، موضع آخر. وهكذا طوائف من مشركي العرب؛ زعموا لجهلهم، أن الملائكة بنات الله، وأنه صاهر سرات الجن، فتولد منهما الملائكة، تعالى الله عما يقولون، وتنزه عما يُشركون، كما قال تعالى^(٢): ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩]. وقال تعالى^(٣): ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿ ١٥٠ ﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنَ الْإِنْفِكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿ ١٥١ ﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿ ١٥٢ ﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿ ١٥٣ ﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ ١٥٤ ﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿ ١٥٥ ﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿ ١٥٦ ﴾ فَأَتُوا بِكِنَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ ١٥٧ ﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿ ١٥٨ ﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿ ١٥٩ ﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ﴿ [الصافات: ١٤٩ - ١٦٠].

(١) في الأصل: «سبعة».

(٢) التفسير ٧/٢١٠.

(٣) التفسير ٧/٣٦، ٣٧.

وقال تعالى^(١): ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُۥٓ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٦٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِّنْ دُونِهِۦ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّٰلِمِينَ ﴿﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩]. وقال تعالى في أوّل سورة «الكهف»^(٢)، وهى مكّيّة: ﴿ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتٰبَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُۥ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيَمًا يَتَذَكَّرُ أَسَآءًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُنشِرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّٰلِحٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَلَٰئِكِينَ فِيهِۦ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿﴾ [الكهف: ١ - ٥]. وقال تعالى^(٣): ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُۥٓ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٦٧﴾ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَنْتَقُولُ عَلٰى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنكُم مِّنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿﴾ [يونس: ٦٨ - ٧٠]. فهذه الآيات المكيّات الكريّمات تشتمل الرّد على سائر فرق الكفّرة؛ من الفلاسفة ومشركي العرب واليهود والنصارى، الذين ادّعوا وزعموا بلا علم، أنّ لله ولدا، سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا. ولما كانت النصارى، عليهم لعائن الله المتتابعّة إلى يوم القيامة، من أشهر

(١) التفسير ٣٣١/٥.

(٢) التفسير ١٣٢/٥، ١٣٣.

(٣) التفسير ٢١٧/٤، ٢١٨.

مَنْ قَالَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ، ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا؛ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَبَيَانِ تَنَاقُضِهِمْ، وَقَلَّةِ
 عِلْمِهِمْ، وَكَثْرَةِ جَهْلِهِمْ، وَقَدْ تَنَوَّعَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي كُفْرِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْبَاطِلَ
 كَثِيرُ التَّشْعُبِ وَالِاخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ، وَأَمَّا الْحَقُّ فَلَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَضْطَرِبُ، قَالَ
 اللَّهُ تَعَالَى ^(١): ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾
 [النساء: ٨٢]. فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ يَتَّحِدُ وَيَتَّفِقُ، وَالْبَاطِلُ يَخْتَلِفُ وَيَضْطَرِبُ.
 فَطَائِفَةٌ مِنْ ضُلَّالِهِمْ وَجُهَّالِهِمْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ. تَعَالَى اللَّهُ، وَطَائِفَةٌ
 قَالُوا: هُوَ ابْنُ اللَّهِ، عَزَّ اللَّهُ. وَطَائِفَةٌ قَالُوا: هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ. جَلَّ اللَّهُ. قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ «الْمَائِدَةِ» ^(٢): ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
 الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ
 الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
 [المائدة: ١٧]. فَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ كُفْرِهِمْ وَجَهْلِهِمْ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ، الْمُتَصَرِّفُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَالْهَهُ. وَقَالَ
 فِي أَوَّحِيهَا ^(٣): ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
 وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مَن يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ فَقَدْ
 حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ
 كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِن
 لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا

(١) التفسير ٣٢٠/٢، ٣٢١.

(٢) التفسير ٦٣/٣، ٦٤.

(٣) التفسير ١٤٨/٣ - ١٥٠.

يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ مِنَ الطَّعَامِ أَنْظَرَ كَيْفَ نَبِّئْتِ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرَ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿ [المائدة: ٧٢ - ٧٥]. حَكَمَ تَعَالَى بِكُفْرِهِمْ شَرْعًا وَقَدَرًا، وَأَخْبَرَ [٢٥٧/١ظ] أَنَّ هَذَا صَدَرَ مِنْهُمْ، مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، قَدْ يَبِّئُ لَهُمْ أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ مَخْلُوقٌ، مُصَوَّرٌ فِي الرَّجْمِ، دَاعٍ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَخَدَهَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ بِالنَّارِ، وَعَدَمِ الْفَوْزِ بِدَارِ الْقَرَارِ، وَالْحَزْبِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَالْهَوَانِ وَالْعَارِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ إِنَّهُمْ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ابْنَ اللَّهِ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ ﴾. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَغَيْرُهُ ^(١): الْمُرَادُ ^(٢) بِذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِالْأَقَانِيمِ ^(٣) الثَّلَاثَةِ؛ أَقْنُومُ الْأَبِ، وَأَقْنُومُ الْإِبْنِ، وَأَقْنُومُ الْكَلِمَةِ الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْأَبِ إِلَى الْإِبْنِ، عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي ذَلِكَ مَا بَيْنَ الْمَلَكِيَّةِ ^(٤) وَالْبَيْعُوتِيَّةِ وَالنَّسْطُورِيَّةِ، عَلَيْهِمْ لِعَائِنُ اللَّهِ، كَمَا سَبَّيْنُ كَيْفِيَّةَ اخْتِلَافِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَمَجَامِعَهُمُ الثَّلَاثَةَ فِي زَمَنِ قُسْطَنْطِينِ ^(٥) بْنِ قُسْطَسَ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْمَسِيحِ بِثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، وَقَبْلَ الْبَغْتَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ ﴾ أَى؛ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَهَ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا كُفَّءَ لَهُ، وَلَا

(١) تفسير الطبري ٣١٣/٦. وانظر تفسير القرطبي ٢٤٩/٦.

(٢) (٢ - ٢) فِي ص: «بَتَلِك».

(٣) فِي ح: «الْمَلِيكَةُ».

(٤) (٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلُ.

(٥) فِي ح: «مَنْ».

صاحبة له ولا ولد، ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ وَتَهَدَّدَهُمْ، فقال: ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . ثم دعاهم برحمته ولطفه إلى التوبة والاستغفار، من هذه الأمور الكبار والعظائم التي تُوجِبُ النَّارَ، فقال: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ثم بينَ حالَ المسيحِ وأُمِّه، وأَنَّهُ عَبْدٌ رَسُولٌ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ؛ أَيْ لَيْسَتْ بِفَاجِرَةٍ، كما يقوله اليهودُ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ. وفيه دليلٌ على أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَبِيَّةٍ، كما زَعَمَهُ طائفةٌ من علمائنا^(١). وقوله: ﴿ كَأَنَّا يَاكِلَانِ الظُّلُمَاتِ ﴾ كِنَايَةٌ عن خُرُوجِهِ مِنْهُمَا، كما يَخْرُجُ من غَيْرِهِمَا^(٢)، أَيْ؛ وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، كيف يَكُونُ إِلَهًا؟ تعالى اللَّهُ عن قولهم وجَهِلهم غُلُوبًا كَبِيرًا. وقال السُّدِّيُّ وغيره^(٣): المرادُ بقوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ زَعْمُهُمْ في عيسى وأُمِّه أَنَّهُمَا إِلَهَانِ مع اللَّهِ؛ يَعْنِي كما بينَ تعالى كُفْرَهُمْ في ذلك، بقوله في آخِرِ هذه السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ^(٤): ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تَعَدَّيْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٧/٣ - ١٩. وتفسير القرطبي ٨٣/٤، ٨٤.

(٢) في ص: «غيرها».

(٣) تفسير الطبري ٣١٤/٦. والتفسير ١٤٩/٣. والدر المنثور ٣٠٠/٢ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) التفسير ٢٢٦/٣ - ٢٣٠.

تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [المائدة: ١١٦ - ١١٨] . يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ
يَسْأَلُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ [٢٥٨/١] يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عَلَى سَبِيلِ الْإِكْرَامِ لَهُ ، وَالتَّقْرِيعِ
وَالْتَوْبِيخِ لِعَابِدِيهِ ، مِمَّنْ كَذَبَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى ، وَزَعَمَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ ، أَوْ أَنَّهُ اللَّهُ ، أَوْ
أَنَّهُ شَرِيكُهُ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ ، فَيَسْأَلُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ مَا يَسْأَلُهُ
عَنْهُ ، وَلَكِنْ لَتَوْبِيخٍ مِّنْ كَذَبٍ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ لَهُ : ﴿ مَا أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنْتَ وَرَبِّي
وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴿ أَى ؛ تَعَالَيْتَ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ
شَرِيكٌ . ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴿ أَى ؛ لَيْسَ هَذَا يَسْتَحِقُّهُ
أَحَدٌ سِوَاكَ . ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿ . وَهَذَا تَأْدِيبٌ عَظِيمٌ فِي الْخِطَابِ وَالْجَوَابِ .
﴿ مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ حِينَ أُرْسِلْتَنِي إِلَيْهِمْ ، وَأُنزِلْتَ عَلَيَّ الْكِتَابَ
الَّذِي كَانَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ فَسَّرَ^(١) مَا قَالَ لَهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ ﴾ أَى ؛ خَالِقِي وَخَالِقِكُمْ ، وَرَازِقِي وَرَازِقِكُمْ . ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا
مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ أَى ؛ رَفَعْتَنِي إِلَيْكَ حِينَ أَرَادُوا قَتْلِي وَصَلْبِي ،
فَرَحِمْتَنِي وَخَلَّصْتَنِي مِنْهُمْ ، وَأَلْقَيْتَ شَيْبِي عَلَى أَحْدِهِمْ ، حَتَّى انْتَقَمُوا مِنْهُ ،
فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ . ﴿ كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿
ثُمَّ قَالَ عَلَى وَجْهِ التَّقْوِيضِ إِلَى الرَّبِّ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَالتَّبَرُّيِّ مِنْ أَهْلِ
النُّصْرَانِيَّةِ : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ ﴾ أَى ؛ وَهُمْ يَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ^(٢) .
﴿ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، وَهَذَا التَّقْوِيضُ وَالْإِسْنَادُ إِلَى
الْمَشِيئَةِ بِالشَّرْطِ ، لَا يَقْتَضِي وَفُورَ ذَلِكَ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

(١) فِي ح : « قَرَأَ » .

(٢) فِي ح : « لِذَلِكَ » .

الْحَكِيمُ ﴿ ولم يقل: الغفور الرحيم.

وقد ذكرنا في «التفسير»^(١)، ما رواه الإمام أحمد^(٢)، عن أبي ذر، أن رسول الله ﷺ، قام بهذه الآية الكريمة^(٣) ليلة حتى أصبح: ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٤). وقال: «إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الشُّفَاعَةَ لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِيهَا، وَهِيَ نَائِلَةٌ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا». وقال تعالى^(٥): ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادِنَا لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿٨﴾ وَلَمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٦ - ٢٠]. وقال تعالى^(٥): ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [الزمر: ٤، ٥]. وقال تعالى^(١): ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الزخرف: ٨١، ٨٢]. وقال

(١) التفسير ٣/ ٢٢٩.

(٢) في المسند ٥/ ١٤٩.

(٣) ٣ - سقط من: ص.

(٤) التفسير ٥/ ٣٢٨ - ٣٣٠.

(٥) التفسير ٧/ ٧٥، ٧٦.

(٦) التفسير ٧/ ٢٢٨، ٢٢٩.

تعالى^(١): ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكًا فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيًّا مِنَ الدَّلِّ وَكَرِهَةً تَكْثِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١]. وقال تعالى^(٢): ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوًا أَحَدًا ﴾ . وَتَبَّتْ فِي «الصَّحِيحِ»^(٣) عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : سَتَمَنَى ابْنُ آدَمَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ؛ يَزْعُمُ أَنَّ لِي وَلَدًا ، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدًا » . وَفِي «الصَّحِيحِ» أَيضًا^(٤) عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : « لَا أَحَدَ أَصْبِرُ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ ؛ إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا ، وَهُوَ يَزُوقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ » . وَلَكِنْ تَبَّتْ فِي «الصَّحِيحِ» أَيضًا^(٥) ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ لَيُعْلَى لِلظَّالِمِ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] . وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتَهَا وَإِلَىٰ الْأَمْصِيرِ ﴾ [الحج: ٤٨] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ نَمْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٤] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ (٦٩) مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس: ٦٩ ، ٧٠] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِيًّا ﴾ [الطارق: ١٧] .

(١) التفسير ١٢٨/٥ ، ١٢٩ .

(٢) التفسير ٥٣٨/٨ - ٥٤٨ .

(٣) البخارى (٤٩٧٤ ، ٤٩٧٥) .

(٤) البخارى (٦٠٩٩ ، ٧٣٧٨) . مسلم (٢٨٠٤) .

(٥) البخارى (٤٦٨٦) واللفظ له . مسلم (٢٥٨٣) .

ذِكْرُ^(١) مَنْشَأِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ،

عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَبَيَانُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَيْهِ

مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

قد تقدّم^(٢) أنّه وُلِدَ بَيْتِ لَحْمٍ، قَرِيْبًا^(٣) مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَزَعَمَ وَهْبُ بْنُ مُتَيْبٍ أَنَّهُ وُلِدَ بِمَصْرَ، وَأَنَّ مَرْيَمَ سَافَرَتْ هِيَ وَيُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ النَّجَّازَ، وَهِيَ رَاكِبَةٌ عَلَى حِمَارٍ. لَيْسَ بَيْنَهُمَا^(٤) وَبَيْنَ الْإِكَافِ^(٥) شَيْءٌ. وَهَذَا لَا يَصِحُّ، وَالْحَدِيثُ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ^(٦) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَوْلَدَهُ كَانَ بَيْتِ لَحْمٍ، كَمَا ذَكَرْنَا، وَمَهْمَا عَارَضَهُ فَبَاطِلٌ.

وَذَكَرَ وَهْبُ بْنُ مُتَيْبٍ^(٧)، أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ خَرَّتِ الْأَصْنَامُ يَوْمَئِذٍ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ حَارَتْ فِي سَبَبِ ذَلِكَ، حَتَّى كَشَفَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْكَبِيرُ أَمْرَ عِيسَى، فَوَجَدَهُ فِي جَبْرِ أُمِّهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مُخَدِّقَةٌ بِهِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ نَجْمٌ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ مَلِكَ الْفُرْسِ أَشْفَقَ مِنْ ظُهُورِهِ، فَسَأَلَ الْكَهَنَةَ عَنْ

(١) سقط من: م.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٤٤.

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) في م: «بينهما».

(٥) الإكاف: برذعة الحمار.

(٦) تقدم ص ٤٤٤.

(٧) تاريخ الطبري ٥٩٤/١ - ٥٩٨.

ذلك فقالوا: هذا مولد^(١) عظيم في الأرض. فبعث رُسُلَهُ ومعهم ذَهَبٌ ومُرٌّ ولبانٌ، هديةً إلى عيسى، فلمَّا قَدِمُوا الشَّامَ سَأَلَهُمْ مَلِكُهَا عَمَّا أَقَدَمَهُمْ، فَذَكَرُوا له ذلك، فسأل عن ذلك الوقت، فإذا قد وُلِدَ فيه عيسى ابنُ مريمَ ببيتِ [١ / ٢٥٩] المقدس، واشتهر أمرُهُ بسببِ كَلَامِهِ في المهدِ، فأرسلَهُم إليه بما معهم، وأرسلَ معهم مَنْ يَعرِفُهُ له؛ لِيَتَوَصَّلَ إلى قَتْلِهِ إذا انصرفوا عنه، فلمَّا وصلوا إلى مريمَ بالهدايا ورجعوا، قيل لها: إنَّ رُسُلَ مَلِكِ^(٢) الشَّامِ إِنَّمَا جَاءُوا لِيَقْتُلُوا وَلَدَكَ. فاحتملته، فذهبت به إلى مِصْرَ، فأقامت بها حتى بَلَغَ عُمرُهُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وظَهَرَت عليه كراماتٌ ومُعْجَزَاتٌ في حالِ صِغَرِهِ، فَذَكَرَ منها، أَنَّ الدُّهْقَانَ الذي نَزَلُوا عنده افتقدَ مَالًا من دارِهِ، وكانت دارُهُ «لا يسكنها إِلَّا»^(٣) الفقراءُ والضعفاءُ والمحايِجُ، فلم يَدِرْ مَنْ أَخَذَهُ، وعزَّ ذلك على مريمَ، عليها السَّلامُ، وشقَّ على الناسِ وعلى رَبِّ المنزلِ، وأغياهُم أمرُها، فلمَّا رأى عيسى، عليه السَّلامُ، ذلك، عمَدَ إلى رَجُلٍ أَعْمَى، وآخَرَ مُقْعَدٍ من جملةِ مَنْ هو منقطعٌ إليه، فقال للأعمى: احملْ هذا المُقْعَدَ وانهضْ به. فقال: إني لا أستطيعُ ذلك. فقال: بلى، كما فعلت أنت وهو حينَ أخذتُما هذا المَالَ من تلك الكُورَةِ من الدَّارِ. فلمَّا قال ذلك، صدَّقاه فيما قال، وأتيا بالمالِ، فَعَظُمَ عيسى في أعينِ النَّاسِ وهو صغيرٌ جدًا.

ومن ذلك، أَنَّ ابنَ الدُّهْقَانِ عَمِلَ ضِيافَةً للناسِ؛ بسببِ طُهورِ أَوْلَادِهِ، فلمَّا اجتمعَ النَّاسُ وأطعمَهُم، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَشَقِيَهُمْ شَرَابًا، يَغْنَى خمرًا، كما

(١) في الأصل، ص: «لموعد».

(٢) سقط من: ص.

(٣ - ٣) في ص: «إلى».

كانوا يَصْنَعُونَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، لَمْ يَجِدْ فِي جِرَارِهِ شَيْئًا ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى عَيْسَى ذَلِكَ مِنْهُ قَامَ فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى تِلْكَ الْجِرَارِ وَيُمِرُّ يَدَهُ عَلَى أَقْوَاهِهَا ، فَلَا يَفْعَلُ بِحِزَّةٍ مِنْهَا ذَلِكَ إِلَّا امْتَلَأَتْ شَرَابًا مِنْ خِيَارِ الشَّرَابِ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ جِدًّا ، وَعَظَّمُوهُ وَعَرَّضُوا عَلَيْهِ وَعَلَى أُمِّهِ مَالًا عَظِيمًا جَزِيلاً ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ ، وَارْتَجَلَا قَاصِدَيْنِ بِلَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقال إسحاق بن بشر^(١) : أَنبَأَنَا عَثْمَانُ بْنُ السَّاجِ وَغَيْرُهُ ، عَنْ مُوسَى بْنِ وَرْدَانَ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، وَعَنْ مَكْحُولٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : إِنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَوَّلَ مَا أَطْلَقَ اللَّهُ لِسَانَهُ ، بَعْدَ الْكَلَامِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ وَهُوَ طِفْلٌ ، فَمَجَّدَ اللَّهُ تَمَجِيدًا لَمْ تَسْمَعْ الْأَذَانُ بِمِثْلِهِ ، لَمْ يَدْعُ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا جَبَلًا وَلَا نَهْرًا وَلَا عَيْنًا إِلَّا ذَكَرَهُ فِي تَمَجِيدِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ الْقَرِيبُ فِي غُلُوكَ ، الْمُتَعَالَى فِي ذُنُوكَ ، الرَّفِيعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقْتَ سَبْعًا فِي الْهَوَاءِ بِكَلِمَاتِكَ ، مُسْتَوِيَاتٍ طِبَاقًا ، أَجْبَنَ وَهْنٌ دُخَانٌ مِنْ فَرَقِكَ ، فَآتَيْنَ طَائِعَاتٍ لِأَمْرِكَ ، فِيهِنَّ مَلَائِكَتُكَ يُسَبِّحُونَ قُدْسَكَ لِتَقْدِيسِكَ ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ نُورًا [٢٥٩/١ ط] عَلَى سَوَادِ الظُّلَامِ ، وَضِيَاءً مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ الرَّعْدَ الْمَسِيحَ بِالْحَمْدِ ، فَبِعِزَّتِكَ تَجَلَّوْا ضَوْءَ ظُلْمَتِكَ ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ مَصَابِيحَ يَهْتَدِي بِهِنَّ فِي الظُّلُمَاتِ الْحَيْرَانِ ، فَتَبَارَكْتَ اللَّهُمَّ فِي مَقْطُورِ سَمَاوَاتِكَ ، وَفِيمَا دَخَوْتَ مِنْ أَرْضِكَ ، دَخَوْتَهَا عَلَى الْمَاءِ ، فَسَمَكْتَهَا^(٢)

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٠/١٤ ، ٤١ مخطوط ، من طريق إسحاق بن بشر به .
(٢) في الأصل : « فسماكها » .

على تيارِ الموجِ المتغامِرِ^(١) فأذَلَّتْهَا إِذْ لَالَ^(٢) الْمَاءِ الْمُتَطَاهِرِ^(٣) ، فَذَلَّ لَطَاعَتِكَ صَغْبُهَا ،
 واستحى لأمرِكَ أمرُها ، وَخَضَعَتْ لِعِزَّتِكَ أمواجُها ، فَفَجَزَتْ فِيهَا بَعْدَ الْبَحُورِ
 الأنهارَ ، وَمِنْ بَعْدِ الْأَنْهَارِ الْجُدَاوِلَ الصَّغَارَ ، وَمِنْ بَعْدِ الْجُدَاوِلِ يَنَابِيعَ الْعِيُونِ
 الْغِزَارَ ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ مِنْهَا الْأَنْهَارَ وَالْأَشْجَارَ وَالشَّمَارَ ، ثُمَّ جَعَلَتْ^(٤) عَلَى ظَهْرِهَا
 الْجِبَالَ فَوَتَّدَتْهَا أَوْ تَادَا عَلَى ظَهْرِ الْمَاءِ ، فَأَطَاعَتْ أَطْوَادُهَا وَجُلْمُودُهَا ، فَتَبَارَكْتَ
 اللَّهُمَّ ، فَمَنْ يَبْلُغُ بِنِعْمَتِهِ نِعْمَتَكَ ؟ أَمْ مَنْ يَبْلُغُ بِصِفَتِهِ صِفَتَكَ ؟ تَنْشُرُ السَّحَابَ ،
 وَتَفُكُّ الرِّقَابَ ، وَتَقْضِي الْحَقَّ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ،
 أَمَرَتْ أَنْ نَسْتَغْفِرَكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ،^(٥) سَتَرَتْ
 السَّمَاوَاتِ^(٦) عَنِ النَّاسِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، إِنَّمَا يَخْشَاكَ^(٧) مِنْ عِبَادِكَ
 الْأَكْيَاسُ ، نَشْهَدُ أَنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهٍ اسْتَحْدَثْنَاكَ ، وَلَا رَبٌّ يَبِيدُ ذِكْرَهُ ، وَلَا كَانَ
 مَعَكَ شُرَكَاءُ^(٨) يَقْضُونَ مَعَكَ^(٩) فَنَدْعُوهُمْ وَنَذْرَكَ^(١٠) ، وَلَا أَعَانَكَ عَلَى خَلْقِنَا أَحَدٌ
 فَتَشْكُ فِيكَ ، نَشْهَدُ أَنَّكَ أَحَدٌ صَمَدٌ ، لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُوَلَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ .

وقال إسحاق بن بشر^(٨) ، عن جُوَيْرِ^(٩) ومقاتيل ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ
 عباس : إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَمْسَكَ عَنِ الْكَلَامِ بَعْدَ إِذْ كَلَّمَهُمْ طِفْلاً ، حَتَّى بَلَغَ

(١) فى ح ، م : « الغامر » .

(٢ - ٣) فى ح ، م : « المتطاهر » .

(٤) فى ص : « خلقت » .

(٥ - ٦) فى ح : « استترت بالسموات » .

(٧) فى م : « يغشاك » .

(٨ - ٩) سقط من : م ، ص .

(١٠) فى م : « نذرك » .

(٨) المصدر السابق ٤٠/١٤ ، من طريق إسحاق .

(٩) سقط من : ص . وفى الأصل : « جرير » .

ما يَتَلَعُ الْعِلْمَانَ ، ثُمَّ أَنْطَقَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْبَيَانِ ، فَأَكْثَرَ الْيَهُودُ فِيهِ وَفِي
أُمِّهِ مِنَ الْقَوْلِ ، كَانُوا يُسْتَشَوْنَهُ ابْنَ الْبَغِيَّةِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَفَرِهِمْ
وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٦] . قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ
أَسَلَمَتْهُ أُمُّهُ فِي الْكُتَّابِ ، فَجَعَلَ لَا يُعَلِّمُهُ الْمُعَلِّمَ شَيْئًا إِلَّا بَدَّرَهُ إِلَيْهِ ، فَعَلَّمَهُ أَبَا
جَادٍ ، فَقَالَ عَيْسَى : مَا أَبُو جَادٍ ؟ فَقَالَ الْمُعَلِّمُ : لَا أَدْرِي . فَقَالَ عَيْسَى : كَيْفَ
تُعَلِّمُنِي مَا لَا تَدْرِي ؟ فَقَالَ الْمُعَلِّمُ : إِذَا فَعَلَّمْنِي . فَقَالَ لَهُ عَيْسَى : فَعَمُّ مِنْ
مَجْلِسِكَ . فَقَامَ فَجَلَسَ عَيْسَى مَجْلِسَهُ ، فَقَالَ : سَلْنِي . فَقَالَ الْمُعَلِّمُ : فَمَا أَبُو
جَادٍ ؟ فَقَالَ عَيْسَى : الْأَيْفُ آلاءُ اللَّهِ ، الْبَاءُ بهَاءُ اللَّهِ ، الْجِيمُ بهِجَةُ اللَّهِ وَجَمَالُهُ .
فَعَجِبَ الْمُعَلِّمُ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ فَسَّرَ أَبَا جَادٍ .

ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله ﷺ ، عن ذلك ، فأجابته على كل كلمة
كلمته^(١) ، بحديث طويل [٢٦٠/١] موضوع ، لا "يُشْكُ فِيهِ وَلَا يُتَمَارَى"^(٢) .

وهكذا روى ابن عدي^(٣) من حديث إسماعيل بن عتياش ، عن إسماعيل
ابن يحيى ، عن ابن أبي مليكة ، عن حذته عن ابن مسعود ، وعن مشعر بن
كدام ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، رفع الحديث في دخول عيسى إلى الكتاب
وتعليمه المعلم معنى حروف أبي جاد ، وهو مطوّل لا يُفْرَحُ بِهِ . ثم قال ابن
عدي : وهذا الحديث باطل بهذا الإسناد ، لا يزويه غير إسماعيل .

وروى ابن لهيعة ، عن عبد الله بن هبيرة^(٤) ، قال : كان عبد الله بن

(١) زيادة من : ح .

(٢) (٢ - ٢) في ح : « لا يسأل ولا يتمارى » . وفي م : « لا يسأل ولا يتمادى » .

(٣) في الكامل ٢٩٩ / ١ .

(٤) في ص : « نمره » .

عَمْرُو^(١) يَقُولُ : كَانَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَهُوَ غَلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ ، فَكَانَ يَقُولُ لِأَحَدِهِمْ : تُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكَ مَا خَبَأْتُ لَكَ أُمَّكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيَقُولُ : خَبَأْتُ لَكَ كَذَا وَكَذَا . فَيَذْهَبُ الْغَلَامُ مِنْهُمْ إِلَى أُمِّهِ فَيَقُولُ لَهَا : أَطْعَمِينِي مَا خَبَأْتِ لِي . فَتَقُولُ : وَأَيُّ شَيْءٍ خَبَأْتُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : كَذَا وَكَذَا . فَتَقُولُ لَهُ : مَنْ أُخْبِرَكَ ؟ فَيَقُولُ : عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ . فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَئِنْ تَرَكْتُمُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانَ مَعَ ابْنِ مَرْيَمَ لَيُفْسِدَنَّهِنَّ . فَجَمَعُوهُنَّ فِي بَيْتٍ وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِنَّ ، فَخَرَجَ عَيْسَى يَلْتَمِسُهُنَّ ، فَلَمْ يَجِدْهُنَّ ، فَسَمِعَ ضَوْضَاءَهُنَّ فِي بَيْتٍ ، فَسَأَلَ عَنْهُنَّ ، فَقَالُوا : إِنَّمَا هَؤُلَاءِ قِرَدَةٌ وَخَنَازِيرُ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ كَذَلِكَ . فَكَانُوا كَذَلِكَ . رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٢) .

وقال إسحاق بن بشر^(٣) ، عن جُوَيْرِيٍّ وَمِقَاتِلِ ، عَنِ الضُّحَّاكِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : وَكَانَ عَيْسَى يُرَى الْعَجَائِبَ فِي صِبَاهِ الْهَامَا مِنَ اللَّهِ ، فَفَشَا ذَلِكَ فِي الْيَهُودِ ، وَتَرَعَزَعَ عَيْسَى ، فَهَمَّتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، فَخَافَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أُمِّهِ أَنْ تَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٠] .

وقد اختلفت السلف والمفسرون في المراد بهذه الرُبُوعِ التي ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ صِفَتِهَا أَنَّهَا ذَاتُ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ، وَهَذِهِ صِفَةٌ غَرِيبَةٌ الشَّكْلِ ؛ وَهِيَ أَنَّهَا رُبُوعٌ ، وَهُوَ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ ، الَّذِي أَعْلَاهُ مُسْتَوٍ يُقَرُّ عَلَيْهِ ، فَمَعَ ارْتِفَاعِهِ ، مُتَسِّعٌ ،

(١) في م ، ص : « عمر » .

(٢) في تاريخ دمشق ٣٩/١٤ المخطوط .

(٣) سبق تخريجه في ص ٤٦٨ حاشية (٨) .

ومع علوه، فيه «عَيْنٌ مِنْ» الماءِ مَعِينٌ؛ وهو الجارى السارحُ على وجه الأرض،
فقيل: المرادُ المكانُ الذى وَلَدَتْ فيه المسيح. وهو مَحَلَّةُ بَيْتِ المَقْدِسِ، ولهذا
﴿ فَنَادَبَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾. وهو التَّهْهُرُ
الصَّغِيرُ، فى قولِ جُمهورِ السَّلَفِ.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، أَنَّهَا أَنهَارُ دِمَشْقَ^(١). فلعله أراد تشبيهه ذلك
المكانِ بِأَنْهَارِ دِمَشْقَ. وقيل: ذلك بِمِصْرَ. كما زَعَمَهُ مَنْ زَعَمَهُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ
وَمَنْ تَلَقَّاهُ عَنْهُمْ. واللَّهُ أَعْلَمُ. ^(٢) وقيل: هى الرَّهْلَةُ.

^(٣) قال إِسْحَاقُ بْنُ بَشْرِ^(٤): [٢٦٠/١ ظ] قال لنا إِدْرِيسُ، عن جَدِّهِ وَهْبِ
ابنِ مُنْبِيهِ، قال: إِنَّ عِيسَى لَمَّا بَلَغَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ بِلَادِ
مِصْرَ إِلَى بَيْتِ إِيلِيَّا. ^(٥) قال: فَقَدِمَ عَلَيْهِ يَوْسُفُ بْنُ خَالِ أُمِّهِ، فَحَمَلَهُمَا عَلَى
جِمَارٍ، حَتَّى جَاءَ بِهِمَا إِلَى إِيلِيَّا^(٦)، وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى أَخَذَتْ اللَّهُ لَهُ الْإِنْجِيلَ،
وَعَلَّمَهُ التَّوْرَةَ، وَأَعْطَاهُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى، وَإِيزَاءَ الْأَسْقَامِ، وَالْعِلْمَ بِالْغُيُوبِ بِمَا
يَدْخِرُونَ فِي نُيُوتِهِمْ، وَتَحَدَّثَ النَّاسَ بِقُدُومِهِ، وَفَزِعُوا لِمَا كَانَ يَأْتِي مِنَ
العَجَائِبِ، فَجَعَلُوا يَعْجَبُونَ مِنْهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَفَشَا فِيهِمْ أَمْرُهُ.

(١ - ١) فى ح، م: «عيون».

(٢) التفسير ٤٧٠/٥.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/١٤ مخطوط، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.

«بَيَانُ نُزُولِ الْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ وَمَوَاقِيتِهَا»

قال أبو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيُّ^(١) : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ قَالَ : أَنْزِلَتِ التَّوْرَةُ عَلَى مُوسَى فِي سِتِّ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَنَزَلَ الزَّبُورُ عَلَى دَاوُدَ فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ التَّوْرَةِ بِأَرْبَعِمِائَةٍ سِنَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سِنَةً ، وَأَنْزِلَ الْإِنْجِيلُ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ^(٢) ، بَعْدَ الزَّبُورِ بِأَلْفِ عَامٍ وَخَمْسِينَ عَامًا ، وَأَنْزِلَ الْفُرْقَانُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي «التفسير»^(٤) عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ ، وَفِيهَا أَنَّ الْإِنْجِيلَ أَنْزَلَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .

وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي «تاريخه»^(٥) أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سِنَةً ، وَمَكَثَ حَتَّى رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سِنَةً . كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بَشِيرٍ^(٦) : وَأَنْبَأَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَزْرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، وَمَقَاتِلَ

(١ - ١) ليس في : الأصل ، ص .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢/١٤ مخطوط ، من طريق أبي زرعة به .

(٣ - ٣) سقط من : ح .

(٤) التفسير ٣٠٩/١ .

(٥) ٥٩٨/١ .

(٦) المصدر السابق ٤٣/١٤ ، من طريق إسحاق بن بشر به .

عن قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة قال: أوحى الله عز وجل
 إلى عيسى ابن مريم: يا عيسى، جد في أمري ولا تهين، واسمع وأطع يا ابن
 الطاهرة البكر البتول، إنك من غير فحل، وأنا خلقتك آية للعالمين، إياي
 فاعبد، وعلى فتوكل، خذ الكتاب بقوة، فسرو لأهل الشريانية، بلغ من بين
 يديك أتى أنا الحى القائم الذى لا أزول، صدقوا النبى الأُمى^(١) العربى،
 صاحب الجمل والتاج - وهى العمامة - والمذرعة والتعلين والهراوة - وهى
 القضيبي - الأنجل العيتين، الصلت الجبين، الواضح الخدين، الجعد الرأس،
 الكت اللحية، المقرون الحاجين، الأفتى الأنف، المفلج الثنايا، البادى العنقفة،
 الذى كأن عنقه إبريق فضية، وكأن الذهب يجرى فى تراقيه، له شعرات من
 لبيبه إلى سرتيه تجرى كالقضيبي، ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره،
 شئن الكف والقدم، إذا التفت، التفت جميعا، وإذا مشى كأنما [١/٢٦١و]
 يتقلع من صخر ويتحدى من صبب، عرقه فى وجهه كاللؤلؤ، وريح المشك
 ينفخ منه، لم ير قبله ولا بعده مثله، الحسن القامة، الطيب الريح، نكاح
 النساء، ذا النسل القليل، إنما نسله من مباركة لها بيت - يعنى فى الجنة - من
 قصب، لا نصب فيه ولا صحب، تكفله - يا عيسى - فى آخر الزمان كما
 كفل زكريا أمك، له منها فرخان مستشهدان، وله عندي منزلة ليست لأحد
 من البشر، كلامه القرآن، ودينه الإسلام، وأنا السلام، طوبى لمن أدرك زمانه،
 وشهد أيامه، وسمع كلامه.

(١) سقط من: ص.

١) بَيَانُ شَجَرَةِ طُوبَى مَا هِيَ

قال عيسى : يا رب ، وما طوبى ؟ قال : غَرْسُ شَجَرَةٍ أَنَا غَرَسْتُهَا بِيَدَيَّ فَهِيَ لِلجَنَانِ كُلِّهَا ، أَصْلُهَا مِنْ رِضْوَانٍ ، وَمَاؤُهَا مِنْ تَسْنِيمٍ ، وَيَزْدُهَا بَرْدُ الكَافُورِ ، وَطَعْمُهَا طَعْمُ الزَّنْجَبِيلِ ، وَرِيحُهَا رِيحُ المِشْكِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا . قال عيسى : يا رب ، اسقِنِي مِنْهَا . قال : حَرَامٌ عَلَى النَّبِيِّينَ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْهَا ، حَتَّى يَشْرَبَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ، وَحَرَامٌ عَلَى الأُمَّمِ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْهَا ، حَتَّى تَشْرَبَ مِنْهَا^(٢) أُمَّةٌ ذَلِكَ النَّبِيُّ . قال : يا عيسى ، أَرَفَعَكَ إِلَيَّ . قال : يا رب ، وَلِمَ تَرَفَعُنِي ؟ قال : أَرَفَعَكَ ثُمَّ أَهْبَطَكَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ لِتَرَى مِنْ أُمَّةٍ ذَلِكَ النَّبِيُّ العَجَائِبَ ، وَلِتَعِينَهُمْ عَلَى قِتَالِ اللُّعِينِ الدُّجَالِ ، أَهْبَطَكَ فِي وَقْتِ صَلَاةٍ ، ثُمَّ لَا تُصَلِّي بِهِمْ ؛ لِأَنَّهَا أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ .

وقال هشامُ بنُ عَمَّارٍ ، عن الوليدِ بنِ مُسَلِّمٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زَيْدٍ ، عن أبيه ، أَنَّ عيسَى قال : يا رَبِّ ، أَنبِئْنِي عن هذه الأُمَّةِ المَرْحُومَةِ . قال : أُمَّةٌ أَحَمَدَ ، هُم عِلْمَاءُ حِكْمَاءُ ، كَانَتْهُمْ أَنبِيَاءُ ، يَرِضُونَ مِنِّي بِالْقَلِيلِ مِنَ العَطَاءِ ، وَأَرْضَى مِنْهُمْ بِالْيَسِيرِ مِنَ العَمَلِ ، وَأَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِلَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، يا عيسى ، هُم أَكْثَرُ سُكَّانِ الجَنَّةِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ تَدِلْ أَلْسُنُ قَوْمٍ قَطُّ بِلَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ كَمَا ذَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ ، وَلَمْ تَدِلْ رِقَابُ قَوْمٍ قَطُّ بِالسُّجُودِ كَمَا ذَلَّتْ بِهِ رِقَابُهُمْ . رواه ابنُ عَسَاكِرَ^(٣) .

(١ - ١) ليس في : الأصل ، ص .

(٢ - ٢) في ص : « تشهد » .

(٣) في تاريخ دمشق ٤٣/١٤ مخطوط .

(١) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ بْنِ بُدَيْلِ الْعُقَيْلِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْسَجَةَ ، قَالَ :
أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ : أَنْزَلْنِي مِنْ نَفْسِكَ كَهَمِّكَ ، وَاجْعَلْنِي ذُخْرًا لَكَ
فِي مَعَادِكَ ، وَتَقَرُّبَ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ أُجِبْكَ ، وَلَا تَوَلَّ غَيْرِي فَأَخْذُلَكَ ، اضْبِرْ عَلَيَّ
الْبَلَاءَ ، وَارْضَ بِالْقَضَاءِ ، وَكُنْ لِمَسْرَتِي فِيكَ ، فَإِنَّ مَسْرَتِي أَنْ أُطَاعَ فَلَا أُغْصَى ،
وَكَنْ مِنِّي قَرِيبًا ، وَأَخِي ذِكْرِي بِلِسَانِكَ ، وَلَتَكُنْ مَوَدَّتِي فِي صَدْرِكَ ، تَيْقِظُ مِنْ
سَاعَاتِ الْعَقْلَةِ ، وَاحْكُمْ لِي لَطِيفَ الْفِطْنَةِ ، وَكُنْ لِي رَاغِبًا رَاهِبًا ، وَأَمِثْ قَلْبَكَ
مِنَ الْحَشِيَّةِ لِي ، وَرَاعِ اللَّيْلَ لِحَقِّ مَسْرَتِي ، وَأَظْمِ نَهَارَكَ لِيَوْمِ الرَّيِّ عِنْدِي ، نَافِسِ
فِي [٢٦١/١ ظ] الْخَيْرَاتِ جَهْدَكَ ، وَأَعْرِفْ^(٢) بِالْخَيْرِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ ، وَقُمْ فِي
الْخَلَائِقِ بِنُصِيحَتِي ، وَاحْكُمْ فِي عِبَادِي بَعْدَلِي ، فَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ شِفَاءً وَسَاوِسَ
الصُّدُورِ مِنْ مَرَضِ النُّشْيَانِ ، وَجِلَاءِ الْأَبْصَارِ مِنْ غِشَاءِ الْكَلَالِ ، وَلَا تَكُنْ
حَلِيسًا^(٣) كَأَنَّكَ مَقْبُوضٌ وَأَنْتَ حَتَّى تَنْفُسُ ، يَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، مَا آمَنْتَ بِي
حَلِيقَةً إِلَّا خَشَعْتَ ، وَلَا خَشَعْتَ لِي إِلَّا رَجَحْتَ نَوَابِي ، فَأُشْهِدُكَ أَنَّهَا آمِنَةٌ مِنْ
عِقَابِي ، مَا لَمْ تُعَيِّرْ أَوْ تُبَدِّلْ سُنَّتِي ، يَا عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبِكْرِ الْبَثُولِ ، ابْنِكَ عَلَى
نَفْسِكَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ بُكَاءَ مَنْ وَدَّعَ الْأَهْلَ ، وَقَلَا الدُّنْيَا ، وَتَرَكَ اللَّذَاتِ لِأَهْلِهَا ،
وَارْتَفَعْتَ رَغْبَتَهُ فِيمَا عِنْدَ إِلَهِهِ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ ثَلِيثُ الْكَلَامِ ، وَتُقَشِّي السَّلَامَ ،
وَكَنْ يَقْظَانَ إِذَا نَامَتْ عُيُونُ الْأَبْرَارِ ، حَذَارِ مَا هُوَ آتٍ مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ ، وَزَلَّازِلَ
شِدَائِدِ الْأَهْوَالِ ، قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ أَهْلٌ وَلَا مَالٌ ، وَكَحَلِّ عَيْنِكَ بِمُلْمُولِ^(٤) الْحُزْنِ

(١) المصدر السابق ٤٤/١٤ .

(٢) فِي ح ، م ، ص : « اعترف » ، وَقَالَ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ : تَفْسِيرُهُ ؛ وَلَتَعْرِفَ بِالْخَيْرِ .

(٣) رَجُلٌ حَلَسَ ، أَيْ مَلَازِمٌ مَكَانَهُ لَا يَبْرَحُهُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « بِمِيلِ » . وَح ، م ، ص « بِمِلُولِ » . وَالمَثْبُوتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ . وَالمَمْلُوكُ الْمَكْحَالُ . اللِّسَانُ

(م ل ل) .

إِذَا ضَحِكَ الْبَطَّالُونَ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُخْتَسِبًا، فَطَوَّيْ لَكَ إِنْ نَالَكَ مَا وَعَدْتُ الصَّابِرِينَ، رَجَّحَ مِنَ الدُّنْيَا بِاللَّهِ يَوْمَ يَوْمٍ، وَدُقْ مَذَاقَةَ مَا قَدْ هَرَبَ (١) مِنْكَ أَيْنَ طَعْمُهُ، وَمَا لَمْ يَأْتِكَ كَيْفَ لَدُّهُ، فَرَجَّحَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْبَلْغَةِ، وَلِيَكْفِكَ مِنْهَا الْحَشِينُ الْجَشِيبُ (٢)، قَدْ رَأَيْتَ إِلَى مَا تَصَيِّرُ، أَعْمَلْ عَلَى حِسَابِ فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ، لَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ مَا أَعَدَدْتُ لِأَوْلِيَائِي الصَّالِحِينَ، ذَابَ قَلْبُكَ، وَزَهَقَتْ نَفْسُكَ.

وقال أبو داود في كتاب «القدر» (٣): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ابْنِ فَارِسٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَعَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَقِيَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِبْلِيسَ، فَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَنْ يُصَيِّبَكَ إِلَّا مَا كُتِبَ لَكَ؟ قَالَ إِبْلِيسُ: فَارَقَ بِذُرْوَةِ هَذَا الْجَبَلِ، فَتَرَدَّدَ مِنْهُ، فَانظُرْ تَعِيشُ أُمَّ لَا؟ فَقَالَ ابْنُ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ: فَقَالَ عَيْسَى: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ: لَا يُجْرِيْنِي عَبْدِي، فَإِنِّي أَفْعَلُ مَا شِئْتُ. وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَتَّبِعِي رَبَّهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَتَّبِعِي عَبْدَهُ.

قال أبو داود (٤): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنبَأَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو (٥)، عَنْ طَاوُسٍ قَالَ: أَتَى الشَّيْطَانُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ تَزْعُمُ أَنَّكَ صَادِقٌ؟ فَأَتَتْ هَذِهِ (٦) فَأَلْقَى نَفْسَكَ. قَالَ: وَتِلْكَ! أَلَيْسَ قَالَ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَا تَسْأَلْنِي هَلَاكَ نَفْسِكَ، فَإِنِّي أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ.

(١) في ح، م: «حرب».

(٢) أي الغليظ.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٥/١٤ مخطوط، من طريق محمد بن يحيى به.

(٤) المصدر السابق من طريق أبي داود به.

(٥) في الأصل: «عمر». وفي ص: «عمرو بن طاوس». وهو عمرو بن دينار. انظر مصدر التخريج.

(٦) في ح، م: «هوة».

وَحَدَّثَنَا ^(١) أَبُو تَوْبَةَ الرَّيِّعُ بْنُ نَافِعٍ ، حَدَّثَنَا حَسِينُ بْنُ طَلْحَةَ ، سَمِعْتُ خَالَدَ ابْنَ يَزِيدَ ، قَالَ : تَعَبَّدَ الشَّيْطَانُ مَعَ عِيسَى عَشْرَ سِنِينَ أَوْ سِتِّينَ ، أَقَامَ يَوْمًا عَلَى شَفِيرِ جَبَلٍ ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ : أَرَأَيْتَ إِنْ أَلْقَيْتُ نَفْسِي ، هَلْ يَصِيبُنِي إِلَّا مَا كُتِبَ لِي ؟ قَالَ : إِنِّي لَسْتُ بِالذِّي أَبْتَلِي رُبِّي [٢٦٢/١] ^(٢) « وَلَكِنْ رُبِّي » إِذَا شَاءَ ابْتِلَانِي . وَعَرَفَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ ، فَفَارَقَهُ .

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا ^(٣) : حَدَّثَنَا سُرَيْحٌ ^(٤) بْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنِ الْخَطَّابِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ ، قَالَ : كَانَ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُصَلِّي عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ ، فَأَتَاهُ إِبْلِيسُ ، فَقَالَ : أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَائِهِ وَقَدِيرٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَلَتِي نَفْسِكَ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ وَقُلْ : قَدَرٌ عَلَيَّ . فَقَالَ : يَا لَعِينُ ، اللَّهُ يَخْتَبِرُ الْعِبَادَ ، وَلَيْسَ الْعِبَادُ يَخْتَبِرُونَ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ . وَقَالَ أَيْضًا ^(٥) : حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى الْبَصْرِيُّ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ ^(٥) ، سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : لَقِيَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِبْلِيسَ ، فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ : يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، أَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي الْمَهْدِ صَبِيئًا ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ أَحَدٌ قَبْلَكَ . قَالَ : بَلِ الرُّبُوبِيَّةُ لِلإِلهِ الَّذِي أَنْطَقَنِي ، ثُمَّ يُحْيِي ، ثُمَّ يُحْيِي . قَالَ : فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ تُحْيِي الْمَوْتَى . قَالَ : بَلِ الرُّبُوبِيَّةُ لِلَّهِ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ مَنْ أَحْيَيْتُ ثُمَّ يُحْيِيهِ . قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّكَ

(١) القائل أبو داود . المصدر السابق من طريق أبي داود به .

(٢ - ٣) سقط من : الأصل .

(٣) المصدر السابق ، من طريق ابن أبي الدنيا به .

(٤) في النسخ : « شريح » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١٠ / ٢٢١ .

(٥) في ص : « يسار » .

لِإِلَٰهٍ فِي السَّمَاءِ وَإِلَٰهٍ فِي الْأَرْضِ . قَالَ : فَصَكَّهُ جِبْرِيلُ صَكَّةً بِجَنَاحِهِ ، فَمَا تَنَاهَى دُونَ قَرُونٍ ^(١) الشَّمْسِ ، ثُمَّ صَكَّهُ أُخْرَى بِجَنَاحِهِ ، فَمَا تَنَاهَى دُونَ الْعَيْنِ الْحَايِمَةِ ، ثُمَّ صَكَّهُ أُخْرَى ، فَأَدْخَلَهُ بَحَارَ السَّابِعَةِ ، فَأَسَاخَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ : فَأَسْلَكَه - فِيهَا حَتَّى وَجَدَ طَعْمَ الْحَمَاءَةِ ، فَخَرَجَ مِنْهَا وَهُوَ يَقُولُ : مَا لَقِيَ أَحَدًا مِنْ أَحَدٍ مَا لَقَيْتُ مِنْكَ يَا ابْنَ مَرْيَمَ .

وقد رُوِيَ نَحْوُ هَذَا بِأَبْسَطَ مِنْهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ ؛ فَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ الْخَطِيبُ ^(٢) : أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ رَزْقَوَيْهِ ، أُنْبَأَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سِنْدِيٍّ ^(٣) ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَطَّانُ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيْسَى الْعَطَّارُ ، أُنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ سُؤَيْدٌ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، قَالَ : صَلَّى عَيْسَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَانصَرَفَ ، فَلَمَّا كَانَ بِيَعُضِ الْعُقْبَةِ ^(٤) ، عَرَضَ لَهُ إِبْلِيسُ فَاحْتَبَسَهُ ، فَجَعَلَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ وَيُكَلِّمُهُ وَيَقُولُ لَهُ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا . فَأَكْثَرَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ عَيْسَى يَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُ ، فَجَعَلَ لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا يَقُولُ : لَا يَنْبَغِي لَكَ يَا عَيْسَى أَنْ تَكُونَ عَبْدًا . قَالَ : فَاسْتَغَاثَ عَيْسَى بِرَبِّهِ ، فَأَقْبَلَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، فَلَمَّا رَآهُمَا إِبْلِيسُ ، كَفَّ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّأَ مَعَهُ عَلَى الْعُقْبَةِ ، اكْتَنَفَا عَيْسَى ، وَضَرَبَ جِبْرِيلُ إِبْلِيسَ بِجَنَاحِهِ ، فَقَدَّفَهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي . قَالَ : فَعَادَ إِبْلِيسُ مَعَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُمَا لَمْ يُؤْمَرَا بِغَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِعَيْسَى : قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَبْدًا ، إِنَّ غَضَبَكَ [٢٦٢/١ ظ] لَيْسَ

(١) كذا في النسخ . وفي تاريخ دمشق : « فوق » .

(٢) المصدر السابق ٤٦/١٤ ، من طريق أبي بكر الخطيب به .

(٣) في الأصل : « مسدي » . وفي م : « سبدي » .

(٤) العقبة : طريق في الجبل وعر . اللسان (ع ق ب) .

بِعَضْبِ عَبْدٍ ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَا لَقِيتُ مِنْكَ حِينَ غَضِبْتَ ، وَلَكِنْ أَدْعُوكَ إِلَى أَمْرٍ هُوَ لَكَ ؛ أَمْرُ الشَّيَاطِينِ فَلْيَطِيعُوكَ ، فَإِذَا رَأَى الْبَشَرُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَدْ أَطَاعُوكَ ، عَبَدُوكَ ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ أَنَّ تَكُونَ إِلَهًا لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَكُونُ إِلَهًا فِي السَّمَاءِ ، وَتَكُونُ أَنْتَ إِلَهًا فِي الْأَرْضِ . فَلَمَّا سَمِعَ عِيسَى ذَلِكَ مِنْهُ ، اسْتَغَاثَ بِرَبِّهِ ، وَصَرَخَ صَرْخَةً شَدِيدَةً ، فَإِذَا إِسْرَافِيلُ قَدْ هَبَطَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، فَكَفَّ إبْلِيسُ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ مَعَهُمْ ، ضَرَبَ إِسْرَافِيلُ إبْلِيسَ بِجَنَاحِهِ ، فَصَكَ بِهِ عَيْنَ الشَّمْسِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَأَقْبَلَ إبْلِيسُ يَهُوَى ، وَمَرَّ بِعِيسَى وَهُوَ بِمَكَانِهِ ، فَقَالَ : يَا عِيسَى ، لَقَدْ لَقِيتُ فِيكَ الْيَوْمَ تَعَبًا شَدِيدًا . فَرَمَى بِهِ فِي عَيْنِ الشَّمْسِ ، فَوَجَدَ سَبْعَةَ أَمْلاكَ عِنْدَ الْعَيْنِ الْحَامِيَةِ . قَالَ : فَغَطَّوهُ ، فَجَعَلَ كُلُّمَا خَرَجَ ^(١) غَطَّوهُ فِي تِلْكَ الْحَمَاءَةِ . قَالَ : وَاللَّهِ مَا عَادَ إِلَيْهِ بَعْدُ .

قال ^(٢) : وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ الْعَطَّارُ ، حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ شَيْاطِينُهُ ، فَقَالُوا : سَيِّدَنَا ، قَدْ لَقِيتَ تَعَبًا . قَالَ : إِنَّ هَذَا عَبْدٌ مَغْضُومٌ ، لَيْسَ لِي عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ ، وَسَأُضِلُّ بِهِ بَشَرًا كَثِيرًا ، وَأَبُتُّ فِيهِمْ أَهْوَاءَ مُخْتَلِفَةً ، وَأَجْعَلُهُمْ شَيْعًا ، وَيَجْعَلُونَهُ وَأُمَّهُ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ . قَالَ : وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيمَا أُيِّدَ بِهِ عِيسَى وَعَصَمَهُ مِنْ إبْلِيسَ قِرْآنًا نَاطِقًا يَذْكُرُ نِعْمَتَهُ عَلَى عِيسَى ، فَقَالَ : ﴿ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ . ^(٣) يَغْنَى : إِذْ قَوَّيْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، يَغْنَى جِبْرِيلُ ^(٤) ﴿ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ

(١) فِي ح ، م : « صرَّخ » .

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٤٦/١٤ ، ٤٧ .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ .

وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَا الْكُتُبَ ﴿١﴾ ، يعنى ، الإنجيلَ والتَّوراةَ والحِكْمَةَ ،
﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ ﴾ الآية [المائدة : ١١٠] . وَإِذْ جَعَلْتُ
المساكينَ لَكَ بَطَانَةً وَصَحَابَةً وَأَعْوَانًا تَرْضَى بِهِمْ ، وصحابةً وأعوانًا يَرْضُونَ بِكَ
هاديًا وقائدًا إلى الجَنَّةِ ، فذلك ، فاغْلَمَ ، خُلِقَانِ عَظِيمَانِ ، مَنْ لَقِيتِي بِهِمَا ، فقد
لَقِيتِي بِأَرْكَى الخَلَائِقِ وَأَرْضَاهَا عِنْدِي ، وسيقولُ لك بنو إسرائيلَ : صُمْنَا فلم
يَتَقَبَّلْ صِيَامَنَا ، وَصَلَّيْنَا فلم يَقْبَلْ صَلَاتَنَا ، وَتَصَدَّقْنَا فلم يَقْبَلْ صَدَقَاتِنَا ، وَبَكَيْتَا
بِمِثْلِ خَيْرِ الْجِمَالِ فلم يَزُحْمَ بِكَاءِنَا . فَقُلْ لَهُمْ : وَلِمَ ذَلِكَ ؟ وما الذى يَمْتَعِنِ ؟
أَنْ ذَاتَ يَدَى قَلَّتْ ؟! أَوْ لَيْسَ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِيَدَى أَنْفِقُ مِنْهَا كَيْفَ
أَشَاءُ ، أَوْ أَنَّ الْبِخْلَ يَغْتَرِبُنِي ^(١) ؟ أَوْ لَسْتُ أَجْوَدَ مَنْ سُئِلَ ، وَأَوْسَعَ مَنْ أُعْطِيَ ، أَوْ
أَنَّ رَحْمَتِي ضَاقَتْ ؟ وَإِنَّمَا يَتْرَاحِمُ الْمُتْرَاحِمُونَ بِفَضْلِ رَحْمَتِي ، وَلَوْلَا أَنَّ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمَ ، يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، عَدُّوا ^(٢) أَنْفُسَهُمْ بِالْحِكْمَةِ الَّتِي تُورِثُ فِي قُلُوبِهِمْ مَا
اسْتَأْتَرُوا بِهِ الدُّنْيَا أَثَرَةً عَلَى الْآخِرَةِ ، لَعَرَفُوا مِنْ آيِنِ أَتُوا ، وَإِذَا لَا يَقْنُتُوا أَنْ أَنْفُسَهُمْ
هِيَ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ لَهُمْ ، وَكَيْفَ أَقْبَلُ صِيَامَهُمْ وَهُمْ يَتَقَوَّوْنَ عَلَيْهِ بِالْأَطْعِمَةِ [١/
٢٦٣] الحرامِ ؟! وَكَيْفَ أَقْبَلُ صَلَاتَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ تَزَكُّنُ إِلَى الَّذِينَ يُحَارِبُونِي
وَيَسْتَحِلُّونَ مَحَارِمِي ؟! وَكَيْفَ أَقْبَلُ صَدَقَاتِهِمْ وَهُمْ يَغْصِبُونَ النَّاسَ عَلَيْهَا ،
فِيأُخَذُونَهَا مِنْ غَيْرِ جُلْهَا ؟! يَا عِيسَى ، إِنَّمَا أُجْزَى عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَكَيْفَ أَرْحَمُ
بُكَاءَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِ الْأَنْبِيَاءِ ، ازْدَدْتُ عَلَيْهِمْ غَضَبًا ، يَا عِيسَى ،
وَقَضَيْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، أَنَّهُ مَنْ عَبَدَنِي وَقَالَ فَيْكَمَا يَقُولِي ،
أَنْ أَجْعَلَهُمْ جِيرَانَكَ فِي الدَّارِ ، وَرُقَقَاءَكَ فِي الْمَنَازِلِ ، وَشُرَكَاءَكَ فِي الْكِرَامَةِ ،

(١) فى ح ، م : « لا يعتربنى » .

(٢) كذا فى النسخ والتاريخ ، ولعلها « غروا » .

وَقَضَيْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، ^(١) أَنَّهُ مَنِ اتَّخَذَكَ وَأَمَّاكَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ أَجْعَلَهُمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَقَضَيْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ^(٢)، أَنِّي مُبَيَّتٌ ^(٣) هَذَا الْأَمْرَ عَلَى يَدَيِ عَبْدِي ^(٤) مُحَمَّدٍ، وَأَخْتِنُمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ، وَمَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجِرُهُ بِطَيْبَةَ، وَمَثَلُهُ بِالشَّامِ، لَيْسَ بِفِظٌّ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا مُتَرْتِّينٌ ^(٥) بِالْفُحْشِ، وَلَا قَوْلٍ بِالْحَنَاءِ، أَسَدُّهُ لِكُلِّ أَمْرٍ جَمِيلٍ، وَأَهَبُّ لَهُ كُلُّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، أَجْعَلُ التَّقْوَى ضَمِيرَهُ ^(٥)، وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ، وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ، وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ، أَهْدَى بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ، وَأَعْلَمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ، وَأُعْنَى بِهِ بَعْدَ الْعَائِلَةِ، وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الضُّعْفَةِ، أَهْدَى بِهِ، وَأَفْتَحُ بِهِ بَيْنَ آذَانِ صُغْمٍ وَقُلُوبِ وَأَهْوَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ، أَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؛ إِخْلَاصًا لِاسْمِي، وَتَصَدِيقًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، أَلْهِمُهُمُ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّقْدِيسَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ وَمَنْقَلَبِهِمْ وَمِنْوَاهُمْ، يُصَلُّونَ لِي قِيَامًا وَقُعُودًا، وَرُكْعًا وَسُجْدًا، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صُفُوفًا وَرُحُوفًا، قُرْبَانُهُمْ دِمَاؤُهُمْ، وَأَنَاجِلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَقُرْبَانُهُمْ فِي بَطُونِهِمْ، رَهْبَانٌ بِاللَّيْلِ، لُيُوثٌ بِالنَّهَارِ، ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَسَاءَ، وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

(١ - ١) سقط من الأصل ، ص .

(٢) فى ص : (شت) ، وفى تاريخ دمشق : (مسيب) .

(٣) زيادة من : ح ، م .

(٤) فى ح ، م : (يزر) .

(٥) فى الأصل : (ظهيره) .

وَسَنَذَكُرُ مَا يُصَدِّقُ كَثِيرًا مِنْ هَذَا السِّيَاقِ ، بِمَا سَنُورِدُهُ مِنْ سُورَتِي
«المائدة» و«الصف» ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة . وقد رَوَى أَبُو حذيفة
إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرِ^(١) بِأَسَانِيدِهِ عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ ، وَوَهْبِ بْنِ مُتَبِّهِ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ
وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - دَخَلَ حَدِيثٌ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ - قَالُوا : لَمَّا بُعِثَ عِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ وَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، جَعَلَ الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْجَبُونَ
مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ فَيَقُولُونَ : مَا أَكَلَ فَلَانٌ الْبَارِحَةَ ، وَمَا أَذْخَرَ فِي بَيْتِهِ ؟
فِيُخْبِرُهُمْ ، فَيَزِدَادُ الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا ، وَالْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ شُكًّا وَكُفْرَانًا ، وَكَانَ
عِيسَى ، مَعَ ذَلِكَ ، لَيْسَ لَهُ مَنَزِلٌ يَأْوِي إِلَيْهِ ، إِنَّمَا يَسِيحُ فِي الْأَرْضِ ، لَيْسَ لَهُ قَرَارٌ
وَلَا مَوْضِعٌ يُعْرَفُ بِهِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا أَحْيَا مِنَ الْمَوْتَى ، أَنَّهُ مَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى امْرَأَةٍ
قَاعِدَةٍ عِنْدَ قَبْرِ وَهِيَ تَبْكِي ، [٢٦٣/١ ظ] فَقَالَ لَهَا : مَا لِكَ أَيْتُهَا الْمَرْأَةُ ؟ فَقَالَتْ :
مَاتَت ابْنَةٌ لِي ، لَمْ يَكُنْ لِي وَلَدٌ غَيْرُهَا ، وَإِنِّي عَاهَدْتُ رَبِّي أَنْ لَا أَبْرَحَ مِنْ
مَوْضِعِي هَذَا ، حَتَّى أَذُوقَ مَا ذَاقَتْ مِنَ الْمَوْتِ ، أَوْ يُحْيِيَهَا^(٢) اللَّهُ لِي فَأَنْظُرَ إِلَيْهَا .
فَقَالَ لَهَا عِيسَى : أَرَأَيْتِ إِنْ نَظَرْتِ إِلَيْهَا أَرَايَعَةُ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالُوا :
فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ عِنْدَ الْقَبْرِ ، فَنَادَى : يَا فَلَانَةُ ، قُومِي يَا ذِي
الرَّحْمَنِ فَاخْرُجِي . قَالَ : فَتَحَرَّكَ الْقَبْرُ ، ثُمَّ نَادَى الثَّانِيَةَ ، فَاَنْصَدَعَ الْقَبْرُ يَا ذِي
اللَّهِ ، ثُمَّ نَادَى الثَّلَاثَةَ ، فَخَرَجَتْ وَهِيَ تَنْفُضُ رَأْسَهَا مِنَ التُّرَابِ ، فَقَالَ لَهَا
عِيسَى : مَا بَطَأَ بِكَ عَنِّي ؟ فَقَالَتْ : لَمَّا جَاءَتْنِي الصَّبِيحَةُ الْأُولَى بَعَثَ اللَّهُ لِي
مَلَكًا فَرَكَّبَ خَلْقِي ، ثُمَّ جَاءَتْنِي الصَّبِيحَةُ الثَّانِيَةَ ، فَرَجَعَ إِلَيَّ رُوحِي ، ثُمَّ جَاءَتْنِي

(١) المصدر السابق ٤٧/١٤ ، ٤٨ ، من طريق إسحاق بن بشر به .

(٢) في ح : « يهيا » .

الصَّيْحَةُ الثَّالِثَةُ، فَخِفتُ أَنَّهَا صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ، فَشَابَ رَأْسِي وَحَاجِبَتَايَ وَأَشْفَاؤُ عَيْنِي؛ مِنْ مَخَافَةِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى أُمَّهَا فَقَالَتْ: يَا أُمَّتَاهُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَذُوقَ كَرْبَ الْمَوْتِ مَرَّتَيْنِ؟ يَا أُمَّتَاهُ، اصْبِرِي وَاحْتَسِبِي، فَلَا حَاجَةَ لِي فِي الدُّنْيَا، يَا رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، سَلْ رَبِّي أَنْ يَرُدَّنِي إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنْ يُهَوِّنَ عَلَيَّ كَرْبَ الْمَوْتِ. فَدَعَا رَبَّهُ فَقَبَضَهَا إِلَيْهِ، وَاسْتَوَتْ عَلَيْهَا الْأَرْضُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَازْدَادُوا عَلَيْهِ غَضَبًا.

وَقَدَّمْنَا فِي قِصَّةِ نُوحٍ، أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلُوهُ أَنْ يُحْيِيَ لَهُمْ سَامَ بْنَ نُوحٍ، فَدَعَا اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، وَصَلَّى لَهُ، فَأَحْيَاهُ اللَّهُ لَهُمْ، فَحَدَّثْتَهُمْ عَنِ السَّفِينَةِ وَأَمْرِهَا، ثُمَّ دَعَا فَعَادَ ثُرَابًا^(١).

وَقَدْ رَوَى الشُّدِّيُّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ وَأَبِي مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ، وَفِيهِ أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَاتَ وَحُمِلَ عَلَى سَرِيرِهِ، فَجَاءَ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَعَا اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، «فَأَحْيَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢)، فَرَأَى النَّاسُ أَمْرًا هَائِلًا وَمَنْظَرًا عَجِيبًا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ^(٣): ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَتَّبِعُنِي

(١) تقدم ذلك ٢٧١/١ .

(٢) - ٢) سقط من : ح .

(٣) التفسير ٢١٨/٣ ، ٢١٩ .

الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
 مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا
 وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ [المائدة: ١١٠، ١١١]. يُذَكِّرُهُ تَعَالَى بِبِعْمَتِهِ عَلَيْهِ،
 وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ فِي خَلْقِهِ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي، بَلْ مِنْ أُمَّ بَلَا ذَكَرٍ، وَجَعَلَهُ لَهُ آيَةً
 لِلنَّاسِ، وَدَلَالَةً عَلَى كِمَالِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، ثُمَّ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ ﴿ وَعَلَى
 وَالدِّيكِ ﴾ فِي اصْطِفَائِهَا وَاخْتِيَارِهَا لِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، [١/٢٦٤ و] وَإِقَامَةِ
 الْبُرْهَانِ عَلَى بَرَاءَتِهَا بِمَا نَسَبَهَا إِلَيْهِ الْجَاهِلُونَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ ﴾ وَهُوَ جَبْرِيْلُ، بِإِلْقَاءِ رُوحِهِ إِلَى أُمِّهِ، وَقَوْنِهِ مَعَهُ فِي حَالِ رِسَالَتِهِ،
 وَمُدَافَعَتِهِ عَنْهُ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ ﴿ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا ﴾ أَي؛ تَدْعُو
 النَّاسَ إِلَى اللَّهِ فِي حَالِ صَغَرِكَ فِي مَهْدِكَ، وَفِي كُهُولِكَ ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ أَي؛ الْخَطَّ وَالْفَهْمَ. نَصَّ عَلَيْهِ بَعْضُ السَّلَفِ
 ﴿ وَالتَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿ وَادْخُلْ مِنْ طِينِ كَهَيْئَةِ ﴾ أَي؛ نُصُوْرُهُ
 وَتَشَكُّلُهُ مِنَ الطِّينِ عَلَى هَيْئَتِهِ، عَنِ أَمْرِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ ﴿ فَتَفْخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا
 بِإِذْنِي ﴾ أَي؛ بِأَمْرِي. يُؤَكِّدُ تَعَالَى بِذِكْرِ الْإِذْنِ لَهُ فِي ذَلِكَ؛ لِرَفْعِ التَّوْهُمِ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿ وَتَبْرَأُ الْأَكْمَةَ ﴾ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: وَهُوَ الَّذِي يُؤَلِّدُ أَعْمَى،
 وَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْحُكَمَاءِ إِلَى مُدَاوَاتِهِ ﴿ وَالْأَبْرَصَ ﴾ وَهُوَ الَّذِي لَا طِبَّ
 فِيهِ، بَلْ قَدْ مَرَضَ بِالْبَرَصِ وَصَارَ دَاوُهُ ^(١) عُضَالًا ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى ﴾ أَي؛
 مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءَ بِإِذْنِي. وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى وَقُوعِ ذَلِكَ مِرَارًا مُتَعَدِّدَةً

(١) فِي الْأَصْلِ، ص: « دَوَاوُهُ »
 (٢) وَادْخُلْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي -
 ٤٨٤

تَمَّا فِيهِ كِفَايَةٌ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ وَذَلِكَ حِينَ أَرَادُوا
صَلْبَهُ فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَأَنْقَذَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ ؛ صِيَانَةً لِحَنَابِهِ الْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى ،
وَسَلَامَةً لَهُ مِنَ الرَّذَى . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي
وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَأَمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ قِيلَ : الْمُرَادُ بِهَذَا الْوَحْيِ وَحْيُ
إِلْهَامٍ ^(١) . أَيْ أَرْشَدَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى
النَّخْلِ ﴾ [النحل : ٦٨] . ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مَوْسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ
فَكَلِّبِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ [القصص : ٧] . وَقِيلَ : الْمُرَادُ وَحْيٌ بِوَسِطَةِ الرَّسُولِ ،
وَتَوْفِيقٌ فِي قُلُوبِهِمْ لِقَبُولِ الْحَقِّ ؛ وَلِهَذَا اسْتَجَابُوا قَائِلِينَ : ﴿ ءَأَمَنَّا وَأَشْهَدُ
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؛ أَنْ جَعَلَ لَهُ
أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا وَخَوَارِجِينَ يَنْصُرُونَهُ وَيَدْعُونَ مَعَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى لِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَإِلْمُومِنِينَ
﴿ ١٦ ﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِبَيْتِ قُلُوبِهِمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٢ ، ٦٣] . وَقَالَ
تَعَالَى ^(٢) : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ﴿ ١٨ ﴾ وَرَسُولًا إِلَى
بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَاَنْفَعُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزْرَى الْأَكْمَةِ

(١) فِي ص : « الْمَنَام » .

(٢) التفسير ٣٥/٢ - ٣٧ .

وَالْأَنْبَرِمْ وَأُنْحَى الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْتَشُّكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا [١/٢٦٤ ط] لِمَا بَيَّنَّ
 يَدَى مِنْ التَّوْرَةِ وَلِأَحَدٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتَكُمْ بِبَيِّنَةٍ
 مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
 مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
 قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا
 ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا
 وَمَكْرَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ [آل عمران: ٤٨ - ٥٤].

كانت مُعْجِزَةٌ كُلُّ نَبِيٍّ فِي زَمَانِهِ بِمَا يُنَاسِبُ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ ؛ فَذَكَرُوا أَنَّ
 مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَتْ مُعْجِزَتُهُ بِمَا يُنَاسِبُ أَهْلَ زَمَانِهِ ، فَكَانُوا سَحْرَةَ
 أَذْكَيَاءَ ، فَبِعِثَ بآيَاتٍ بَهَّرَتِ الْأَبْصَارَ ، وَخَضَعَتْ لَهَا الرُّقَابُ ، وَلَمَّا كَانَ السَّحْرَةُ
 خَبِيرِينَ بِفُنُونِ السَّحْرِ وَمَا يُنْتَهَى إِلَيْهِ ، وَعَايَنُوا مَا عَايَنُوا مِنَ الْأَمْرِ الْبَاهِرِ الْهَائِلِ ،
 الَّذِي لَا يُمْكِنُ صَدُورُهُ إِلَّا مِنْ أَيْدِي اللَّهِ وَأَجْرَى الْخَارِقِ عَلَى يَدَيْهِ تَضَدِيقًا لَهُ ،
 أَسْلَمُوا سِرَاعًا ، وَلَمْ يَتَلَعَّنُوهُ ، وَهَكَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بُعِثَ فِي زَمَنِ الطَّبَائِعِيَّةِ
 الْحُكَمَاءِ ، فَأُرْسِلَ بِمُعْجِزَاتٍ لَا يَسْتَطِيعُونَهَا وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهَا ، وَأَتَى الْحَكِيمَ إِبْرَاهِيمَ
 الْأَكْمَهِيَّ ، الَّذِي هُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْأَعْمَى ، وَالْأَبْرَصِ ، وَالْمَجْدُومِ ، وَمَنْ بِهِ مَرَضٌ
 مُزْمِنٌ ، وَكَيْفَ يَتَوَصَّلُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَ الْمَيْتَ مِنْ قَبْرِهِ ، هَذَا بِمَا يَعْلَمُ
 كُلُّ أَحَدٍ أَنَّهُ ^(١) مُعْجِزَةٌ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ مَنْ قَامَتْ بِهِ ، وَعَلَى قُدْرَةِ مَنْ أَرْسَلَهُ ،
 وَهَكَذَا مُحَمَّدٌ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، بُعِثَ فِي زَمَنِ

(١) سقط من : م .

الْفُصْحَاءِ الْبَلْعَاءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، فَلَقَّظَهُ مُعْجِزٌ، تَحَدَّى بِهِ الْإِنْسَ وَالْحَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ أَوْ بَعْشِرِ سُورٍ مِنْ مِثْلِهِ أَوْ بِسُورَةٍ، وَقَطَعَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ، لَا فِي الْحَالِ وَلَا فِي الْإِسْتِقْبَالِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا وَلَنْ يَفْعَلُوا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ كَلَامُ الْخَالِقِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَعْمَالِهِ .

والمقصود أن عيسى، عليه السلام، لما أقام عليهم الحجج والبراهين، استمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم، فانتدب له من بينهم طائفة صالحة، "فكانوا له" أنصاراً وأعواناً، قاموا بمتابعتهم ونصرتهم ومناصحتهم، وذلك حين هم به بنو إسرائيل، ووشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان، فعزموا على قتله وصلبه، فأنقذه الله منهم، ورفعه إليه من بين أظهرهم، وألقى شبهه على أحد أصحابه، فأخذوه فقتلوه وصلبوه، وهم يعتقدونه عيسى، وهم في ذلك غالطون، وللحق مكابرون، وسلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه، [١٦/ ٢٦٥] ويكلا الفريقين في ذلك مخطئون، كما قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ . وقال تعالى^(١): ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ

(١ - ١) ليس في: الأصل، ص .

(٢) التفسير ١٣٥/٨ - ١٣٨ .

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ [الصف: ٦-٩]. إلى أن قال بعد ذلك ^(١) : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِحَوَارِيِّنَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تَظَاهِرَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ [الصف: ١٤]. فعيسى ، عليه السلام ، هو خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وقد قام فيهم خطيباً فبشّرهم بخاتم الأنبياء الآتى بعده ، ونوّه باسمه ، وذكر لهم صِفته ليُعرفوه ويُتَابِعُوهُ إِذَا شَاهَدُوهُ ؛ إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَإِحْسَانًا مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ^(٢) : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال محمد بن إسحاق ^(٣) : حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قال :

(١) التفسير ١٣٩/٨ ، ١٤٠ .

(٢) التفسير ٤٨١/٣ - ٤٨٨ .

(٣) سيرة ابن هشام ١/١٦٦ ، ومن طريق ابن إسحاق رواه الطبري في تفسيره ١/٥٥٦ ، والحاكم في المستدرک ٢/٦٠٠ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٤٥) .

« دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى عَيْسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُضْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ » . وقد رُوِيَ عن العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ، وَأَبِي أَمَامَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوُ هَذَا ^(١) ، وَفِيهِ : « دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى عَيْسَى » . وَذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا بَنَى الْكَعْبَةَ قَالَ : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الآية [البقرة : ١٢٩] . وَلَمَّا انْتَهتِ النَّبِيُّوَةُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى عَيْسَى ، قَامَ فِيهِمْ خَطِيئًا ، فَأَخْبِرَهُمْ أَنَّ النَّبِيُّوَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ عَنْهُمْ ، وَأَنَّهَا بَعْدَهُ فِي النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْأُمِّيِّ ، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، أَحْمَدًا ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، الَّذِي هُوَ مِنْ سُلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ . يُحْتَمَلُ عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى عَيْسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، [١/٢٦٥ ظ] وَيُحْتَمَلُ عَوْدُهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، ثُمَّ حَرَضَ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَنُصْرَةِ نَبِيِّهِ وَمُؤَاوَزَتِهِ وَمَعَاوَنَتِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَنَشْرِ الدَّعْوَةِ ، فَقَالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أَي ؛ مَنْ يَسَاعِدُنِي فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا : النَّاصِرَةُ . فَسَمُّوا النَّصَارَى بِذَلِكَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ﴾ يَعْنِي ، لَمَّا دَعَا عَيْسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، مِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ،

(١) حديث العيرباض رواه ابن جرير في تفسيره ١/٥٥٦ . وحديث أبي أمامة رواه أحمد في المسند ٥/٢٦٢ ، وابن سعد في الطبقات ١/١٠٢ ، وابن عدى في الكامل ٦/٢٠٥٥ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٢٢ : رواه أحمد ، وإسناده حسن ، وله شواهد تقويه . قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٦) : قلت : منها الحديث الذي قبله أي حديث (١٥٤٥) .

فكان يَمُنُّ آمَنَ به أهلُ أنطاكيةَ بكَمالِهِم، فيما ذَكَرَهُ غيرُ واحدٍ مِن أهلِ السَّيْرِ والتَّوَارِيخِ والتَّفْسِيرِ، بَعَثَ إِلَيْهِم رُسُلًا^(١) ثَلَاثَةَ، أَحَدُهُم شَمْعُونُ الصَّفَا، فَأَمَّنُوا واستَجَابُوا^(٢)، وليس هَؤُلَاءِ هُم المذکورين في سورة «يس»؛ لِأَنَّ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ القَرْيَةِ^(٣)، وَكَفَرَ آخَرُونَ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُم جَمهُورُ اليَهُودِ، فَأَيَّدَ اللهُ مَنْ آمَنَ بِهِ عَلَيَّ مَنْ كَفَرَ فِيما بَعْدُ، وَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ عَلَيْهِم قَاهِرِينَ لَهُم، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى^(٤): ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَلِّمْ عَلَيَّ مِن تَحْتِ هَذِهِ السَّمَاءِ وَرَافِعِكَ إِلَيَّ وَمَطْعَمِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الآية [آل عمران: ٥٥]. فَكُلُّ مَنْ كَانَ إِلَيْهِ أَقْرَبَ، كَانَ «غَالِبًا لِمَنْ دُونَهُ»^(٥)، وَلَمَّا كَانَ قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، مِنْ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، كَانُوا ظَاهِرِينَ عَلَيَّ النَّصَارَى الَّذِينَ غَلَبُوا فِيهِ وَأَطْرَوْهُ، وَأَنْزَلُوهُ فَوْقَ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ بِهِ، وَلَمَّا كَانَ النَّصَارَى أَقْرَبَ فِي الْجُمْلَةِ مِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْيَهُودُ فِيهِ^(٦)، عَلَيْهِم لِعَائِنُ اللهُ، كَانَ النَّصَارَى قَاهِرِينَ لِلْيَهُودِ فِي أَرْزَامِ الفَتْرَةِ إِلَى زَمَنِ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(١) سقط من: ح.

(٢) في ص: «استعجلوا».

(٣) تقدم في صفحة ٨-١٣.

(٤) التفسير ٣٧/٢ - ٣٩.

(٥ - ٥) في ح، م، ص: «عاليا فمن دونه».

(٦) سقط من: ح، م.

ذِكْرُ خَيْرِ الْمَائِدَةِ

قال الله تعالى^(١) : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْنُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَكَوْنٌ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٥]. قد ذكرنا في التفسير الآثار الواردة في نزول المائدة، عن ابن عباس، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وغيرهم من السلف^(٢)، ومضمون ذلك، أن عيسى، عليه السلام، أمر الحواريين [١/٢٦٦و] بصيام ثلاثين يوماً، فلما أتموها، سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها، وتطمئن بذلك قلوبهم، أن الله قد تقبل صيامهم وأجابهم إلى طلبهم، وتكون لهم عيداً يُفطرون عليها يوم فطرتهم، وتكون كافية لأولهم وآخرهم، لغيبتهم وفقيرهم، فوعظهم عيسى، عليه السلام، في ذلك، وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها، ولا يؤدوا حق شروطها، فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربهم، عز وجل، فلما لم يقلعوا عن ذلك، قام إلى مضلاة وليس مسحاً من شعر، وصف بين قدميه وأطرق رأسه، وأسبل عينيه بالبكاء، وتضرع

(١) التفسير ٢١٩/٣ - ٢٢٦.

(٢) التفسير ٢١٩/٣ - ٢٢٥.

إلى الله في الدعاء والسؤال، أن يجابوا إلى ما طلبوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَائِدَةَ
 مِنَ السَّمَاءِ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا تَنَحُّدِرُ بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ، وَجَعَلْتَ تَذُنُو قَلِيلًا
 قَلِيلًا، وَكَلَّمَا ذَنْتَ سَأَلَ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَبَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يَجْعَلَهَا
 رَحْمَةً لَا نِقْمَةَ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا بَرَكَةً وَسَلَامَةً، فَلَمْ تَزَلْ تَذُنُو حَتَّى اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ
 يَدَيْ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهِيَ مُعْطَاةٌ بِمَنْدِيلٍ، فَقَامَ عِيسَى يَكْشِفُ عَنْهَا،
 وَهُوَ يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الرَّازِقِينَ. فَإِذَا عَلَيْهَا سَبْعَةٌ مِنَ الْحَيْتَانِ، وَسَبْعَةٌ أَرْغِفَةٍ،
 وَيُقَالُ: وَخَلٌّ. وَيُقَالُ: وَرُؤْمَانٌ وَرِيمَانٌ^(١). وَلَهَا رَائِحَةٌ عَظِيمَةٌ جَدًّا. قَالَ اللَّهُ
 لَهَا: كُونِي. فَكَانَتْ، ثُمَّ أَمَرَهُم بِالْأَكْلِ مِنْهَا، فَقَالُوا: لَا نَأْكُلُ حَتَّى تَأْكُلَ.
 فَقَالَ: إِنَّكُمْ الَّذِينَ ابْتَدَأْتُمُ السُّؤَالَ لَهَا. فَأَبَوْا أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا ابْتِدَاءً، فَأَمَرَ الْفُقَرَاءَ
 وَالْمَحَاوِجِ وَالْمَرْضَى وَالزُّمَنَى، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ^(٢) فَأَكَلُوا مِنْهَا فَبَرَأَ
 كُلُّ مَنْ بِهِ عَاهَةٌ، أَوْ آفَةٌ، أَوْ مَرَضٌ مُزْمِنٌ، فَتَنَدَّمَ النَّاسُ عَلَى تَرْكِ الْأَكْلِ مِنْهَا؛
 لِمَا رَأَوْا مِنْ إِصْلَاحِ حَالِ أَوْلَادِكَ، ثُمَّ قِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ تَنْزِلُ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً^(٣)،
 فَيَأْكُلُ النَّاسُ مِنْهَا، يَأْكُلُ آخِرُهُمْ كَمَا يَأْكُلُ أَوْلَهُمْ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهَا كَانَ يَأْكُلُ
 مِنْهَا نَحْوُ سَبْعَةِ آلَافٍ. ثُمَّ كَانَتْ تَنْزِلُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، كَمَا كَانَتْ نَاقَةُ صَالِحٍ
 يَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ عِيسَى أَنْ يَقْضِرَهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ أَوْ
 الْمَحَاوِجِ، دُونَ الْأَغْنِيَاءِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَتَكَلَّمُوا مُنَافِقُوهُمْ فِي
 ذَلِكَ، فَزَفَعَتْ بِالْكُلَيْبِيِّ، وَمَسِخَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ خَنَازِيرَ.

(١) سقط من: الأصل.

(٢) في الأصل: «ستمائة». وانظر التفسير ٣/٢٢٤.

(٣) سقط من: الأصل، ص.

وقد رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ^(١) جَمِيعًا، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ قُرَّةَ^(٢) الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ خِلَاسٍ^(٣)، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نَزَلَتِ الْمَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ، خُبَيْرٌ وَلَحْمٌ، وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَخُونُوا، وَلَا يَدَّخِرُوا، وَلَا يَزِفَعُوا لَغَدٍ، فَخَانُوا، وَادَّخَرُوا، وَرَفَعُوا، فَمَسِيخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ». ثُمَّ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٤) عَنْ بُنْدَارٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ [٢٦٦/١ ظ] عَنْ خِلَاسٍ، عَنْ عَمَّارٍ، مَوْقُوفًا، وَهَذَا أَصَحُّ، وَكَذَا رَوَاهُ^(٥) مِنْ طَرِيقِ سِمَاكِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَجَلٍ^(٦) عَنْ عَمَّارٍ، مَوْقُوفًا، وَهُوَ الصَّوَابُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَخِلَاسٌ عَنْ عَمَّارٍ مُنْقَطِعٌ، فَلَوْ صَحَّ هَذَا الْحَدِيثُ مَرْفُوعًا، لَكَانَ فَيَضَلُّ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ؛ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي الْمَائِدَةِ، هَلْ نَزَلَتْ أَمْ لَا؟ فَالْجَمْهُورُ، أَنَّهَا نَزَلَتْ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآثَارُ، وَكَمَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ ظَاهِرِ سِيَاقِ الْقُرْآنِ، وَلَا سِيَّمًا قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مَتْرَلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ كَمَا قَرَّرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ^(٧) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَى مُجَاهِدٍ، وَإِلَى الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، أَنَّهُمَا قَالَا: لَمْ تَنْزِلْ وَإِنَّهُمْ أَبَوْا نُزُولَهَا، حِينَ قَالَ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا

(١) عزاه في الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى ابن أبي حاتم، ورواه الطبري في تفسيره ١٣٤/٧. وانظر (ضعيف سنن الترمذى ٥٨٧).

(٢) في الأصل: «نزعة»، وفي ص: «عرفة»، وانظر تهذيب الكمال ٣٠٣/٦.

(٣) في الأصل: «جلاس»، وفي «تفسير الطبري» بتحقيق أحمد شاكر ٢٢٨/١١: «خلاس». وهو الصواب انظر تهذيب الكمال ٣٦٤/٨.

وقال الشيخ أحمد شاكر: في المطبوعة: «جلاس»، وهو خطأ.

(٤) تفسير الطبري ١٣٤/٧.

(٥) تفسير ابن جرير ١٣٤/٧.

(٦) في الأصل: «عجيل». وهو خطأ. انظر تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر (٢٢٨/١١).

(٧) تفسير الطبري ١٣٥/٧.

أَعَدُّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٤٠﴾ . ولهذا قيل : إِنَّ النَّصَارَى لَا يَعْرِفُونَ خَيْرَ الْمَائِدَةِ ،
وليس مذكورًا في كتابهم مع أن خَيْرَهَا بِمَا تَتَوَقَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ . وقد تَقَصَّيْنَا الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي « التفسير » ، فليُكْتَبَ مِن هُنَاكَ ، ومن
أَرَادَ مَرَاجَعَتَهُ فليُنْظَرْهُ مِن ثَمَّ . وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ .

فصل

قال أبو بكر ابن أبي الدنيا^(١): حَدَّثَنَا رَجُلٌ سَقَطَ اسْمُهُ ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو هَلَالٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُوقِيِّ ، قَالَ : فَقَدَ الْحَوَارِيُّونَ نَبِيَّهُمْ عِيسَى ، فَقِيلَ لَهُمْ : تَوَجَّهْ نَحْوَ الْبَحْرِ . فَاذْطَلَقُوا يَطْلُبُونَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْبَحْرِ ، إِذَا هُوَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ ، يَوْفَعُهُ الْمَوْجُ مَرَّةً وَيَضَعُهُ أُخْرَى ، وَعَلَيْهِ كِسَاءٌ مُزْتَدٍ بِنِصْفِهِ ، وَمُؤْتَزَّرٌ بِنِصْفِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ - قَالَ أَبُو هَلَالٍ : ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ أَفَاضِلِهِمْ - : أَلَا أَجِيءُ إِلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَوَضَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَضَعَ الْأُخْرَى ، فَقَالَ : أَوْهَ ، غَرَقْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ . فَقَالَ : أَرِنِي يَدَكَ يَا قَصِيرَ الْإِيمَانِ ، لَوْ أَنَّ لَابِنِ آدَمَ مِنَ الْيَقِينِ قَدْرَ شَعِيرَةٍ ، مَشَى عَلَى الْمَاءِ . وَرَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ^(٢) ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْحَجِيمِ^(٣) ، عَنْ سَلِيمَانَ بْنِ حَزْبٍ ، عَنْ أَبِي هَلَالٍ ، عَنْ بَكْرِ ، بِنَحْوِهِ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا^(٤) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ ابْنِ شَقِيقٍ^(٥) ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ^(٦) ، عَنْ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ : قِيلَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ : يَا عِيسَى ، بِأَيِّ شَيْءٍ تَمْشِي عَلَى الْمَاءِ ؟ قَالَ :

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/١٤ مخطوط، من طريق ابن أبي الدنيا به.

(٢) المصدر السابق من طريق أبي سعيد بن الأعرابي به.

(٣) في الأصل، ح: «الحجيم». وانظر تبصير المنتبه لابن حجر ٢٤٤/١.

(٤) تاريخ دمشق ٥٦/١٤. مخطوط.

(٥) في م: «سفيان». وانظر تهذيب الكمال: ١٣٤/٢٦.

(٦) في تاريخ دمشق: «إبراهيم بن أبي الأشعث». وانظر تهذيب الكمال ١٣٥/٢٦.

بالإيمان واليقين . قالوا : فَإِنَّا آمَنَّا كَمَا آمَنَتْ وَأَيَقِنَّا كَمَا أَيَقِنْت . قال : فامشوا إذا . قال : فَمَشَوْا معه فى المَوْجِ فَغَرِقُوا . فقال لهم عيسى : ما لكم ؟ فقالوا : خِفْنَا المَوْجِ . قال : أَلَا خِيفْتُمْ رَبَّ المَوْجِ . قال : فَأَخْرَجَهُمْ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الأَرْضِ ، فَفَبَضَّ بِهَا ثُمَّ بَسَطَهَا ، فإذا فى إحدى يَدَيْهِ ذَهَبٌ ، وفى الأخرى مَدْرٌ أو حَصَى ، فقال : أَيُّهُمَا أَحَلَى فى قُلُوبِكُمْ ؟ قالوا : هذا الذَّهَبُ . قال : فَإِنَّهُمَا عِنْدَى سِوَاءٍ . وقد قَدَّمْنَا فى قِصَّةِ يحيى بن زكريا^(١) عن بعض السلف أن عيسى ، عليه السلام ، كان يَلْبَسُ الشَّعْرَ ، ويَأْكُلُ [١/٢٦٧و] من وَرَقِ الشَّجَرِ ، ولا يَأْوِي إلى مَنْزِلٍ ولا أهلٍ ولا مالٍ ، ولا يَدْخِرُ شَيْئًا لَعْدٍ . وقال بعضهم : كان يَأْكُلُ من غَزَلِ أُمِّهِ ، صلواتُ اللهِ وسلامه عليه .

وروى ابنُ عساکر^(٢) عن الشَّعْبِيِّ ، أنه قال : كان عيسى ، عليه السلام ، إذا ذُكِرَ عنده الساعةُ صاح ، ويقولُ : لا ينبغي لابنِ مَرْيَمَ أَنْ تُذَكَّرَ عنده الساعةُ وَيَسْكُتَ . وعن عبد الملكِ بنِ سعيدِ بنِ أبجر^(٣) ، أن عيسى كان إذا سَمِعَ المَوْعِظَةَ صَرَخَ صُراخَ التُّكْلِى .

وقال عبدُ الرزاق^(٤) : أنبأنا معمرٌ ، حدَّثنا جعفرُ بنُ بُزقان^(٥) : أن عيسى كان يقولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ لا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ ما أكرهه ، ولا أملكُ نَفْعَ ما أَرْجُو ، وَأَصْبَحَ الأمرُ بيدِ غَيْرِي ، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهِنًا بَعْمَلِي ، فلا فقيرَ أفقرَ مِنِّي ،

(١) تقدم ص ٤٠٣ - ٤٠٥ .

(٢) تاريخ دمشق ٥٧/٤ مخطوط .

(٣) فى م ، ص : « بحر » ، انظر تهذيب الكمال ٣١٣/١٨ .

(٤) أخرجه ابن عساکر فى تاريخ دمشق ٥٨/١٤ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به .

(٥) فى ح : « مروان » ، وفى م : « بلقان » . انظر تهذيب الكمال ١١/٥ .

اللهم لا تُسَمِّتْ بِي عَدُوِّي، ولا تُسَوِّبْ بِي صَدِيقِي، ولا تُجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي. وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ^(١)، عَنْ يُوثُسَ ابْنِ عُبَيْدٍ: كَانَ عَيْسَى يَقُولُ: لَا «يُصِيبُ أَحَدًا» حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى لَا يُيَالِحِي مِنْ أَكْلِ الدُّنْيَا. قَالَ الْفَضِيلُ: وَكَانَ عَيْسَى يَقُولُ: فَكَرَّثُ فِي الْخَلْقِ، فَوَجَدْتُ مَنْ لَمْ يُخْلَقْ أَغْبَطَ عِنْدِي مِنْ خُلُقٍ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بَشِيرٍ^(٢)، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: إِنَّ عَيْسَى رَأْسَ الزَّاهِدِينَ^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: وَإِنَّ الْفَرَّارِينَ بِذُنُوبِهِمْ يُحَسَّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ عَيْسَى. قَالَ: وَبَيْنَمَا عَيْسَى يَوْمًا نَائِمٌ عَلَى حَجَرٍ قَدْ تَوَسَّدَهُ، وَقَدْ وَجَدَ لَذَّةَ النَّوْمِ، إِذْ مَرَّ بِهِ إِبْلِيسُ، فَقَالَ: يَا عَيْسَى، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَرِيدُ شَيْئًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟ فَهَذَا الْحَجَرُ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا. «فَقَامَ عَيْسَى»^(٤) فَأَخَذَ الْحَجَرَ فَرَمَى بِهِ إِلَيْهِ، وَقَالَ: هَذَا لَكَ مَعَ الدُّنْيَا. وَقَالَ مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: خَرَجَ عَيْسَى عَلَى أَصْحَابِهِ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ صَوْفٌ، وَكِسَاءٌ وَتُبَّانٌ، حَافِيًا بَاكِيًا شَعْنًا، مُصَفَّرًا اللَّوْنِ مِنَ الْجُوعِ، يَابَسَ الشَّفَتَيْنِ مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنَا الَّذِي أَنْزَلْتُ الدُّنْيَا مَنزِلَتَهَا يَا ذَنِّ اللَّهِ، وَلَا عَجَبَ وَلَا فَخْرَ، أَتَدْرُونَ أَيْنَ يَتَّبِي؟ قَالُوا: أَيْنَ يَتَّبِكَ يَا رُوحَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَيْتِي الْمَسَاجِدُ، وَطَيْبِي الْمَاءُ، وَإِذَا مَيَّ الْجُوعُ، وَسِيرَاجِي الْقَمَرُ بِاللَّيْلِ، وَصَلَاتِي فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقُ

(١) المصدر السابق، من طريق الفضيل به.

(٢ - ٣) في م: «نصيب». وفي ص: «تصيب».

(٣) المصدر السابق ٥٩/١٤، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٤) بعده في ح: «يوم الزاهدين».

(٥ - ٥) في م، ح: «فقال». وبعده من التاريخ: «غضباناً».

الشَّمْسِ، وَرِيحَانِي بَقُولُ الْأَرْضِ، وَيَبَاسِي الصُّوفِ^(١)، وَشِعَارِي خَوْفُ رَبِّ الْعِزَّةِ، وَجُلَسَائِي الرُّمْتَى وَالْمَسَاكِينُ، أَصْبِحُ وَلا يَسُ بِي شَيْءٌ، وَأُمْسِي وَلا يَسُ بِي شَيْءٌ، وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ، «عَنِّي مُكَبِّرٌ»^(٢)، فَمَنْ أَعْنَى مِنِّي، وَأَرْبِيحُ؟ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٣).

وَرَوَى^(٤) فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبَانَ بْنِ جِبَّانَ أَبِي الْحَسَنِ الْعَقِيلِيِّ الْمِصْرِيِّ، حَدَّثَنَا هَانِيُّ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ الْإِسْكَدْرَانِيُّ، عَنْ حَيَوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ، حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ، عَنْ «شَفِيِّ بْنِ مَاتِعٍ»^(٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى، أَنْ يَا عِيسَى، انْتَقِلْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، لِقَلَّا تُعْرَفَ فَتُوذَى، فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَأَزُوجَنَّكَ أَلْفَ حَوْرَاءَ، وَلَأَوْلِمَنَّ عَلَيْكَ أَرْبَعَمِائَةَ عَامٍ». وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ رَفَعَهُ، وَقَدْ يَكُونُ مَوْقُوفًا مِنْ رِوَايَةِ شَفِيِّ بْنِ مَاتِعٍ عَنِ كَعْبِ الْأَخْبَارِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ^(٦)، عَنْ سَفِيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ خَلْفِ بْنِ حَوْشِبٍ قَالَ: قَالَ عِيسَى لِلْحَوَارِيِّينَ: كَمَا تَرَكَ لَكُمْ الْمَلُوكَ الْحِكْمَةَ، فَكَذَلِكَ فَاتْرُكُوا [٢٦٧/١ ظ] لَهُمُ الدُّنْيَا.

(١) فِي م: «الصُّوف».

(٢ - ٢) فِي النُّسخِ: «غَيْرُ مَكْتَرٍ». وَالمُثَبِّتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقِ.

(٣) تَارِيخِ دِمَشْقِ ٦١/١٤ مَخْطُوطٌ.

(٤) تَارِيخِ دِمَشْقِ ٨٦/١٦، ٨٧ مَخْطُوطٌ.

(٥ - ٥) فِي م: «سَفِيٌّ بْنُ نَافِعٍ». انظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ٥٤٣/١٢.

(٦) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٦١/١٤، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ بِهِ.

وقال قتادة^(١) : قال عيسى ، عليه السلام : سلوني فإني لئن القلب ، وإني صغير عند نفسي . وقال إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : قال عيسى ، عليه السلام ، للحواريين : كلوا خبز الشعير ، واشربوا الماء القراح ، واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين ، لحق ما أقول لكم : إن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة ، وإن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وإن عباد الله لبشوا بالمتعمين ، لحق ما أقول لكم : إن شركم عالم يؤثر هواه على علمه ، يؤد أن الناس كلهم مثله . وروى نحوه عن أبي هريرة^(٢) .

وقال أبو مضعب^(٣) ، عن مالك : إنه بلغه أن عيسى كان يقول : يا بني إسرائيل ، عليكم بالماء القراح ، والبقل البري ، والخبز الشعير ، وإياكم وخبز البر ، فإنكم لن تقوموا بشكره .

وقال ابن وهب^(٤) ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، قال : كان عيسى يقول : اغربوا الدنيا ولا تغمروها . وكان يقول : حُب الدنيا رأس كل خطيئة ، والنظر يزرع في القلب الشهوة . وحكى وهيب بن الورد مثله ، وزاد : ورب شهوة أوزت أهلها حزنا طويلا^(٥) . وعن عيسى ، عليه السلام : يا ابن آدم الضعيف ، اتق الله حيث ما كنت ، وكُن في الدنيا ضيفا^(٦) ، واتخذ المساجد بيتا ، وعلم عينك البكاء ، وجسدك الصبر ، وقلبك التفكير ، ولا تهتم

(١) تاريخ دمشق ٦٢/١٤ مخطوط .

(٢) تاريخ دمشق ٦٢/١٤ مخطوط .

(٣) المصدر السابق ٦٣/١٤ من طريق أبي مصعب به .

(٤) المصدر السابق ٦٣/١٤ من طريق ابن وهب به .

(٥) تاريخ دمشق ٦٣/١٤ مخطوط .

(٦) في ص : « ضعيفا » .

برزقي غدي، فإنها حطيمه^(١). وعنه، عليه السلام، أنه قال: كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر داراً، فلا يتخذ الدنيا قراراً. وفي هذا يقول سابق البربري:

لکم بیوت بمستن^(٢) الشیول^(٣) وهل يتقی^(٤) على الماء بیت أمه مدّر^(٥)

وقال سفيان الثوري^(٦): قال عيسى ابن مريم: لا يستقيم حُب الدنيا وحُب الآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء. وقال إبراهيم الحري^(٧)، عن داود بن رشيد، عن أبي عبد الله الصوفي، قال: قال عيسى: طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً، حتى يقتله. وعن عيسى، عليه السلام، أن الشيطان مع الدنيا، «مكره مع^(٨) المال، وتزيينه مع الهوى، واشتمكائه عند الشهوات^(٩). وقال الأعمش^(١٠)، عن خيثمة: كان عيسى يصنع^(١١) الطعام لأصحابه، ويقوم عليهم، ويقول: هكذا فاصنعوا بالقرى. وبه قالت امرأة لعيسى، عليه السلام: طوبى لحجر حملك، ولتدي

(١) تاريخ دمشق ٦٣/١٤، ٦٤ مخطوط.

(٢) في ح، ص: «مستن».

(٣) في م: «السيوف».

(٤) في م: «يني».

(٥) المصدر السابق ٦٥/١٤.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق، من طريق إبراهيم الحري به.

(٨ - ٨) في م: «فكره من».

(٩) تاريخ دمشق ٦٥/١٤ مخطوط.

(١٠) المصدر السابق ٦٦/١٤، من طريق الأعمش به.

(١١) في م: «يضع».

أَرْضَعَكَ . فقال: طُوِي لِمَنْ قَرَأَ كِتَابَ اللَّهِ وَاتَّبَعَهُ ^(١) . وعنه : طُوِي لِمَنْ بَكَى مِنْ ذِكْرِ خَطِيئَتِهِ ، [٢٦٨/١] وَحَفِظَ لِسَانَهُ ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ ^(٢) . وعنه : طُوِي لِعَيْنِ نَامِثٍ ، وَلَمْ تُحَدِّثْ نَفْسَهَا بِالْمَعْصِيَةِ ، وَانْتَبَهَتْ إِلَى غَيْرِ إِثْمٍ ^(٣) . وعن مالكِ بْنِ دِينَارٍ ، قال : مرَّ عيسى وَأَصْحَابُهُ بِجَيفَةٍ ، فَقَالُوا : مَا أَتَتْ رِيحَهَا . فقال : ما أبيضُ أَشْنَانَهَا . لِيُنْهَاهُمْ عَنِ الْغِيْبَةِ ^(٤) . وقال أبو بكرِ ابنُ أُمِّ الدُّنْيَا ^(٥) : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ عَدِيٍّ ، قال : قال عيسى ابنُ مريمَ : يا مَعْشَرَ الْخَوَارِيزِيِّينَ ، ارْضُوا بِدُنْيِي الدُّنْيَا مَعَ سَلَامَةِ الدِّينِ ، كما رَضِيَ أَهْلُ الدُّنْيَا بِدُنْيِي الدِّينِ مَعَ سَلَامَةِ الدُّنْيَا . قال زَكَرِيَّا ^(٦) : وفي ذلك يقولُ الشَّاعِرُ ^(٧) :

أَرَى رِجَالًا بِأَذْنِي الدِّينِ قَدْ قَتَعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالْذُّونِ
فَاسْتَفَنَ بِالْذُّونِ ^(٨) عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اسْتَعْتَنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

وقال أبو مُضْعَبٍ ^(٩) ، عن مالكٍ : قال عيسى ابنُ مريمَ ، عليه السَّلَامُ : لا تُكْثِرُوا الْحَدِيثَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ ، فَتَقْسُو قُلُوبَكُمْ ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ ، ولا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ الْعِبَادِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ ، وانظُرُوا فِيهَا

(١) تاريخ دمشق ٦٦/١٤ مخطوط .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ٦٧/١٤ .

(٤) المصدر السابق ٦٨/١٤ .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا ، في كتاب « ذم الدنيا » برقم (٤٤٩) .

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا ، في كتاب « ذم الدنيا » برقم (٤٥٠) .

(٧) وفي حلية الأولياء ٣٧٦/٦ : قال زكريا بن عدى : كان الثوري يتمثل . ثم ساق البيهقي .

(٨) في ص : « بالله » .

(٩) في تاريخ دمشق : « مصعب » . انظر تهذيب الكمال (٢٧٨/١) . والأثر أخرجه ابن عساكر في

تاريخ دمشق ٧٠/١٤ مخطوط ، من طريق أبي مصعب به .

كَأَنَّكُمْ عبيدٌ، فَأَيُّمَا النَّاسِ رَجُلَانِ مُعَافَى وَمُتَبَتَّلَى، فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ، وَاحْمَدُوا
اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ.

وقال الثَّورِيُّ^(١) : سمعتُ أبا يقول، عن إبراهيم التَّيْمِيِّ، قال : قال عيسى
لأصحابه : بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ : مَنْ طَلَبَ الْفِرْدَوْسَ، فَخُبِرَ الشَّعِيرِ لَهُ، وَالنُّومُ فِي
الْمَزَابِلِ مَعَ الْكِلَابِ كَثِيرٌ.

وقال مالكُ بنُ دينارٍ : قال عيسى : إِنَّ أَكْلَ الشَّعِيرِ مَعَ الرَّمَادِ، وَالنُّومُ عَلَى
الْمَزَابِلِ مَعَ الْكِلَابِ لَقَلِيلٌ فِي طَلَبِ الْفِرْدَوْسِ^(٢).

وقال عبدُ اللهِ بنُ المبارك^(٣) : أَنبَأَنَا سفيانُ، عن منصورٍ، عن سالمِ بنِ أبي
الجعدِ، قال : قال عيسى : اَعْمَلُوا لِلَّهِ، وَلَا تَعْمَلُوا لِبَطُونِكُمْ، انظروا إلى هذه
الطَّيْرِ، تَعْدُو وَتَزُوحُ، لَا تَحْمُرُ وَلَا تَحْضُدُ، وَاللَّهُ يَزُرُّهَا، فَإِنْ قَلْتُمْ : نَحْنُ أَعْظَمُ
بُطُونًا مِنَ الطَّيْرِ. فَانظروا إلى هذه الأَبَاقِيرِ^(٤) مِنَ الْوَحُوشِ وَالْحُمُرِ، فَإِنَّهَا تَعْدُو
وَتَزُوحُ لَا تَحْمُرُ وَلَا تَحْضُدُ، وَاللَّهُ يَزُرُّهَا.

وقال صفوانُ بنُ عمرو^(٥)، عن سُريحِ بنِ عُبيد^(٦)، عن يزيدِ بنِ ميسرة
قال : قال الحواريون للمسيح : يَا مَسِيحَ اللَّهِ، انظُرْ إِلَى مَسْجِدِ اللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ.
قال : آمين آمين، بِحَقِّ^(٧) أَقُولُ لَكُمْ : لَا يَبْرُكُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ حَجْرًا قَائِمًا

(١) المصدر السابق، من طريق الثوري به.

(٢) تاريخ دمشق ٧٠/١٤ مخطوط.

(٣) المصدر السابق ٧١/١٤، من طريق عبد الله بن المبارك به.

(٤) في م : « الأباقيير ».

(٥) المصدر السابق ٧٥/١٤، من طريق صفوان بن عمرو به.

(٦) في م : « عبد الله ». انظر تهذيب الكمال ٤٤٦/١٢.

(٧) بعده في م : « ما ».

إلا أَهْلَكَهُ بِذُنُوبِ أَهْلِهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْنَعُ بِالذَّهَبِ وَلَا بِالْفِضَّةِ، وَلَا بِهَذِهِ الْأَخْجَارِ الَّتِي تُعْجِبُكُمْ شَيْئًا، إِنَّ أَحَبَّ^(١) إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْقُلُوبُ الصَّالِحَةُ، وَبِهَا يُعَمَّرُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَبِهَا يُخْرَبُ اللَّهُ الْأَرْضَ إِذَا كَانَتْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه»^(٢): أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ أَحْمَدُ ابْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيُّ [١/٢٦٨ظ]، أَخْبَرَنَا عَائِشَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْوَزْكَانِيَّةُ^(٣)، قَالَتْ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهَيْثَمِ^(٤) إِمْلَاءً، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ أَبَانَ إِمْلَاءً، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ^(٥) الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا سَهْلُ^(٦) بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ^(٧)، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنِ لَيْثِ، عَنِ مُجَاهِدِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَرَّ عَيْسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى مَدِينَةِ خَرَبَةَ فَأَعْجَبَهُ الْبُيُوتَانُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَرْهُذَةُ الْمَدِينَةِ أَنْ تُجَيِّتِي. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ: أَيُّهَا الْمَدِينَةُ الْخَرَبَةُ، جَاوِزِي عَيْسَى. قَالَ: فَتَادَتِ الْمَدِينَةُ^(٨) عَيْسَى: حَبِيبِي، وَمَا تَرِيدُ مِنِّي؟ قَالَ: مَا فَعَلَ أَشْجَارُكَ، وَمَا فَعَلَ أَنْهَارُكَ، وَمَا فَعَلَ قُصُورُكَ، وَأَيْنَ سُكَّانُكَ؟ قَالَتْ: حَبِيبِي، جَاءَ وَعَدُّ رَبِّكَ الْحَقُّ، فَيَيْسَتْ أَشْجَارِي، وَتَشْفَتْ أَنْهَارِي، وَخَرِبَتْ قُصُورِي، وَمَاتَ سُكَّانِي. قَالَ: فَأَيُّ أَمْوَالِهِمْ؟ قَالَتْ: جَمَعُوها مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، مَوْضُوعَةً فِي بَطْنِي، لِلَّهِ مِيرَاثُ

(١) بعده في الأصل: «ما».

(٢) تاريخ دمشق ٧٥/١٤، ٧٦ مخطوط.

(٣) في الأصل: «الدركانية». وفي ص: «الدركية».

(٤) في الأصل: «الهيثم». وفي م: «الهيثم».

(٥) سقط من: ح.

(٦) في م: «سهيل».

(٧) في ح: «الخطلي».

(٨) في تاريخ دمشق: «الملائكة». وهو خطأ.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . قال : فنادى عيسى ، عليه السلام : فَعَجِبْتُ مِنْ ثَلَاثِ
 أَنَاسٍ ؛ طَالِبِ الدُّنْيَا وَالْمَوْتِ يَطْلُبُهُ ، وَبَانِي الْقُصُورِ وَالْقَبْرِ مَنْزِلُهُ ، وَمَنْ يَضْحَكُ مِلْءَ
 فِيهِ وَالنَّارُ أَمَامَهُ ، ابْنِ آدَمَ ، لَا بِالكَثِيرِ تَشْبَعُ ، وَلَا بِالْقَلِيلِ تَقْنَعُ ، تَجْمَعُ مَالَكَ لِمَنْ لَا
 يَحْمَدُكَ ، وَتُقَدِّمُ عَلَى رَبِّ لَا يَعْدُرُكَ ، إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدُ بَطْنِكَ وَشَهْوَتِكَ ، وَإِنَّمَا تَمَلَأُ
 بَطْنَكَ إِذَا دَخَلْتَ قَبْرَكَ ، وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ تَرَى حَشْدَ مَالِكَ فِي مِيزَانٍ غَيْرِكَ . هذا
 حديثٌ غريبٌ جدًّا ، وفيه موعظةٌ حسنةٌ ، فكتبناه لذلك .

وقال سفيانُ الثَّورِيُّ ^(١) ، عن أبيه ، عن إبراهيمَ التَّيْمِيِّ ، قال : قال عيسى ،
 عليه السلام : يا معشرَ الحواريِّينَ ، اجْعَلُوا كُنُوزَكُمْ فِي السَّمَاءِ ، فَإِنَّ قَلْبَ الرَّجُلِ
 حَيْثُ كَنَزَهُ . وقال ثورُ بنُ يزيدٍ ^(٢) ، عن عبدِ العزيزِ بنِ ظبيانَ ، قال : قال عيسى
 ابنُ مريمَ ، عليه السلام : مَنْ تَعَلَّمَ وَعَلَّمَ وَعَمِلَ ، دُعِيَ عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ
 السَّمَاءِ . وقال أبو كُرَيْبٍ : رَوَى أَنَّ عيسى ، عليه السلام ، قال : لَا خَيْرَ فِي
 عِلْمٍ لَا يَغْبُرُ مَعَكَ الْوَادِيَّ ، وَلَا يَغْمُرُ ^(٣) بَكَ النَّادِيَّ ^(٤) .

ورَوَى ابنُ عساکرٍ ^(٥) ، بإسنادٍ غريبٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا ، أَنَّ عيسى ،
 عليه السلام ، قام في بني إِسْرَائِيلَ فَقَالَ : يا معشرَ الحواريِّينَ ، لَا تُحَدِّثُوا
 بِالْحِكْمَةِ ^(٦) غَيْرَ أَهْلِهَا ، فَتُظْلِمُوهَا ، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا ، فَتُظْلِمُوهُمْ ، وَالْأُمُورُ
 ثَلَاثَةٌ ؛ أَمْرٌ تَبَيَّنَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ ، وَأَمْرٌ تَبَيَّنَ غَيْبُهُ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَأَمْرٌ اخْتَلَفَ عَلَيْكُمْ

(١) أخرجه في تاريخ دمشق (٧٦/١٤) مخطوط ، من طريق الثوري به .

(٢) المصدر السابق ، من طريق ثور بن يزيد به .

(٣) في ح ، م «يعبر» ، وفي الأصل ، ص : «يعمر» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٤) تاريخ دمشق ٧٦/١٤ مخطوط .

(٥) المصدر السابق ٧٧/١٤ .

(٦) في م : «بالحكم» .

فيه^(١) فرُدُّوا عِلْمَه إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ.

وقال عبدُ الرزَّاقِ^(٢): أنبأنا مَعْمَرٌ، عن رجلٍ، عن عِكْرِمَةَ، قال: قال عيسى: لا تطرحوا اللؤلؤَ إلى الخنزير؛ فإنَّ الخنزيرَ لا يصنع باللؤلؤِ [٢٦٩/١] شيئاً، ولا تغطوا الحكمةَ من لا يُريدها؛ فإنَّ الحكمةَ خيرٌ من اللؤلؤِ، ومن لا يريدها؛ شرٌّ من الخنزيرِ. وكذا حكى وَهْبٌ وغيره عنه^(٣). وعنه، أنَّه قال لأصحابه: أنتم ملح الأرض، فإذا فسدتُم، فلا دواءَ لكم، وإنَّ فيكم خصلتين من الجهل؛ الضحكُ من غيرِ عَجَبٍ، والصُّبْحَةُ^(٤) من غيرِ سَهَرٍ^(٥). وعنه، أنَّه قيلَ له: مَنْ أشدُّ الناسِ فتنَةً؟ قال: زَلَّةُ العالمِ، فإنَّ العالمَ إذا زلَّ زلٌّ يزلُّ به عالمٌ كثيرٌ^(٦). وعنه، أنَّه قال: يا علماءَ السوءِ، جعلتم الدنيا على رؤوسكم، والآخرةَ تحت أقدامكم، قولكم شفاءً، وعمَلُكم داءً، مثلكم مثلُ شجرةِ الدفلى^(٧)، تُعجِبُ مَنْ رآها، وتقتلُ مَنْ أَكَلَهَا^(٨). وقال وَهْبٌ: قال عيسى: يا علماءَ السوءِ، جَلَسْتُمْ على أبوابِ الجنةِ، فلا أنتم^(٩) تدخلونها، ولا تدعون المساكينَ يَدْخُلُونَهَا، إنَّ شرَّ الناسِ عندَ اللَّهِ عالمٌ يَطْلُبُ الدنيا بعِلْمِهِ^(١٠). وقال مكحولٌ: التقي يحيى، وعيسى فصافحه عيسى، وهو يضحك، فقال له

(١) سقط من: الأصل.

(٢) المصدر السابق، من طريق عبد الرزاق به.

(٣) تاريخ دمشق ٧٧/١٤ مخطوط.

(٤) في الأصل: «الصححة». والصبيحة: نومة الغداة.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) الدفلى: نبت مر، زهره كالورد الأحمر، يتخذ للزينة.

(٨) المصدر السابق ٨٧/١٤.

(٩) سقطت من: النسخ، وهي مثبتة من تاريخ دمشق.

(١٠) المصدر السابق.

يحيى : يا ابن خالتي ، ما لي أراك ضاحكاً كأنك قد أمنت . فقال له عيسى : ما لي أراك غابساً كأنك قد يمست . فأوحى الله إليهما : إن أحبكما إليّ أبشكهما بصاحبه^(١) . وقال وهب بن منبّه : وقف عيسى هو وأصحابه على قبر ، وصاحبه يُدلى فيه ، فجعلوا يذكرون القبرَ وضيقه ، فقال : قد كنتم فيما هو أضيّق منه في^(٢) أرحام أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يُوسّع وسّع^(٣) . وقال أبو عمَرَ^(٤) الضريز : بلغني أن عيسى كان إذا ذكّر الموت يَقَطُرُ جِلْدُهُ دَمًا^(٥) .

والآثارُ في مثل هذا كثيرةٌ جدًّا ، وقد أوردَ الحافظُ ابنُ عساکرَ منها طرفًا صالحًا ، اقتصرنا منه على هذا القدرِ ، واللهُ تعالى الموفقُ للصوابِ .

(١) المصدر السابق ١٤ / ٨٠ ، ٨١ .

(٢) في م : « من » .

(٣) المصدر السابق ١٤ / ٨١ .

(٤) في الأصل : « عمرو » .

(٥) المصدر السابق .

ذِكْرٌ ^(١) رَفَعَ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ،

إِلَى السَّمَاءِ فِي حِفْظِ الرَّبِّ، وَبَيَانِ

كُذِّبِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، عَلَيْهِمُ

لِعَائِنِ اللَّهِ، فِي دَعْوَى الصَّلْبِ

قال اللهُ تعالى ^(٢): ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ ﴿١٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كَفَرُوا بِآيَاتِي وَمَطَّهَرْتُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٤، ٥٥]. وقال تعالى ^(٣): ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بَهْتًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ [١/٢٦٩ظ] وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلَفُوا فِيهِ لِفِي شَكِّ مَنَّهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعِ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ

(١) سقط من: م.

(٢) التفسير ٣٧/٢ - ٣٩.

(٣) التفسير ٣٩٩/٢ - ٤١٩.

بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿ [النساء: ١٥٥ - ١٥٩] فَأُخْبِرَ
تعالى أَنَّهُ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَ مَا تَوَفَّاهُ بِالنُّومِ عَلَى الصَّحِيحِ الْمَقْطُوعِ بِهِ ،
وَحَلَّصَهُ بِمَنْ كَانَ أَرَادَ أَدْبِيتَهُ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَسَّوْا بِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ الْكَافِرَةِ فِي
ذَلِكَ الزَّمَانِ .

قال الحسن البصري، ومحمد بن إسحاق^(١) : كان اسمه داود بن يورا^(٢)
فأمَرَ بِقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ ، فَحَصَرُوهُ فِي دَارٍ بِيَلَدِ^(٣) بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَذَلِكَ عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ
لَيْلَةَ السَّبْتِ ، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ دُخُولِهِمْ أُلْقِيَ سَبْهُهُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ الْحَاضِرِينَ
عِنْدَهُ ، وَرُفِعَ عَيْسَى مِنْ رُوزَنَةِ^(٤) مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ
يَنْظُرُونَ ، وَدَخَلَ الشَّرْطُ فوجدوا ذلك الشاب الذي أُلْقِيَ عَلَيْهِ سَبْهُهُ ، فَأَخَذُوهُ
ظَانِينَ أَنَّهُ عَيْسَى ، فَصَلَبُوهُ وَوَضَعُوا الشُّوْكَ عَلَى رَأْسِهِ إِهَانَةً لَهُ ، وَسَلَّمَ لِلْيَهُودِ
عَامَةً النَّصَارَى الَّذِينَ لَمْ يُشَاهِدُوا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عَيْسَى أَنَّهُ صُلِبَ ، وَضَلُّوا
بِسَبَبِ ذَلِكَ ضَلَالًا مَبِينًا كَثِيرًا فَاحْشَا بَعِيدًا ، وَأُخْبِرَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ أَي ؛ بَعْدَ نَزْوَلِهِ إِلَى الْأَرْضِ فِي آخِرِ
الزَّمَانِ ، قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ ، فَإِنَّهُ يَنْزِلُ وَيَقْتُلُ الْخِزْيِرَ ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَضَعُ
الْجِزْيَةَ ، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ ، كَمَا بَيَّنَّا ذَلِكَ بِمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ عِنْدَ
تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ سُورَةِ «النِّسَاءِ»^(٥) ، وَكَمَا سَتُورِدُ ذَلِكَ مُسْتَقْفَضِي

(١) تفسير الطبري ١٤/٦ ، وتاريخ دمشق ٨٢/١٤ مخطوط .

(٢) في الأصل ، ح : «نودا» . وفي م : «نورا» . وفي ص : «فودا» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٣) سقط من : م .

(٤) الروزنة : الكؤة .

(٥) التفسير ٤٠١/٢ - ٤١٩ .

فى كتاب « الفتن والملاحم » عند أخبار المسيح الدجال ، ^(١) فنذكر ما ورد فى نزول المسيح المهدي ، عليه السلام ، من ذى الجلال ؛ لقتل المسيح الدجال ^(٢) الكذاب الداعى إلى الضلال . وهذا ذكر ما ورد من الآثار فى صفة رُفيعه إلى السماء .

قال ابن أبى حاتم ^(٣) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء ، خرج على أصحابه ، وفى البيت اثنا عشر رجلاً منهم - من الحوارين يعنى - فخرج عليهم من عين فى البيت ، ورأسه يقطر ماءً ، فقال : إن منكم من يكفر بى اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن بى . ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ، ويكون [٢٧٠/١] معى فى درجتى ؟ فقام شاب من أخذتهم سناً ، فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب ، فقال : اجلس . ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب ، فقال : أنا . فقال : أنت هو ذاك . فألقى عليه ^(٤) شبه عيسى ، ورفع عيسى من روزنة فى البيت إلى السماء . قال : وجاء الطلُب من اليهود ، فأخذوا الشبّة فقتلوه ثم صلبوه ، فكفر به ^(٥) بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن به ، وافترقوا ثلاث فرقى ، فقالت طائفة : كان الله فىنا ما شاء ، ثم صعد إلى السماء . وهؤلاء اليعقوبية ، وقالت

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) فى م : « فى » .

(٣) ذكره فى الدر المنثور ٢/٢٣٨ . وعزه لابن أبى حاتم .

(٤) فى الأصل : « عن » . انظر تهذيب الكمال ٢٨/٥٦٨ .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) سقط من : الأصل .

فِرْقَةٌ: كان فينا ابنُ الله ما شاء، ثم رَفَعَهُ اللهُ إليه . وهؤلاءِ التَّسْطُورِيَّةُ،
وقالت فِرْقَةٌ: كان فينا عبدُ الله ورسولُهُ ما شاء اللهُ^(١)، ثم رفعه اللهُ إليه،
وهؤلاءِ المسلمون، فتظاهرتِ الكافرتان على المشيئة فقتلوهما، فلم يزل
الإسلامُ طامِسًا حتى بعثَ اللهُ محمدًا ﷺ . قال ابنُ عباسٍ: وذلك قوله
تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤] . وهذا
إسنادٌ صحيحٌ - إلى ابنِ عباسٍ - على شرطِ مسلم^(٢)، ورواه النسائي^(٣)،
عن أبي كُرَيْبٍ، عن أبي معاويةَ به نَحْوَهُ، ورواه ابنُ جريرٍ^(٤) عن سلمِ بنِ
جُنَادَةَ، عن أبي معاويةَ، وهكذا ذَكَرَ غَيْرُ واحدٍ من السَّلَفِ، ومَنْ ذَكَرَ
ذلك مُطَوَّلًا محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ^(٥)، قال: وجَعَلَ عيسى، عليه
السلامُ، يدعو اللهُ، عزَّ وجلَّ، أَنْ يُؤَخَّرَ أَجَلَهُ، يعنى ليُبَلِّغَ الرِّسَالَةَ، وَيُكْمِلَ
الدَّعْوَةَ، وَيُكثِرَ النَّاسَ الدُّخُولَ فِي دِينِ اللهِ، عزَّ وجلَّ. قيل: وكان عنده
من الحواريين اثنا عشرَ رجلًا؛ بَطْرُسُ، وَيَعْقُوبُ بنُ زَبْدَى^(٦)، وَيُحَنُّسُ أَخُو
يَعْقُوبَ، وَأَنْدَرَاوُسُ، وَفِيلِبُّسُ، وَأَبْرَثَلْمَا، وَمَتَّى، وَتُومَاسُ، وَيَعْقُوبُ بنُ
حَلْفِيَا، وَتَدَّاوُسُ، وَفَتَاتِيَا، يُودُسُ زكريا يُوطَا، وهذا هو الذي ذَلَّ اليهودَ
على عيسى . قال ابنُ إسحاقَ: وكان فيهم رجلٌ آخَرُ اسمه سرجسُ، كَتَمَتْهُ

(١) سقط من الأصل، والمثبت من تاريخ دمشق ٨٤/١٤ مخطوط .

(٢) وهو كما قال رحمه الله .

(٣) النسائي في الكبرى (١١٥٩١) .

(٤) في الأصل، ص: «خزيمة» . ورواه ابن جرير في تفسيره ٩٢/٢٨ .

(٥) في النسخ: «مسلم» . انظر تهذيب الكمال ٢١٨/١١ .

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ١٤/٦، ١٥ من طريق محمد بن إسحاق به .

(٧) في الأصل: «ريدا» . وفي ح، ص: «زيدا» . وفي م: «زيدا» . والمثبت من تفسير الطبري .

النَّصَارَى، وهو الذى أُلْقِيَ شَبَهُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ، فَصَلِبَ عَنْهُ^(١). قال: وبعضُ النَّصَارَى يَزْعُمُ أَنَّ الذى صَلِبَ عَنْ^(٢) الْمَسِيحِ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُهُ، يُودَسَ زَكْرِيَا يوطا. واللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال الضَّحَّاكُ، عن ابنِ عباسٍ: اسْتَخَلَفَ عِيسَى شَمْعُونُ، وَقَتَلَتِ الْيَهُودُ يُودَسَ زَكْرِيَا يوطا الذى أُلْقِيَ عَلَيْهِ الشَّبَهُ^(٣). وقال أحمدُ بنُ مروانَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ^(٤). قال: سَمِعْتُ الْفَرَّاءَ يَقُولُ فى قَوْلِهِ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ قال: إِنَّ عِيسَى غَابَ عَنِ خَالَتِهِ زَمَانًا، فَأَتَاهَا فقام رأسُ الجالوتِ اليهوديِّ، فَضْرَبَ عَلَى عِيسَى، حَتَّى [١/٢٧٠ظ] اجتمعوا على بابِ دارِهِ، فَكَسَرُوا الْبَابَ، وَدَخَلَ رَأْسُ الْجَالُوتِ لِيَأْخُذَ عِيسَى، فَطَمَسَ اللَّهُ عَيْنَيْهِ عَنِ عِيسَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: لِمَ أَرَهُ. ومعه سيفٌ مسلولٌ، فقالوا: أنتَ عِيسَى. وَأُلْقِيَ اللَّهُ شَبَهُ عِيسَى عَلَيْهِ، فَأَخَذُوهُ، فَقَتَلُوهُ، وَصَلَبُوهُ، فَقَالَ جَلٌّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾^(٥). وقال ابنُ جريرٍ^(٦): حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِّيُّ، عَنِ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ، عَنِ وَهْبِ بْنِ مُنْبِيهِ، قَالَ: أَتَى عِيسَى وَمَعَهُ سَبْعَةٌ عَشَرَ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي بَيْتٍ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِمْ، صَوَّرَهُمُ اللَّهُ كُلَّهُمْ عَلَى صُورَةِ عِيسَى، فَقَالُوا لَهُمْ: سَحَرْتُمُونَا، لَتُبْرَزَنَّ لَنَا عِيسَى، أَوْ لَنَقْتُلَنَّكُمْ جَمِيعًا، فَقَالَ

(١) تفسير الطبرى ١٥/٦.

(٢) فى الأصل: «هو».

(٣) تاريخ دمشق ٨٥/١٤ مخطوط.

(٤) فى ح: «الحميم». انظر لسان الميزان ١١٠/٥.

(٥) تاريخ دمشق ٨٤/١٤ مخطوط، من طريق أحمد بن مروان به.

(٦) تفسير الطبرى ١٢/٦، ١٣.

عيسى لأصحابه : مَنْ يَشْتَرِي مِنْكُمْ نَفْسَهُ الْيَوْمَ بِالْجَنَّةِ . فقال رجلٌ : أنا . فخرج إليهم ، فقال : أنا عيسى . وقد صَوَّرَهُ اللَّهُ عَلَى صُورَةِ عيسى ، فأخذوه فقتلوه وصلَّبوه ، فَمِنْ ثَمَّ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا عيسى ، وَظَنَّتِ النَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ ، أَنَّهُ عيسى ، وَرَفَعَ اللَّهُ عيسى مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ .

قال ابن جرير^(١) : وَحَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبًا يَقُولُ : إِنْ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ لَمَّا أَعْلَمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ خَارِجٌ مِنَ الدُّنْيَا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ ، فَدَعَا الْحَوَارِيَّينَ وَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا ، فقال : احْضُرُونِي اللَّيْلَةَ ؛ فَإِنَّ لِي إِلَيْكُمْ حَاجَةً . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ مِنَ اللَّيْلِ عَشَّاهُمْ ، وَقَامَ يَخْدُمُهُمْ^(٢) ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنَ الطَّعَامِ ، أَخَذَ يُغَسِّلُ أَيْدِيَهُمْ وَيُوَضِّئُهُمْ بِيَدِهِ ، وَيَمْسُحُ أَيْدِيَهُمْ بِشَيْبِهِ ، فَتَعَاظَمُوا ذَلِكَ وَتَكَارَهَوْهُ ، فقال : أَلَا مَنْ رَدَّ عَلَيَّ شَيْبًا اللَّيْلَةَ مِمَّا أَصْنَعُ فَلَيْسَ مِنِّي ، وَلَا أَنَا مِنْهُ . فَأَقْرَوهُ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ : أَمَّا مَا صَنَعْتُ بِكُمْ اللَّيْلَةَ مِمَّا خَدَمْتُكُمْ^(٣) عَلَى الطَّعَامِ ، وَغَسَلْتُ أَيْدِيَكُمْ بِيَدِي ، فَلْيَكُنْ لَكُمْ بِي أُسْوَةٌ ، فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي خَيْرٌكُمْ ، فَلَا يَتَعَظَّمُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلْيَبْذُلْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْسَهُ ، كَمَا بَدَلْتُ نَفْسِي لَكُمْ ، وَأَمَّا حَاجَتِي الَّتِي اسْتَعَنْتُكُمْ عَلَيْهَا ، فَتَدْعُونِ لِي^(٤) اللَّهُ وَتَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يُؤَخَّرَ أَجَلِي . فَلَمَّا نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِلدُّعَاءِ وَأَرَادُوا أَنْ يَجْتَهِدُوا ، أَخَذَهُمُ التَّوَمُّ حَتَّى لَمْ يَسْتَطِيعُوا دُعَاءً ، فَجَعَلَ يُوقِظُهُمْ ، وَيَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ،

(١) تفسير الطبري ١٣/٦ . تاريخ الطبري ٦٠١/١ ، ٦٠٢ .

(٢) فى الأصل : « يخدمهم » .

(٣) فى الأصل : « خدمتكم » .

(٤) سقط من : م .

أما تَضَيِّرُونَ لِي لَيْلَةً وَاحِدَةً، تُعَيِّنُونِي فِيهَا؟ فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَدْرِي مَا لَنَا، وَاللَّهِ لَقَدْ كُنَّا نَسْمُرُ فَنُكْثِرُ السَّمَرَ، وَمَا نَطْبِقُ اللَّيْلَةَ سَمَرًا، وَمَا نُرِيدُ دُعَاءَ إِلَّا حَيْلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ. فَقَالَ: يُذْهَبُ بِالرَّاعِي وَتَتَفَرَّقُ الْعَنَمُ، وَجَعَلَ يَأْتِي بِكَلَامٍ نَحْوِ هَذَا، يَنْبَغِي بِهِ نَفْسَهُ. [٢٧١/١] ثم قال: الْحَقُّ لِيَكْفُرَنَّ بِي أَحَدُكُمْ قَبْلَ أَنْ يَصْبِيحَ الدَّيْكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلِيَبِيعَنِي أَحَدُكُمْ بِدِرَاهِمٍ يَسِيرَةٍ، وَلِيَأْكُلَنَّ ثَمَنِي. فَخَرَجُوا وَتَفَرَّقُوا، وَكَانَتِ الْيَهُودُ تَطْلُبُهُ فَأَخَذُوا شَمْعُونَ - أَحَدَ الْحَوَارِيِّينَ - فَقَالُوا: هَذَا مِنْ أَصْحَابِيهِ. فَجَحَدَ، وَقَالَ: مَا أَنَا بِصَاحِبِهِ. فَتْرَكُوهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ آخَرُونَ، فَجَحَدَ كَذَلِكَ، ثُمَّ سَمِعَ صَوْتَ دَيْكٍ، فَبَكَى وَأَخْرَجَتْهُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى أَحَدُ الْحَوَارِيِّينَ إِلَى الْيَهُودِ، فَقَالَ: مَا تَجْعَلُونَ لِي إِنْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى الْمَسِيحِ. فَجَعَلُوا لَهُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا فَأَخَذَهَا وَدَلَّاهُمْ عَلَيْهِ. وَكَانَ شُبَّهَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ فَأَخَذُوهُ، وَاسْتَوْثَقُوا مِنْهُ، وَرَبَطُوهُ بِالْحَبْلِ وَجَعَلُوا يَقُودُونَهُ، وَيَقُولُونَ: أَنْتَ كُنْتَ تُنْحِي الْمَوْتَى، وَتَنْتَهَرُ الشَّيْطَانَ، وَتُبْرِئُ الْجُنُونَ، «أَفَلَا تُنْجِي» نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الْحَبْلِ؟ وَيَتَضَمَّنُونَ عَلَيْهِ، وَيُلْقُونَ عَلَيْهِ الشُّوْكَ، حَتَّى أَتَوْا بِهِ الْخَشَبَةَ الَّتِي أَرَادُوا أَنْ يَضْلُبُوهُ عَلَيْهَا، فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَضَلَبُوا مَا شُبَّهَ لَهُمْ، فَمَكَثَ سَبْعًا. ثُمَّ إِنَّ أُمَّهُ وَالْمَرْأَةَ الَّتِي كَانَ يَدَاوِيهَا عَيْسَى، فَأَبْرَأَهَا اللَّهُ مِنَ الْجُنُونِ، جَاءَتَا تَبْكِيَانِ حَيْثُ كَانَ الْمَصْلُوبُ، فَجَاءَهُمَا عَيْسَى، فَقَالَ: عَلَامَ تَبْكِيَانِ. قَالَتَا: عَلَيْكَ. فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَفَعَنِي اللَّهُ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُصِيبْنِي إِلَّا خَيْرٌ، وَإِنَّ هَذَا شَيْءٌ شُبَّهَ لَهُمْ، فَأَمْرًا الْحَوَارِيِّينَ أَنْ يَلْقَوْنِي إِلَى مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا. فَلَقَّوهُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ أَحَدَ عَشَرَ، وَقَفَّدَ الَّذِي كَانَ بَاعَهُ وَدَلَّ عَلَيْهِ الْيَهُودَ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَصْحَابَهُ، فَقَالُوا: إِنَّهُ

(١-١) فِي الْأَصْلِ: «أَلَا تَفَكُّ». وَفِي ح، ص: «أَلَا تَفْتَكُّ».

نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ ، فَاخْتَنَقَ وَقَتَلَ نَفْسَهُ . فَقَالَ : لَوْ تَابَ لَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ . ثُمَّ سَأَلَهُمْ عَنْ غُلَامٍ يَتَّبِعُهُمْ يُقَالُ لَهُ : يُحَنَّا ^(١) . فَقَالَ : هُوَ مَعَكُمْ . فَاذْطَلِقُوا فَإِنَّهُ سَيُضِيحُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَحْدُثُ بِلُغَةِ قَوْمٍ فَيُئْذِرُهُمْ وَيُذْعُهُمْ . وَهَذَا إِسْنَادٌ غَرِيبٌ عَجِيبٌ ، وَهُوَ أَصْحَحُ مِمَّا ذَكَرَهُ النَّصَارَى ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، مِنْ أَنَّ الْمَسِيحَ جَاءَ إِلَى مَرْيَمَ ، وَهِيَ جَالِسَةٌ تَبْكِي عِنْدَ جِذْعِهِ ، فَأَرَاهَا مَكَانَ الْمَسَامِيرِ مِنْ جَسَدِهِ ، وَأَخْبَرَهَا أَنَّ رُوحَهُ رُفِعَتْ ، وَأَنَّ جَسَدَهُ صُلِبَ ، وَهَذَا بَهْتٌ وَكَذِبٌ وَاخْتِلَاقٌ وَتَحْرِيفٌ وَتَبْدِيلٌ وَزِيَادَةٌ بَاطِلَةٌ فِي الْإِنْجِيلِ عَلَى خِلَافِ الْحَقِّ وَمَقْتَضَى النَّقْلِ .

وَحَكَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ ^(٢) ، مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ حَبِيبٍ ، فِيمَا بَلَغَهُ أَنَّ مَرْيَمَ سَأَلَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ - بَعْدَ مَا صُلِبَ الْمَصْلُوبُ بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ ، وَهِيَ تَحْسَبُ أَنَّهُ ابْنُهَا - أَنْ يُنْزَلَ جَسَدُهُ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَدُفِنَ هُنَاكَ ، فَقَالَتْ مَرْيَمُ لَأُمِّ يَحْيَى : أَلَا تَذْهَبِينَ بِنَا نَزُورُ قَبْرَ الْمَسِيحِ . فَذَهَبْنَا فَلَمَّا دَنْنَا مِنَ الْقَبْرِ ، قَالَتْ مَرْيَمُ لَأُمِّ يَحْيَى : أَلَا تَسْتَبْرِينَ . فَقَالَتْ : وَمِمَّنْ أَسْتَبِرُ . فَقَالَتْ : [٢٧١/١ ظ] مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ عِنْدَ الْقَبْرِ . فَقَالَتْ أُمُّ يَحْيَى : إِنِّي لَا أَرَى أَحَدًا . فَزَجَّتْ مَرْيَمُ أَنْ يَكُونَ جَبْرِيلَ ، وَكَانَتْ قَدْ بَعُدَ عَهْدُهَا بِهِ ، فَاسْتَوْقَفَتْ أُمُّ يَحْيَى وَذَهَبَتْ نَحْوَ الْقَبْرِ ، فَلَمَّا دَنَتْ مِنَ الْقَبْرِ ، قَالَ لَهَا جَبْرِيلُ ، وَعَرَفْتَهُ : يَا مَرْيَمُ ، أَيْنَ تُرِيدِينَ ؟ فَقَالَتْ : أُرُورُ قَبْرَ الْمَسِيحِ وَأَسْلُمُ عَلَيْهِ وَأُحْدِثُ عَهْدًا بِهِ . فَقَالَ : يَا مَرْيَمُ ، إِنَّ هَذَا لَيْسَ الْمَسِيحَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَفَعَ الْمَسِيحَ ، وَطَهَّرَهُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَلَكِنْ هَذَا الْفَتَى الَّذِي أُلْفِيَ شَبَهُهُ عَلَيْهِ وَصُلِبَ وَقُتِلَ مَكَانَهُ ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَهُ قَدْ

(١) فِي الْأَصْلِ ، م ، ص : « يَحْيَى » . انظر تفسير الطبري ٣٧٠ / ٩ ، بتحقيق أحمد شاكر .

(٢) تَارِيخُ دِمَشْقَ ، الْجُزْءُ الْمَطْبُوعُ مِنْ تَرَاجِمِ النِّسَاءِ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

فقدوه ، فلا يَدْرُونَ ما فُعِلَ به ، فهم يَتَكُونُونَ عليه ، فإذا كان يومُ كذا وكذا ، فَأَتَى غَيْضَةَ^(١) كذا وكذا ، فَإِنَّكَ تَلْقِيَنِ الْمَسِيحَ . قال : فَرَجَعَتْ إِلَى أُخْتِهَا ، وَصَعِدَ جَبْرِيلُ ، فَأَخْبَرْتُهَا عَنْ جَبْرِيلِ ، وما قال لها من أَمْرِ الْغَيْضَةِ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، ذَهَبَتْ فَوَجَدَتْ عِيسَى فِي الْغَيْضَةِ ، فَلَمَّا رَأَاهَا أَسْرَعَ إِلَيْهَا ، فَأَكَبَّ عَلَيْهَا ، فَتَقَبَّلَ رَأْسَهَا ، وَجَعَلَ يَدْعُو لَهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، وقال : يَا أُمَّهُ ، إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَقْتُلُونِي ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَفَعَنِي إِلَيْهِ ، وَأَذِنَ لِي فِي لِقَائِكَ ، وَالْمَوْتُ يَأْتِيكَ قَرِيبًا ، فَاصْبِرِي وَادْكُرِي اللَّهَ . ثُمَّ صَعِدَ عِيسَى فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا تِلْكَ الْمَرَّةَ حَتَّى مَاتَتْ . قال : وَبَلَّغَنِي أَنَّ مَرْيَمَ بَقِيَتْ بَعْدَ عِيسَى خَمْسَ سِنِينَ ، وَمَاتَتْ وَلِهَا ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا .

وقال الحسنُ البصريُّ : كان عُمرُ عِيسَى ، عليه السَّلامُ ، يومَ رُفِعَ ، أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً^(٢) . وفي الحديث : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَهَا جُرُودًا مُرَوِّدًا مُكْحَلِينَ ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً^(٣) . وفي الحديثِ الْآخِرِ : « عَلَى مِيلادِ عِيسَى ، وَحُسَيْنِ يَوْسَفَ^(٤) ، وَكَذَا قَالَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ الْمُسَيْبِ ، أَنَّهُ قَالَ : رُفِعَ عِيسَى ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً^(٥) .

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي « مُسْتَدْرَكِهِ » ، وَيَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ الْقَسَوِيُّ فِي « تَارِيخِهِ »^(٦) ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ ، عَنْ نَافِعِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ

(١) الغيضة : الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف .

(٢) تاريخ دمشق ٨٢/١٤ مخطوط .

(٣) الترمذى (٢٥٤٥) . حسن (صحيح سنن الترمذى ١٩٨٥) .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٥٦/٢٠ بنحوه .

(٥) تاريخ دمشق ٨٨/١٤ مخطوط .

(٦) المعرفة والتاريخ للفسوى ٣/٣١٦ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٨٧/١٤ مخطوط ، من طريق

الحاكم به .

عُمَارَةَ بْنِ غَرْبِيَّةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ، أَنَّ أُمَّهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَتْهُ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ: أَخْبَرْتَنِي فَاطِمَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهَا أَنَّهُ «لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا كَانَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ إِلَّا عَاشَ الَّذِي بَعْدَهُ نِصْفَ عُمَرِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّهُ أَخْبَرْتَنِي: أَنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَاشَ عَشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ، فَلَا أَرَانِي إِلَّا ذَاهِبًا عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ. هَذَا لَفْظُ الْفَسْوِيِّ؛ فَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

قال الحافظ ابن عساكر^(١): وَالصَّحِيحُ أَنَّ عَيْسَى لَمْ يَبْلُغْ هَذَا الْعُمُرَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ مُدَّةَ مُقَامِهِ فِي أُمَّتِهِ، كَمَا رَوَى سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ، قَالَ: قَالَتْ فَاطِمَةُ: قَالَ [٢٧٢/١] لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَكَتَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. وَهَذَا مُنْقَطِعٌ. وَقَالَ جَرِيرٌ، وَالثَّوْرِيُّ، عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: مَكَتَ عَيْسَى فِي قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ عَامًا^(٢). وَيُرْوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ، أَنَّ عَيْسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، رُفِعَ لَيْلَةَ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، وَتِلْكَ اللَّيْلَةُ فِي مِثْلِهَا تُؤْفَى عَلِيٌّ بَعْدَ طَعْنِهِ بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ^(٣). وَقَدْ رَوَى الضُّحَّاكُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَيْسَى لَمَّا رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ جَاءَتْهُ سَحَابَةٌ فَدَنَّتْ مِنْهُ حَتَّى جَلَسَ عَلَيْهَا، وَجَاءَتْهُ مَرْيَمُ فَوَدَّعَتْهُ وَبَكَتْ، ثُمَّ رُفِعَ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَلْقَى إِلَيْهَا عَيْسَى بُرْدًا لَهُ، وَقَالَ: هَذَا عَلَامَةٌ مَا يَبْتَنِي وَيَبْنِيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَأَلْقَى عِمَامَتَهُ إِلَيَّ^(٤) شَمْعُونَ، وَجَعَلَتْ أُمَّهُ تُودَّعُهُ بِأَصْبُعَيْهَا، تُشِيرُ بِهَا إِلَيْهِ حَتَّى غَابَ عَنْهَا^(٥). وَكَانَتْ تُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا؛ لِأَنَّهُ تَوَفَّرَ

(١) تاريخ دمشق ٨٨/١٤ مخطوط.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٨٧/١٤.

(٤) في م: «على».

(٥) تاريخ دمشق ٨٥/١٤ مخطوط.

عليها حُبّه من جِهَتِي الوالدينِ، إذْ لَا أَبَ له، وكانت لا تُفَارِقُهُ سَفَرًا ولا حَضْرًا. قال بعضُ الشُّعْرَاءِ^(١):

وكنْتُ أرى كالموتِ من بينِ ساعةٍ فكيفَ يَبِينُ كَانَ مَوَعِدَهُ الحِشْرُ
وذكر إسحاقُ بنُ بِشْرِ، عن مُجاهِدِ بنِ جَبْرِ^(٢)، أَنَّ اليهودَ لَمَّا صَلَبُوا ذلكَ
الرَّجُلَ الذي شُبّهَ لهم، وهم يَحْسِبُونَهُ المسيحَ، وَسَلَّمُ لهم أَكْثَرُ النَّصَارَى؛
بجَهْلِهِمْ ذلكَ، تَسَلَّطُوا على أَصْحَابِهِ بِالْقَتْلِ والضُّرْبِ والحَبْسِ فبلغَ أَمْرُهُم إلى
صاحبِ الرُّومِ، وهو مَلِكُ دِمَشقَ في ذلكَ الزَّمانِ، فقيلَ له: إِنَّ اليهودَ قد
تَسَلَّطُوا على أَصْحَابِ رَجُلٍ كانَ يَذْكُرُ لهم أَنَّهُ رسولُ اللَّهِ، وكانَ يُحْيِي
الموتى، وَيُعْرِئُ الأَكْمَةَ والأَبْرَصَ، ويفعلُ العجائبَ، فَعَدُوا عليه فقتلوه،
وأهأثوا أَصْحَابَهُ وحبسوه. فبعثَ فَجِئَ بهم، وفيهم يحيى بنُ زكريَّا،
وشَمْعُونُ، وجماعةٌ، فسألهم عن أَمْرِ المسيحِ، فَأَخْبَرُوهُ عنهم فتابَعَهُمْ^(٣) في
دينهم، وأَعْلَى كلمَتَهُم، وظَهَرَ الحَقُّ على اليهودِ، وَعَلَتْ كلمةُ النَّصَارَى
عليهم، وَبَعَثَ إلى المصلوبِ قَوْضِعَ عن جِذْعِهِ، وَجِئَءَ بالجِذْعِ الذي صَلِبَ
عليه ذلكَ الرَّجُلُ، فعَظَّمَهُ، فَمِنَ ثَمَّ عَظَّمَتِ النَّصَارَى الصُّلْبَ، ومن ههنا
دَخَلَ دينُ النَّصْرَانِيَّةِ في الرُّومِ^(٤). وفي هذا نَظَرٌ مِن وجوهٍ؛ أَحَدُها، أَنَّ يَحْيَى
ابنَ زكريَّا نبيٌّ، لا يُقَرُّ على أَنَّ المصلوبَ عيسى؛ فَإِنَّهُ مَعْصُومٌ يعلمُ ما وَقَعَ على
جِهَةِ الحَقِّ. الثاني، أَنَّ الرُّومَ لم يدخلوا في دينِ المسيحِ إِلَّا بعدَ ثَلَاثِمِائَةٍ سَنَةٍ،

(١) هو سلمة بن يزيد الجعفي. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٠٨٠/٣.

(٢) في م: (جبير). انظر تهذيب الكمال ٢٢٨/٢٧.

(٣) في م: (فبايعهم).

(٤) تاريخ دمشق ٨٥/١٤ مخطوط.

وذلك في زمانِ قسطنطينِ بنِ قسطنسِ باني المدينة المنسوبة إليه على ما
 سنَدُكُوه . الثالثُ ، أَنَّ اليهودَ لما صَلَبُوا ذلكَ الرَّجُلَ ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ بِخَشَبِيَّتِهِ جَعَلُوا
 مكانَهُ مَطْرَحًا لِلْقَمَامَةِ وَالنَّجَاسَةِ وَجَيْفِ [١/٢٧٢ظ] الميَّاتِ والقاذوراتِ ، فلم
 يَزَلْ كذلكَ حتى كانَ في زمانِ قسطنطينِ المذكورِ ، فَعَمَدَتْ أُمُّ هيلانةُ الحِزْبِيَّةُ
 الفندقانيةُ فاستخرَجَتْهُ من هُنالِكَ معتقدةً أَنَّهُ المسيحُ ، ووجدوا الخَشَبَةَ التي
 صَلِبَ عليها المصلوبُ ، فذكروا أَنَّهُ ما مَسَّها ذُو عَاهَةِ إِلا عُوْفِي . فاللَّهُ أَعْلَمُ
 أَكَانَ هذا أَمْ لا؟ وهلَ كانَ هذا ؛ لِأَنَّ ذلكَ الرَّجُلَ الذي بذَلَ نَفْسَهُ كانَ رجلاً
 صالحاً ، أو كانَ هذا مِخْنَةً وَفِتْنَةً لِأُمَّةِ النَّصَارَى في ذلكَ اليومِ؟ حتى عَظَّمُوا
 تلكَ الخَشَبَةَ ، وَعَشَّوْها بِالذَّهَبِ وَاللَّائِي ، وَمِنْ ثَمَّ اتَّخَذُوا الصُّلْباناتِ ، وَتَبَرَّكُوا
 بِشِكْلِها وَقَبَلُوها لَعَنَهمُ اللَّهُ ، وَأَمَرَتْ أُمُّ المَلِكِ هيلانةُ فَأُرْبِلَتْ تلكَ القَمَامَةُ ، وبُنِي
 مكانَها كنيستُ هائلةٌ مزخرفةٌ بأنواعِ الزَّيْنَةِ . فهي هذه المشهورةُ اليومَ ببلدِ بَيْتِ
 المَقْدِسِ ، التي يُقالُ لها : القَمَامَةُ . باعتبارِ ما كانَ عِنْدَها ، وَيُسَمَّونها القِيامةُ ،
 يعنونَ التي يقومُ جَسَدُ المسيحِ مِنها . ثمَ أَمَرَتْ هيلانةُ بِأَنْ تُوضَعَ قَمَامَةُ البَلَدِ ،
 وَكُنَّاسَتُهُ وقاذوراتُهُ على الصَّخْرَةِ التي هي قِبْلَةُ اليهودِ ، فلمَ تَزَلْ كذلكَ حتى
 فَتَحَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَيْتَ المَقْدِسِ ، فَكَنَسَ عنها القَمَامَةَ
 بِرِدَائِهِ ، وَطَهَّرَها مِنَ الأَحْبَابِ وَالأنجاسِ ، ولمَ يَضَعِ المَسجِدَ وراءَها ، ولكن
 أَمامَها ، حيثُ صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ليلَةَ الإِسراءِ بالأنبياءِ ، وهو الأَقْصَى .

صِفَةُ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ،

وَشَمَائِلُهُ وَفَضَائِلُهُ

قال الله تعالى^(١): ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ قيل: سُمِّيَ الْمَسِيحَ؛ لِشَجِهِ الْأَرْضَ، وَهُوَ سِيَاحَتُهُ فِيهَا، وَفِرَارُهُ بَدِينَهُ مِنَ الْفِتَنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؛ لِشِدَّةِ تَكْذِيبِ الْيَهُودِ لَهُ، وَافْتِرَائِهِمْ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّهِ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ تَمْسُوحُ الْقَدَمَيْنِ. وقال تعالى^(٢): ﴿ وَفَقِينَا عَلَىٰ مَا نَرَاهُمْ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾. وقال تعالى^(٣): ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْكِتَابَ وَآمَنَّا بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧]. والآياتُ في ذلك كثيرةٌ جدًا. وقد تقدَّم ما ثبَّت في «الصَّحِيحَيْنِ»^(٤): «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَطْعَنُ فِي خَاصِرَتِهِ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِيحًا إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ». وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ، عَنِ جُنَادَةَ، عَنِ عُبَادَةَ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ^(٥): «مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ الَّتِي أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى

(١) التفسير ١٤٨/٣ - ١٥٠.

(٢) التفسير ١١٨/٣.

(٣) التفسير ١/١٧٥، ١٧٦.

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٢٠.

(٥) تقدم تخريجه ص ٤٥٣.

ما كان من العملِ» رواه البخاري [٢٧٣/١]، وهذا لفظه، ومسلم.

وزَوَى الْبُخَارِيُّ، ومسلم^(١) من حديث الشَّعْبِيِّ، عن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى، عن أبيه، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَدَّبَ الرَّجُلُ أُمَّتَهُ، فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا كَانَ لَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا آمَنَ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ثُمَّ آمَنَ بِي، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالْعَبْدُ إِذَا اتَّقَى رَبَّهُ وَأَطَاعَ مَوْلَاهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ». هذا لفظُ الْبُخَارِيِّ.

وقال البخاري^(٢): حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَنبَأَنَا هِشَامٌ، عَنْ مَعْمَرِ (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ ابْنُ الْمُسَيْبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ: «لَقِيتُ مُوسَى». قَالَ: فَتَعَنَّتْهُ إِذَا رَجُلٌ حَسِبْتُهُ قَالَ: «مُضْطَرِبٌ رَجُلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ». قَالَ: «وَلَقِيتُ عِيسَى». فَتَعَنَّتْهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «رَبْعَةٌ أَحْمَرٌ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ،^(٣) يَغْنَى الْحَمَامُ^(٤)، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدَهُ بِهِ». الْحَدِيثُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي قِصَّتِي إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. ثُمَّ قَالَ^(٥): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ كَثِيرٍ، أَنبَأَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ عِثْمَانَ بْنِ الْمُغْبِرَةِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ عِيسَى، وَمُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ؛ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرٌ جَعْدٌ عَرِيضُ الصُّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبِطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ».

(١) البخاري (٣٤٤٦)، ومسلم (١٥٤).

(٢) البخاري (٣٤٣٧). وقد تقدم هذا الحديث في ٣١٦/١ مخرجا في المسند.

(٣ - ٣) قال ابن حجر: هو تفسير عبد الرزاق. فتح الباري ٤٨٤/٦.

(٤) البخاري (٣٤٣٨). عن ابن عباس وليس ابن عمر، انظر تحفة الأشراف، وكلام الحافظ ابن حجر

في النكت الطراف. التحفة ٥/٢٢٢، ٢٢٣.

تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ^(١) .

وَحَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُثَنِّرِ، حَدَّثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ^(٢)، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ،
عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانِي
النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ
الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ، فَإِذَا
رَجُلٌ آدَمٌ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أَدَمِ الرِّجَالِ، تَضْرِبُ لِيْثُهُ بَيْنَ مَنكِبَيْهِ، رَجُلٌ
الشَّعْرِ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضْعَا يَدَيْهِ عَلَى مَنكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ،
فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطَطًا
أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهَهُ مِنْ رَأْيِ بَابِنِ قَطَنِ، وَاضْعَا يَدَيْهِ^(٣) عَلَى مَنكِبَيْ رَجُلٍ
يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَالَ». وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٤)
مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ. ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: تَابِعَهُ عُبَيْدُ^(٥) اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ. ثُمَّ
سَاقَهُ مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ^(٦) ابْنِ عُمَرَ^(٧). قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَابْنُ
قَطَنِ رَجُلٌ مِنْ حُزَاعَةَ، هَلَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ^(٨). فَبَيَّنَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ
عَلَيْهِ، صِفَةَ الْمَسِيحَيْنِ؛ مَسِيحِ الْهُدَى^(٩) وَمَسِيحِ الضَّلَالَةِ [١/٢٧٣ظ]؛ لِيُعْرَفَ

(١) البخارى (٣٤٣٩).

(٢) فى الأصل: «ضميرة».

(٣) فى م: «يده».

(٤) مسلم (١٦٩).

(٥) فى م: «عبد».

(٦) سقط من: م.

(٧) البخارى (٣٤٤١).

(٨) البخارى (٣٤٤١).

(٩) فى م: «المهدى».

هذا إذا نزل، فيؤمن به المؤمنون، ويُعرف الآخر فيحذره الموحدون.

وقال البخاري^(١): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَأَى عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَجُلًا يَشْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسْرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. فَقَالَ عَيْسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنِي». وكذا رواه مسلم^(٢) عن^(٣) محمد بن رافع، عن^(٤) عبد الرزاق.

وقال أحمد^(٥): حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ، عَنِ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَأَى عَيْسَى رَجُلًا يَشْرِقُ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ، أَسْرَقْتَ؟ فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا سَرَقْتُ. قَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ بَصْرِي». وهذا يدل على سَجِيَّةِ^(٦) طاهرة؛ حيث قَدَّمَ حَلِيفَ ذَلِكَ الرَّجُلِ - وَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا لَا يَخْلِفُ بِعَظْمَةِ اللَّهِ كَاذِبًا - عَلَى مَا شَاهَدَهُ مِنْهُ عِيَانًا، فَقَبِلَ عُذْرَهُ، وَرَجَعَ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ. أَيْ؛ صَدَّقْتُكَ. وَكَذَّبْتُ بَصْرِي؛ لِأَجْلِ حَلِيفِكَ.

وقال البخاري^(٧): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسَفَ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ النَّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) البخاري (٣٤٤٤).

(٢) مسلم (٢ - ٢) سقط من: م.

(٣) مسلم (٢٣٦٨).

(٤) في الأصل: «ابن».

(٥) المسند ٢/٣٨٣.

(٦) السجية: الطبيعة والخلق.

(٧) البخاري (٣٤٤٧).

« تَحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا ». ثم قرأ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ فَأَوَّلُ الْخَلْقِ يُكْسَى إِبْرَاهِيمَ، ثم يُؤَخَذُ بِرِجَالِ مَنْ أَصْحَابِي ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَرَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [٧٧] إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغَفَّرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿. تَفَرَّدَ بِهِ دُونَ مُسْلِمٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وقال ^(١) أيضًا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحَمِيدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عُيَيْدُ ^(٢) اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُخَيْرَ يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « لَا تُظْرُونِي كَمَا أَظُرْتُ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ».

وقال البخاري ^(٤): حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: « لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ؛ عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ. يُصَلِّي، إِذْ جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أَجِيئُهَا أَوْ أُصَلِّي؟ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ [١/٢٧٤] لَا تُؤْتِمَّهُ حَتَّى تُرِيَهُ وَجْهَ الْمَوْمِسَاتِ. وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعِيهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ، فَأَتَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمَكَّتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقِيلَ لَهَا:

(١) في م: «لن».

(٢) البخاري (٣٤٤٥).

(٣) في م: «عبد».

(٤) البخاري (٣٤٣٦).

(٥ - ٥) سقط من: م.

يَمُنُّ؟ فقالت: من جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، فَأَنْزَلُوهُ وَسَبَّوْهُ، فَتَوَضَّأَ
 وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: فَلَانُ الرَّاعِي. قَالُوا:
 أَنْتَبِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا مِنْ طِينٍ. وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرَضِّعُ ابْنًا لَهَا
 فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي
 مِثْلَهُ. فَتَرَكَ تَدْيِيهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ
 عَلَى تَدْيِيهَا يَمِّصُهُ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَمْصُ أُصْبَعَهُ:
 «ثُمَّ مَرَّ بِأُمِّهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ. فَتَرَكَ تَدْيِيهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ
 اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَقَالَتْ: لِمَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ
 الْأُمَّةُ يَقُولُونَ: سَرَقَتِ وَزَنَيْتِ. وَلَمْ تَفْعَلِ.»

وقال البخاري^(١): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي
 أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ
 بِابْنِ مَرْيَمَ وَالْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ». تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ مِنْ
 هَذَا الْوَجْهِ. وَرَوَاهُ ابْنُ جِبَّانَ^(٢) فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ الْحَفَرِيِّ،
 عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنِ أَبِي الزُّنَادِ^(٣) عَنِ الْأَعْرَجِ^(٤)، عَنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وقال أحمد^(٤): حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ حَدَّثَنَا نَسْفِيَانُ، هُوَ الثَّوْرِيُّ، عَنِ أَبِي الزُّنَادِ،
 عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ
 بِعِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْأَنْبِيَاءِ إِخْوَةٌ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى

(١) البخاري (٣٤٤٢).

(٢) الإحسان (٦١٩٥).

(٣ - ٣) سقط من: النسخ. والمثبت من صحيح ابن حبان.

(٤) المسند ٤٦٣/٢.

نبيّ». وهذا إسناده صحيح على شرطهما، ولم يُخرجه من هذا الوجه.
وأخرجه أحمد^(١)، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي
هريرة، عن النبي ﷺ، بنحوه.

وأخرجه ابن حبان^(٢) من حديث عبد الرزاق به بنحوه.

وقال أحمد^(٣): حَدَّثَنَا يَحْيَى، عن ابن أبي عروبة، حَدَّثَنَا قَتَادَةَ، عن عبد
الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «الأنبياء إخوة لعلات،
وديئهم واحدٌ وأمّهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن
بنتى وبيته نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاغرفوه، فإنه رجل مزبورع إلى الحُمْرة
والبياض، سبط، كأن رأسه يقطر، وإن لم يُصبه بلل، بين مُحصرتين^(٤) فيكسر
الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويُعطّل الملل، حتى تهلك في زمانه
الملل^(٥) كلها غير الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال الكذاب، وتقع
الأمّة في الأرض حتى تززع الإبل مع الأسد [٢٧٤/١ ظ] جميعا، والثور مع
البقر، والذئب مع الغنم، ويلعب الصبيان والعلمان بالحيات، لا يضرو
بعضهم بعضا، فيمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم يتوفى، فيصلى عليه
المسلمون، ويدفنونه». ثم رواه أحمد^(٦) عن عفان، عن همام، عن قَتَادَةَ،

(١) المسند ٣١٩/٢. (صحيح).

(٢) الإحسان (٦١٩٤). قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) المسند ٤٣٧/٢.

(٤) بياض بالأصل. وفي ح: «محصرتين». والمحصرة من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة. النهاية لابن

الأثير (م ص ر).

(٥) سقط من: م.

(٦) المسند ٤٠٦/٢. (إسناده صحيح)، انظر السلسلة الصحيحة (٢١٨٢).

عن عبد الرحمن،^(١) عن أبي هريرة، فذكر نحوه. وقال: «فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون»^(٢). ورواه أبو داود^(٣)، عن هذبة بن خالد، عن همام بن يحيى به نحوه. وروى هشام بن^(٤) عروة، عن صالح مولى^(٥) أبي هريرة، عنه^(٥) أن رسول الله ﷺ، قال: «فيمكث في الأرض أربعين سنة». وسيأتي بيان نزوله، عليه السلام، في آخر الزمان في كتاب «الملاحم»، كما بسطنا ذلك أيضا في «التفسير» عند قوله تعالى في سورة «النساء»^(٦): ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ الآية [الزخرف: ٦١]. وأنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق، وقد أقيمت صلاة الصبح، فيقول له إمام المسلمين: تقدم يا روح الله فصل. فيقول: لا، بعضكم على بعض أمراء، تكرمه الله هذه الأمة. وفي رواية، فيقول له عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك. فيصلي خلفه، ثم يركب ومعه المسلمون في طلب المسيح الدجال، فيلحقه عند باب لُد، فيقتله بيده الكريمة. وذكرنا أنه قوى الرجاء حين بُنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التي هي من حجارة بيض، وقد بُنيت أيضا من أموال النصارى حين حرقوا التي هدمت وما حولها، فينزل عليها عيسى ابن مريم، عليه السلام، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل من

(١ - ١) سقط من: ح.

(٢) أبو داود (٤٣٢٤) صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٦٣٥).

(٣) في الأصل: «عن».

(٤) في الأصل: «عن».

(٥) سقط من: الأصل.

(٦) التفسير ٣٩٩/٢ - ٤١٩.

أَحَدٌ إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَأَنَّهُ يُحْجُّ مِنْ فَجِّ الرُّوحَاءِ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لِتَنْبِيهِمَا،
وَيُقِيمُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَمُوتُ فَيُذْفَنُ فِيمَا قِيلَ فِي الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، وَصَاحِبَيْهِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(١) فِي آخِرِ
تَرْجُمَةِ الْمَسِيحِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي كِتَابِهِ، عَنِ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا، أَنَّهُ يُذْفَنُ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَلَكِنْ لَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ.

وقال أبو عيسى الترمذى^(٢): حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَحْزَمَ الطَّائِي حَدَّثَنَا أَبُو قُتَيْبَةَ
سَلَّمَ^(٣) بِنُ قُتَيْبَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو مَوْدُودِ الْمَدَنِيُّ، حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ الضُّحَّاكِ، عَنِ
مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ جَدِّهِ، قَالَ: مَكْتُوبٌ
فِي التَّوْرَةِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ، وَعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، يُذْفَنُ مَعَهُ. قَالَ أَبُو
مَوْدُودٍ: وَقَدْ بَقِيَ فِي الْبَيْتِ مَوْضِعُ قَبْرِ. ثُمَّ قَالَ التَّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.
كَذَا قَالَ. وَالصُّوَابُ^(٤) الضُّحَّاكُ بْنُ عِثْمَانَ الْمَدَنِيُّ. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ^(٥): هَذَا
الْحَدِيثُ لَا يَصِحُّ عِنْدِي، وَلَا يُتَابَعُ عَلَيْهِ.

[٢٧٥/١] وَرَوَى الْبُخَارِيُّ^(٦) عَنِ يَحْيَى بْنِ حَمَادٍ، عَنِ أَبِي عَوَّانَةَ، عَنِ
عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، عَنِ أَبِي عِثْمَانَ التُّهَيْدِيِّ^(٧)، عَنِ سَلْمَانَ، قَالَ: الْفَتْرَةُ مَا بَيْنَ
عَيْسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ، سِتْمَاةٌ سَنَةٍ. وَعَنْ قَتَادَةَ: خَمْسُمِائَةٍ وَسِتُونَ سَنَةً^(٨).

(١) فِي الْأَصْلِ: مَا جِه. وَالْحَدِيثُ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٠٥/١٤ مَخْطُوطٌ.

(٢) التَّرْمِذِيُّ (٣٦١٧). ضَعِيفٌ (ضَعِيفٌ سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ ٧٤٣).

(٣) فِي النِّسْخِ: «مُسْلِمٌ». وَالثَّبِيتُ مِنْ سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ. وَانظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ٢٣٢/١١.

(٤) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ: «قَوْلٌ». وَفِي سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ: «وَالْمَعْرُوفُ».

(٥) التَّارِيخُ الْكَبِيرُ (٢٦٣/١).

(٦) الْبُخَارِيُّ (٣٩٤٨).

(٧) فِي الْأَصْلِ: «الْمُهْدِيُّ». وَفِي ص: «الْيَزِيدِيُّ». انظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ٤٢٤/١٧.

(٨) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ١٨٦/٢.

وقيل: خَمْسُمِائَةٍ وأربعونَ سَنَةً. وعن الضَّحَّاكِ: أَرْبَعُمِائَةٍ وَبِضْعٍ وَثَلَاثُونَ سَنَةً^(١). والمشهورُ ستمائة سنة. ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة بالقمرية فتكون ستمائة بالشمسية. والله أعلم.

وقال ابنُ جِبَّانَ^(٢) في «صحيحه»: ذَكَرَ المَدَّةَ التي بقيت فيها أُمَّةُ عيسى على هُدْيِهِ. حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى، حَدَّثَنَا أَبُو هَمَّامٍ، حَدَّثَنَا الوليدُ بنُ مسلمٍ، عن الهَيْثَمِ بنِ حَمَيْدٍ، عن الوَضِيِّنِ^(٣) بنِ عَطَاءٍ، عن نصرِ بنِ علقَمَةَ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ، عن أبي الدَّرْدَاءِ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ قبضَ اللَّهُ داودَ مِن بينِ أصحابِهِ، فما فُتِنُوا ولا بدَّلُوا، ولقد مكثَ أصحابُ المسيحِ على سُنَّتِهِ وهُدْيِهِ مِائَتَيْ سَنَةٍ». وهذا حديثٌ غريبٌ جداً، وإن صحَّحه ابنُ جِبَّانَ. وذكر ابنُ جريرٍ^(٤)، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، أنَّ عيسى، عليه السلامُ، قبلَ أن يُرْفَعَ وَصَّى الحواريِّينَ بأن يَدْعُوا النَّاسَ إلى عبادَةِ اللَّهِ وحده لا شريكَ له، وعيَّنَ كُلَّ واحدٍ منهم إلى طائفةٍ من النَّاسِ في إقليمٍ من الأقاليمِ مِنَ الشَّامِ، والمَشْرِقِ، وبلادِ المَغْرِبِ، فذكروا أنَّه أصبحَ كُلُّ إنسانٍ منهم يَتَكَلَّمُ بلِغَةِ الذين أُرْسِلَهُ المسيحُ إليهم. وَذَكَرَ غيرُ واحدٍ أنَّ الإنجيلَ نقلَه عنه أربعةٌ؛ لوقا، ومثى^(٥)، ومَرْقُسُ، ويوحنا^(٦). وبينَ هذه الأناجيلِ الأربعةِ تفاوتٌ كثيرٌ بالنسبةِ إلى كُلِّ نسخةٍ ونسخةٍ، وزياداتٌ كثيرةٌ ونقصٌ بالنسبةِ إلى الأخرى، وهؤلاءِ الأربعةُ

(١) تفسير الطبري ١٦٧/٦.

(٢) الإحسان (٦٢٣٦). قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف.

(٣) في الأصل: «الوطن».

(٤) تاريخ الطبري ٦٠٢/١، ٦٠٣.

(٥) في الأصل: «حنا».

(٦) في الأصل، ح: «يحننا».

منهم اثنان ممن أدرك المسيح ورآه، ^(١) وهما متى ويوحنا^(٢) ومنهم اثنان من أصحاب^(٣) أصحابه . والله أعلم . ^(٤) وهما مرقس ولوقا . وكان يمين آمن بالمسيح وصدقه من أهل دمشق رجل يقال له : ضينا^(٤) ، وكان مختفياً في مغارة داخل الباب الشرقي قريتا من الكنيسة المصلية ؛ خوفاً من بولص اليهودي ، وكان ظالماً غاشماً مبعوضاً للمسيح ، ولما جاء به . وكان قد خلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح ، وطاف به في البلد ، ثم رجّمه حتى مات ، رحمه الله . ولما سمع بولص أن المسيح ، عليه السلام ، قد توجه نحو دمشق جهّز بغاله وخرج ليقتله فلقاه عند كوكبا ، فلما واجه أصحاب المسيح ، جاء إليه ملك فضرب وجهه بطرف جناحه فأعماه ، فلما رأى ذلك وقع في نفسه تصديق المسيح ، فجاء إليه واعتذر بما صنع ، وآمن به فقبل منه ، وسأله أن يمسح عينيه ؛ ليروا الله عليه بصره ، فقال : اذهب إلى ضينا عندك بدمشق في طرف الشوق المستطيل من

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : ح ، ص .

(٣) من هنا إلى قوله : (كتاب أخبار الماضين) سقط من الأصل . وفي ص : وقد أنشد الشيخ شهاب الدين القرافي في كتابه « الرد على النصارى » لبعضهم يرد عليهم في قولهم بصلب المسيح ، وتسليمهم ذلك لليهود مع دعواهم أنه ابن الله ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً :

عجبا للمسيح بين النصارى	والى والد نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا	إنهم بعد قتله صلبوه
فإن كان ما تقولون حقاً	وصحيحاً فأين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الأعدى	أتراهم أرضوه أم أغضبوه
فلئن كان راضياً بأذاهم	فاعذروهم لأنهم وافقوه
ولئن كان ساخطاً فاتركوه	واعبدوهم لأنهم غلبوه

(٤) فى ح : « حنينا » .

المشْرِيقِ ، فهو يَدْعُو لكَ . فجاء إليه فدَعَا ، فَرَدَّ عليه بَصْرَهُ ، وحسُنَ إيمانُ بولصَ
بالمسيحِ ، عليه السلامُ ، أَنَّهُ عبدُ اللَّهِ ورسولُهُ ، وبيَّنَتْ له كنيسةٌ باسمِهِ ، فهي
كنيسةُ بولصَ المشهورةُ بدمشقَ ، مِن زَمَنِ فَتَحِهَا الصَّحَابَةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عنهم ،
حتى خَرِبَتْ في الزَّمانِ الذي سَنُورِدُهُ . إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

فصل

اختلف أصحاب المسيح، عليه السلام - بعد رفعه إلى السماء - فيه على أقوال، كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف، كما أوردناه عند قوله: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾، قال ابن عباس وغيره: قال قائلون منهم: كان فينا عبد الله ورسوله، فرفع إلى السماء. وقال آخرون: «هو الله». وقال آخرون: هو ابن الله^(١). فالأول هو الحق، والقولان الآخران كُفِّرَ عظيم، كما قال: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مرم: ٣٧]، وقد اختلفوا في نقل الأناجيل على أربعة أقاويل، ما بين زيادة ونقصان وتحريف وتبديل، ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة حدثت فيه الطامة العظمى، والبليئة الكبرى اختلف البطارقة^(٢) الأربعة وجميع الأساقفة، والقساوسة، والشمامسة، والرهبان في المسيح على أقوال متعدّدة، لا تنحصر ولا تنضب، واجتمعوا وتحكّموا إلى الملك قسطنطين، باني القسطنطينية، وهم الجمع الأول، فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات، فسّموا الملائكة، ودحض من عداهم، وأبعدهم، وتفرّدت الفرقة التابعة لعبد الله بن أديوس، الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله، ورسول من رسله، فسكنوا البراري والبرادى، وبنوا الصوامع

(١-١) في ح: «كان فينا فارتفع إلى السماء».

(٢) تفسير الطبرى ٩٢/٢٨.

(٣) انظر ما تقدم في صفحة ١١ حاشية (٧).

والدِّيَارَاتِ وَالْقَلَائِيَاتِ، وَقَنَعُوا بِالْعَيْشِ الزَّهِيدِ، وَلَمْ يُخَالَطُوا أَوْلِيَاءَ الْمَلَلِ
وَالنَّحْلِ، وَبَنَتِ الْمَلَائِكَةُ الْكِنَائِسَ الْهَائِلَةَ، عَمَدُوا إِلَى مَا كَانَ مِنْ بِنَاءِ الْيُونَانِ،
فَحَوَّلُوا مُحَارِبِيهَا إِلَى الشَّرْقِ، وَقَدْ كَانَتْ إِلَى الشُّمَالِ إِلَى الْجَنْدِيِّ.

بَيَانُ بِنَاءِ بَيْتِ لَحْمِ وَالْقِمَامَةِ

وَبْنَى الْمَلِكُ قُسْطَنْطِينُ بَيْتَ لَحْمٍ عَلَى مَحَلِّ مَوْلِدِ الْمَسِيحِ، وَبَنَتْ أُمُّهُ هِيلَانَةُ الْقِمَامَةَ، يَعْنَى عَلَى قَبْرِ الْمَضْلُوبِ، وَهَمَّ يُسَلِّمُونَ لِلْيَهُودِ أَنَّهُ الْمَسِيحُ، وَقَدْ كَفَّرَتْ هَوْلَاءِ وَهَوْلَاءِ، وَوَضَعُوا الْقَوَانِينَ وَالْأَحْكَامَ، وَمِنْهَا مُخَالَفٌ لِلْعَتِيقَةِ الَّتِي هِيَ التَّوْرَةُ، وَأَخْلَوْا أَشْيَاءَ هِيَ حَرَامٌ بِنَصِّ التَّوْرَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْخِنِيزِيُّ، وَصَلُّوا إِلَى الشَّرْقِ وَلَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ صَلَّى إِلَّا إِلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ مُوسَى، وَمُحَمَّدٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ صَلَّى إِلَيْهَا بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ حُوِّلَ إِلَى الْكَعْبَةِ الَّتِي بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ^(١)، وَصَوَّرُوا الْكِنَائِسَ وَلَمْ تَكُنْ مُصَوَّرَةً قَبْلَ ذَلِكَ، وَوَضَعُوا الْعَقِيدَةَ الَّتِي يَحْفَظُهَا أَطْفَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ وَرِجَالُهُمْ الَّتِي يَسْمُونَهَا بِالْأَمَانَةِ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ أَكْبَرُ الْكُفْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَجَمِيعُ الْمَلَكِيَّةِ وَالنَّسْطُورِيَّةِ أَصْحَابِ نَسْطُورِسَ أَهْلِ الْجَمْعِ الثَّانِي، وَالْيَعْقُوبِيَّةِ أَصْحَابِ يَعْقُوبَ الْبِرَادَعِيِّ، أَصْحَابِ الْجَمْعِ الثَّلَاثِ، يَعْتَقِدُونَ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ، وَيَخْتَلِفُونَ فِي تَفْسِيرِهَا، وَهِيَ أَنَا أَحْكِيهَا، وَحَاكِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِكَافِرٍ، لِأَبْتٍ، عَلَى مَا فِيهَا، رَكَّةَ الْأَلْفَاظِ وَكَثْرَةَ الْكُفْرِ وَالْخِتَابِ الْمُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى النَّارِ ذَاتِ الشُّوَاطِظِ؛ فَيَقُولُونَ، عَلَيْهِمْ لِعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: نَوْمُنُ بِإِلَهِ وَاحِدٍ ضَابِطِ الْكُلِّ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ؛ كُلُّ مَا يُرَى، وَكُلُّ مَا لَا يُرَى، وَبِرَبِّ وَاحِدٍ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ، الْوَحِيدِ الْمَوْلُودِ مِنَ الْأَبِّ قَبْلَ

(١) انظر صحيح مسلم (٥٢٥).

الدُّهُورِ، نورٍ مِنْ نورِ إلهِ حقٍّ، مِنْ إلهِ حقٍّ، مولودٍ غيرِ مَخْلُوقٍ، مساوٍ للأبِ
فِي الجَوْهَرِ الَّذِي كانَ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِنَا، نحنُ البَشَرُ، وَمِنْ أَجْلِ خَلَاصِنَا
نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، وَتَجَسَّدَ مِنْ رُوحِ القُدُّوسِ، وَمِنْ مَرَيِّمَ العَذْرَاءِ وَتَأَنَسَ، وَضَلِبَ
عَلَى عَهْدِ ملاطَسِ النبطِيِّ، وَتَأَلَّمَ وَقُبِرَ، وَقامَ فِي اليَوْمِ الثالثِ، كما فِي
الكتِّبِ، وَصَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجلسَ عَنِ يَمِينِ الأبِ. وَأيضًا فسيأتي
بجسده^(١)؛ ليدبِّرَ الأَحْيَاءَ والأَمْواتَ، الَّذِي لا فناءَ لملكه، وَرُوحِ القُدُّوسِ الرَّبِّ
الحَيِّ المُتَّبِقِ مِنَ الأبِ معَ الأبِ، والأبْنِ مسجودًا لَهُ، وَبمجدِ الناطِقِ فِي
الأَنْبياءِ، كِنِيسِيَّةِ واحِدَةٍ جامِعَةٍ مقدَّسةٍ يَهولِيَّةِ، واعترفَ بِعموديَّةِ واحِدَةٍ لمَغْفِرَةِ
الخطايا، وَأَنَّهُ حَيٌّ قِيامَةً الموتى وَحياةً الدَّهرِ العَتِيدِ كَوْنُهُ. آمين.

(١) فِي ح: «بمجده».

كتاب أخبار الماضين

من بنى إسرائيل وغيرهم إلى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم ،
فإننا سنورد ذلك بعد فراغنا من هذا الفصل إن شاء الله تعالى . قال الله تعالى :
﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه :
٩٩] . وقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا
الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣] .

خبر ذى القرنين

قال الله تعالى^(١): ﴿ وَنَسْتَأْتُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ^(٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ^(٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا ^(٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْبٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تُعَدِّبَ [٢٧٥/١ ط] وَإِنَّمَا أَنْ نُنَجِّدَ فِيهِمْ حُسْنًا ^(٨٦) قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا ^(٨٧) وَأَمَا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ^(٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ^(٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سَبِيلًا ^(٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ^(٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ^(٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ^(٩٣) قَالُوا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ^(٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ^(٩٥) ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ^(٩٦) فَمَا اسْطَلَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُمْ نَفْبًا ^(٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿ [الكهف: ٨٣ - ٩٨] .

ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا، وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغرب، ومَلَكَ الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالعدل الثامّة، والسُلطان

(١) التفسير ١٨٥/٥ - ١٩٦.

المؤيد المظفر المنصور القاهر المقيط. والصحيح، أنه كان ملكاً من الملوك العاديين، وقيل: كان نبياً. وقيل: كان رسولاً. وأغرب من قال: كان ملكاً من الملائكة. وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فإنه سمع رجلاً يقول لآخر: يا ذا القرنين، فقال: مه، ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تتسميتم بأسماء الملائكة^(١). ذكره الشهيلي^(٢).

وقد روى وكيع، عن إسرائيل، عن جابر، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو، قال: كان ذو القرنين نبياً^(٣). وروى الحافظ ابن عساكر^(٤)، من حديث أبي محمد بن أبي نصر، عن أبي إسحاق^(٥) إبراهيم بن محمد^(٦) بن أحمد^(٧) بن أبي ثابت^(٨)، حدثنا محمد بن حماد، أنبأنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن أبي ذئب^(٩) عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أدرى ذو أتبع كان ليعينا أم لا، ولا أدرى الحدود كفارات لأهلها أم لا، ولا أدرى ذو القرنين كان نبياً أم لا». وهذا غريب من هذا الوجه. وقال إسحاق بن بشر^(٩)، عن عثمان بن الساج، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٧/١٦. وابن هشام في السيرة ٣٠٧/١. وابن عبد الحكم في فتوح مصر ص ٣٩. وذكره الحافظ في الفتح ٣٨٣/٦، وقال: حكاه الثعلبي.

(٢) الروض الأنف ١٨١/٣.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣٧/١٧ من طريق وكيع به.

(٤) تاريخ دمشق ٣٣٧/١٧.

(٥) بعده في الأصل، م، ص: «بن». وهو خطأ. انظر تاريخ دمشق ٩٩/٧.

(٦-٦) سقط من النسخ، ومن تاريخ دمشق. والمثبت من ترجمته. انظر تاريخ دمشق ٩٩/٧.

(٧) في م: «ذؤيب». وانظر تاريخ دمشق ٩٩/٧.

(٨) في ح، م: «ذؤيب». وانظر تهذيب التهذيب ٣٠٣/٩.

(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣٩/١٧ من طريق إسحاق بن بشر به.

ذو القرنين ملكاً صالحاً، رَضِيَ اللهُ عَمَلَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ، وَكَانَ مَنْصُورًا، وَكَانَ الْخَضِرُ وَزِيرَهُ. وَذَكَرَ أَنَّ الْخَضِرَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ عَلَى مُقَدِّمَةِ جَيْشِهِ، وَكَانَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَشَاوِرِ، الَّذِي هُوَ مِنَ الْمَلِكِ بِمَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ فِي اضْطِلَاحِ [١/٢٧٦] النَّاسِ الْيَوْمَ^(١). وَقَدْ ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ وَغَيْرُهُ، أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَطَافَ مَعَهُ بِالكَعْبَةِ الْمُكْرَمَةِ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).^(٣) وَرَوَى عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِمَا، أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ حَجَّ مَاشِيًا، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا سَمِعَ بِقُدُومِهِ، تَلَقَّاهُ وَدَعَا لَهُ وَرَضَّاهُ، وَأَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَذِي الْقَرْنَيْنِ السَّحَابَ يَحْمِلُهُ حَيْثُ أَرَادَ^(٤). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

واختلفوا في السبب الذي سُمِّيَ به ذَا الْقَرْنَيْنِ؛ فَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ فِي رَأْسِهِ شَبَهُ الْقَرْنَيْنِ^(٥). وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: كَانَ لَهُ قَرْنَانِ مِنَ نُحَاسٍ فِي رَأْسِهِ. وَهَذَا ضَعِيفٌ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ: لِأَنَّهُ مَلَكَ فَارِسَ وَالرُّومَ^(٦). وَقِيلَ: لِأَنَّهُ بَلَغَ قَرْنِي الشَّمْسِ غَرْبًا وَشَرْقًا، وَمَلَكَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَرْضِ. وَهَذَا أَشْبَهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَهُوَ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ^(٧). وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانَتْ لَهُ غَدِيرَتَانِ مِنْ شَعْرِ يَطَأُ فِيهِمَا؛ فَسُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ^(٨). وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ يَشْرِ، عَنْ^(٩)

(١) في التاريخ: «أرضي».

(٢) انظر تاريخ دمشق ١٧/٣٤٥، ٣٤٨.

(٣) أخبار مكة المشرفة للأزرقى ص ٣٩.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) تاريخ دمشق ١٧/٣٤٠، ٣٤١.

(٦) تفسير الطبري ٩/١٦، التفسير ٥/١٨٦.

(٧) أخرجه عن الزهري، ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/٣٣٦.

(٨ - ٨) سقط من: ص.

(٩) أخرجه عن الحسن، ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧/٣٣٦).

^(١) عبد الله بن زياد بن سمعان ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنه قال : دعا ملكًا جبارًا إلى الله فضربه على قوّته فكسره ورصّه ، ثمّ دعاه فدقّ قرنة الثاينى ، فكسره ، فسُمّي ذا القَرْنَيْنِ ^(٢) . وروى الثورى ^(٣) عن حبيب بن أبى ثابت ، عن أبى الطفيل ، عن على بن أبى طالب ، أنه سُئل عن ذى القَرْنَيْنِ فقال : كان عبدًا ناصح الله فتأصّحه ، دعا قوّته إلى الله فضربوه على قوّته فمات ، فأحياه الله فدعا قوّته إلى الله فضربوه على قوّته الآخر فمات ، فسُمّي ذا القَرْنَيْنِ . وهكذا رواه شعبة ، عن ^(٤) القاسم بن أبى بزة ^(٥) ، عن أبى الطفيل ، عن على بن به ^(٦) . وفى بعض الروايات ، عن أبى الطفيل عن على ، قال : لم يكن نبيًا ولا رسولًا ولا ملكًا ، ولكن كان عبدًا صالحًا ^(٧) .

وقد اختلف فى اسمه ؛ فروى الزبير بن بكار ، عن ابن عباس : كان اسمه عبد الله بن الضحّاك بن معيد ^(٨) . وقيل : مُضْعَبُ بن عبد الله بن قنّان بن منصور بن عبد الله بن الأزدي بن عوث ^(٩) بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبي بن قحطان .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٣٦/١٧ ، من طريق إسحاق بن بشر به .

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٩/١٦ ، من طريق سفيان الثورى به .

(٤) سقط من : ح ، م .

(٥) فى ص : « مرة » . وانظر التقريب ١١٥/٢ .

(٦) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٩/١٦ ، من طريق شعبة به .

(٧) تاريخ دمشق ٣٣٤/١٧ ، ٣٣٥ .

(٨) تاريخ دمشق ٣٣١/١٧ . وعزاه الحافظ فى الفتح ٣٨٤/٦ للزبير بن بكار فى « كتاب النسب » ،

وقال : وإسناده ضعيف جدًا .

(٩) فى الأصل ، م : « عون » . وفى ح : « عوف » وفى ص : « عرب » .

وقد جاء في حديث^(١) أنه كان من حمير، وأمه روميّة، وأنه كان يُقال له: ابن الفيلسوف؛ لِعَقْلِهِ. وقد أُنشِدَ بعضُ الحِميريين^(٢) في ذلك شِعْرًا يَفْخَرُ بكونه أحدَ أجدادِهِ فقال:

قَد كَانَ ذُو الْقَرْيَينِ جَدِّي^(٣) مُسْلِمًا مَلِكًا تَدِينُ لَهُ الْمَلُوكُ وَتُحْشَدُ^(٤)
 بَلَّغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَبْتَغِي أَسْبَابَ أَمِيرٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدِ
 فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَأطٍ^(٥) حَزْمِدِ
 [٢٧٦/١] مِنْ بَعْدِهِ بَلْفَيْسُ كَانَتْ عَمَّتِي مَلَكْتُهُمْ حَتَّى أَتَاهَا الْهُدْهُدُ^(٦)

قال السَّهْلِيُّ^(٧): وقيل: كان اسمه مَرْزَبَى بْنِ مَرْذَبَةَ^(٨)، ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ^(٩)، وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ^(١٠) أَنَّ اسْمَهُ الصَّعْبُ بْنُ ذِي مَرَاثِدٍ^(١١). وَهُوَ أَوَّلُ التَّبَابِغَةِ، وَهُوَ الَّذِي حَكَّمَ لِإِبْرَاهِيمَ فِي بَيْرِ السَّبْعِ^(١٢). وَقِيلَ: إِنَّهُ أفرِيدُون

-
- (١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣٢/١٧.
 (٢) هو تبع الحميري، كما صرح به ابن عساكر في تاريخه ٣٣٢/١٧. وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص ٣٨، والحافظ في الفتح ٣٨٤/٦.
 (٣) في قصص الأنبياء للثعلبي ص ٣٢٦، والتفسير الكبير للفخر الرازي ١٦٤/٢١: «قبلي».
 (٤) في قصص الأنبياء وتفسير القرطبي ٤٩/١١: «تسجد». وفي تاريخ دمشق: «تحسد». وفي البيت عيب وهو الإقواء.
 (٥) خلب أى الطين. ثأط مفردا ثأطة وهى الطين، حثاة كان أو غير ذلك.
 (٦) فى الأصل، ح، ص: «المزهد». وهو لفظ رواية ابن عساكر، وفى البيت عيب وهو الإقواء.
 (٧) الروض الأنف ١٧٨/٣.
 (٨) فى م، ص: «مرزبان بن مرزبة». وفى الفتح ٣٨٤/٦: «مرزبان بن مردية» بالبدال المهملة.
 (٩) السيرة النبوية ٣٠٧/١.
 (١٠) التيجان فى ملوك حمير ص ١١٠، وفيه: الصعب بن ذى مرثد.
 (١١) فى ح: «الصعب بن دنى مزاید». وفى م، ص: «الصعب بن ذى مرثد».
 (١٢) فى ح: «السبع». وانظر الروض الأنف ١٧٩/٣. والتعريف والإعلام ص ١٩٩.

ابن أَسْفِيَانَ، الذي قَتَلَ الضَّحَّاكَ^(١). وفي خطبة قُس: يا مَعَشَرَ إِيَادِ، أَيْنَ^(٢)
الصَّعْبُ ذُو الْقَرَيْنِ، مَلِكُ الْخَافِقِينَ، وَأَذَلُّ الثَّقَلَيْنِ، وَعُمَرُ أَلْفَيْنِ، ثُمَّ كَانَ
كَحِظَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ أَنْشَدَ ابْنُ هِشَامٍ لِلأَعَشَى^(٣):

وَالصَّعْبُ ذُو الْقَرَيْنِ أَصْبَحَ ثَاوِيًا بِالْحِنُوِ^(٤) فِي جَدَثِ أُمَيْمٍ^(٥) مُقِيمٍ
وَذَكَرَ الدَّارِقُطْنِي، وَابْنُ مَأْكُولًا أَنَّ اسْمَهُ هَرْمَسٌ^(٦). وَيُقَالُ: هَرْدِيْسٌ^(٨)
ابْنُ فَيْطُونَ بْنِ رُومَى بْنِ لِنْطَى بْنِ كِسْلُوجِيْنَ بْنِ يُونَانَ بْنِ يَافَثَ بْنِ نُوحٍ. فَاللَّهُ
أَعْلَمُ. وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرِ، عَنِ سَعِيدِ بْنِ بِشِيرٍ، عَنِ قَتَادَةَ قَالَ: إِسْكَندَرُ هُوَ
ذُو الْقَرَيْنِ، وَأَبُوهُ أَوَّلُ الْقِيَاصِرَةِ، وَكَانَ مِنْ وَلَدِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، عَلَيْهِ
السَّلَامُ^(٩). فَأَمَّا ذُو الْقَرَيْنِ الثَّانِي فَهُوَ إِسْكَندَرُ بْنُ فَيْلِيْسِ بْنِ مَضْرِيْمَ بْنِ
هَرْمَسِ بْنِ هَرْدَسِ^(١٠) بْنِ مَيْطُونَ بْنِ رُومَى بْنِ لِنْطَى^(١١) بْنِ يُونَانَ بْنِ يَافَثَ بْنِ
نُونَةَ بْنِ سَرْحُونَ بْنِ رُومَةَ بْنِ ثَرْنَطَ بْنِ تَوْفِيْلَ بْنِ رُومَى بْنِ الأَصْفَرِ بْنِ الْبَيْزِ بْنِ

(١) انظر تاريخ الطبرى ١/ ٢١١.

(٢) فى ح، م، ص: «بن».

(٣) لم نجد فى ديوان الأعشى الكبير، ولا فى ديوان أعشى همدان. والبيت فى ديوان لييد ص ١٠٩،
وقد نسبه ابن منظور فى اللسان مادة (ص ع ب) إلى لييد.

(٤) فى الأصل: «بالحر». وفى ح: «بالخير». وفى م، ص: «بالحنو». والمثبت من الروض الأنف،
وقتح البارى ٦/ ٣٨٤. قال الحافظ: والحنو بكسر المهملة وسكون النون فى ناحية المشرق. وقال السهلبى
فى الروض ٣/ ١٨٠: وقوله: بالحنو. يريد حنو قراقر الذى مات فيه ذو القرنين بالعراق.

(٥) فى م، ص: «أشم».

(٦ - ٦) سقط من الأصل.

(٧) انظر تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣١. والإكمال ١/ ٥٥٩، ٥٦٠.

(٨) فى ح: «هرويس». وفى ص: «هروس». والمثبت من التاريخ والإكمال.

(٩) تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٣.

(١٠) فى الأصل: «بن مردس». وسقط من: م، ص.

(١١ - ١١) فى تاريخ دمشق: «أنطى».

العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل . كذا نَسَبَهُ الحافظُ ابنُ عساکرَ في « تاريخه »^(١) ، المَقْدُونِيُّ اليونانيُّ المصريُّ ، باني إِسكَنْدَرِيَّةَ ، الذي يُورِّخُ بِأَيَّامِهِ الرُّومَ ، وكان متأخراً عن الأوَّلِ بدَّهْرٍ طويلاً ، كان هذا قبلَ المسيحِ بنحوِ من ثَلَاثِمِائَةٍ سَنَةٍ ، وكان أرسطاطاليسُ الفيلسوفُ وزيره ، وهو الذي قَتَلَ دارا بنَ دارا ، وأذَلَ ملوكَ الفُرْسِ وأوطأَ أَرْضَهُمْ^(٢) . وإِنَّمَا نَبَّهْنَا عليه ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعتقدُ ، أَنَّهُما واحدٌ ، وأنَّ المذكورَ في القرآنِ هو الذي كان أرسطاطاليسُ وزيره ، فيقعُ بسببِ ذلك خطأٌ كبيرٌ وفسادٌ عريضٌ طويلٌ كثيرٌ ، فإنَّ الأوَّلَ كان عبدًا مؤمِنًا صالحًا ، ومَلِكًا عادلًا ، وكان وزيره الخَصِرَ ، وقد كان نبيًّا على ما قرَّرناه قبلَ هذا . وأمَّا الثاني ، فكان مُشْرِكًا ، وكان وزيره فيلسوفًا ، وقد كان يَتَّبِعُ زَمَانِيَهُمَا أَزِيدُ مِنَ أَلْفِي سَنَةٍ . فَأَيَّنَ هذا مِنِ هذا ، لا يَسْتَوِيانِ ، ولا يَسْتَبِيهانِ ، إِلَّا على غَيْبِي لا يَعْرِفُ حَقائِقَ الأُمُورِ .

قوله تعالى^(٣) : ﴿ وَنَسْتَأْذِنُكَ عَنْ ذِي الْقَرْيَيْنِ ﴾ [الكهف: ٨٣] . كان سَبَبُهُ أَنَّ قريشًا سألوا اليهودَ عن شيءٍ يَمْتَنِحُونَ به عِلْمَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا لهم : سألوه عن رجلٍ طَوَّافٍ في الأَرْضِ ، وعن فِتْيَةٍ خَرَجُوا ، لا يُدْرِي ما فعلوا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ أَصْحَابِ الكَهْفِ وقِصَّةَ ذِي القَرْيَيْنِ^(٤) . ولهذا قال : ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ أَي ؛ مِنْ خَبْرِهِ وَشَأْنِهِ

(١) تاريخ دمشق ١٧ / ٣٣٠ .

(٢) انظر التفسير ٥ / ١٨٥ . والكامل لابن الأثير ١ / ٢٨٣ .

(٣) التفسير ٥ / ١٨٥ .

(٤) انظر أثر ابن عباس في تفسير الطبري ١٥ / ١٩١ . وسيرة ابن هشام ١ - ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ودلائل

النبوة للبيهقي ٢ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

﴿ ذِكْرًا ﴾ أَي ؛ خَبِيرًا نَافِعًا كَافِيًا فِي تَعْرِيفِ أَمْرِهِ وَشَرْحِ حَالِهِ فَقَالَ : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَءَاثِنَتْهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴾ أَي ؛ وَسَعْنَا مَمْلَكَتَهُ فِي الْبِلَادِ [٢٧٧/١] وَأَعْطَيْنَاهُ مِنْ آيَاتِ الْمَمْلَكَةِ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَحْصِيلِ مَا يَحَاوِلُهُ مِنَ الْمَهْمَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْمَقَاصِدِ الْجَسِيمَةِ .

قَالَ قُتَيْبَةُ ، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ ، عَنْ سِمَاكِ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ جِمَازٍ ^(١) ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ ذِي الْقَرْظَيْنِ ، كَيْفَ بَلَغَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ ؟ فَقَالَ : سُحِّرَ لَهُ السَّحَابُ ، وَمُدَّتْ لَهُ الْأَسْبَابُ ، وَبُسِطَ لَهُ فِي الثُّورِ . وَقَالَ : أَرِيدُكَ ؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ ، وَسَكَتَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٢) .

وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّيِّعِيِّ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْوَادِعِيِّ ، سَمِعْتُ مَعَاوِيَةَ يَقُولُ : مَلَكَ الْأَرْضَ أَرْبَعَةٌ ؛ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ النَّبِيُّ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَذُو الْقَرْظَيْنِ ، وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حُلْوَانَ ، وَرَجُلٌ آخَرٌ . فَقِيلَ لَهُ : الْخَضِرُّ ؟ قَالَ : لَا ^(٣) .

وَقَالَ الرَّبِيعِيُّ بْنُ بَكَّارٍ ^(٤) : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُثَنِّبِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الضُّعْكَانِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ سَفِيَانَ الثُّورِيِّ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّهُ مَلَكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا أَرْبَعَةً : مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ ؛ سَلِيمَانُ النَّبِيُّ ، وَذُو الْقَرْظَيْنِ ، وَتَمْرُودٌ ، وَبُخْتُ نَصْرَ . وَهَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ ^(٥) ، سِوَاءً .

(١) فِي م ، ص : « حَمَاد » . وَانظُرِ الْاِسْتِعَابَ ٤٤٢/١ .
(٢) ذَكَرَهُ الْمُنْصِفُ فِي التَّفْسِيرِ ١٨٧/٥ ، وَعَزَاهُ إِلَى « الْخِطَابَةِ » لِلْحَافِظِ الضِّيَاءِ الْمَقْدِسِيِّ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٣٣٣/١٧ . مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَوَانَةَ بِهِ .
(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٣٣٦/١٧ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ بِهِ .
(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ، مِنْ طَرِيقِ الرَّبِيعِيِّ بِهِ .
(٥) فِي الْأَصْلِ : « بَشَر » . وَانظُرِ السَّيْرَ ٣٠٤/٧ . وَقَوْلُهُ أَخْرَجَهُ الْحَافِظُ ابْنَ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ ١٧/٣٣٧ .

وقال إسحاق بن بشر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن قال: كان ذو القرنين، ملك بعد الثمود، وكان من قصته أنه كان رجلاً مسلماً صالحاً أتى المشرق والمغرب، مد الله له في الأجل ونصره، حتى قهر البلاد واحتوى على الأموال، وفتح المدائن وقتل الرجال وجال في البلاد والقلاع، فسار حتى أتى المشرق والمغرب، فذلك قول الله: ﴿ وَنَسْتَأْذِنُكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ أي؛ خبراً ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ أي؛ علماً يطلب أسباب المنازل^(١).

قال إسحاق^(٢): وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكثور، فمن أتبعه على دينه وتابعه عليه، وألا قتله. وقال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعبيد بن يعلى، والسدي، وقاتدة، والضحاك ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ يعني علماً^(٣). وقال قتادة، ومطر الزرق: معالم الأرض ومنازلها وأعلامها وآثارها. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني تعليم الألسنة، كان لا يغزو قوماً إلا حدثهم بلغتهم^(٤).

والصحيح أنه يعم كل سبب يتوصل به إلى نيل مقصوده في المملكة وغيرها؛ فإنه كان يأخذ من كل إقليم من الأمتعة والمطاعم والزاد ما يكفيه، ويعيثه على أهل الإقليم الآخر.

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفاً وستمائة سنة يجوب الأرض،

(١) المصدر السابق ٣٣٩/١٧، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٢) هو ابن بشر. وأخرج هذه الزيادة من هذا الطريق ابن عساكر في تاريخه ٣٤٠/١٧.

(٣) تفسير الطبري ٩/١٦. التفسير ١٨٦/٥، ١٨٧.

(٤) تفسير الطبري ٩/١٦، ١٠. التفسير ١٨٦/٥، ١٨٧.

وَيَدْعُو أَهْلَهَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَفِي كُلِّ هَذِهِ الْمُدَّةِ نَظَرٌ . وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ . وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ ^(١) [٢٧٧/١ ظ] حَدِيثًا مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ :
 ﴿ وَعَائِنْتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴾ مُطَوَّلًا جَدًّا ، وَهُوَ مُتَكَرِّرٌ جَدًّا . وَفِي إِسْنَادِهِ
 مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْكُدَيْمِيُّ ^(٢) وَهُوَ مُتَّهَمٌ ، فَلِهَذَا لَمْ نَكْتُبِهِ لِسُقُوطِهِ عِنْدَنَا . وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ .

وقوله : ﴿ فَأَنْبَعَ سَبِيًّا ﴾ أى ؛ طريقًا ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾
 يعنى من الأرض ، انتهى إلى حيث لا يمكن أخذًا أن يجاوزه ، ووقف على حافة
 البحر المحيط الغربى الذى يقال له : أوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة
 بالخالدات ، التى هى مبدأ الأطوال ، على أحد قولين أرباب الهيمية ، والثانى من
 ساحل هذا البحر كما قدّمنا ^(٣) . وعنده شاهد مغيب الشمس - فيما رآه بالنسبة
 إلى مشاهدته - ﴿ تَعْرُبُ فِي عَيْنِ حِمَّةٍ ﴾ والمراد بها البحر فى نظره ، فإن
 من كان فى البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر ، وتغرب
 فيه ؛ ولهذا قال : ﴿ وَجَدَهَا ﴾ أى ؛ فى نظره ، ولم يقل : فإذا هى . ﴿ تَعْرُبُ
 فِي عَيْنِ حِمَّةٍ ﴾ أى ؛ ذات حمأة . قال كعب الأحمار : وهو الطين
 الأسود . وقرأ بعضهم (حامية) ^(٤) . فقيل : يرجع إلى الأول . وقيل : من
 الحرارة . وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها .

(١) دلائل النبوة ٦/٢٩٥ ، ٢٩٦ . تاريخ دمشق ١٧/٣٣٨ .

(٢) فى الأصل ، ص : « الكرىمى » . وانظر ترجمته فى الكامل فى ضعفاء الرجال ، لابن عدى ٦/
 ٢٢٩٤-٢٢٩٦ .

(٣) تقدم فى ١/٥٣ .

(٤) انظر تفسير الطبرى ١٦/١١ ، ١٢ . والتفسير ٥/١٨٨ . والبحر المحيط ٦/١٥٩ .

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ^(١) عن يزيد بن هارونَ ، عن العوّامِ بنِ حَوْشِبِ ، حدّثنى مولى لعبدِ اللهِ بنِ عمّرو ، عن عبدِ اللهِ قال : نَظَرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى الشمسِ حينَ غابَتْ فقالَ : « في نارِ اللهِ الحاميةِ ، لولا ما يَزَعُها مِنْ أمرِ اللهِ لأَحْرَقَتْ^(٢) ما على الأَرْضِ » فيه غرابةٌ ، وفيه رجلٌ مُبْهَمٌ لم يُسَمَّ ، ورَفَعَهُ فيه نَظَرٌ ، وقد يكونُ مَوْقُوفًا مِنْ كلامِ عبدِ اللهِ بنِ عمّرو ، فإنّه أصاب يومَ التيموكِ زامِلَتَيْنِ مِنْ كُتُبِ المتقدِّمينَ ، فكان يُحَدِّثُ منها . واللهُ أعلمُ .

ومن زَعَمَ مِنَ القُصَاصِ ، أنْ ذا القَرْنَيْنِ جاوزَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ، وصارَ يَمْشِي بجيوشِهِ في ظُلُماتٍ مُدَدًا طَوِيلَةً ، فقد أخطأ ، وأبْعَدَ التُّجَعَةَ ، وقال ما يُخالفُ العَقْلَ والنَّقْلَ .

(١) في المسند ٢/٢٠٧ . (إسناده ضعيف) .

(٢) في المسند : « لأهلكت » .

«بَيَانُ طَلَبِ ذِي الْقَرْنَيْنِ عَيْنَ الْحَيَاةِ»^(١)

وقد ذَكَرَ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٢) مِنْ طَرِيقِ وَكَيْعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سَلِيمَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ، عَنْ أَبِيهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ خَبْرًا مُطَوَّلًا جَدًّا، فِيهِ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُ: رِئَاقِيلُ^(٣). فَسَأَلَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ: هَلْ تَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ عَيْتًا يُقَالُ لَهَا: عَيْنُ الْحَيَاةِ؟ فَذَكَرَ لَهُ صِفَةَ مَكَانِهَا، فَذَهَبَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي طَلَبِهَا وَجَعَلَ الْخَضِرَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ، فَانْتَهَى الْخَضِرُ إِلَيْهَا فِي وَادٍ فِي أَرْضِ الظُّلُمَاتِ، فَشَرِبَ مِنْهَا وَلَمْ يَهْتَدِ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَيْهَا. وَذَكَرَ اجْتِمَاعَ ذِي الْقَرْنَيْنِ بِيَعِضِ الْمَلَائِكَةِ فِي قَصْرِ هُنَاكَ، وَأَنَّهُ [١/٢٧٨] أَعْطَاهُ حَجْرًا، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى جَيْشِهِ سَأَلَ الْعُلَمَاءَ عَنْهُ، فَوَضَعُوهُ فِي كِفَّةٍ مِيزَانٍ، وَجَعَلُوا فِي مِقَابَلَتِهِ أَلْفَ حَجَرٍ مِثْلِهِ، فَوَزَنَهَا، حَتَّى سَأَلَ الْخَضِرَ فَوَضَعَ قُبَالَهُ حَجْرًا، وَجَعَلَ عَلَيْهِ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ فَرَجَحَ بِهِ، وَقَالَ: هَذَا مِثْلُ ابْنِ آدَمَ لَا يَشْبَعُ حَتَّى يُوَارَى بِالتُّرَابِ. فَسَجَدَ لَهُ الْعُلَمَاءُ تَكْرِيمًا لَهُ وَإِعْظَامًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثم ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ حَكَّمَهُ^(٤) فِي أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ﴿قُلْنَا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ ائِمَّا اَنْ تَعَذَّبَ وَاِمَّا اَنْ نُنْخِذَ فِيْهِمْ حُسْنًا﴾ (٨٦) قَالَ اَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ اِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿ اى ؛ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَذَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبَدَأَ بِعَذَابِ الدُّنْيَا ؛ لِاَنَّهُ اَزْجَرُ عِنْدَ الْكَافِرِ ﴿ وَاَمَّا مَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ صٰلِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ

(١ - ١) ليس في الأصل، ص.

(٢) تاريخ دمشق ١٧/٣٤٦-٣٥١.

(٣) في تاريخ دمشق: «زيافيل».

(٤) في ص: «حكهم». وفي م: «حكم».

الْحَسَنِيُّ وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرًا يُسْرًا ﴿ فَبَدَأَ بِالْأَهَمِّ وَهُوَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ ، وَعَطَفَ عَلَيْهِ الْإِحْسَانَ مِنْهُ إِلَيْهِ ، وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ وَالْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ أَنْبَعَ سَبَبًا ﴾ أَي ؛ سَلَكَ طَرِيقًا رَاجِعًا مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ ، فَيُقَالُ : إِنَّهُ رَجَعَ فِي ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً . ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ أَي ؛ لَيْسَ لَهُمْ يَبُوتٌ وَلَا أَكْنَانٌ يَسْتَتِرُونَ بِهَا مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ . قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ : وَلَكِنْ كَانُوا يَأْوُونَ ، إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَرُّ ، إِلَى أَشْرَابٍ قَدْ اتَّخَذُوهَا فِي الْأَرْضِ ، شَبِيهَ الْقُبُورِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ أَي ؛ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَنَحْفَظُهُ وَنَكَلِّفُهُ بِحِرَاسَتِنَا فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ مَغَارِبِ الْأَرْضِ إِلَى مَشَارِقِهَا .

وقد روى عن عبيد بن عمير، وابنه عبد الله، وغيرهما من السلف، أن ذا القوتين حج ماشيا، فلما سمع إبراهيم الخليل بقدمه، تلقاه، فلما اجتمعا، دعا له الخليل ووصاه بوصايا، ويقال: إنه جيء بفرس ليزكبه فقال: لا أركب في بلد فيه الخليل. فسخر الله له السحاب، وبشره إبراهيم بذلك، فكانت تحمله إذا أراد^(١).

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْبَعَ سَبَبًا ﴾ (١٢) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿ يَعْنِي عُثْمًا ^(١) . فَيُقَالُ : إِنَّهُمْ هُمُ التُّرُكُ ، أَبْنَاءُ عَمِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ قَدْ تَعَدَّوْا عَلَيْهِمْ وَأَفْسَدُوا فِي بِلَادِهِمْ ، وَقَطَّعُوا الشُّبُلَ عَلَيْهِمْ ، وَبَذَلُوا لَهُ جِمَلًا ، وَهُوَ الْخَرَاجُ عَلَى

(١) روى معنى هذا، ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/٣٤٠، ٣٤١ عن عبيد بن عمير وابنه، من طرق متعددة.

(٢) عُثْمُ جَمْعُ أُعْتَمِ ؛ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَفْصَحْ لِعِجْمَةٍ فِي مَنْطِقِهِ .

أَنْ يُقِيمَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْوَصُولِ إِلَيْهِمْ ، فَامْتَنَعَ مِنْ أَخْذِ الْخِرَاجِ ؛
 اكْتِنْفَاءً بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ ثُمَّ طَلَبَ
 مِنْهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا لَهُ رِجَالًا وَأَلَابًا ، لِيُنَيِّئَ [٢٧٨/١ ظ] بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ، وَهُوَ
 الرَّدْمُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ ، وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ إِلَيْهِمْ إِلَّا مِنْ بَيْنَهُمَا ، وَبَقِيَّةُ ذَلِكَ
 بِحَارَ مُغْرَقَةٌ ، وَجِبَالٌ شَاهِقَةٌ ، فَبَنَاهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ، مِنْ الْحَدِيدِ وَالْقَطْرِ ، وَهُوَ
 الثُّحَاسُ الْمَذَابُ . وَقِيلَ : الرَّصَاصُ . وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ ، فَجَعَلَ بَدَلَ اللَّيْنِ حَدِيدًا
 وَبَدَلَ الطِّينِ نُحَاسًا ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ أَى ؛
 يَغْلُوا عَلَيْهِ بِسِلَاحِهِمْ وَلَا غَيْرِهَا ﴿ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا ﴾ أَى ؛ بِمَعَاوِلَ ، وَلَا
 فُؤُوسَ وَلَا غَيْرِهَا ، فَقَابِلَ الْأَسْهَلِ بِالْأَسْهَلِ ، وَالْأَشَدَّ بِالْأَشَدِّ ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةً
 مِنْ رَبِّي ﴾ أَى ؛ قَدَّرَ اللَّهُ وَجُودَهُ ، لِيَكُونَ رَحْمَةً مِنْهُ بِعِبَادِهِ أَنْ يَمْنَعَ بِسَبَبِهِ عُذْوَانَ
 هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى مَنْ جَاوَزَهُمْ فِي تِلْكَ الْحَيْلَةِ ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ أَى ؛
 الْوَقْتُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ خُرُوجَهُمْ عَلَى النَّاسِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ﴿ جَعَلَهُمْ ذَكَاةً ﴾
 أَى ؛ مَسَاوِيًا لِلْأَرْضِ وَلَا بُدَّ مِنْ كَوْنِ هَذَا ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾
 كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ
 حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿ ١٦ ﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ الْآيَةُ [الْأَنْبِيَاءُ : ٩٦ ، ٩٧] . وَلِذَا
 قَالَ هَهُنَا : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ يَعْنِي يَوْمَ فَتْحِ السُّدِّ ، عَلَى
 الصَّحِيحِ ، ﴿ وَفُتِحَ فِي الشُّورِ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا ﴾ وَقَدْ أَوْزَدْنَا الْأَحَادِيثَ الْمَرْوِيَّةَ ،
 'فِي خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فِي « التَّفْسِيرِ »^(١) ، وَسُنَّوَرْدُهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٢) فِي
 كِتَابِ « الْفِتَنِ وَالْمَلَاجِمِ » مِنْ كِتَابِنَا هَذَا ، إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ ، بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) التفسير من ١٩٢ - ١٩٤ .

وحُشِنَ توفيقه ، ومعونته ، وهدايته .

قال أبو داود الطيالسي ، عن الثوري : بلغنا أن أول من صافح ، ذو القرنين .
وروى عن كعب الأخبار أنه قال لمعاوية : إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى
أمه ؛ إذا هو مات أن تصنع طعاما ، وتجمع نساء أهل المدينة ، وتضعه بين
أيديهن ، وتأذن لهن فيه ، إلا من كانت ثكلى ، فلا تأكل منه شيئا ، فلما فعلت
ذلك ، لم تصنع واحدة منهن يدها فيه ، فقالت لهن : سبحان الله ! كلكن
ثكلى ! فقلن : إى والله ما منا إلا من أئكلت . فكان ذلك تشلية لأمه ^(١) .
وذكر إسحاق بن بشر ^(٢) ، عن عبد الله بن زياد ، عن بعض أهل الكتاب ،
وصية ذى القرنين ، وموعظته أمه موعظة بليغة طويلة ، فيها حكيم وأمر نافعة ،
وأنه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة ، وهذا غريب .

قال ابن عساکر ^(٣) : وبلغنى من وجه آخر أنه عاش سبعا وثلاثين سنة ،
وقيل : كان عمره ثنتين وثلاثين سنة ، وكان بعد داود بسبعمئة سنة وأربعين
سنة ، وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومائة وإحدى وثمانين ^(٤) [٢٧٩/١] سنة ،
وكان ملكه ست عشرة سنة . وهذا الذى ذكره إنما ينطبق على إسكندر الثانى
لا الأول ، وقد خلط فى أول الترجمة وآخرها بينهما ^(٥) ، والصواب التفرقة كما
ذكرنا ، اقتداءً بجماعة من الحفاظ . والله أعلم .

(١) أخرجه ابن عساکر فى تاريخ دمشق ٣٥٨/١٧ .

(٢) المصدر السابق ٣٥٩/١٧ من طريق إسحاق بن بشر به .

(٣) تاريخ دمشق ٣٦١/١٧ .

(٤) فى ص : « ثلاثين » .

(٥) انظر تاريخ دمشق ٣٣٠/١٦ ، ٣٦١/١٦ .

وَمَنْ جَعَلَهُمَا وَاحِدًا الْإِمَامَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامٍ، رَاوَى السَّيْرَةَ، وَقَدْ أَنْكَرَ
ذَلِكَ عَلَيْهِ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّهَيْلِيُّ، رَجِمَهُ اللَّهُ، إِنْكَارًا بَلِيغًا، وَرَدَّ قَوْلَهُ رَدًّا
شَنِيعًا، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا تَفْرِيقًا جَيِّدًا، كَمَا قَدَّمْنَا. قَالَ: وَلَعَلَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمَلُوكِ
الْمُتَقَدِّمِينَ، تَسَمَّوْا بِذِي الْقَرْنَيْنِ تَشْبِيْهُهَا بِالْأَوَّلِ^(١). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) انظر الروض الأنف ٣/ ١٨٠.

ذِكْرُ أُمَّتِي يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ

وصفاتِهِم، وما وَرَدَ مِنْ

أخبارِهِم، وصفَةِ السَّدِّ

هم من ذُرِّيَّةِ آدَمَ بلا خِلافٍ نَعَلْنَهُ، ثُمَّ الدَّلِيلُ على ذلك، ما ثَبِتَ في «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) مِنْ طَرِيقِ الأَعْمَشِ، عَنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، قُمْ فَابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ. فيقول: يَا رَبِّ، وما بَعَثَ النَّارِ؟ فيقول: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ. فَحِينَئِذٍ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ». قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْشُرُوا؛ فَإِنَّ مِنْكُمْ وَاحِدًا، وَمِنْ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا». وَفِي رِوَايَةٍ^(٢): فَقَالَ: «أَبْشُرُوا؛ فَإِنَّ فِيكُمْ أُمَّتَيْنِ؛ مَا كَانَتَا فِي شَيْءٍ إِلَّا كَثُرَتَا - أَيْ غَلَبَتَا - كَثْرَةً». وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى كَثْرَتِهِمْ، وَأَنَّهم أَضْعَافُ النَّاسِ مِرازًا عَدِيدَةً. ثُمَّ هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ اسْتَجَابَ لِعَبْدِهِ نُوحٍ فِي دَعَائِهِ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ بِقَوْلِهِ: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الأَرْضَ مِنَ الكَافِرِينَ

(١) البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣). مسلم (٢٢٢).

(٢) الترمذي (٣١٦٩). النسائي في الكبرى (١١٣٤٠). صحيح (صحيح الترمذي ٢٥٣٤).

﴿ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ فَأَجْبَنَهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ ﴾ [العنكبوت: ١٥]. وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرًّا أَلْبَابِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧]. وتقدّم في الحديث المَرْوِيُّ في «المسند» و«السنن»^(١): أَنَّ نُوْحًا وُلِدَ لَهُ ثَلَاثَةٌ؛ وَهُمْ سَامٌ، وَحَامٌ، وَيَافِثٌ، فَسَامٌ أَبُو الْعَرَبِ، وَحَامٌ أَبُو الشُّودَانِ، وَيَافِثٌ أَبُو الثُّوَكِ، فَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ طَائِفَةٌ مِنَ الثُّوَكِ، وَهُمْ مَغْلُ الْمَغُولِ، وَهُمْ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَكْثَرُ فَسَادًا مِنْ هَوْلَاءِ، وَنَسَبْتُهُمْ إِلَيْهِمْ كَنَسْبَةِ هَوْلَاءِ إِلَى غَيْرِهِمْ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الثُّوَكَ، إِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ، حِينَ بَنَى ذُو الْقَرْنَيْنِ السِّدَّ^(٢)، وَأَلْجَأَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ، فَبَقِيَتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَمْ^(٣) يَكُنْ عِنْدَهُمْ كَفْسَادِهِمْ^(٤) فَتَرَكُوا مِنْ وَرَائِهِ. فَلِهَذَا قِيلَ لَهُمْ: الثُّوَكُ.

وَمَنْ زَعَمَ [٢٧٩/١ظ] أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ خُلِقُوا مِنْ نُطْفَةِ آدَمَ حِينَ احْتَلَمَ، فَاحْتَلَطَتْ بِتَرَابٍ، فَخُلِقُوا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْهُمْ لَيْسُوا مِنْ حَوَاءَ، فَهُوَ قَوْلٌ حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو زَكْرِيَّا النَّوَاوِيُّ، فِي «شَرْحِ مُسْلِمٍ» وَغَيْرِهِ^(٤)، وَضَعَّفُوهُ، وَهُوَ جَدِيدٌ بِذَلِكَ؛ إِذْ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ مُخَالَفٌ لِمَا ذَكَرْنَاهُ؛ مِنْ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ الْيَوْمَ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، بِنَصِّ الْقُرْآنِ. وَهَكَذَا مَنْ زَعَمَ أَنََّّهُمْ عَلَى أَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَطْوَالٍ مُتَبَايِنَةٍ جَدًّا؛ فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ كَالنُّخْلَةِ السَّحُوقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ غَايَةٌ فِي الْقِصْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَرِشُ أُنْثَا مِنْ أُذُنَيْهِ وَيَتَّعَطَّى بِالْأُخْرَى، فَكُلُّ هَذِهِ أَقْوَالٌ بِلَا دَلِيلٍ، وَرَجَمَ بِالْغَيْبِ بِغَيْرِ بُرْهَانٍ.

(١) تقدم تخريجه في ٢٦٩/١. وأخرجه كذلك الإمام أحمد في المسند ٩/٥. والترمذي (٣٢٣٠).

٣٢٣١، ٣٩٣١. ضعيف (ضعيف الترمذي ٨٢٦).

(٢) سقط من: ص.

(٣ - ٣) في ص: «تكن عندهم لفسادهم».

(٤) شرح مسلم ٩٨/٣.

والصحيح، أنهم من بنى آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم. وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ»^(١). وهذا فيصّل في هذا الباب وغيره. وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذرّيته ألفاً، فإن صحّ في خبر قلنا به، وإلا فلا تزده، إذ يَحْتَمِلُهُ العقل، والتقلُّ أيضاً قد يُرشدُ إليه. والله أعلم. بل قد ورد حديث مُصَرَّحٌ بذلك، إن صحّ؛ قال الطبراني^(٢): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْأَصْبَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ أَحْمَدُ بْنُ الْفُرَاتِ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ وَهَبِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ يَأْجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، وَلَوْ أُرْسِلُوا لَأَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ مَعَائِشَهُمْ، وَلَنْ يَمُوتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِدًا. وَإِنَّ مِنْ وُرَائِهِمْ ثَلَاثَ أُمَمٍ؛ تَاوِيلَ، وَتَارِيسَ، وَمَنْسَكَ». وهو حديث غريب جداً، وإسناده ضعيف. وفيه نكارة شديدة. وأما الحديث الذي ذكره ابن جرير في «تاريخه»^(٣)، أن رسول الله ﷺ ذهب إليهم لِفَلَةِ الْإِسْرَاءِ، فدعاهم إلى الله فامتنعوا من إجابته ومتابعتيه، وأنه دعا تلك الأمم التي هناك؛ تاريس، وتاويل، ومنسك، فأجابوه، فهو حديث موضوع اختلقه أبو نعيم عمر^(٤) بن^(٥)

(١) تقدم تخريجه في ٢١٥/١.

(٢) أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٨، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات. وقد قال المصنف - رحمه الله - في الفتن والملاحم ١/١٥٤: وقد يكون من كلام عبد الله بن عمرو بن الزاملتين، والله أعلم.

قلت: يعنى الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك، وكانتا محملتين بكتب من أهل الكتاب.

(٣) تاريخ الطبري ١/٧٠.

(٤) في الأصل: «ابن».

(٥) في الأصل، ح، م: «عمرو»، وانظر الكامل لابن عدي ٥/١٦٨٣.

الصُّبْحِ ، أَحَدُ الْكَذَّابِينَ الْكِبَارِ ، الَّذِينَ اعْتَرَفُوا بِوَضْعِ الْحَدِيثِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فَإِنْ قِيلَ : فَكَيْفَ دَلَّ الْحَدِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ ^(١) أَنَّهُمْ فِدَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَّهُمْ فِي النَّارِ ، وَلَمْ يُبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَسُولٌ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥٠] ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُمْ لَا يُعَذَّبُونَ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِعْذَارُ إِلَيْهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى [٢٨٠/١] : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . فَإِنْ كَانُوا فِي الزَّمَنِ الَّذِي قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ أَتَتْهُمْ رُسُلٌ مِنْهُمْ ، فَقَدْ قَامَتْ عَلَى أَوْلَئِكَ الْحُجَّةُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ، فَهَمْ فِي حُكْمِ أَهْلِ الْفِتْرَةِ ، وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ . وَقَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ مِنْ طُرُقٍ ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ يُمْتَحَنُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ أَتَى ، دَخَلَ النَّارَ . وَقَدْ أَوْرَدْنَا الْحَدِيثَ بِطَرِيقِهِ وَأَلْفَاظِهِ ، وَكَلَامِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِ ^(٢) فِي تَفْسِيرِنَا ^(٣) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . وَقَدْ حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ إِجْمَاعًا عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَامْتِحَانَهُمْ لَا يَقْتَضِي نَجَاتَهُمْ ، وَلَا يُتَأْفَى الْإِجْتِبَارَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُطَلِّعُ رَسُولَهُ ﷺ ، عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ أَمْرِ الْعَنَيْبِ ، وَقَدْ أَطْلَعَهُ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ ، وَأَنَّ سَجَايَاهُمْ تَأْتِي قَبُولَ الْحَقِّ وَالْإِنْقِيَادَ لَهُ ، فَهُمْ لَا يُجِيبُونَ الدَّاعِيَ ^(٤) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَعْلَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا أَشَدَّ تَكْذِيبًا لِلْحَقِّ فِي الدُّنْيَا لَوْ بَلَغَهُمْ

(١) هو حديث بعث النار، الذي تقدم ص ٥٥٢ .

(٢) (٢ - ٢) سقط من : ح ، م ، ص .

(٣) انظر الحديث بطرقه وألفاظه في التفسير ٥٠/٥ - ٥٤ .

(٤) بعد هذا في م ، ص : «إلى» .

فيها؛ لأنَّ في عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ يَتَقَادُ خَلْقٌ يَمُنُّ كَانِ مُكَذِّبًا فِي الدُّنْيَا، فَيَقَاعُ
 الْإِيمَانَ هُنَاكَ؛ لِمَا يَشَاهَدُ مِنَ الْأَهْوَالِ، أَوْلَى وَأَحْرَى مِنْهُ فِي الدُّنْيَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا
 أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. وَقَالَ
 تَعَالَى: ﴿اسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مریم: ٣٨]. «وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي فِيهِ
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فَلَمْ يُجِيبُوا، فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، بَلْ
 مَوْضُوعٌ، وَضَعَهُ عَمْرُ بْنُ الصُّبْحِ (١)».

وَأَمَّا السُّدُّ فَقَدْ تَقَدَّمَ (٢) أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ بَنَاهُ مِنَ الْحَدِيدِ وَالتُّحَاسِ، وَسَاوَى بِهِ
 الْجِبَالَ الصُّمَّ الشَّامَخَاتِ الطُّوَالَ، فَلَا يُعْرَفُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِنَاءً أَجْلٌ مِنْهُ،
 وَلَا أَنْفَعُ لِلخَلْقِ مِنْهُ، فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ. قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَقَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ:
 رَأَيْتُ السُّدَّ. قَالَ: «وَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟» قَالَ: مِثْلَ الْبُرْدِ الْحَبِيرِ. فَقَالَ: «رَأَيْتَهُ» (٤).
 هَكَذَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ مُعَلِّقًا بِصِغَةِ الْجَزْمِ (٥)، وَلَمْ أَرَهُ مُسْتَدًّا مِنْ وَجْهِ مُتَّصِلٍ
 أَوْ تَضْيِيقِهِ، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ جَرِيرٍ رَوَاهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» مُرْسَلًا (٦) فَقَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ،
 حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنِ قَتَادَةَ قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) في ح، م: «عمرو»، وراجع حاشية (٥) ص ٥٥٤.

(٣) في صفحة ٥٤٩.

(٤) في البخارى: «قد رأيت».

(٥) الفتح ٣٨١/٦. وقال ٣٨٦/٦: وصله ابن أبي عمر، من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة،
 عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي ﷺ... وقال في تعليق التعليق ١٢/٤ تعليقاً على هذا الإسناد:
 هذا إسناد صحيح إلى قتادة، فإن كان سمعه من هذا الرجل فهو صحيح؛ لأن عدم معرفة اسم الصحابي
 لا يضر عند الجمهور. وانظر طرقه الموصولة في التعليق ١٢/٤ - ١٣.

(٦) تفسير الطبرى ٢٣/١٦.

اللَّهِ، قَدْ رَأَيْتُ سَدَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ . قال : « انْعَثُهُ لِي » . قال : كالْبُرْدِ الْحَبِيرِ ،
طَرِيقَةً سَوْدَاءَ وَطَرِيقَةً حُمْرَاءَ . قال : « قَدْ رَأَيْتُهُ » .

وقد ذُكِرَ ^(١) أَنَّ الخَلِيفَةَ الوَائِقَ بَعَثَ رُسُلًا مِنْ جِهَتِهِ ، وَكَتَبَ لَهُمْ كُتُبًا إِلَى
المَلُوكِ يُوصِلُونَهُمْ مِنْ [٢٨٠/١ ظ] بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى السَّدِّ ، فَيَكْشِفُوا
عَنْ نَحْبِهِ ، وَيَنْظُرُوا كَيْفَ بَنَاهُ ذُو القَرْنَيْنِ ، وَعَلَى أَى صِيفَةٍ ، فَلَمَّا رَجَعُوا أَخْبَرُوا
عَنْ صِيفَتِهِ ، وَأَنَّ فِيهِ بَابًا عَظِيمًا وَعَلَيْهِ أَقْفَالٌ ، وَأَنَّهُ بِنَاءٌ مُحَكَّمٌ شَاهِقٌ مُنِيفٌ
جَدًّا ، وَأَنَّ بَقِيَّةَ اللَّيْلِ الحَدِيدِ وَالآلَاتِ فِي بُرْجٍ هُنَاكَ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يَزَالُ هُنَاكَ
حَرَسٌ لَتِلْكَ المَلُوكِ المُنَاحِمَةِ لِتِلْكَ البِلَادِ ، وَمَحَلَّتُهُ ^(٢) فِي شَرْقِي الأَرْضِ فِي جِهَةِ
الشَّمَالِ ، فِي زَاوِيَةِ الأَرْضِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ . وَيُقَالُ : إِنَّ بِلَادَهُمْ مَتْسِعَةٌ جَدًّا ،
وَإِنَّهُمْ يَفْتَاتُونَ بِأَصْنَافٍ مِنَ المَعَايِشِ ، مِنْ حِرَائَةِ ، وَزِرَاعَةٍ ، وَاصْطِيَادٍ مِنَ البَرِّ
وَمِنَ البَحْرِ ، وَهُمْ أُمَّمٌ وَخَلَقَ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ . فَإِنْ قِيلَ : فَمَا
الجَمْعُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَفْبًا ﴾
[الكهف : ٩٧] . وَبَيْنَ الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ^(٣) عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ
جَحْشِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ نَوْمٍ ،
مُحَمَّرًا وَجْهَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَنِلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ !
فُتِحَ النُّيُومُ مِنْ رَدَمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ » . وَخَلَقَ تِسْعِينَ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ
اللهِ ، أَنَهَلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ !؟ قال : « نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الحَبْتُ » . وَأَخْرَجَاهُ فِي
« الصَّحِيحَيْنِ » ^(٤) ، مِنْ حَدِيثِ وَهَبِيبٍ ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي

(١) التفسير ١٩٣/٥ .

(٢) فِي الأَصْلِ : « وَنَحَلَّتْهُ » .

(٣) البُخَارِيُّ (٣٣٤٦) . وَمُسْلِمٌ (٢٨٨٠) .

(٤) البُخَارِيُّ (٣٣٤٧) . مُسْلِمٌ (٢٨٨١) .

هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «فَتِيحُ الْيَوْمِ مِنْ رَذَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، مِثْلُ هَذِهِ». وَعَقَدَ تِسْعِينَ؟ فَالْجَوَابُ؛ أَمَّا عَلَى قَوْلِي مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى فَتْحِ أَبْوَابِ الشَّرِّ وَالْفِتَنِ، وَأَنَّ هَذَا اسْتِعَارَةٌ مَحْضَةٌ وَضَرْبُ مَثَلٍ، فَلَا إِشْكَالَ. وَأَمَّا عَلَى قَوْلِي مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ إِخْبَارًا عَنْ أَمْرِ مُحْسوسٍ، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ الْمُتَبَادِرُ، فَلَا إِشْكَالَ أَيْضًا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ نَقَبْ﴾ أَي؛ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، لِأَنَّ هَذِهِ صَيْغَةُ خَبَرٍ ماضٍ، فَلَا يَنْفِي وَتَوَعُّهَ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ بِإِذْنِ اللَّهِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ قَدَرًا، وَتَسْلِيطَهُمْ عَلَيْهِ^(١) بِالتَّدرِجِ قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّى يَتِمَّ الأَجَلَ وَيَنْقُضِيَ الأَمَدَ^(٢) المَقْدُورَ، فَيَخْرُجُونَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]. وَلَكِنَّ الحَدِيثَ الآخَرَ أَشْكَلُ مِنْ هَذَا، وَهُوَ مَا رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»^(٣) قَائِلًا: حَدَّثَنَا رُوَيْحٌ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السُّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ: ارْجِعُوا فَسْتَحْفِرُونَهُ عَدَا. فَيَعُودُونَ [٢٨١/١] إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ: ارْجِعُوا فَسْتَحْفِرُونَهُ عَدَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَيَسْتَبْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ^(٤) حِينَ^(٥) تَرَكَوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ

(١) فِي ص: «عَلَيْهِمْ».

(٢) فِي ح، م: «الأمر».

(٣) الْمُسْنَدُ ٢/٥١٠، ٥١١. صَحِيح (السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ ١٧٣٥).

(٤) فِي الأَصْلِ، ح، م: «كَهَيْئَةٍ».

(٥) فِي النِّسْخِ: «يَوْمٍ». وَالمُثَبَّتُ مِنَ الْمُسْنَدِ.

على النَّاسِ فَيَنْشِفُونَ^(١) المِثَاءَ، وَيَتَخَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ^(٢) فِي حُصُونِهِمْ، فَيَزْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَهَزْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ. فَيَبْعَثُ اللَّهُ^(٣) عَلَيْهِمْ نَعْفًا^(٤) فِي أَقْفَائِهِمْ، فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا. قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ^(٥) شُكْرًا مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ». ورواه أحمدٌ أيضًا^(٦) عن حسن بن موسى، عن شيبان^(٧)، عن قتادة به^(٨). وهكذا رواه ابن ماجه من حديث سعيد^(٩)، عن قتادة، إلا أنه قال: حَدَّثَ^(١٠) أَبُو رَافِعٍ. ورواه الترمذى من حديث أبي عوانة^(١١)، عن قتادة به. ثم قال: غريبٌ لا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. فقد أُخْبِرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، أَنَّهُمْ^(١٢) كُلُّ يَوْمٍ^(١٣) يَلْحَسُونَهُ، حَتَّى كَادُوا يَنْظُرُونَ^(١٤) شُعَاعَ الشَّمْسِ مِنْ ورائِهِ؛ لِرِقَّتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَفَعُ هَذَا الْحَدِيثِ مَحْفُوظًا، وَإِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنِ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ^(١٥)، فَقَدْ اسْتَرْخَنَا مِنَ الْمُؤَوَّنَةِ، وَإِنْ كَانَ مَحْفُوظًا فَيَكُونُ مَحْمُولًا عَلَى أَنَّ صَنِيعَهُمْ^(١٦) هَذَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

(١) في م: «فيستقون». وفي ص: «فيسقون». وينشِفون: يشربون.

(٢) سقط من: ح، م.

(٣ - ٣) في الأصل: «بعثا».

(٤) بعد هذا في النسخ: «وتشكر». وليست في المسند. وشكرت الدابة شكرا: أصابت مرعى فسمنت عليه. الوسيط (ش ك ر).

(٥) المسند ٥١١/٢.

(٦) في النسخ: «سفيان». والمثبت من المسند. وانظر تهذيب الكمال ٥٩٢/١٢، ٥٩٣.

(٧) سقط من: ح.

(٨) ابن ماجه (٤٠٨٠). صحيح (صحيح ابن ماجه ٣٢٩٨).

(٩) في ح، م: «حديث».

(١٠) الترمذى (٣١٥٣). صحيح (صحيح الترمذى ٢٥٢٠).

(١١ - ١١) سقط من: الأصل.

(١٢) في م: «ينظرون».

(١٣) انظر التفسير ١٩٤/٥.

(١٤) في م: «ضيعهم».

عند اقتراب خروجهم، كما هو المزوي عن كعب الأختبار، أو يكون المراد بقوله: ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ نَقْبًا﴾ أي؛ نافذًا منه، فلا ينبغي أن يلحسوه ولا يتفؤوه. والله أعلم. وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة، رضى الله عنه: «فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وعقد تشعين. أي؛ فُتِحَ فُتْحًا نَافِذًا فِيهِ. والله أعلم.

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ

قال الله تعالى^(١): ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝١﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝٢﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝٤﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝٥﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۝٦﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ۝٧﴾ [٢٨١/١ ط]

لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٨﴾ وَإِذْ اعْتَرَفْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْسُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ۝٩﴾ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ۝١٠﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۝١١﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِينَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا

(١) التفسير ١٣٤/٥ - ١٤٧.

أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذَتْنَا عَلَيْهِمْ لَعْنَتَنَا أَنْتَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَبَّ فِيهَا إِذْ يَنْتَرِعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُكَّرَ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَمْ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ [الكهف: ٩ - ٢٦].

كان سبب نزول قصة أصحاب الكهف، وخبر ذي القرنين، ما ذكره محمد بن إسحاق، في «السيرة» وغيره^(١)، أن قريشاً بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ، ويسألونه عنها؛ ليختبروا ما يجيب به فيها، فقالوا: سلوه عن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يُدرى ما صنعوا، وعن رجل طواف في الأرض وعن الروح. فأنزل الله تعالى ﴿وَسْتَأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]. ﴿وَسْتَأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ وقال ههنا: ﴿أَمْرُ

(١) تقدم تخريجه ص ٥٤٢ حاشية (٤).

حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٣٥﴾ أَى؛ ليسوا
 بِعَجَبٍ عَظِيمٍ [١/٢٨٢و] بالنسبة إلى ما أَطْلَعْنَاكَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْعَظِيمَةِ،
 وَالآيَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْعَجَائِبِ الْغَرِيبَةِ. وَالكَهْفُ هُوَ الْغَارُ فِي الْجَبَلِ. قَالَ شُعَيْبُ
 الْجَبَائِئِيُّ^(١): وَاسْمُ كَهْفِهِمْ حَيْزُمٌ. وَأَمَّا الرَّقِيمُ، فَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَا
 أَذْرَى مَا الْمَرَادُ بِهِ. وَقِيلَ: هُوَ الْكِتَابُ الْمَرْقُومُ فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ وَمَا جَرَى لَهُمْ،
 كُتِبَ مِنْ بَعْدِهِمْ. اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ. وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ
 كَهْفُهُمْ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَشُعَيْبُ الْجَبَائِئِيُّ: وَاسْمُهُ بِنَاجِلُوسُ. وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ
 وَايٍ^(٢) عِنْدَ كَهْفِهِمْ. وَقِيلَ: اسْمُ قَرْيَةٍ هُنَاكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ شُعَيْبُ الْجَبَائِئِيُّ: وَاسْمُ كَلْبِهِمْ حُمْرَانُ^(٣). وَاعْتَنَاءُ الْيَهُودِ بِأَمْرِهِمْ وَمَعْرِفَةُ
 خَبْرِهِمْ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ زَمَانَهُمْ مُتَقَدِّمٌ عَلَى مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا
 بَعْدَ الْمَسِيحِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا نَصَارَى. وَالظَّاهِرُ مِنَ السِّيَاقِ أَنَّ قَوْمَهُمْ كَانُوا
 مُشْرِكِينَ يَغْبُدُونَ الْأَصْنَامَ. قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ وَغَيْرِهِمْ: كَانُوا فِي
 زَمَنِ مَلِكٍ يُقَالُ لَهُ: دَقْيَانُوسُ. وَكَانُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْأَكَابِرِ. وَقِيلَ: مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ.
 وَاتَّفَقَ اجْتِمَاعُهُمْ فِي يَوْمٍ عِيدٍ لِقَوْمِهِمْ فَرَأَوْا مَا يَتَعَاطَاهُ قَوْمُهُمْ، مِنْ الشُّجُودِ
 لِلْأَصْنَامِ وَالتَّعْظِيمِ لِلْأَوْثَانِ، فَنَظَرُوا بَعَيْنِ الْبَصِيرَةِ، وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْ قُلُوبِهِمْ
 حِجَابَ الْعَقْلَةِ، وَاللَّهُمَّهُمْ رُشِدَهُمْ، فَعَلِمُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ،
 فَخَرَجُوا عَنْ دِينِهِمْ، وَانْتَمَوْا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَيُقَالُ: إِنَّ
 كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَمَّا أَوْقَعَ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ مَا هَدَاهُ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، انْحَازَ عَنْ

(١) تفسير الطبرى ١٥/١٩٩، والتفسير ٥/١٣٥.

(٢) فى ص: «واحد».

(٣) تفسير الطبرى ١٥/١٩٩، والتفسير ٥/١٣٥.

الناس، واتفق اجتماع هؤلاء الفتية في مكان واحد، كما صح في البخاري^(١)
«الأزواج جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف». .
فكلُّ منهم سأل الآخر عن أمره وعن شأنه، فأخبره بما هو عليه، واتفقوا على
الانحياز عن قومهم، والتبزي من غيرهم، والخروج من بين أظهرهم، والفرار بدينهم
منهم، وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور. قال الله تعالى: ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ
عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا
لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَكَ
عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴿١٥﴾ أَى؛ بدليل ظاهر على ما ذهبوا إليه، وصاروا من
الأمر عليه ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴿١٦﴾ أَى؛ وإذ قد^(٢) فارقتُمُوهم في دينهم وتبرأتم مما يعبدون
من دون الله، وذلك لأنهم كانوا يُشركون [٢٨٢/١] «مع الله^(٣)»، كما قال
الخليل: ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٢﴾
[الزخرف: ٢٦، ٢٧]. وهكذا هؤلاء الفتية قال بعضهم لبعض^(٤): إذ قد فارقتُم
قَوْمَكُمْ فِي دِينِهِمْ، فاعترلُوهم بأبدانكم لتسلموا منهم أن يوصلوا إليكم شرًا
﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ
مَرْفَقًا ﴿٢٣﴾ أَى؛ يُسبِلْ عليكم سبزه، وتكونوا تحت حِفْظِهِ وَكَتْفِهِ، ويجعل عاقبة

(١) البخاري (٣٣٣٦).

(٢) سقط من: م.

(٣ - ٢) سقط من الأصل.

(٤) سقط من: م.

أمركم إلى خير، كما جاء في الحديث^(١): «اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِزْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا، وَمِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ». ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى صِفَةَ الْغَارِ الَّذِي آوَوْا إِلَيْهِ، وَأَنَّ بَابَهُ مُوجَّهٌ إِلَى نَحْوِ الشَّمَالِ، وَأَعْمَاقَهُ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ، وَذَلِكَ أَنْفَعُ الْأَمَاكِنِ؛ أَنْ يَكُونَ الْمَكَانُ قَبِيلًا، وَبَابُهُ نَحْوَ الشَّمَالِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ﴾^(٢) «وَقُرِئَ: (تَزْوُرُ)»^(٣) عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا عَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴿فَأُخْبِرَ أَنَّ الشَّمْسَ، يَعْنِي فِي زَمَنِ الصَّيْفِ وَأَشْبَاهِهِ، تُشْرِقُ أَوَّلَ طُلُوعِهَا فِي الْغَارِ فِي جَانِبِهِ الْغَرْبِيِّ، ثُمَّ تَشْرُعُ فِي الْخُرُوجِ مِنْهُ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَهُوَ ازْوِرَاؤُهَا ذَاتَ الْيَمِينِ فَتَرْتَفِعُ فِي جَوْ السَّمَاءِ وَتَتَقَلَّصُ عَنِ بَابِ الْغَارِ، ثُمَّ إِذَا تَضَيَّقَتْ لِلْغُرُوبِ، تَشْرُعُ فِي الدُّخُولِ فِيهِ مِنْ جِهَتِهِ الشَّرْقِيَّةِ قَلِيلًا قَلِيلًا إِلَى حِينِ الْغُرُوبِ، كَمَا هُوَ الْمَشَاهِدُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ، وَالْحِكْمَةُ فِي دُخُولِ الشَّمْسِ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَنْ لَا يَفْسُدَ هَوَاؤُهُ ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾^(٤) أَي؛ بِقَاؤُهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ذَهْرًا طَوِيلًا مِنَ السَّنِينَ، لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ، وَلَا تَتَعَدَّى^(٥) أَجْسَادُهُمْ فِي هَذِهِ^(٦) الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ^(٧) مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَبُزْهَانِ^(٨) قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾^(٩) وَتَحَسَّبَهُمْ أَيْكَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴿قَالَ بَعْضُهُمْ: لِأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مَفْتُوحَةٌ؛ لِذَا تَفْسُدَ بِطَوِيلِ الْعَمَضِ

(١) رواه أحمد. في المسند ١٨١/٤. والطبراني في الكبير (١١٩٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد

١٧٨/١٠. رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات.

(٢ - ٢) سقط من الأصل، ص.

(٣) في الأصل: «تعدى».

(٤ - ٤) في الأصل: «المدد الطوال».

(٥) في ص: «برهانه و».

﴿ وَتَقَلَّبَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ قيل : فى كلِّ عامٍ يَتَحَوَّلُونَ مَرَّةً مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ ، وَيُحْتَمَلُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ . ﴿ وَكَلَبَهُمْ بِسَيْطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ قال شُعَيْبُ الْجَبَائِي : اسْمُ كَلْبِهِمْ حُمْرَانٌ . وقال غيره : الْوَصِيدُ أَسْكُفَةٌ^(١) الْبَابِ . والمرادُ أَنَّ كَلْبَهُمُ الَّذِي كَانَ مَعَهُمْ ، وَصَحْبَهُمْ حَالِ انْفِرَادِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ، لَزِمَهُمْ وَلَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ فِي الْكَهْفِ ، بَلِ رَبِضَ عَلَى بَابِهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى الْوَصِيدِ ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ أَدْبِهِ ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَا أُكْرِمُوا بِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ ، وَلَمَّا كَانَتِ التَّبَعِيَّةُ مُؤَثَّرَةً ، حَتَّى^(٢) فِي كَلْبٍ هَؤُلَاءِ ، صَارَ بَاقِيًا مَعَهُمْ بِيَقَائِهِمْ ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا سَعِدَ بِهِمْ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي حَقِّ كَلْبٍ فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ تَبَعَ أَهْلَ الْخَيْرِ وَهُوَ أَهْلُ الْإِكْرَامِ . وقد ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُصَّاصِ [٢٨٣/١] وَالْمُفَسِّرِينَ لِهَذَا الْكَلْبِ نَبَأً وَخَبْرًا طَوِيلًا ، أَكْثَرُهُ مُتَلَقَى مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، وَكَثِيرٌ مِنْهَا كَذِبٌ ، وَمِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ ، كَاخْتِلَافِهِمْ فِي اسْمِهِ وَلَوْزِنِهِ .

وأما اختلاف العلماء فى محلَّةِ هذا الكَهْفِ ، فقال كثيرون : هو بأَرْضِ أَيْلَةَ . وقيل : بأَرْضِ نَيْنَوَى . وقيل : بالبلقاء . وقيل : ببلادِ الرُّومِ . وهو أَشْبَهُهُ . واللَّهُ أَعْلَمُ . ولَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ الْأَنْفَعُ مِنْ خَيْرِهِمْ^(٣) وَالْأَهْمُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَوَصَفَ حَالَهُمْ ، حَتَّى كَأَنَّ السَّامِعَ رَأَى ، وَالْمُخَبِّرَ مُشَاهِدًا لِصِفَةِ كَهْفِهِمْ^(٤) ، وَكَيْفِيَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ الْكَهْفِ وَتَقَلُّبِهِمْ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ ، وَأَنَّ كَلْبَهُمْ بِاسِطٌ

(١) الأسكفة : عتبة الباب .

(٢) سقط من الأصل ، وبعدها فى م : « كان » .

(٣) فى ص : « خيرهم » .

(٤) بعده فى ص : « وهيتهم » .

ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ . قَالَ : ﴿ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾ أى ؛ لما عليهم من المهابة والجلالة فى أمرهم الذى صاروا إليه ، ولعل الخطاب ههنا لجنس الإنسان المخاطب ، لا لخصوصية^(١) الرسول ﷺ ، كقوله : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴾ [التين : ٧] أى ؛ أيها الإنسان ؛ وذلك لأن طبيعته البشرية تفر من رؤية الأشياء المهيبه غالبًا ، ولهذا قال : ﴿ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾ ، ودل على أن الخبر ليس كالمعاينة ، كما جاء فى الحديث^(٢) ؛ لأن الخبر قد حصل ولم يحصل الفراز ولا الرغب . ثم ذكر تعالى أنه بعثهم من رقدتهم بعد نؤمهم بثلاثمائة^(٣) سنة وتسع سنين ، فلما استيقظوا ، قال بعضهم لبعض : ﴿ كَمْ لَيْتُمْ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ أى ؛ بدراهمكم هذه ، يعنى التى معهم ، إلى المدينة ، ويقال : كان اسمها دفسوس^(٤) . ﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيًّا أَزْكَى طَعَامًا ﴾ أى ؛ أطيب مالا ﴿ فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ أى ؛ بطعام تأكلونه ، وهذا من زهدهم وورعهم ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أى ؛ فى دخوله إليها ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْحُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾ أى ؛ إن عدتم فى ملتهم بعد إذ أنقذكم الله منها ؛ وهذا كله لظنهم أنهم إنما رقدوا يومًا أو بعض يوم أو أكثر من ذلك ، ولم يحسبوا أنهم قد رقدوا أزيد من ثلاثمائة سنة وقد تبدلت الدول أطوارًا عديدة ، وتغيرت البلاد ومن عليها ، وذهب أولئك القرون

(١) فى ح ، م ، ص : « بخصوية » .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ١٤٨ حاشية (٣) .

(٣) فى الأصل : « ثلاثمائة » .

(٤) كذا فى النسخ . وفى تفسير الطبرى ١٥/١٢٦ ، والكامل لابن الأثير ١/٣٣٥ ، والقرطبي ١٠/٣٧٥ : « أفسوس » . وانظر معجم البلدان ١/٣٣٠ .

الذين كانوا فيهم، وجاء غيرهم وذهبوا، وجاء غيرهم؛ ولهذا لما خَرَجَ
أحدُهم، وهو تيدوسيس^(١) فيما قيل، وجاء إلى المدينة مُتَنَكِّرًا؛ لئلا يُعْرِفَهُ أَحَدٌ
من قومه فيما يَحْسَبُهُ، تَنَكَّرَتْ له البلادُ^(٢) واستنكرته مَنْ رآه من أهلها،
واستغزبوا شكَّله وصِفَتَه ودرَاهِمَه. فيقال: إنَّهم حَمَلُوهُ إلى مُتَوَلِّيهِمْ، وخافوا
من أمره أَنْ يَكُونَ جاسوسًا، أو تَكُونَ له صَوْلَةٌ^(٣) يَحْشُونَ [٢٨٣/١ ظ] مِنْ
مَضَرَّتِهَا^(٤)، فيقال: إِنَّه هَرَبَ مِنْهُمْ. ويقال: بل أَخْبَرَهُمْ خَبْرَهُ وَمَنْ مَعَهُ، وما
كان من أمرهم، فانطلقوا معه ليرِيَهُمْ مكانهم، فلَمَّا قَرُبُوا مِنَ الكَهْفِ، دَخَلَ
إلى إخوانه، فأخبرهم حقيقة أمرهم، ومقدار ما رَقَدُوا، فَعَلِمُوا أَنَّ هذا^(٥) مِنْ
قُدْرَةِ اللّهِ. فيقال: إنَّهم اسْتَمَرُّوا راقدين. ويقال: بل ماتوا بعد ذلك.

وَأَمَّا أَهْلُ البُلْدَةِ، فيقال: إنَّهم لم يَهْتَدُوا إلى موضعهم مِنَ الغارِ، وَعَمِيَ
اللّهُ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ. ويقال: لم يَسْتَطِيعُوا دَخولَهُ حِشًا. ويقال: مهابةٌ لهم.

واختلفوا في أمرهم؛ فقائلون يقولون: ﴿أَبْنَاؤُا عَلَيْهِمْ بَيْنَنَا﴾ أَي؛
شُدُّوا عَلَيْهِمْ بَابِ الكَهْفِ؛ لِقَلًّا يَخْرُجُوا أَوْ لِقَلًّا يَصِلُ إِلَيْهِمْ ما يُؤْذِيهِمْ،
وآخرون، وهم الغالبون على أمرهم، قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾
أَي؛ مَعْبَدًا يَكُونُ مُبَارَكًا لِمُجَاوِرَتِهِ هؤُلاءِ^(٦) الصَّالِحِينَ. وهذا كان شائعًا

(١) في الأصل: «تندرسيس»، وفي ح: «تيدرسيس»، والذي في تفسير الطبرى ٢١٧/١٥، ٢١٨:
يملیخا، وأن تيدوسيس اسم الملك الذى كان على المدينة حين قيامهم.

(٢) في ص: «البلد».

(٣) في الأصل، ح: «طوية».

(٤) في الأصل، ح: «معرتها».

(٥ - ٥) في الأصل، ح، م: «أمر قدره».

(٦) سقط من الأصل.

فِي مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَأَمَّا فِي شَرِينَا، فَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) عَنْ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ
مَسَاجِدَ». يُحَدِّثُ مَا فَعَلُوا. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا
أَنَّكَ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فَمَعْنَى أَعْتَرْنَا أَطْلَعْنَا عَلَى
أَمْرِهِمُ النَّاسَ. قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الْمَعَادَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ
لَا رَيْبَ فِيهَا، إِذَا عَلِمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ رَقَدُوا أُرِيدَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ^(٢)
قَامُوا، كَمَا كَانُوا مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ مِنْهُمْ، فَإِنَّ مَنْ أَبْقَاهُمْ كَمَا هُمْ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ
الْأَبْدَانِ وَإِنْ أَكَلَتْهَا الدِّيدَانُ، وَعَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ وَإِنْ صَارَتْ أَجْسَامُهُمْ
وِعِظَامُهُمْ رُفَاتًا، وَهَذَا يُمْكِنُ لَا يَشْكُ فِيهِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ
أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. هَذَا وَيُحْتَمَلُ عَوْدُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ:
﴿لِيَعْلَمُوا﴾ إِلَى أَصْحَابِ الْكَهْفِ، إِذْ عَلِمَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَتْلَعُ مِنْ
عِلْمٍ غَيْرِهِمْ بِهِمْ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ عَلَى^(٣) الْجَمِيعِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:
﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فَذَكَرَ اخْتِلَافَ النَّاسِ فِي
كَمِّيَّتِهِمْ، فَحَكَى ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ وَضَعَّفَ الْأَوْلَى، وَقَوَّرَ الثَّلَاثَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ
الْحَقُّ؛ إِذْ لَوْ قِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ لِحُكَاةِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الثَّلَاثُ هُوَ الصَّحِيحُ لَوَهَّاهُ،
فَدَلَّ عَلَى مَا قُلْنَا، وَلَمَّا كَانَ التَّرَاغُ فِي مِثْلِ هَذَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ وَلَا جَدْوَى
عِنْدَهُ، أُرْسِدَ نَبِيَّهُ ﷺ، إِلَى الْأَدَبِ فِي مِثْلِ هَذَا [٢٨٤/١] الْحَالِ، إِذَا

(١) البخارى (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٢) فى الأصل: «و».

(٣) فى الأصل: «إلى».

اختلف الناس فيه، أن يقول: الله أعلم. ولهذا قال: ﴿ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ﴾. وقوله: ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أي؛ من الناس ﴿ فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا ﴾ أي؛ سهلاً، ولا تتكلف إعمال الجدال في مثل هذا الحال، ولا تستفت في أمرهم أحداً من الرجال؛ ولهذا أبهم تعالى عدتهم في أول القصة، فقال: ﴿ إِنَّمَا فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ ولو كان في تعيين عدتهم كبير فائدة^(١) لذكرها عالم الغيب والشهادة. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَأْنِي إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ غَدًا ۖ ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَادَّكُرَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتُ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ أدب عظيم أرشد^(٢) الله تعالى إليه، وحث خلقه عليه، وهو ما إذا قال أحدهم: إني سأفعل في المستقبل كذا. فيشرع له أن يقول: إن شاء الله. ليكون ذلك تحقيقاً لعزمه؛ لأن العبد لا يعلم ما في غد ولا يدري أهذا الذي عزم عليه مُقَدَّرٌ أم لا، وليس هذا الاستثناء تعليقاً، وإنما هو تحقيقى، ولهذا قال ابن عباس: إنه^(٣) يصح إلى سنة. ولكن قد يكون في بغض المحال لهذا ولهذا، كما تقدم^(٤) في قصة سليمان، عليه السلام، حين قال: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، تلد كل امرأة^(٥) منهن غلاماً يُقاتل في سبيل الله. فقيل له: قل: إن شاء الله. فلم يقل، فطاف، فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو قال: إن شاء الله. لم يخنث، وكان ذرّاً لحاجته».

(١) سقط من: ح.

(٢) في م، ص: «أرشده».

(٣) سقط من: م.

(٤) تقدم تخريجه في ص ٣٤٨.

(٥) في م: «واحدة».

وقوله: ﴿وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتُ﴾ . وذلك لأن النسيان قد يكون من الشيطان، فذكر الله يطرده عن القلب، فيذكر ما كان قد نسيه. وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أي؛ إذا اشتبه أمرٌ وأشكل حالٌ والتبسَ أقوال الناس في شيء، فازغب إلى الله «يُسِّرْهُ لَكَ»، وَيُسْهِلْهُ عَلَيْكَ، ثم قال: ﴿وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ . لما كان في الإخبار بطول مدة لبيهم فائدة عظيمة، ذكرها تعالى، وهذه التسع المزيدة بالقمرية، وهي لتكميل ثلاثمائة شمسية، فإن كل مائة قمرية تنقص عن الشمسية ثلاث سنين ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ أي؛ إذا سئلت عن مثل هذا، وليس عندك في ذلك نقل، فرد الأمر في ذلك إلى الله، عز وجل ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي؛ هو العالم بالغيب، فلا يطلع عليه إلا من شاء من خلقه ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ يعني، أنه يضع الأشياء في محالها؛ ليعلمه^(٢) التام بخلقها، وبما يستحقونه، ثم قال: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ أي؛ بل هو المتفرد بالملك والمتصرف فيه، وحده لا شريك له.

(١ - ١) في ص: (يسرك).

(٢) في الأصل، ص: (يعلمه).

قِصَّةُ الرَّجُلَيْنِ؛ الْمُؤْمِنِ وَالكَافِرِ

قال الله تعالى في سورة «الكهف»: بعد قصة أصحاب الكهف^(١):

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ [٢٨٤/١ظ] جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْطَافَهَا وَلَمْ تَنْظُرْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً هَٰذَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِشَرِّهِمْ فَأَصْبَحَ يَقُودُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا بَلِيتَنِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿﴾ [الكهف: ٣٢-٤٤]. قال بعض الناس: هذا مثل مضروب ولا يلزم أن يكون واقعا. والجمهور أنه أمر قد وقع، وقوله: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا ﴾ يعني لكفار قريش،

(١) التفسير ١٥٣/٥ - ١٥٦.

فِي عَدَمِ اجْتِمَاعِهِمْ بِالضُّعْفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَازْدِرَائِهِمْ بِهِمْ، وَافْتِحَارِهِمْ عَلَيْهِمْ،
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾
 [يس: ١٣]. كَمَا قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَى قِصَّتِهِمْ قَبْلَ قِصَّةِ، مُوسَى، عَلَيْهِ
 السَّلَامُ^(١)، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ هَذَيْنِ كَانَا رَجُلَيْنِ مُضْطَجِبَيْنِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا مُؤْمِنًا
 وَالْآخَرُ كَافِرًا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَالٌ، فَأَتَفَقَّ الْمُؤْمِنُ مَالَهُ فِي طَاعَةِ
 اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ ابْتِغَاءً وَجْهِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ اتَّخَذَ لَهُ بُسْتَانَيْنِ^(٢)، وَهُمَا الْجَنَّتَانِ
 الْمَذْكُورَتَانِ فِي الْآيَةِ، عَلَى الصِّفَةِ وَالثُّعْبِ الْمَذْكُورِ؛ فِيهِمَا أَعْنَابٌ، وَنَخْلٌ تُحْفٌ
 تَلِكِ الْأَعْنَابِ، وَالزَّرُوعُ فِي خِلَالِ^(٣) ذَلِكَ، وَالْأَنْهَارُ سَارِحَةٌ هَلْهِنَا وَهَلْهِنَا
 لِلسَّقِيِّ وَالتَّنْزِهِ، وَقَدْ اسْتَوْسَقَتْ^(٤) فِيهِمَا الشُّمَارُ، وَاضْطَرَبَتْ فِيهِمَا الْأَنْهَارُ،
 وَابْتَهَجَتْ الزُّرُوعُ وَالشُّمَارُ، وَافْتَحَرَ مَالِكُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ الْمُؤْمِنِ الْفَقِيرِ قَائِلًا لَهُ:
 ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ﴾ أَي؛ وَأَمْتَعٌ^(٥) جَنَابًا^(٦). وَمَرَادُهُ أَنَّهُ خَيْرٌ
 مِنْهُ، وَمَعْنَاهُ، مَاذَا أَعْنَى عِنكَ إِتْفَاقُكَ مَا كُنْتَ تَمْلِكُهُ فِي الْوَجْهِ الَّذِي صَرَفْتَهُ
 فِيهِ؟ كَانَ الْأَوَّلَى بِكَ أَنْ تَفْعَلَ كَمَا فَعَلْتُ لِتَكُونَ مِثْلِي. فَافْتَحَرَ عَلَى صَاحِبِهِ
 ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ أَي؛ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةِ مَرَضِيَّةٍ
 ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ وَذَلِكَ لِمَا رَأَى مِنْ اتِّسَاعِ^(٧) أَرْضِهَا، وَكَثْرَةِ
 مَائِهَا وَحُسْنِ نَبَاتِ [٢٨٥/١] أَشْجَارِهَا؛ وَلَوْ قَدْ بَادَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ

(١) انظر ما تقدم من ص ٨ - ١٣.

(٢) فِي م: «بستانين».

(٣) سَقَطَ مِنْ: ح، م.

(٤) فِي م، ص: «استوسقت». واستوسق الشيء: اجتمع وانضم، الوسيط (وسق).

(٥) فِي الْأَصْلِ: «أمتع»، وَفِي ح، م: «أوسع».

(٦) فِي ح، م، ص: «جنابا».

(٧) سَقَطَ مِنْ: ح.

الأشجار، لَأَسْتَحْلَفَ مَكَانَهَا أَحْسَنَ مِنْهَا، وَزُرُوعَهَا دَارَةٌ^(١) لِكثْرَةِ مِيَاهِهَا. ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ فَوَيْقُ بَزْهَرَةٍ^(٢) الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَكَذَّبَ بِوُجُودِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ الدَّائِمَةِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَلَئِن رُّودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ أَي؛ وَلَئِن كَانَ ثُمَّ آخِرَةٌ وَمَعَادٌ، فَلَأَجِدَنَّ هُنَالِكَ خَيْرًا مِنْ هَذَا. وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اعْتَرَفَ بِذُنُوبِهِ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِهِ ذَلِكَ فِيهَا إِلَّا لِحُبِّهِ لَهُ وَحُطُوبَتِهِ عِنْدَهُ، كَمَا قَالَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، فِيمَا قَصَّ اللَّهُ مِنْ خَبْرِهِ وَخَبْرِ خَبَّابِ ابْنِ الْأَرْتِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ [مریم: ٧٧، ٧٨]. وَقَالَ تَعَالَىٰ إِخْبَارًا عَنِ الْإِنْسَانِ إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [فصلت: ٥٠]. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت: ٥٠]. وَقَالَ قَارُونُ: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص: ٧٨]. أَي؛ لَعَلِمَ اللَّهُ فِي^(٣) أَنِّي اسْتَحَقَّهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨]. وَقَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَىٰ قِصَّتِهِ فِي أَثْنَاءِ قِصَّةِ مُوسَىٰ^(٤). وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَصِيْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُوفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبا: ٣٧]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ: «دَائِرَةٌ».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «مِنْ هَذِهِ».

(٣) فِي ح، م، ي، و، فِي ص: «رَبِّي».

(٤) انظُرْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ص ٣٠٩ - ٣١٢.

مَالٍ وَبَيْنَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]. ولَمَّا اغْتَرَّتْ
هذا الجاهل بما حَوَّلَهُ اللَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَجَحَدَ الْآخِرَةَ، وَادَّعَى أَنَّهَا إِنْ وُجِدَتْ
لَيَجِدَنَّ عِنْدَ رَبِّهِ خَيْرًا مِمَّا هُوَ فِيهِ، وَسَمِعَهُ صَاحِبُهُ يَقُولُ ذَلِكَ ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ
وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ۞ أَي؛ يُجَادِلُهُ ۞ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ
سَوَّاهُ رَجُلًا ۞ أَي؛ أَجَحَدْتَ الْمَعَادَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ
نُطْفَةٍ ثُمَّ طَوَّرَكَ ^(١) أَطْوَارًا، حَتَّى صِرْتَ رَجُلًا سَوِيًّا سَمِيحًا بَصِيرًا، تَعْلَمُ وَتَبْطِشُ
وَتَفْتَهُمُ، فَكَيْفَ أَنْكَرْتَ الْمَعَادَ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْبِدَاءِ ۞ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ۞
أَي؛ لَكِنْ أَنَا أَقُولُ بِخِلَافِ مَا قُلْتِ، وَأَعْتَقِدُ خِلَافَ مُعْتَقَدِكَ ۞ هُوَ اللَّهُ رَبِّي
وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۞ أَي؛ لَا أَعْبُدُ سِوَاهُ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَبْعَثُ الْأَجْسَادَ بَعْدَ
فَنَائِهَا، وَيُعِيدُ الْأَمْوَاتَ وَيَجْمَعُ الْعِظَامَ الرُّفَاتِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي
خَلْقِهِ، وَلَا فِي مُلْكِهِ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، ثُمَّ أَرْسَدَهُ إِلَى مَا كَانَ الْأَوَّلَى بِهِ أَنْ يَسْلُكَه
عِنْدَ دُخُولِ جَنَّتِهِ، فَقَالَ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ﴾ ولهذا يُسْتَحَبُّ لِكُلِّ مَنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ مَالِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ حَالِهِ أَنْ يَقُولَ
كَذَلِكَ.

[٢٨٥/١ ظ] وقد ورد فيه حديث مرفوع، في صحِيحِهِ نَظَرٌ؛ قَالَ أَبُو يَعْلَى
الْمُؤَصِّلِيُّ ^(٢): حَدَّثَنَا جِرَّاحُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ ^(٣)، حَدَّثَنَا عَيْسَى
ابْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ زُرَّارَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) فِي م: «صُورِك».

(٢) ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ ٣/٣٥٠، وَعَزَاهُ لِأَبِي يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَالْهَيْثَمِيُّ
فِي مَجْمَعِ الزُّوَاهِدِ ١٤٠/١٠ وَقَالَ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ وَفِيهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ زُرَّارَةَ وَهُوَ
ضَعِيفٌ.

(٣) فِي ح: «عَمْرُ بْنُ يُونُسَ»، وَفِي م: «عَمْرُو بْنُ يُونُسَ».

« مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً ؛ مِنْ أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ وَدَيْدٍ ، فَيَقُولُ : مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . فَيَرَى فِيهِ آفَةً دُونَ الْمَوْتِ » . وكان يتأول هذه الآية : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ . قال الحافظ أبو الفتح الأزدي : عيسى بن عَوْنٍ ، عن عبد الملك بن زُرَّارَةَ ، عن أَنَسٍ ، لا يَصِحُّ .

ثم قال المؤمن للكافر : ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ﴾ أى ؛ فى الدارِ الآخرة ﴿ وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ قال ابن عباس والضحاك وقتادة^(١) : أى ؛ عذابًا من السماء . والظاهر أنه المطر المزعج الباهر ، الذى يقتلع زروعها وأشجارها ﴿ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ وهو التراب الأملس الذى لا نبات فيه ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا ﴾ وهو ضد المعين السارح ﴿ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَمْ طَلَبْنَا ﴾ يعنى ، فلا تقدر على استرجاعه . قال الله تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ ﴾ أى ؛ جاءه أمر أحاط بجميع حواصله ، وخرب جنته ، ودمرها ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ أى ؛ خربت بالكليّة ، فلا عودة لها ، وذلك "ضد ما كان عليه أمل" ، حيث قال : ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ وتديم على ما كان سلف منه من القول الذى كفر بسببه بالله العظيم ، فهو يقول : ﴿ يَلَيِّنُنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ . قال الله تعالى : ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فَتَةً يَصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴾ ﴿٤٢﴾ هُنَالِكَ ﴾ أى ؛ لم يكن له أحد يتدارك ما فرط من أمره ، وما كان له قدرة فى نفسه على^(٢) شئ من ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا لَمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾

(١) تفسير الطبرى ٢٤٩/١٥ . والتفسير ١٥٥/٥ .

(٢) فى الأصل : « ضد ما كان أمل فيها » ، وفى ص : « بعد ما كان أقل منها » .

(٣) سقط من : ح .

[الطارق: ١٠]. وقوله: ﴿الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ ومنهم من يَتَدَيُّ بقوله: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ وهو حَسَنٌ أَيْضًا، كقوله: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]. فالْحُكْمُ الَّذِي لَا يُرَدُّ وَلَا يُمَانَعُ وَلَا يُعَالَبُ - فِي تِلْكَ الْحَالِ وَفِي كُلِّ حَالٍ - لِلَّهِ الْحَقِّ. وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَعَ ﴿الْحَقِّ﴾ جَعَلَهُ صِفَةً لِـ ﴿الْوَلِيَّةِ﴾ وَهِيَ مُتَلَاذِمَاتَانُ^(١). وقوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾^(٢) أَي؛ مُعَامَلَتُهُ خَيْرٌ لِصَاحِبِهَا ثَوَابًا، وَهُوَ الْجَزَاءُ، وَخَيْرٌ عُقْبًا^(٣)؛ وَهُوَ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وهذه القِصَّةُ تَصَمَّنَتْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَزَكْنَ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا يَغْتَرَّ بِهَا، وَلَا يَتَّقَ بِهَا، بَلْ يَجْعَلُ طَاعَةَ اللَّهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ نُضْبَ عَيْنِيهِ، وَلِيَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ. وَفِيهَا، أَنَّ مَنْ قَدَّمَ شَيْئًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ، عُذِّبَ بِهِ، وَرُبَّمَا سَلِبَ مِنْهُ؛ [٢٨٦/١] مُعَامَلَةٌ لَهُ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ. وَفِيهَا، أَنَّ الْوَاجِبَ قَبُولُ نَصِيحَةِ الْأَخِ الْمُسْتَفِيقِ، وَأَنَّ مُخَالَفَتَهُ وَبَالَ وَدِمَارًا عَلَى مَنْ رَدَّ النَّصِيحَةَ الصَّحِيحَةَ. وَفِيهَا، أَنَّ التَّدَامَةَ لَا تَنْفَعُ إِذَا حَانَ الْقَدَرُ، وَنَفَذَ الْأَمْرُ الْحُكْمَ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

(١) فِي ح، م: «متلازمتان».

(٢ - ٣) سَقَطَ مِنْ: ح.

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ

قال الله تعالى^(١): ﴿ إِنَّا بَلَوْتُهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿١٥﴾ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ اذْهَبُوا عَلَىٰ حَرْفِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدَدْنَا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَأَصْأَلُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَبْرَأْنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿﴾ [القلم: ١٧ - ٣٣]. وهذا مثل ضربته الله ليكفار قريش، فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم إليهم، فقاتلوه بالكذب والمخالفة، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٧٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنْسِكُ الْقَرَارُ ﴿﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]. قال ابن عباس: هم كفار قريش. فضرب تعالى لهم مثلاً بأصحاب الجنة المشتعلة على أنواع الزروع والثمار التي قد انتهت، واستحقت أن تُجَدَّ؛ وهو الصَّرام، ولهذا قال: ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا ﴿﴾. فيما بينهم ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ أى؛ ليُجَدَّنَّها، وهو الاستغلال^(٢) ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ أى؛ وقت الصُّبح، حيث لا يَراهم فقيرٌ ولا محتاجٌ فيعطوه شيئاً، فحلقوا على ذلك ولم

(١) التفسير ٢٢٢/٨، ٢٢٣.

(٢) استغل الصبيحة: أخذ غلتها. الوسيط (غ ل ل).

يَسْتَشْتُوا فِي مَيْبِهِمْ ^(١) ، فَعَجَزَهُمُ اللَّهُ ، وَسَلَطَ عَلَيْهَا الْآفَةَ الَّتِي أَحْرَقَتْهَا ؛ وَهِيَ
السَّفْعَةُ ^(٢) الَّتِي اجْتَنَحَتْهَا وَلَمْ تُبْقِ بِهَا شَيْئًا يُنْتَفَعُ بِهِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا
طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُرُّ وَنَابِئُونَ ﴾ ^(٣) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿ أَى ؛ كَاللَّيْلِ الْأَسْوَدِ الْمُنْصَرِمِ
مِن الضِّيَاءِ ، وَهَذِهِ مَعَامِلَةٌ بِنَقِيضِ الْمُقْصُودِ ﴿ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴾ أَى ؛ فَاسْتَيْقِظُوا
مِن نَوْمِهِمْ ، فَتَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ : ﴿ أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْبَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ ﴾
أَى ؛ بَاكِرُوا إِلَى بُشْتَانِكُمْ فَاصْرِمُوهُ قَبْلَ أَنْ يَزْتَفِعَ النَّهَارُ وَيَكْثُرَ السُّؤَالُ ﴿ فَانْطَلَقُوا
وَهُرُّ يَنْخَفُونَ ﴾ أَى ؛ يَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ خُفْيَةً قَائِلِينَ : ﴿ لَا يَدْخُلْنَاهَا أَيَّامَ عَلَيْكُمْ
مِسْكِينَ ﴾ أَى ؛ اتَّقُوا عَلَى هَذَا ، وَاسْتَوِرُوا عَلَيْهِ ﴿ وَغَدَاً عَلَيَّ حَرِيرٌ قَادِرِينَ ﴾
أَى ؛ انْطَلَقُوا مُجِدِّينَ فِي ذَلِكَ قَادِرِينَ عَلَيْهِ ^(٤) مُصَمِّمِينَ مُصْرِمِينَ ^(٥) عَلَى هَذِهِ النَّيَّةِ
الْفَاسِدَةِ . وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَالشَّعْبِيُّ ^(٤) : ﴿ وَغَدَاً عَلَيَّ حَرِيرٌ ﴾ أَى ؛ غَضِبَ عَلَى
الْمَسَاكِينِ . وَأَبَعَدَ الشُّدِّيُّ [١/٢٨٦ظ] فِي قَوْلِهِ ؛ أَنَّ اسْمَ حَزْنِهِمْ حَزْدٌ ، ﴿ فَلَمَّا
رَأَوْهَا ﴾ أَى ؛ وَصَلُوا إِلَيْهَا ، وَنَظَرُوا إِلَى مَا حَلَّ بِهَا ، وَمَا قَدْ صَارَتْ إِلَيْهِ مِنَ
الضِّفَّةِ الْمُنْكَرَةِ بَعْدَ تِلْكَ التُّصْرَةِ وَالْحُسْنِ وَالْبَهْجَةِ ، فَانْقَلَبَتْ بِسَبَبِ النَّيَّةِ
الْفَاسِدَةِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ ﴿ قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ ﴾ أَى ؛ قَدْ تَهَنَّا ^(٥) عَنْهَا وَسَلَكْنَا غَيْرَ
طَرِيقِهَا . ثُمَّ قَالُوا : ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أَى ؛ بَلْ عُوقِبْنَا بِسَبَبِ سُوءِ قَضْدِنَا ،
وَحُرْمِنَا بِرَكَّةِ حَزْنِنَا ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدٌ ، وَغَيْرُ

(١) فِي ح : « نَيْبِهِمْ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، ح ، ص : « السَّقْعَةُ » . وَالسَّفْعَةُ : السَّوَادُ وَالشُّحُوبُ . وَالسُّوَاغُ : لُوَاغُ الشُّمُومِ .

اللِّسَانُ (س ف ع) .

(٣ - ٣) فِي ح ، م : « مُضْرِمِينَ » .

(٤) التَّفْسِيرُ ٢٢٢/٨ .

(٥) فِي م : « نَهَيْنَا » .

واحد^(١) : هو أعدلهم وخيرهم . ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ قيل : تَسْتَبِّحُونَ . قاله مجاهدٌ ، والسُّدِيُّ ، وابنُ مُجْرِيحٍ ^(٢) . وقيل : تقولون خيراً بَدَل ما قُلْتُمْ من الشَّرِّ ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ^(٣) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوُومُونَ ﴿ قَالُوا يَا بَوَلَّيْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ فَتَدِيمُوا حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدْمُ ^(٤) ، واعتَرَفُوا بِالذَّنْبِ بعدَ العُقُوبَةِ ، وذلك حَيْثُ لَا يَنْجَعُ ، وقد قيل : إِنَّ هؤُلاءِ كانوا إِخْوَةً ، وقد وَرِثُوا هذه الجَنَّةَ عن آبيهم ، وكان يَتَصَدَّقُ منها كثيرًا ، فلَمَّا صارَ أَمْرُها إليهم اسْتَهْجَنُوا أَمْرَ آبيهم ، وأرادوا اسْتِغْلَالَها من غيرِ أَنْ يُعْطُوا الفقراءَ شيئًا ، فعاقبهم اللهُ هذه ^(٥) العُقُوبَةَ ؛ ولهذا أَمَرَ اللهُ تعالى بالصَّدَقَةِ مِن الثَّمَارِ ، وحثَّ على ذلك يومَ الجَدَادِ ، كما قال تعالى : ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٤١] . ثُمَّ قيل : كانوا مِن أَهْلِ اليَمَنِ مِن قَرِيَةٍ يُقَالُ لها : ضَرَوَانُ ^(٦) . وقيل : من أَهْلِ الحَبَشَةِ . واللهُ أَعْلَمُ . قال اللهُ تعالى : ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾ أَي ؛ هكذا نُعَذِّبُ مِن خَالَفَ أَمْرَنَا ، ولم يَعْطِفْ على المَحَاوِجِ مِن خَلْقِنَا ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أَي ؛ أَعْظَمُ وَأَطْم ^(٧) مِن عَذَابِ الدُّنْيَا ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وَقِصَّةٌ هؤُلاءِ شَبِيهَةٌ بقوله تعالى : ﴿ وَصَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرِيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللهُ

(١) تفسير الطبري ٢٩/٣٤ . والتفسير ٨/٢٢٣ .

(٢) في ح ، م : (جرير) .

(٣) سقط من : الأصل ، ح ، ص .

(٤) في ح ، م : (أشد) .

(٥) في الأصل : (حفران) .

(٦) في ح ، م : (أحكم) .

فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ [النحل: ١١٢،
١١٣]. قيل: هذا مثلٌ مضروبٌ لأهلِ مكة. وقيل: هم أهلُ مكة أنفُسُهُم،
ضَرَبَهُمْ مَثَلًا لَأَنْفُسِهِمْ. ولا يُتَافَى^(١) ذلك، واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلم.

(١) بعده في الأصل: «شيء من».

قِصَّةُ أَصْحَابِ

أَيَّةَ الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي سَبْتِهِمْ

قال الله تعالى ، في سورة «الأعراف» ^(١) : ﴿ وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانَتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّمُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّاكَ رَبِّكَرُ وَعَلَّاهُمْ يَنْتَفُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَهْنِئْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا ﴿١/٢٨٧و﴾ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٨﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿﴾ [الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦] .

وقال تعالى ، في سورة «البقرة» ^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿﴾ [البقرة: ٦٥ ، ٦٦] .

وقال تعالى ، في سورة «النساء» ^(٣) : ﴿ أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿﴾ [النساء: ٤٧] .

(١) التفسير ٣/ ٤٩١ - ٤٩٦ .

(٢) التفسير ١/ ١٥٠ - ١٥٤ .

(٣) التفسير ٢/ ٢٨٦ .

قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة^(١)، والشدّي، وغيرهم^(٢) :
هم أهل أئمة. زاد ابن عباس^(٣) : بين مديّن والطور. قالوا^(٤) : وكانوا ممتسكين
بيدين التوراة فى تحريم السبت فى ذلك الزمان، فكانت الحيتان قد ألفت منهم
الشكينة فى مثل هذا اليوم؛ وذلك أنه كان يحرم عليهم الاضطياذ فيه،
وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب، فكانت الحيتان فى مثل يوم
السبت، يكثر غشيانها لمحيّتهم من البحر؛ فتأتى من ههنا وههنا ظاهرة آمنة
مسترسلة، فلا يهيجونها ولا يدعرونها. ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ لَا نَاتِبَهُمْ ﴾
وذلك لأنهم كانوا يضطادونها فيما عدا السبت. قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ
نَبِّئُوهُمْ ﴾ أى؛ نخبرهم بكثرة الحيتان فى يوم السبت. ﴿ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴾ أى؛ بسبب فسقهم المتقدّم، فلما رأوا ذلك، اختالوا على
اضطياذها فى يوم السبت، بأن نصبوا الحيال والشباك والشصوص، وحفروا
الحفر التى يجرى معها الماء إلى مصانع قد أعدوها، إذا دخلها السمك لا
يستطيع أن يخرج منها، ففعلوا ذلك فى يوم الجمعة، فإذا جاءت الحيتان
مسترسلة يوم السبت؛ علقّت بهذه المصايد، فإذا خرج سبّتهم أخذوها،
فغضب الله عليهم ولعنهم؛ لما اختالوا على خلاف أمره، وانتهكوا محارمه
بالحيل التى هى ظاهرة للناظر، وهى فى الباطن مخالفة مخصّصة، فلما فعل ذلك
طائفة منهم، افترق الذين لم يفعلوا ذلك فزقتين؛ فرقة أنكروا عليهم صنيعهم

(١) سقط من: ص.

(٢) تفسير الطبرى ٩٠/٩، ٩١. والتفسير ٤٩٢/٣. والدر المنثور ١٣٦/٣.

(٣) تفسير الطبرى ١/٣٣٠، ٩٠/٩. والتفسير ٤٩٢/٣.

(٤) تفسير الطبرى ١/٣٢٩ - ٣٣١، ٩٣/٩ - ٩٥. والتفسير ١/١٥١، ١٥٢، ٣/٤٩٣ - ٤٩٥.

هذا، واحتيالهم على مخالفة الله وسرعه في ذلك الزمان، وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا، بل أنكروا على الذين نهوا، وقالوا: ﴿ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ يقولون لهم: ما الفائدة في نهيكم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لا محالة؟ فأجابتهم الطائفة المنكرة بأن قالوا: ﴿ مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ﴾ أي؛ فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنقوم به خوفاً من عذابه. ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي؛ ولعل هؤلاء يتزكّون ما هم عليه من هذا الصنيع، فيقيهم الله عذابه، ويغفّر عنهم إذا هم رجعوا واستمعوا. قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أي؛ لم يلتفتوا إلى من نهاهم [١]

٢٨٧ظ] عن هذا الصنيع الشنيع القطيع ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾^(١) وهم الفرقة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وهم المرتكبون الفاحشة ﴿ بِعَذَابٍ بَعْيسٍ ﴾ وهو الشديد المؤلم الموجع. ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾. ثم فسر العذاب الذي أصابهم بقوله: ﴿ فَلَمَّا عَتَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾. وسندك ما ورد من الآثار^(٢) في ذلك.

والمقصود هنا أن الله تعالى أخبر أنه أهلك الظالمين، ونجى المؤمنين المنكرين^(٣)، وسكت عن الساكين، وقد اختلف فيهم العلماء على قولين؛ فقيل: إنهم من التاجين. وقيل: إنهم من الهالكين. والصحيح الأول عند المحققين، وهو الذي رجع إليه ابن عباس، إمام المفسرين، وذلك عند مناظرة

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) في ح، م: والآيات.

(٣) سقط من: الأصل.

مَوْلَاهُ عِكْرِمَةَ، فَكَسَاهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حُلَّةً سَنِيَّةً؛ تَكْرِمَةً. قُلْتُ: وَلَئِنَّمَا لَمْ يُذَكَّرُوا مَعَ التَّاجِينَ؛ لِأَنَّهَمْ وَإِنْ كَرِهُوا بِيَوَاطِنِهِمْ تِلْكَ الْفَاحِشَةَ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا ظَوَاهِرَهُمْ بِالْعَمَلِ الْمَأْمُورِ بِهِ مِنَ الْإِنْكَارِ الْقَوْلِيِّ، الَّذِي هُوَ أَوْسَطُ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ، الَّتِي أَعْلَاهَا الْإِنْكَارُ، بِالْيَدِ، ذَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَبَعْدَهَا الْإِنْكَارُ الْقَوْلِيُّ بِاللِّسَانِ، وَثَالِثُهَا الْإِنْكَارُ بِالْجَنَانِ. فَلَمَّا لَمْ يُذَكَّرُوا، لَمْ يُذَكَّرُوا^(١) مَعَ التَّاجِينَ، إِذْ لَمْ يَفْعَلُوا الْفَاحِشَةَ، بَلْ أَنْكَرُوا. وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ^(٢)، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَحَكَى مَالِكٌ^(٣)، عَنْ ابْنِ زُومَانَ، وَشَيْبَانٍ، عَنْ قَتَادَةَ، وَعَطَاءَ الْخُرَّاسَانِيِّ^(٤)، مَا مَضْمُونُهُ أَنَّ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا هَذَا الصَّنْعَ، اغْتَزَلَهُمْ بِقِيَّةِ أَهْلِ الْبَلَدِ، وَنَهَاهُمْ مَنْ نَهَاهُمْ مِنْهُمْ، فَلَمْ يَقْبَلُوا، فَكَانُوا يَبِيثُونَ وَحَدَهُمْ وَيُعْلِقُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ أَبْوَابًا، حَاجِزًا لِيَا كَانُوا يَتَرَقَّبُونَ مِنْ هَلَاكِهِمْ، فَأَصْبَحُوا ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْوَابُ نَاحِيَّتِهِمْ مُعْلَقَةٌ لَمْ يَفْتَحُوهَا، وَازْتَفَعَ النَّهَارُ وَاسْتَدَّ الضُّحَاءُ، فَأَمَرَ بِقِيَّةِ أَهْلِ الْبَلَدِ رَجُلًا^(٥) أَنْ يَضَعَدَ عَلَى سَلَالِمٍ، وَيُشْرِفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، إِذَا هُمْ قِرْدَةٌ لَهَا أذْنَابٌ يَتَعَاوَزُونَ وَيَتَعَادَوْنَ، فَفَتَحُوا عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابَ فَجَعَلَتِ الْقِرْدَةُ تَعْرِفُ قَرَابَاتِهِمْ، وَلَا تَعْرِفُهُمْ قَرَابَاتِهِمْ، فَجَعَلُوا يُلَوِّدُونَ بِهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمُ النَّاهُونَ: أَلَمْ نَنْهَكُمْ عَنْ صَنِيْعِكُمْ؟ فَتَشِيرُ الْقِرْدَةُ بِرُؤُوسِهَا أَنَّ نَعْمَ. ثُمَّ بَكَى عَبْدُ

(١ - ١) فى ح، م: «يذكروا نجوا». وفى ص: «يذكروا ولم ينكروا ونجوا».

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٤١، ٢٤٢.

(٣) الطبرى فى تفسيره ٩/٩٦، ٩٧ من طريق أشهب به، وذكره المصنف فى التفسير ٣/٤٩٥.

(٤) رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٠٩ من طريق شيبان به وقول عطاء ذكره المصنف فى تفسيره ١/

١٥١.

(٥) سقط من: ح. وفى الأصل، ص: «لرجل».

اللَّهُ بِنُ عَبَاسٍ، وَقَالَ: إِنَّا لَنَرَى مُنْكَرَاتٍ كَثِيرَةً، وَلَا تُنْكِرُهَا، وَلَا نَقُولُ فِيهَا شَيْئًا. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَاسٍ: صَارَ شَبَابُ الْقَرِيَةِ قِرْدَةً، وَشَبُوحُهَا خَنَازِيرٌ^(١). وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٢)، مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَاسٍ، أَنَّهُمْ لَمْ يَعِيشُوا إِلَّا فُوقًا^(٣)، ثُمَّ هَلَكُوا، مَا كَانَ لَهُمْ نَسْلٌ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَاسٍ^(٤): إِنَّهُ لَمْ يَعِشْ مَسَخَّ قَطُّ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَأْكُلْ هَوْلَاءٍ وَلَمْ يَشْرَبُوا وَلَمْ يَنْسَلُوا. وَقَدْ اسْتَقْصَيْنَا الْآثَارَ فِي ذَلِكَ، فِي تَفْسِيرِ سُورَتِي «الْبَقَرَةَ»، وَ«الْأَعْرَافِ». وَلِلَّهِ الْحَمْدُ [٢٨٨/١] وَالْمِئْتَةُ. وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٥)، وَابْنُ جَرِيرٍ^(٦)، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّهُ قَالَ: مُسَخَّتْ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُمَسِّحُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرٌ^(٧)، وَأَمَّا هُوَ مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ، كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَشْفَارًا. وَهَذَا صَحِيحٌ إِلَيْهِ، وَغَرِيبٌ مِنْهُ جَدًّا، وَمُخَالَفٌ لظَاهِرِ الْقُرْآنِ، وَلِمَا نَصَّ عَلَيْهِ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٨).

(١) تفسير الطبري ٩/ ١٠١. والتفسير ١٥١/١. وتفسير ابن أبي حاتم ٢١٠/١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢٠٩/١. وإسناده ضعيف.

(٣ - ٣) سقط من: ح.

(٤) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ٢٠٩/١. وإسناده ضعيف.

(٦) في ص: «جريح». والأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٣٢/١، بدون قوله: «وخنازير». قال

الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٥١/١ عقب إيراده الأثر من رواية ابن جرير: وهذا سند جيد عن مجاهد.

قلت: وبه يتقوى سند ابن أبي حاتم، حيث تابع عيسى أبا حذيفة.

(٧) سقط من: الأصل، ص. وهذا يوافق لفظ رواية ابن جرير، حيث أشرنا في الحاشية السابقة.

(٨) بعه في ح، م:

(قصة أصحاب القرية) - - تقدم ذكرها قبل قصة موسى، عليه السلام. (قصة سيبا): سيأتي

ذكرها في أيام العرب، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة. (قصة قارون وقصة بلعام): تقدمتا في قصة

موسى. وهكذا (قصة الخضر) و (قصة فرعون والسحرة): كلها في ضمن قصة موسى. و (قصة

البقرة): تقدمت في قصة موسى. وقصة ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ آلْمَوْتِ﴾: في

قصة حزقيل. وقصة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾: في قصة شمویل.

وقصة (الذي مر على قرينة): في قصة عزيز.

فهرس

الجزء الثانى من البداية والنهاية

الموضوع	الصفحة
باب ذكر أم أهلكوا بعامه	٥
قصة قوم يس ، وهم أصحاب القرية	١٠
قصة يونس عليه الصلاة والسلام	١٦
ذكر فضل يونس عليه السلام	٢٨
ذكر قصة موسى الكليم عليه الصلاة والسلام	٣١
فصل : تحريض فرعون على قتل موسى وإسلام السحرة	٨١
ذكر هلاك فرعون وجنوده	١٠٣
فصل : فيما كان من أمر بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون	١١٧
فصل : فى دخول بنى إسرائيل التيه	١٣١
سؤال الرؤية	١٣٨
قصة عبادتهم العجل فى غيبة كليم الله موسى عليه السلام	١٤٥
ذكر حديث آخر بمعنى ما ذكره ابن حبان	١٦٠
قصة بقره بنى إسرائيل	١٦٥
قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام	١٦٩

- ١٨١ ذكر الحديث الملقب بحديث الفتون
- ١٩٧ ذكر بناء قبة الزمان
- ٢٠١ قصة قارون مع موسى عليه السلام
- ٢٠٩ ذكر فضائل موسى عليه السلام
- ٢١٨ ذكر حج موسى عليه السلام إلى البيت العتيق وصفته
- ٢٢١ ذكر وفاته عليه السلام
- ٢٢٧ ذكر نبوة يوشع ... بعد موسى وهارون
- ٢٤٣ ذكر قصتي الخضر وإلياس عليهما السلام
- ٢٧٢ إلياس عليه السلام
- ٢٧٩ باب ذكر جماعة من أنبياء بنى إسرائيل بعد موسى
- ٢٨٠ قصة حزقيل
- ٢٨٥ قصة اليسع
- ٢٨٧ فصل: فى اضطراب أمر بنى إسرائيل بعد اليسع
- ٢٨٩ قصة شمويل
- ٣٠٠ قصة داود عليه السلام
- ٣١٩ ذكر كمية حياته وكيفية وفاته
- ٣٢٣ قصة سليمان بن داود

- ٣٥٢ ذكر وفاته ومدة ملكه وحياته
- ٣٥٧ باب ذكر جماعة من أنبياء بنى إسرائيل بعد داود وسليمان
- ٣٦٠ أرميا بن حلقيا من سبط لاوى بن يعقوب
- ٣٦١ ذكر خراب بيت المقدس
- ٣٧٥ ذكر شىء من خبر دانيال عليه السلام
- ٣٨٠ ذكر عمارة بيت المقدس بعد خرابها
- ٣٨٣ قصة العزيز
- ٣٨٩ فصل : عزيز نبى من أنبياء بنى إسرائيل
- ٣٩٣ قصة زكريا ويحيى عليهما السلام
- ٤١١ بيان سبب قتل يحيى عليه السلام
- ٤١٦ قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام
- ٤٣٧ ذكر ميلاد العبد الرسول عيسى ابن مريم البتول
- ٤٥٤ باب بيان أن الله تعالى منزه عن الولد
- ٤٦٥ ذكر منشأ عيسى ابن مريم عليهما السلام
- ٤٧٢ بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها
- ٤٧٤ بيان شجرة طوبى ما هى
- ٤٩١ ذكر خبر المائة

- ٤٩٥ فصل : فى مشى عيسى على الماء
- ٥٠٧ ذكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء
- ٥١٩ صفة عيسى عليه السلام وشمائله وفضائله
- ٥٣١ فصل : اختلاف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء
- ٥٣٣ بيان بناء بيت لحم والقمامة
- ٥٣٥ كتاب أخبار الماضين
- ٥٣٦ خبر ذى القرنين
- ٥٤٧ بيان طلب ذى القرنين عين الحياة
- ٥٥٢ ذكر أمتى يأجوج ومأجوج وصفاتهم، ... وصفة السد
- ٥٦١ قصة أصحاب الكهف
- ٥٧٢ قصة الرجلين؛ المؤمن والكافر
- ٥٧٨ قصة أصحاب الجنة
- ٥٨٢ قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا فى سبتهم

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء الثانى

ويليه الجزء الثالث ، وأوله :

قصة لقمان